# الطريق إلى المحراب

جميع حقوق الطبع والنسخ والنشر محفوظة

الطبعة الأولى يونيو ٢٠٠٣

لا يجوز إعادة نسخ أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أى جزء منه بأى طريقة كانت ميكانيكية أو إلكترونية أو التصوير أو التسجيل أو البث عن طريق الشبكات الالكترونية أو غيرها إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقدماً

المكتب المصرى الحديث
www.almaktabalmasry.com
almaktabalmasry@hotmail.com

القاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٣٩٣٤١٢٧
الأسكندرية: ٧ شارع نوبار المنشية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

حرب الخليج الثالثة

# الطريق إلى الحرب

تقديم

د. أسامة الغزالي حرب

المشاركون

لواء/ عثمان كامل حسين

دكتور/ محمد بحاتي إبراهيم — لواء/ محمد سيد قنديل

دكتور/ عبد الرحمن سيد الهادي — لواء/ عبد المنعم سعيد كامو

دكتور/ محمد جمال مظلوم — دكتور/ مصطفى إبراهيم الشرقاوي

إعداد وتحرير

د. عبد الغفار عفيفي الدويك

المكتب المصري الحديث

القاهرة ٢٠٠٣

# تقديم

عندما طلب منى أن أكتب التقديم لهذا المؤلف عن الحرب الأمريكية فى العراق (مارس- أبريل ٢٠٠٣) أو "حرب الخليج الثالثة" لم أتردد لحظة، لأكثر من سبب:

**أولها:** الأهمية الاستثنائية للموضوع، ليس فقط بالنسبة لنا نحن العرب، أو بالنسبة للشرق الأوسط وإنما بالنسبة للعالم كله.

**وثانيها:** قيمة الأسماء المشاركة فيه، والتي تضم بعضها من أفضل عقولنا الفكرية المتخصصة، التى جمعت بين تخصصها العسكري الرفيع، وعمقها العلمي – الأكاديمي الذى يؤهلها لأن تقدم للقارئ وجبة علمية موضوعية دسمة.

**وثالثها:** فإن "السرعة" التى تم بها إعداد المؤلف، تعكس وعيا عميقا بإلحاح القضية موضع البحث، والتى تجعلها – فى واقع الأمر – نقطة تحول، يختلف العالم كله بعدها عنه قبلها.

وفى واقع الأمر، وعلى المستوى الدولى، سوف تسجل الحملة العسكرية الأمريكية البريطانية على العراق باعتبارها إحدى الوقائع الأساسية التى تؤكد نهاية النظام الدولى الذى قام بعد الحرب العالمية الثانية، وتجسد فى منظمة الأمم المتحدة بتشكيلاتها المختلفة، وعلى رأسها مجلس الأمن. لقد ذهبت الولايات المتحدة إلى الحرب مع بريطانيا، متجاهلتين تماما للشرعية الدولية، ولمعارضة الغالبية العظمى من بلاد العالم، وفى مقدمة الدول الثلاث الأخرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن (فرنسا وروسيا والصين). وبعبارة أخرى، فإن الحرب ضد العراق، تبدو باعتبارها الواقعة الأخيرة التى تضاف إلى وقائع هامة أخرى سابقة: انهيار الاتحاد السوفيتى، وتفكك الكتلة الشرقية، وحرب تحرير

الكويت، وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. وتضاف كلها لتصنع عالما جديدا لا نعرف ملامحه النهائية بعد.

وربما جاز لنا أن نصف هذا العالم الجديد بأنه عالم "ما بعد النظام الدولى الجديد" – الذى تقع فيه مواجهة بين الولايات المتحدة، وباقى دول العالم كلها تقريبا أو بين "الولايات المتحدة" و"الأمم المتحدة". وحجر الزاوية فى هذا التطور المثير هو الصعود غير المسبوق للقوة الأمريكية، والتى تجعل دراستها، والتعرف العلمى للموضوع عليها، مدخلا أساسيا لرسم ملامح النظام الجديد. غير أن الأمر المثير للانتباه هنا، هو حقيقة أن المنطقة العربية، بل ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام، كانت دائما البؤرة التى تتجسد فيها – أكثر من أى مكان آخر فى العالم – ملامح النظام الدولى السائد. حدث هذا فى عام ١٩٥٦ عندما تبلورت – فى سياق حرب السويس – المواجهة بين الشرق والغرب، وفى حقبة الحرب الباردة، والتى بلغت ذروتها حينئذ فى الإنذار السوفيتى الذى وجهه رئيس الوزراء السوفيتى فى ذلك الحين – بولجانين – إلى كل من بريطانيا وفرنسا، مهددا بضرب لندن وباريس بالصواريخ النووية! وحدث هذا فى عام ١٩٧٣ فى ظل حقبة الوفاق الدولى عندما هدد الاتحاد السوفيتى، فى أكتوبر ١٩٧٣ بالتدخل منفردا فى منطقة قناة السويس إذا ما لم تتوقف القوات الإسرائيلية عن انتهاك وقف إطلاق النار، وهو الأمر الذى قوبل برفع درجة الاستعداد لدى القوات الأمريكية فى جميع أنحاء العالم، ومرة ثالثة، كانت حرب تحرير الكويت فى عام ١٩٩١ هى الفرصة التى أعلن فى غمارها جورج بوش (الأب) عن مولد "النظام الدولى الجديد" ذلك النظام الذى اتسم بأفول القوة السوفيتية والمعسكر الشرقى، وانفراد الولايات المتحدة بمكانة القوة الأعظم فى العالم.

ولذلك، لم يكن غريبا أن منطقة الشرق الأوسط، ومن خلال الحرب على العراق (فى مارس–أبريل ٢٠٠٣) هى – مرة أخرى – المنطقة التى تجسدت

فيها ملامح النظام العالمى الجديد.. الذى لا نعرف اليوم.. إلى أى شكل سوف يؤول!

بل يمكن القول أيضا أن الأبعاد الاجتماعية والثقافية التى صاحبت هذا العالم الجديد البازغ، لم تقل فى عمقها وإثارتها عن الأبعاد السياسية ويكفى هنا فقط الإشارة إلى النهضة غير المسبوقة لقوى المجتمع المدنى – الدولى الحية فى كافة أنحاء العالم، بما فى ذلك فى الولايات المتحدة وبريطانيا التى هبت بقوة وإصرار غير مسبوقين لتعلن رفضها للحرب.. وتخوفها من عواقب الهيمنة الأمريكية المطلقة على مقدرات العالم. ثم يتوازى مع هذا كله، ذلك الإحساس العام الذى أخذ يسود ما يزيد عن مليار من البشر فى العالم الإسلامى بأنهم مجتمعاتهم وثقافتهم ودينهم.. مستهدفة من القوة الأعظم فى العالم، حتى وإن اعتذر الرئيس بوش عن وصفه يوما ما لتلك الحرب بأنها "حرب صليبية"، وحتى وإن شاركت قوى مسيحية – على رأسها بابا روما نفسه – فى إدانة تلك الحرب!

على المستوى الإقليمى، لم يرتبط إدراك أبناء الشرق الأوسط والعالم العربى لجوهر الحرب على العراق ولحقيقة أهدافها، بالأهداف المعلنة لها، بقدر ما ارتبط تقديرهم لأهدافها "الفعلية". فلم تفلح الولايات المتحدة إطلاقا فى إقناع أبناء المنطقة (ولا غالبية بلاد العالم الأخرى فى الواقع) بأن لدى النظام العراقى أسلحة للدمار الشامل، خاصة وأن لجان التفتيش الدولية لم تقطع بذلك، فضلا عن أن مهمتها قد أنهيت قسراً. ولم تفلح الولايات المتحدة فى إقناع أبناء المنطقة (ولا غالبية بلاد العالم الأخرى) بأن للنظام العراقى علاقة بالمنظمات الإرهابية، خاصة تنظيم "القاعدة" فى أفغانستان وعندما ذكر منظمات "فلسطينية" باعتبارها المعنية بأنها منظمات "إرهابية" نظرت غالبية شعوب العالم العربى لذلك باعتبارها نقطة إيجابية لصالح النظام العراقى وليست نقطة سلبية! وعلى العكس من هاتين النقطتين المعلنتين، فإن الغالبية الساحقة من أبناء شعوب هذه المنطقة ترى أسبابا أخرى لتلك الحرب. فهناك أولا البترول الذى تحرص الولايات

المتحدة – بلا شك – على السيطرة على آباره الغنية فى العراق، ليس لمجرد الحصول عليه – فهى بالفعل كانت وما تزال فى مقدمة مستهلكى نفط الشرق الأوسط – ولكن للامساك بمفاتيح أهم مصدر للطاقة فى العالم فى مواجهة القوى الكبرى الأخرى، خاصة بعد اكتشافات البترول الكبيرة فى منطقة بحر قزوين. وهناك ثانيا الاستجابة للهواجس الأمنية الإسرائيلية المفرطة من خطر ما سمى بأسلحة الدمار الشامل العراقية، والصواريخ العراقية، حتى وإن لم تمثل فى الحقيقة أى تهديد لها على الإطلاق، فى أى لحظة فى صراعها الطويل مع العرب. ولذلك، ولدى أعداد متزايدة من المثقفين العرب، وللجماهير العربية على حد سواء، تبدوا الحرب الأمريكية على العراق أداة لتكريس سيطرة إسرائيل على المنطقة، فضلا عن إطلاق يدها فى مواجهة الشعب الفلسطينى بل الواقع أن هذه النظرة هى السائدة أيضا لدى القطاعات الغالبة فى العالم الإسلامى: من تركيا وإيران وباكستان غربا، إلى ماليزيا وأندونيسيا شرقا. ويرتبط بهذا كله تساؤلات وشكوك تطرح سرا وعلانية، حول الدور الحقيقى الذى لعبته إسرائيل، والعناصر المرتبطة بها فى الإدارة الأمريكية، وفى أجهزة السياسات وصنع القرارات فى الولايات المتحدة فى شد الولايات المتحدة لتلك الحرب! ولاشك أن الطابع اليمينى المسيحى المحافظ الغالب على نخبة صنع القرار، المحيطة بالرئيس الأمريكى، يزكى بقوة تلك الشكوك.

وهناك ثالثا، الإصرار الأمريكى على تكريس الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط والعالم العربى، ليس فقط كجزء من طموح الدولة الأعظم لفرض هيمنتها الكونية، وإنما أيضا – وذلك هو الأهم – لإعادة ترتيب الأوضاع فى العالمين العربى والإسلامى، بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١. وفى هذا السياق فإن مقاومة هذا النزوع "الإمبريالى" للولايات المتحدة، فى الشرق الأوسط، هو جزء لا يتجزأ من الحركة الدولية الرافضة له، والتى تمتد على طول وعرض العالم كله، من أقصى شمال أوربا إلى أقصى جنوب القارة الأفريقية، ومن بلدان

أمريكا اللاتينية إلى أوربا وآسيا واستراليا، إنه رفض تتداخل فيه الاعتبارات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، مع الاعتبارات الثقافية والحضارية!

أما على المستوى الثالث، الداخلى، فى الأقطار العربية والإسلامية، فإن تأثيرات تلك الحرب تبدو أشد تعقيدا والتباسا. فمع قرب شن الولايات المتحدة وحلفاؤها حربهم ضد العراق، ارتفعت نغمة الإدانة للطابع الديكتاتورى اللاديمقراطى للنظام العراقى، وأخذت تبرز - شيئا فشيئا - فكر تحرير العراق- من النظام الاستبدادى لصدام حسين، كأحد الأهداف الكبرى للحرب على العراق. ويبدو واضحا الآن، أن الحرب -من هذا المنظور-إنما سعت- ليس فقط إلى القضاء على صدام حسين، وإنما أيضا إلى انشاء نظام "ديمقراطى" بديل، تقدمه الولايات المتحدة للعالم العربى والإسلامى، كنموذج يحتذى، ونمطا ملهما للتغيير الديمقراطى فى منطقة تبدو حتى الآن وكأنها مستعصية على ذلك التغيير.

ولا شك أن نظام صدام حسين هو واحد من أسوأ النظم الديكتاتورية فى العالم، وأشدها قسوة ودموية. ولا شك أيضا أن التخلى عنه، وتخليص العراق، والأمة العربية كلها منه هو إنجاز لا يمكن إنكاره، بعد أن أدى هذا النظام إلى إذلال الشعب العراقى، وتبديد ثرواته، قتل مئات الألوف من أبنائه، فضلا عن الملايين الذين اضطروا للهجرة من بلدهم.

غير أن هذا "الهدف" للحرب على العراق يثير عديدا من التحفظات والتساؤلات. ولن نقول هنا أن الولايات المتحدة نفسها كانت فى مقدمة من شجعوا هذا النظام الديكتاتورى، وتعاملوا معه، طالما كان يحقق أهدافها! ولن نقول أننا نرفض التدخل الخارجى لتغيير النظام العراقى بالقوة، وأن هذا فقط شأن الشعب العراقى، ببساطة لأن الشعب العراقى المغلوب على أمره، لم يختر صدام حسين ليكون رئيسا له، وهو كذلك لم يكن ليستطيع تغيير صدام.

إن ما نقوله أنه كان بالإمكان محاصرة النظام العراقى، وعزله، من خلال جهد دولى (وأيضا عربى) منظم ينزع عنه شرعيته الدولية والعربية ويسهم فى

ذبوله والقضاء عليه، ونقول أيضا أنه كان يمكن التجاوب مع قوى المعارضة العراقية، فى خارج العراق وداخله، على نحو أكثر جدية وتنظيما، بما يشكل بديلا وطنيا ديمقراطيا، واضحا ومتبلورا للنظام العراقى يسهم فى محاصرة النظام ونزع شرعيته "العراقية" . ونقول ثالثا أنه كان من الصعوبة بمكان إقناع الشعب العراقى – أيا كانت مشاعره الكارهة لصدام حسين – بأن تلك الجيوش الهائلة، المدججة بأحدث الأسلحة وأشدها فتكا، والتى حصدت فى طريقها المدنيين والأبرياء (سيان بقصد أو بدون قصد) إنما أتت لتحريره، ولم تستهدف احتلال أرضه، والاستيلاء على ثرواته. ويبدو هذا واضحا فى إطار ثقافة وتقاليد تعلى من قيمة "الاستقلال" ورفض الاحتلال الأجنبى، حتى وإن كان ذلك –ربما– على حساب الحرية أو الديمقراطية.

غير أن الواقعة قد وقعت، وسقط النظام العراقى بأسرع وأسهل مما تصوره جميع الأطراف، وفى مقدمتهم الأمريكيون والبريطانيون أنفسهم. وأصبح العراق المتحرر من صدام حسين، واقعا تحت الاحتلال الأمريكى البريطانى. وطرحت مجريات الحرب وأثرها.. أسئلة وعلامات للاستفهام.. أكبر بكثير مما قدمت من الإجابات.

والأهم من ذلك، أن "مستقبل العراق" ومستقبل العالم العربى، ومستقبل منطقة الشرق الأوسط كلها، ومستقبل الترتيبات الإقليمية فيه وعلاقتها بالأوضاع الدولية الجديدة .. ما تزال كلها تنتظر الإجابات.

ولا شك أن كل جهد جاد، للتعرف على حقيقة ما حدث، هو أمر محمود ومطلوب.. توطئة لأن نقرر ما يمكن أن يحدث فى المستقبل، وكيف يمكن أن نستعد للتعامل معه. وفى ذا السياق، تأتى المبادرة بإخراج هذا المؤلف، وفى هذا التوقيت خطوة رائدة موفقة، فى الطريق الصحيح.

د. أسامة الغزالى حرب

القاهرة الجديدة

مايو ٢٠٠٣

# مقدمة

لقد أرست حرب الخليج الثانية بعض القواعد الأساسية عند استخدام القوة العسكرية، فإن استدعاء القوات الأمريكية إلى منطقة الخليج أوضح – بما لا يدع مجالا للشك – أن الولايات المتحدة القوة العظمى التي تولت مسئولياتها لزعامة العالم، وإدارة نظامه الأحادي القطبية وحدها أثبت أنها قادرة على نقل القوات إلى حيث التهديد وقدرتها على حشدها. وجاءت الاستجابة الفورية نتيجة لأن منطقة الخليج الغنية بالبترول تتعرض لخطر بالغ يهدد مصالح أمريكية تتمثل في مصادر الطاقة ومتطلبات حمايتها، وتوافقت المصالح الأمريكية مع المصالح القومية للدول الخليجية، وبذلك فإن استخدام القوة العسكرية الأمريكية خضع لاعتبارين: الأول أن هناك تهديدًا لمنطقة الخليج خارجًا عن القدرات العسكرية لدول الخليج، وأن الأمن القومي الخليجي يحتاج لتدخل خارجي لحماية مصالحهم الوطنية التي تعني توافق المصالح الدولية مع المصالح الإقليمية وإن اختلفت المبررات والأهداف.

لقد تحركت الولايات المتحدة عندما أصبح استخدام القوة العسكرية ضرورياً ولكن في إطار تحالف دولي بموافقة الأمم المتحدة وكان لهذا التحالف شقان الشق الأول: من الدول العربية حيث إنه شأن عربي في الأساس، والثاني: من القوات الصديقة مما شكل تحالفا دوليا لشن الحرب تستخدم فيها قوات متعددة الجنسيات، وكانت الأهداف من الحرب في إطار الشرعية والعدالة الدولتين في مواجهة اعتداء عسكري على سيادة دولة مستقلة واعتداء على شعب وقع فريسة العدوان. وجاء استخدام القوة العسكرية ليؤكد فشل الجهود الدبلوماسية في حل المشكلة، وقد راعت الولايات المتحدة أن يكون دخولها الحرب مؤيدًا دوليًا. ولهذا جاءت حرب الخليج الثانية تحت مظلة الشرعية الدولية حيث تمت بموافقة مجلس الأمن وبموافقة العديد من الدول العربية وغير العربية كما أن أهدافها كانت واضحة ومعلنة وهي طرد القوات العراقية العسكرية من الكويت حيث إن

احتلالها كان غير مبرر، وبمجرد تحرير الكويت توقف القتال بالرغم من أن قوات التحالف كان الطريق أمامها مفتوحا للوصول إلى بغداد، وبانتصار قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة، وفي الوقت الذي انهار فيه الاتحاد السوفيتي – القطب الثاني في قيادة العالم – كانت منطقة الشرق الأوسط وحرب الخليج الثانية هي المسرح الذي أعلن فيه تنصيب الولايات المتحدة زعيمة على العالم، وعادت جميع قوات التحالف بعد تحرير الكويت إلى دولها بينما بقيت القوات الأمريكية والبريطانية في قواعد لها بمنطقة الخليج، ولكن في إطار شرعي وبناء على اتفاقيات تحالف ثنائية مع دول الخليج العربي. ونجحت الولايات المتحدة وحلفائها في مجلس الأمن في فرض عقوبات اقتصادية على العراق وقيود عسكرية حيث فرض برنامج النفط مقابل الغذاء مع حصار محكم لها ومناطق حظر جوية على القوات العراقية أضعفت سيطرة النظام العراقي على ترابه الوطني وأضعفت الدولة ضعفاً شاملاً اقتصاديا وعسكريا وأمنيا واجتماعيا وصحياً وجاء عام ٢٠٠١ حيث تولت شئون الإدارة والحكم في الولايات المتحدة حكومة من الحزب الجمهوري – يطلق عليهم الصقور – على رأسها الرئيس " جورج دبليو بوش " تتصف بالتشدد والترفع. ولم يمر من بدء إدارتها للحكم شهور إلا وجاءت أحداث ١١ سبتمبر في نفس العام ٢٠٠١ التي هزت أركان الولايات المتحدة ولأول مرة تشعر أمريكا باختراق أمنها الوطني وبالتهديد المباشر لأراضيها الشيء الذي اعتبرته حربا وهجوما عليها مما أحدث متغيرات حادة في مفاهيمها الاستراتيجية سواء السياسية أو العسكرية. وظهرت استراتيجية جديدة تجمع بينهما مبنية على استخدام القوة العسكرية الفائقة بما سميت مجازا بعسكرة السياسة الأمريكية بهدف مواجهة العدوان ومحاربة الإرهاب الدولي.

أعلنت الولايات المتحدة الحرب ضد الإرهاب وقامت بالإعلان عن قائمة بالمنظمات التي تعتبرها إرهابية وفي نفس الوقت أعلنت أيضا عن قائمة بالدول المخالفة والتي تأوي تنظيمات إرهابية أو تدعمها ودول أخرى وصفتها بالدول

المارقة ودول محور الشر ولقد أثارت تلك القوائم غضب واعتراض دول كثيرة حيث تعمدت أمريكا الكيل بمكيالين بالخلط في الأوراق بين الكفاح الوطني والإرهاب حيث اعتبرت الكفاح الوطني الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي الشرعي إنما هو إرهاب، بينما الاستخدام المفرط للقوة العسكرية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني الأعزل يأتي تحت مبدأ الدفاع عن النفس كما حددت أمريكا دولتين من دول الشرق الأوسط وهما إيران والعراق بأنهما ضمن محور الشر كما لمحت لكل من سوريا وليبيا والسودان والصومال كدول ترعى المنظمات الإرهابية.

وأعلنت الولايات المتحدة عن تشكيل تحالف دولي لمكافحة الإرهاب وقد كان هناك تأييد دولي لتشكيل هذا التحالف. وقد تجاوبت الدول العربية مع هذا التحالف بالرغم من حساسية العالم العربي إزاء مهاجمة دول إسلامية وذلك لإبعاد أصابع الاتهام الأمريكي للعرب لاشتراك مواطنين من الدول العربية في هذه العمليات بل كانوا يشكلون العدد الأعظم منها وبدأت الولايات المتحدة في تطبيق استراتيجيتها لمحاربة الإرهاب ضمن تحالف دولي وتأييد عالمي بالهجوم على أفغانستان لاتهامها بإيواء منظمات إرهابية وخاصة تنظيم " القاعدة "

ولكن سرعان ما تبين لدول العالم أن الهجوم على أفغانستان لم يكن سوى المحطة الأولى في طريق طويل ربما تم تخطيطه من فترة وكانت أحداث ١١ سبتمبر إشارة للبدء في قطع هذا الطريق. وكانت المحطة التالية هي العراق وبدأت الولايات المتحدة تكيل الاتهامات التي تبرر المضي في طريق الهجوم عليها فحاولت الربط بين العراق والإرهاب – وخاصة بتنظيم القاعدة – ولم يقتنع العالم، فكان اتهامها بامتلاك أسلحة تدمير شامل وهذا يهدد أمن الولايات المتحدة إذا أمدت بها منظمات إرهابية متطرفة وقرر مجلس الأمن أن يعين لجان تفتيش للتأكد من وجود هذه الأسلحة في العراق من عدمه ولم يظهر لهذه اللجان أي أدلة لوجود الأسلحة، ولم تقتنع الولايات المتحدة ولم تنتظر لإتمام

التفتيش. وهنا سقط القناع عن وجه الولايات المتحدة فالضربة العسكرية للعراق قادمة بمشاركة بريطانيا وبدون انتظار قرار من مجلس الأمن أو موافقة دولية. ونجحت أمريكا في تشكيكها بامتلاك العراق لهذه الأسلحة علاوة على سبب إضافي هو تغيير نظام الحكم العراقي. وشنت هجوما ولم تكن حربا عادية بل استخدمت فيها أحدث أنواع الأسلحة في العالم شدة وعنفا وتأثيرا راح ضحيتها الآلاف من المواطنين العراقيين الأبرياء. وتعتبر هذه الحرب كارثة إنسانية للعراق بكل المقاييس ولم تقتنع معظم دول العالم بالتبريرات الأمريكية لشن هذه الحرب حيث إن أمريكا هي التي أمدته بعناصر تصنيع هذه الأسلحة وعاونته بريطانيا أيضا في ذلك، كما أنها قد شجعته على احتلال الكويت بعد معاونته في حربه ضد إيران. ومن المفارقات المؤسفة أن إسرائيل تمتلك أسلحة تدمير شامل وأسلحة ذرية. بل إن كوريا الشمالية في وقت مزامن للأزمة العراقية تحدت الولايات المتحدة بأنها تستمر في تصنيع أسلحتها النووية وأجرت التجارب على صواريخ أرض/أرض بعيدة المدى كرسالة لأمريكا عن قدرتها لمهاجمة السواحل الغربية لأمريكا وإنها ستتصدى لأي محاولة أمريكية للتدخل في مفهومها الدفاعي والأمني ومع ذلك ركزت أمريكا عسكريا على العراق وهذا بالطبع لأهداف أخرى غير معلنة سواء للسيطرة على مصادر الطاقة في العالم- والعراق كما هو معلوم من أغنى دول العالم في احتياطي النفط- وقد يكون أيضا لإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط وإضعاف العالم العربي لصالح أمن إسرائيل وقد يكون لاكتساب مواضع أقدام في قارة آسيا سواء في الشمال على الحدود الروسية والصينية، أو الاقتراب من إيران وسوريا استعدادا لاستئناف الطريق التي بدأته من أفغانستان للوصول إلى محطات أخرى سواء في إيران أو سوريا وكلها نوايا قائمة وأهداف غير مستبعدة للاستراتيجية الأمريكية المبنية على القوة والغطرسة والمصالح البترولية.

إن الهجوم واحتلال العراق مهما كانت المسميات التي حاولت الولايات المتحدة الدخول تحت غطائها تعتبر زلزالاً هز جوانب العالم وليس منطقة

الشرق الأوسط فقط وسيكون لهذا الزلزال العديد من التوابع منها: مستقبل الأمم المتحدة ومستقبل حلف الأطلنطي وجامعة الدول العربية والعديد من دول العالم الثالث وحل المشكلة الفلسطينية وغيرها من التغيرات المتوقعة والتي ربما قد يعيدنا لمرحلة جديدة من الحرب الباردة وما يترتب على ذلك من هزات اقتصادية عالمية سيعاني منها الجميع وخاصة الدول الفقيرة في العالم الثالث.

لقد أخذت الولايات المتحدة على عاتقها أن تلعب دور الشرطي في العالم لتحاسب بعض الدول في المجتمع الدولي طبقاً لتصنيفها لها من دول حليفة أو معادية أو دول شر أو مارقة وأخطر من كل ذلك ما أصاب وسيصيب العالم العربي من نكبات وهزات تصفية تحديدها أو أبعادها فإن هناك أهدافاً للضربة العراقية أعمق بكثير مما أعلن كالهيمنة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط خاصة وأنه بدأت التصريحات بتوجيه التهديدات لكل من سوريا وإيران (الأعداء الباقون لإسرائيل) ويمكن وضعها في الاعتبار كمحطات تالية على طريق الولايات المتحدة تحت مظلة مكافحة الإرهاب.

وهذا ما أثار تساؤلات حول ما هي المحطات التالية لما بعد العراق؟ فالقوات الأمريكية منتشرة في الخليج على استعداد للتدخل في إيران ويمكن استخدامها اتجاه سوريا وهناك قوات محتشدة في البحر الأحمر في دول أفريقية غير عربية ويمكن استخدامها في اتجاه السودان وهناك القوات الأمريكية في أوروبا والأسطول السادس الأمريكي في البحر المتوسط ويمكن استخدامها اتجاه ليبيا، الموقف ليس غامضاً ولكن التهديدات أمر واقع، قد أضيف إلى هذا الأزمة الكورية لتكتمل الصورة حول حدود استخدام القوة العسكرية الأمريكية في أنحاء العالم ويضاف إليها الأزمة التي تثيرها الإدارة الأمريكية في أمريكا اللاتينية لمكافحة المخدرات، لقد أصبح العالم يقف على حافة هاوية، أزمات تهدد الاستقرار الدولي وتصب في مصلحة إسرائيل والصهيونية العالمية التي تريد أن تحكم سيطرتها على العالم، والحشود الأمريكية والأزمات الساخنة تقترب من

آسيا فهل هذا يعني أن هناك جولة قادمة بعد حين نحو الصين وروسيا؟ وما هو موقف الاتحاد الأوروبي؟ هل يقبل أن يكون له دور في إطار " الناتو " متوافقا مع الأهداف والمصالح الأمريكية أم معارضًا لها؟ فإن إشعال حرب على نطاق دولي يهدد العالم بالدمار، وهل يعني هذا احتمالات تغيير في العلاقات الدولية وتوازنات القوى؟.. وما هو موقف اليابان؟ - العملاق الاقتصادي - أسئلة كثيرة كلها تحمل قلقًا على السلام والأمن الدوليين.

الدول العربية استشعرت أن تتعرض العراق لضربة عسكرية أمريكية وضربات عسكرية أخرى لإعادة رسم الخريطة السياسية للمنطقة يهدد الأمن القومي العربي حيث إن الولايات المتحدة الأمريكية لا تتشاور مع الدول العربية بل تتظاهر بالتشاور بينما تتشاور مع إسرائيل وتأخذ برأيها الذي يتعارض مع الأمن القومي العربي ومع حليفها الاستراتيجي المملكة المتحدة مما قد يؤدي إلى تفتت العراق إلى دويلات وكيانات ضعيفة وفي هذا خطورة بالغة على الأمن الإقليمي العربي. فهذا يعني أن تكون إسرائيل قوة إقليمية في المنطقة لها اليد العليا في إدارة السياسة بتفويض أمريكي على أن تكون مصادر الثروة البترولية العربية في يد الولايات المتحدة الأمريكية وبما يحقق لها زيادة إحكام الهيمنة على العالم، على الرغم أن هناك صحوة سياسية من جانب فرنسا وألمانيا وروسيا والصين واليابان ومن يقظة مستمرة من جانب مصر في الدول العربية التي ترى أهمية الحل السلمي دون الحل العسكري لأي أزمة أو مشكلة تتعرض لها دولة - أو عدة دول عربية أو شرق أوسطية - وأن يكون هناك حدودًا شرعية وقانونية لاستخدام القوة العسكرية متفق عليها دوليا وإلا عمت الفوضى في العالم ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك؟ وهنا يبرز التساؤل بالنسبة لمستقبل الأمن القومي العربي وتحقيق مصالحه الذاتية. هل يستطيع العرب أن يطوروا أنفسهم وعقائدهم وأهدافهم السياسية والاقتصادية والأمنية مما يحقق مستقبلاً أفضل في ظل هذه الهجمة الشرسة خاصة ما يشوبها من شبهة في تضمنها

أهدافا عقائدية تهدد العالم الإسلامي وقد أشير إليها خلال تصريحات وتلميحات لبعض القادة المسئولين في أمريكا وأوروبا.

هل يمكن للعرب أن يتناسوا جميع مشاكلهم وخلافاتهم الجانبية ويتفرغوا لتركيز جهودهم للخروج من هذا البرزخ المظلم الذي وضعوا أنفسهم فيه ويكثفوا الرؤية لمشاهدة المتغيرات العالمية والإقليمية من حولهم ويلحقوا بقطار التطور والعولمة قبل أن يفوتهم متخلفين تابعين لا يملكون التحكم في أحوالهم أو مستقبلهم ومن هنا جاءت أهمية وضرورة صدور هذا الكتاب ليوضح ويفسر ما يجري حولنا من خلال تحليلات شاملة متأنية دقيقة للأزمة العراقية كيف بدأت؟ وكيفية الإعداد لها وإدارتها ثم دراسة هذه الحرب غير العادلة ونتائجها والدروس المستخلصة منها لتكون نبراسا ومنارا نهتدي به في خطواتنا المقبلة لبناء غد عربي أكثر إشراقا وأكثر أمنا ورفاهية ورقيا. ولقد صدر هذا الكتاب الأول بعنوان الطريق إلى الحرب حيث يغطي بالشرح والتحليل مرحلة الاقتراب من الأزمة العراقية والإعداد لها سياسيا وعسكريا في إطار التحالف الأنجلو سكسوني بين أمريكا وبريطانيا حيث إن هذه الضربة العسكرية ضد العراق تأتى في مصاف حروب القرن الواحد والعشرين وترتيبها هو المرحلة الثانية زمنيا بعد حرب أفغانستان ولكنها من ناحية القوة والآثار المترتبة عليها قد تفوق أي صراع سابق بل هى تعتبر بمثابة حرب عالمية حيث يتأثر بها جميع دول العالم ولو بدرجات متفاوتة.

وسيتبعها بإذن الله دراسات أخرى لتغطية مرحلة الحرب ونتائجها ومرحلة ما بعد هذه الحرب. وفقنا الله لتحقيق الهدف من إصدار هذه السلسلة من الكتب والدراسات لصالح مصرنا العزيزة وعالمنا العربى ولغد مشرق بالأمن والأمان وتحقيق آمال شعوبنا العربية.

المشاركون

# استراتيجية الأمن القومي الأمريكي
# (عقيدة بوش)

## تمهيد:

- أولا : المستجدات في الفكر الأمني والاستراتيجي الأمريكي .
- ثانيا : نظرية الهيمنة الأمريكية على العالم .
- ثالثا : نقد الاستراتيجية الأمنية، والسياسة العامة الأمريكية .

---

- أعد هذا الفصل: لواء أ ح د/ عبد الرحمن رشدي الهواري الخبير الاستراتيجي.
دكتور / عبد الغفار عفيفي الدويك الباحث فى الشئون الاستراتيجية.

## تمهيد:

لـــم تكن لدى الرئيس جورج بوش أي تصورات للسياسة الخارجية عندما تولـــى مسؤوليات الرئاسة في الولايات المتحدة، ذلك أن مستشاريه الذين وقفوا معـــه فـــي حملته الانتخابية – وفي مقدمتهم صديق الأسرة "روف" – لم يكونوا يفكـــرون فـــي شئ سوى تحويل الحزب الجمهوري إلى مؤسسة تكساسية تخدم مصـــلحة النخـــبة السياسية والاقتصادية. ويفسر ذلك لماذا صرف الرئيس بوش نظـــره عن مشكلة الشرق الأوسط في بدء رئاسته؟. ولكن أحداث الحادي عشر مـــن أيلول (سبتمبر) جاءت لتغير الموقف، وليس ذلك لمواجهة ما أسماه جورج بـــوش الحـــرب على الإرهاب وإنما لتحقيق مطامح نخبته الجديدة في أن يكون القـــرن بأسره قرنا أمريكيا، وذلك سر إعلان بوش عبارته الشهيرة: "من ليس معـــنا فهـــو ضـــدنا" وتـــرك العالم أمام خيار واحد فإما أن يكون تحت المظلة الأمريكـــية وإمـــا أن يكـــون مستعدا لمواجهة النتائج. ولم يلق هؤلاء بالاً حتى لأقـــرب حلفاء أمريكا مثل ألمانيا واليابان وغيرهما لأن النظرية هي إما يكون العـــالم تابعا أو لا يكون ولكن "روف" وجماعته سرعان ما أدركوا أن هناك في الشـــاطئ الشرقي تجمعًا لا يمكن تجاهله وهو اللوبي الصهيوني الذي يجب أن يكـــون لاعبا مهما في جميع الاستراتيجيات الأمريكية وهكذا فتح المجال للرجل الثانـــي فـــي التأثير على الرئيس "بوش" وهو "ولفويتز" وأصبح نصير المصالح الصـــهيونية فـــي الإدارة الأمريكية وأدركت هذه النخبة أنه لكي تحقق الولايات المـــتحدة استراتيجيتها في السيطرة على العالم فلابد أن تتجاوز أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتقدم نفسها للعالم بوجه جديد تستعيد به ثقة العالم بها خاصة بعد فشلها في تحقيق أهدافها كاملة.

## أحداث ١١ سبتمبر وتأثيرها على التوازن وعلى النظام العالمي:

أدت أحداث ١١ سبتمبر ونتائجها إلى التأثير على التوازن وعلى النظام العالمي والتي يمكن أن تتمثل في الآتي:

١- الهيمنة الأمريكية على السياسات وعلى الحوار السياسي ومحاولة تحجيم دور الأمم المتحدة وإملاء القرارات التي تصدر عنه، وممارسة وتكثيف الضغوط الشديدة على المجتمع الدولي ليقبل باستخدام القوة العسكرية من أجل تحقيق مصالحها ومصالح حلفائها.

٢- محاولة السيطرة على مصادر الطاقة في العالم خاصة في منطقتي الخليج وبحر قزوين، بما يوفر لها غطاء آخر للهيمنة على مقدرات العالم الاقتصادية.

٣- أن توجهات الصراع العسكري أخذت طابعا مخالفا تماما للأزمات السابقة، وأصبح الصراع يأخذ شكلاً دوليا ومن خلال تحالف تقوده الولايات المتحدة وتنضم إليه العديد من دول العالم، مع توجه الصراع إلى قضايا طابعها دولي حضاري مثل الحرب ضد الإرهاب. ومن ثم فلا مكان مستقبلاً للصراعات الإقليمية المحدودة والتي تتدخل المنظمات الإقليمية والعالمية لإيقاف أو علاج المسائل الناتجة عنها، حيث أصبحت الأمم المتحدة محكومة تماما بالنظام العالمى الجديد، وأصبح من الممكن أن تستخدم الولايات المتحدة استراتيجية مزدوجة في هذا المجال، طبقاً لتأثير الصراعات المحدودة على مصالحها، فإن كان التأثير فاعلا فإنها تتدخل بثقل دبلوماسيتها، وإن كان هذا التأثير محدوداً.

٤- أن إعلان الولايات المتحدة لمبدئها أنه من ليس معنا فهو مع الإرهاب، يعتبر خطيرا للغاية، بل ويعتبر تحولا جذريا في فلسفة إدارة الأزمات، من خلال إجبار دول العالم على اختيار بديل واحد، وإلا تعرضت للحملة ضد الإرهاب، وهذا المبدأ يمثل انطلاقة جديدة نحو تطوير النظام العالمي، بل

ووضـــع العديـــد من الدول في مأزق خطير، وأصبحت بعض الدول تنتظر مصيرها في توجيه الضربات التالية إليها.

٥- أن نمط تأكيد الذات الأمريكية بقوة السلاح واستعراض القوة قد أصبح نهجا تســـعى الولايـــات المتحدة إلى تقنينه، وقد برز ذلك واضحاً في الأزمة مع العراق بعد صدور قرار مجلس الأمن رقم (١٤٤١) في نوفمبر ٢٠٠٢.

٦- اســـتطاعت الولايـــات المـــتحدة أن تفرض على الجميع حالة من الرعب، بالـــتلويح بســـيف الاتهام بمؤازرة الإرهاب، تلك التهمة التي يسهل إطلاقها ويصـــعب نفيها، وأكثر من هذا فإن الولايات المتحدة قد تعلن مرحلة "الردع اللفظي" لتعلن ما أسمته بمحور الشر وهي الدول التي تدعم الإرهاب وحددتها "بالعـــراق وإيـــران وكوريا الشمالية" واستطاعت الصهيونية العالمية أن تقيد صـــياغة شـــعار "الحـــرب ضـــد الإرهاب، ليصبح الاعتداء على المدنيين يستوجب الردع العسكري، وتم تطبيق هذا الشعار على الأراضي الفلسطينية التـــي تمـــثل بوضـــوح فـــي اجتـــياح الآلة العسكرية الإسرائيلية للأراضي الفلسطينية في مارس ٢٠٠٢ من أجل القضاء على عناصر المقاومة الوطنية وتدمـــير البنية التحتية وعناصر الأمن الفلسطينية، واستغلت إسرائيل الحالة العاطفـــية المصـــاحبة للأحداث واستغلالها للإعلام الأمريكي المدعم باللوبي الصهيوني، من أجل إثارة الدول الغربية ضد العرب والمسلمين.

٧- محاولـــة الولايـــات المـــتحدة جعل الحرب ضد الإرهاب المحور الرئيسي لحـــركة السياســـة الخارجية الأمريكية وجعل كل شيء آخر يدور في فلكها، وخطورة تطبيق هذا المبدأ هو التفسير الأمريكي للإرهاب طبقا لما يحلو لها، وهـــو مبدأ يهدد العديد من الدول وكذلك العديد من المنظمات التحررية التي تناضل من أجل تحرير الأرض... وبالطبع جاء التفسير الأمريكي للإرهاب متشـــابها مع التفسير الإسرائيلي له، وهو أيضاً له التأثير على عملية السلام وعلى تحقيق الاستقرار بالمنطقة.

٨- ولقد أدت أحداث ١١ سبتمبر أيضاً إلى تغير الاستراتيجية الأمريكية، وشروعها في إجراء مراجعة وتقويم شامل لكل جوانب ومهام المؤسسة العسكرية - فروعها ومكوناتها - ومن ثم شهدت هذه المؤسسة مرحلة من التحول الجذري على صعيد عقيدتها العسكرية بما أدى إلى رسم صورة الآلة الحربية الأمريكية خلال المرحلة المقبلة. وأصبح من الواضح تحديث الاستراتيجية لمواجهة تحديات العالم الجديدة وتهديداته، وعبر عن ذلك وزير الدفاع الأمريكي "رامسفيلد" في يونيو ٢٠٠٢ بالقول: "إنه ثبت عمليا أن استمرار الاعتماد على استراتيجية الحربين الإقليميتين.. أنه لم يعد ممكنا، وأنه بات ضروريا الاعتماد على استراتيجية جديدة تتلاءم مع ظروف ومتطلبات هذا القرن".

وبمعنى آخر فإن النص الأساسي الجديد الذي طرأ على المعادلة من وجهة النظر الأمريكية هو الإرهاب الدولي. بنشر صوره وأساليبه ومسارح عمله المحتملة، ومن ثم بروز الحاجة إلى مواجهة هذا التهديد العالمي والعمل على صده. وتتركز الاستراتيجية الجديدة من خلال توفير الدرع المطلوب في أربع مسارح حيوية أو أكثر ومساندة ذلك الدرع بالقدرة على الاحتفاظ بخيار تنفيذ هجوم شامل كاسح في أي وقت من الأوقات ضد عدو محدد، اشتمل هذا الخيار على احتلال عاصمة ذلك العدو وتغيير نظام الحكم فيه.

٩- تبلور الفكر الأمريكي في إطار جديد هو استراتيجية الضربة الوقائية المسبقة أو "الهجوم الوقائي" والتي تحتاج إلى عملية تحول جذرية شاملة على صعيد القوة العسكرية الأمريكية تسليحا وأداء، كما أنها ليست محددة بظروف معينة أو إجراء معين أو وقت محدد، بل سوف تتخذ شكلاً منهجيا ومستمرا ومتفاعلا مع الظروف والمستجدات العالمية. كما تقوم هذه الاستراتيجية على أساس فكر جديد، وهو الهيمنة السريعة، وأصبح الهدف الأساسي للحرب، ليس التدمير الشامل لقدرات العدو أو استنزافها، بل أصبح يتركز بشكل رئيسي على التأثير في إرادة الخصم ومن ثم السيطرة عليه، ويتحقق هدف

الهيمنة السريعة من خلال تطبيق عنصري الصدمة والترويع، وأن يكون هذان العنصران على درجة كافية من القوة والتحريض وإثارة الرعب والتهديد بما يضطر الخصم إلى الاستسلام وقبول المطالب الأمريكية لتدمير قدرات الخصم في حالة عدم انصياعه للشروط والمطالب المفروضة عليه.

وفي إطار الاستراتيجية الجديدة، يمكن توجيه ضربات مسبقة ضد تهديدات محتملة من جماعات إرهابية أو ضد دول تحاول أن تحصل أو حصلت بالفعل على أسلحة كيماوية أو بيولوجية أو نووية، وبالطبع فإن هذا الهجوم الوقائي لا يقوم على دليل مؤكد وليس رداً على هجوم معلن، كما يعنى أيضاً صياغة أساليب ووسائل جديدة للردع في إطار هذا النظام العالمي الذي تهيمن عليه قوة واحدة.. وهو ما يؤكد محاولة ليس الهيمنة الأمريكية وفرض سيطرتها على القدرات العالمية وإقرارها بالزعامة العالمية، وإطلاق أمريكي واضح من أن القوة التي تتمتع بها تعطيها الحق في حرية الحركة وتوجيه ما تراه من ضربات ضد دول أو جماعات تعتبرها مصدراً للتهديد.

١٠- كما وصفت الولايات المتحدة سياستها الخارجية في إطار ما يطلق عليه "عسكرة شبه كاملة للسياسة الأمريكية" بمعنى وضع القوة العسكرية على رأس أدواتها السياسية، ومن ثم تتحرك الدبلوماسية الأمريكية من أجل توضيح أن القوة العسكرية ليست هي الخيار الوحيد، وأن هناك آليات أخرى يمكن استخدمها للضغوط السياسية والجهود الدبلوماسية والعمل على إسقاط النظم المناوئة ومصادرة الأموال واعتقال من تشك في انتمائهم إلى جماعات أصولية.

كما برزت شطحات جديدة أوردها الأمريكيون كنتيجة لأحداث ١١ سبتمبر وهي: الحرب من أجل الحرية و"الحرب لحماية الديمقراطية" والحرب للدفاع عن الحضارة الغربية و"الخير ضد الشر ". والغرض من ذلك كله هو إضفاء الشرعية على الحرب والتأكيد على وجود دوافع أخلاقية نبيلة تبرر خوض

غمارهـــا كمـــا أن هذه الشعارات جاءت فضفاضة بحيث يمكن أن تتسع لتبرير حروب أخرى لاحقة، وهذا ما يؤكد أن الولايات المتحدة لا تحدد حربا من أجل المبادئ، بل هي حرب مصالح ذات دوافع براجماتية وليست أخلاقية.

١١- أدى استخدام الولايات المتحدة لهذه الاستراتيجية الجديدة إلى إحداث هزات عنـــيفة فـــي مـــنطقة الشرق الأوسط، حيث من المتوقع أن تؤدي إلى إدخال تغيرات لم تكن معروفة من قبل، وسوف يتسع نطاق هذه التغييرات أو يضيق وقـــتا لإيقـــاع التحولات الجديدة في الاستراتيجية الأمريكية، كما أن تطبيقها على دول بعينها في منطقة الشرق الأوسط من شأنه أن يرسم خريطة جديدة للمنطقة سوف تكون لمصلحة الولايات المتحدة وحليفتها إسرائيل.

## أولا: المستجدات في الفكر الأمني والاستراتيجي الأمريكي

الواقـــع أن حـــدث ١١ ســـبتمبر وما أعقبه، قد جاء مقوضاً الطريق الذي اختارته الولايات المتحدة الأمريكية الذي قاد الإدارة الأمريكية إلى ضرورة أن تسعى إلى تحصيل غنائم تصفية غريمها السوفيت والقضاء على ما فرضه نظام القطبـــية الثنائـــية من قيود على التوسع والسيطرة. وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكـــية قد قامت بمحاولات فشلت في كوبا والصومال وفي عدة دول أفريقية فـــي دائـــرة دول جنوب شرق آسيا، وإن كان نجاحها تم مع التأكيد، إن حليف إســـرائيل الاستراتيجي قد أحكم قبضته على مسار الشعب الفلسطيني، وكذا على الـــنظام الإقليمـــي العربـــي في مجالاته الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، واســـتطاع أن يقنع الشعوب العربية الخليجية بعد حرب الخليج الثانية، أنه وحده القادر على حماية أمن الخليج ضد التهديدات العراقية والإيرانية بما يستوجب أن يكـــون هـــناك تحالفا أمنيا مشتركا بينهما، وينجح في أن يضع قدمه في منطقة الخلـــيج في إطار نظرية الاحتواء والردع، وارتكزت قواته العسكرية في قواعد بـــرية وبحرية وجوية أو استفاد من ترويج تجارة سلاحه، واستقطاع الثمن من عائدات البترول الخليجي.

ثم جاء استخدام قوات حلف الناتو في "الحرب اليوغوسلافية" ولكن ما فاجأ العالم وفاجأ الأمريكيون هو قرارات المؤتمر العالمي ضد العنصرية في "دوريان" عام ٢٠٠١، ليهدد طموحات الولايات المتحدة الأمريكية في هيمنتها باعتبارها القطب الأوحد، حيث ندد الحاضرون في المؤتمر وبإجماع على التنديد بالتحالف الأمريكي الإسرائيلي.. وهكذا جاء مؤتمر دوريان ليبرز الفكرة نحو صياغة عالم جديد متعدد القطبية بدلا من النظام الأحادي القطبية.

وهكذا تحركت الولايات المتحدة الأمريكية لمنع ظهور قطب ثان في العالم أيا كان الثمن وأجمعوا أن ساحة التلاقي ستكون مع محور آسيا أوروبا (وهي المنطقة الممتدة من أوراسيا في أوروبا الشرقية إلى المحيط الهادي على شاطئ الصين واليابان بما يمثله ذلك من طريق الحرير التاريخي، وبينما كان فريق كبار الخبراء والمفكرين الاستراتيجيين الأمريكيين يعلمون على بلورة صياغة النظرية الجديدة للهيمنة الأمريكية على العالم، فإن الخبراء والمحللين الاقتصاديين والخبراء الاجتماعيين يدفعون الخطر على الضفة الأخرى من المحيط الهادي وعلى حدود القارة الأوربية حيث بدأت الصين في حركة تنمية وصعود معدلات قياسية خارقة.. وسنتحدث عن ذلك في جزء لاحق.

وتوالت الأحداث بعد ١١ سبتمبر، حيث أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد الإرهاب وتحركت الولايات المتحدة في حربها ضد أفغانستان واضعه في اعتبارها الأهداف الاستراتيجية الحقيقية وهي إحكام السيطرة على الصين وعزل روسيا عن وسط آسيا. ومن هذا المنطلق تحركت الولايات المتحدة أيضاً للسيطرة على البترول حتى يمكن أن تهدد من خلال هذه السيطرة كافة الدول الكبرى خاصة تلك التي تحاول الخروج عن توجهات السياسة الأمريكية.

وإذا كانت السيطرة قد تحققت على دول الخليج عدا العراق بعد تحرير الكويت، فالأمر تطلب الدخول في حرب مع العراق ذات الموقع الاستراتيجي

الهـــام الـــذي يلعب دور الحارس للبوابة التي تحاصر إسرائيل.. ومن ثم بدأت الولايـــات المتحدة في التحرك ضد العراق من أجل الهيمنة على نفطه وبالتالي السيطرة على الدائرة النفطية ككل من خلال احتواء بترول الخليج وبترول بحر قزوين.

بل ولقد أدت أحداث ١١ سبتمبر إلى التأكد من وجهة النظر الأمريكية على أهمـــية تحقـــيق أمـــن مـــنطقة الخليج، من خلال زيادة حجم وإمكانات قدراتها العسكرية بالمنطقة في مواجهة العراق ثم إيران بعد ذلك.

وبالطـــبع فإن هذا المخطط حقق بالفعل هيمنة أمريكية على مصادر النفط بمـــنطقة الخلـــيج، وينفذ حاليا بكل دقة مع الوضع في الاعتبار كافة الاحتمالات والمستجدات التي يمكن أن تحدث على الساحة الدولية والإقليمية.

## ١- متغيرات الفكر الاستراتيجي العسكري الأمريكي:

أدت أحـــداث ١١ سبتمبر إلى اتجاه الولايات المحتدة الأمريكية نحو تغيير سياســـتها الدفاعـــية إلى سياسة هجومية، حتى تستطيع أن تحافظ على مكانتها وهيبتها الدولية وتظهر قدرتها فى السيطرة على العالم، بحكم أنها القطب الأوحد فـــي الـــنظام العالمـــي الأحادي القطبية ولا تقبل منافسا يحاول أن يتبوأ كرسي رعاية العالم. ومن ثم تطلب ذلك منها أن تقنع أنها على رأس قائمة أهداف أمنها القومي. من هذا المنطلق كان لابد من تغيير استراتيجيتها الدفاعية العسكرية إلى اســـتراتيجية هجومية لتحقيق الأمن المطلق، مستندة في ذلك على مقومات القوة الشـــاملة الأمريكـــية التـــي ليست قاصرة على الجانب العسكري بل تمتلك قوة سياســـية تســـتطيع أن تســـخر الدبلوماسية لتحكم علاقاتها مع العالم من منطلق الســـيادة المطلقة لها ولديها القوة الاقتصادية التي تستطيع أن تحقق دون عوائق سياســـتها واستراتيجية هجومية دون أن تسمح بأي شكل من أشكال المعارضة، فالقرار قرارها وعلى العالم أن يلتزم تماما بهذا القرار وإلا استحق العقاب.

ولـم يعـد مجديا العمل باستراتيجية الردع والاحتواء التي ثبت فشلها بعد أحداث ١١ سبتمبر، بل يجب الأخذ باستراتيجية الضربات الوقائية والاستبقائية، بحيـث تكـون المبادرة وحرية العمل العسكري في يدها في إطار تعزيز فكرة السـبق فـي اتخاذ أوضاع متقدمة لقواتها، بحيث يمكنها التدخل بسرعة لحماية مصـالحها الاستراتيجية في أي مكان في العالم. فالعالم في نظرها مسرح واحد تـتحرك فـيه قواتهـا العسكرية بحرية كاملة، لتقترب من مكمن الخطر على مصـالحها الاسـتراتيجية لتوجه ضرباتها الوقائية والاستراتيجية لتحقيق الحسم الاستراتيجي إما منفردة أو متحالفة مع دول أخرى تدور في فلكها

وكان لابد للإدارة الأمريكية أن تقنع دول العالم بأنهم جميعا في حاجة إليها للحفاظ على الأمن العالمي وليست الولايات المتحدة في حاجة إليهم، وبذا لم يعد المجـال تحقـيق الـتعاون الاستراتيجي مع دول صديقة بل الخضوع لما تقوله الإدارة الأمريكية، وإلا استحقت الدولة العقاب ووضعت في قائمة الدول المارقة، من منطلق واعتمادا على القوة الأمريكية المتفوقة.

وهكـذا أصـبحت السياسة الأمريكية تعتمد على أن يسود العالم حالة توتر شـديد، حتى تظل الحاجة إلى الحصول على الحماية الأمريكية وأن يسير العالم في ركب التبعية الأمريكية، التي أصبحت الشرطي الذي يحافظ على أمن العالم، ويقودنـا هذا إلى ضرورة التعرف على الاستراتيجية الأمنية الأمريكية الجديدة التـي تسمى استراتيجية الضربات الوقائية والاستباقية ليكون لديها القدرة على تحقيق استراتيجية هجومية أمنية.

ومن ثم اتجه الفكر العسكري الأمريكي إلى اختيار الحرب الوقائية كأساس الاسـتراتيجية العسـكرية الأمريكية، وهي تعنى التحول من الردع إلى الهجوم الفعلـي، والسبق بالهجوم لمنع هجوم محتمل دون انتظار أن يقوم الخصم بحشد قواتـه، والواقـع أنه بنجاح توجيه الضربة الوقائية يتركز الأساس على الكفاءة العالـية لأجهـزة الاسـتخبارات التـي تجمع المعلومات بكل الوسائل والطرق

المشـــروعة وغير المشروعة مع سرعة تحليل هذه المعلومات حتى يمكن التنبؤ بالخطر القادم، ومن هذا المنطلق فإن الولايات المتحدة تنهج الأسلوب العملي في تطبـــيق علـــم المستقبليات وتضع السيناريوهات المحتمل حدوثها لتكون المبادأة الاستراتيجية في جانبها، واختارت أفغانستان للقيام بالضربة العسكرية الأمريكية مـــع العمل الأمريكي السريع. مع معرفتها المسبقة بضعف العدو في مواجهتها، واخـــتارت "القـــاعدة" كتنظيم إرهابي والذي لا يستطيع أن يقاوم الآلة العسكرية الأمريكية. وهكذا اعتمد نجاح نظرية الحرب الوقائية الأمريكية في بداية تطبيقها علـــى انـــتقاء الأهـــداف التي ستدمر ليقع العقاب بسرعة ولا تقبل أي تردد في استخدام القوة العسكرية .

وتنتهي الضربة العسكرية إلى تحقيق تدمير قوات الخصم كأسبقية أولى ثم تـــبدأ في ضرب الأهداف الاستراتيجية المدنية التي تؤثر على المعنويات والبنية الأساســـية كأسبقية ثانية مع الحفاظ في الوقت نفسه على هزيمة الخصم عسكريا ومـــن هنا يجب أن تكون الأسلحة الأمريكية على جانب كبير من الكفاءة، وأن تكون تلك الدول الضعيفة مسرحا لاختبارات أسلحتها الجديدة.

وهكـــذا يمكنـــنا القول إن الضربات الاستباقية، هي تلك الضربات التي قد توجهها الإدارة الأمريكية إلى دول تستعد للقيام بهجوم استراتيجي ضد الولايات المـــتحدة الأمريكـــية بامـــتلاكها أســـلحة نووية. ويتخذ القرار بتوجيه الضربة الاســـتباقية عند اكتشاف حشود عسكرية ستوجه ضرباتها إلى الولايات المتحدة، ممـــا يجعـــل الإدارة الأمريكية تقرر السبق في توجيه الضربة الأولى إلى تلك الحشـــود. ووفقا لنتائج الضربة الأولى يتم توجيه الضربة التالية إذا لزم الأمر، وتســـتخدم فـــيها الأســـلحة الاســـتراتيجية التي تضم الصواريخ عابرة القارات والطائرات الاستراتيجية حاملة الذخائر النووية وقطع البحرية التي تحمل رؤوسا نووية تطلقها صواريخها.

وعلـيه فـإن الحرب الوقائية من وجهة النظر الأمريكية تتحقق في إطار القـدرة على السبق في توجيه الضربات الوقائية والضربات الاستباقية، ويكون هـدف الأولى هو إحباط نوايا الهجوم، وهدف الثانية تدمير الحشود العسكرية، وبذا تكون الضربة الوقائية إحباطية، أما الثانية فتكون إجهاضية، وكلاهما يعتمد على المبادأة والمفاجأة من أجل إرباك الخصم وقياداته.

وقـد قدرت الإدارة الأمريكية أن تكون القوات المسلحة الأمريكية مستعدة لتوجـيه ضـرباتها الوقائية إلى خلايا الإرهاب المنتشرة داخل العديد من دول العـالم، بجانب ضرورة مواجهة الأنظمة التي ترعى الإرهاب وفي هذا السياق يصبح من المؤكد أن تنفيذ الضربات الوقائية يتطلب توجيه الضربة الأولى ضد الإرهابيـين فـي مراكـز تجمعهم داخل دول تأويهم، مع حرية اختيار المكان والزمان لتوجيه مثل هذه الضربات، طالما أن هناك توجسًا أو خوفاً من تعرض الولايات المتحدة إلى أخطار قد لا تكون مؤكدة. لذا فإن أحد الخصائص الرئيسية للحـرب الوقائـية أن تكـون "تعرضـية" في المقام الأول، وتعتمد على توجيه الضربات المفاجئة المسبقة، دون انتظار لاستكمال الأدلة.

والخطـورة فـي شـن الحرب ضد الإرهاب أن الولايات المتحدة – وفقا لمصـالحها – تختار الدول التي تتعرض للضربات الوقائية، بما يعنى الاعتداء علـى سـيادة الدولـة في إطار مفهوم الحرب ضد الإرهاب، وقد يكون اختيار توجيه الضربة الوقائية تحت زعم امتلاك تلك الدولة للقدرات النووية والكيماوية والبيولوجية، مما يتطلب توجيه ضربة إحباط فورية. وقد يكون التوجه الأمريكي قائمـا علـى توجـيه ضربة وقائية نووية لتحقيق الحسم في القضاء على القوة العسكرية المعادية، فالخيار النووي متاح في الفكر العسكري الأمريكي.

وبـناء علـى ذلك لن يكون هناك استقرار دولي بل قلق مستمر في توقع توجيه ضربات وقائية إلى البنية الأساسية للدول المستهدفة. فقد أدى هذا المفهوم الأمريكـي إلى أن تكون الحرب بديلا عن السياسة بما يجعلها عملية مستمرة لا

تتوقف مع إمكانية فرض أزمات على دول غير مرغوب في سياستها وبذا يتيح الضربات الوقائية كأحد أساليب إدارة السياسة الخارجية.

وبطبيعة الحال ستكون هناك متطلبات لتنفيذ الضربات الوقائية يمكن الإشارة إلى أهمها:-

١- أن تكون القوات الأمريكية على درجة عالية من الاستعداد القتالي لحماية قواعدها داخل وخارج الولايات المتحدة في احتمالات توجيه ضربات إرهابية، بحيث لا يقتصر ذلك على أهداف عسكرية، بل على أهداف مدنية وصناعية.

٢- أن تكون القوات الأمريكية في وضع يمكنها من سرعة التحرك إلى مناطق الأزمات والتهديدات باستخدام النقل الجوى والنقل البحري، مع تحريك حاملات الطائرات إلى حيث منطقة الأزمات وهذا يتطلب إعادة النظر في مجموعة الأعراف العسكرية القائمة وتطويرها بما يتمشى مع أهداف استراتيجية جديدة أو إنشاء تحالفات عسكرية جديدة، مع احتمال الاعتماد على وجود مخازن طوارئ متقدمة للأسلحة برا أو بحراً.

٣- أن يكون للقوات الأمريكية قواعد متقدمة قريبة من مناطق المصالح الاستراتيجية، وهذا ما يستدعي ضرورة الموازنة بين متطلبات حماية الوطن الأم وحماية الأهداف الأمريكية في الخارج، وهو ما يتطلب التوسع في ميزانية القوات المسلحة متى تكون سياسة التسليح لها الأولوية.

٤- الاعتماد على شبكات معلومات مؤسسة تعمل دون انقطاع، وعلى التقنية العالية لنظم القيادة والسيطرة وتعزيز وتطوير قدرات استخدام الفضاء في المجال الدفاعي والهجومي العسكري.

٥- عـــدم تمكـــن العناصر الإرهابية من إيجاد مناطق مؤمنة منتشرة في أنحاء العـــالم، بـــل تكون قواعدها دائما معرضة لهجمات مفاجئة وبذا تكون بصفة دائمة تحت التهديد الأمريكي المباشر بما يثير القلق في العالم.

## ٢- منظومة الأمن القومي

بعـــد تلـــك الجريمة اللاإنسانية في سبتمبر ٢٠٠١ كان لزاماً أن نسترجع بعـــض أدبيات نظريات الأمن القومي الأمريكي حيث إن العديد من دول العالم الثالث تحاكي المنظومة الأمنية الأمريكية وبالتالي فإن سلبياتها وإيجابيتها منتشرة فـــي نطاقات إقليمية عديدة. فمنذ إنشاء الولايات المتحدة اعتمدت استراتيجياتها على تحقيق أهداف سياسية عدة أهمها:

(١) المحافظة على السيادة الأمريكية
(٢)استمرار الحرية السياسية واستقلالها.
(٣) المحافظة على القيم والمبادئ الأخلاقية.
(٤) حماية الأمريكيين فى الداخل والخارج.
(٥) توفير الرخاء لجميع مواطنيها.

ولا يســتطيع أحد أن ينكر أن الولايات المتحدة حققت نجاحا غير مسبوق للأهـــداف الثلاثة الأولى إلا أن إداراتها منذ الستينات لم تنجح بنفس الدرجة في الهدفيـــن الأخيريـــن وهو ما انعكس على الروح ومنظومة القيم الأمريكية وأثر بالسلب على الهدف الثالث، وقد صدر كتاب استعادة الزعامة الأمريكية (١٩٩٨) – فـــى إطار برنامج عمل للسياسة الخارجية والدفاعية – أعده اثنان من علماء الاستراتيجية "كيم هولمز"، "وتوماس مور" حددا فيه ملامح الاستراتيجية القومية الأمريكية ومبادئها وهي:

(١) حماية أمنها ومصالحها وقيمها.
(٢) أن تكون حرة بالحفاظ على الزعامة الأمريكية.
(٣) أن تكون نصيرًا للحرية فى العالم.

(٤) أن تكون انتقائية فى تكريس القوة من أجل مصالحها.

وبناء عليها تحددت المصالح الحيوية الأمريكية فى الآتي:

## المصالح من الفئة الأولى وأولوياتها:

(١) حمايــة الأراضي الأمريكية وحدودها ضد تهديدين، الأول: هجوم بالصواريخ النووية، والثاني: عدم الاستقرار على الحدود الأمريكية.

(٢) حمايــة المواطنيــن الأمريكيين ضد مخاطر الإرهاب كتهديد وحيد رئيســي ضــمن خمــس مصــالح حيوية أغلب تهديداتها اقتصادية وعسكرية وخارجية.

**الفــئة الثانــية من المصالح:** وهي الأقل حيوية وهى ثماني مصالح أهمها إخلاء الولايات المتحدة من المخدرات فى مواجهة تهديد "اتحاد تجارة المخدرات الدولية".

**الفــئة الثالــثة مــن المصالح الهامشية:** وأهم تهديداتها انتهاكات حقوق الإنسان.

وبإيجــاز كانــت أولوية الأمن القومي الأمريكي وسياساتهــا الاستراتيجية قــد استهدفت الآتي:

(١) إدارة التنافس والتعاون الدولي.

(٢) تركيز المؤسسة العسكرية في الدفاع عن أمريكا وحلفائها.

(٣) التصدي للإرهاب وانتشار أسلحة الدمار.

(٤) تحرير الاقتصاد ونظام التجارة العالمي.

ولكن خبراء الاستراتيجية فى أمريكا قرروا الانفراد بالأمن القومي المطلق وهو ما كان يعني إهدار بعض ثوابت الأمن القومي لصالح إسرائيل ضد أطراف أخــرى صديقة، هذا غير أنه كان هناك تضاد لبعض مصالح العناصر المكونة لــنظرية الأمــن القومي الأمريكي ذاته وبالتالي ظهرت تصدعات فى النظرية

وبـــناء قوة المنظومة الاستراتيجية التي انهارت بالفعل مع انهيار مبنى التجارة العالمـــي وقـــد صاحبها على التوازي فقدان مفهوم الاستراتيجية كمدلول واضح يعـــبر عـــن طموحـــات الأمة الأعظم فى العالم ولقد صيغت استراتيجية الأمن القومي الأمريكي اعتماداً على ثلاثة عناصر رئيسية هي:

(١) توفير مناخ دولي آمن ومستقر.

(٢) إمكانية التصرف في مواجهة مختلف الأزمات.

(٣) الاستعداد لمواجهة أخطار جديدة في المستقبل.

وفـــى الاعتقاد أن العنصرين الأولين قد سقطا ولم يبق إلا العمل من أجل المستقبل لإحيائهما.

## ٣-وثيقة الدفاع الأمريكية (١٩٩٩ / ٢٠١٥):

ولا يخفى على أحد أن الفصل الأول من وثيقة الدفاع الأمريكية التي صدق عليها "وليم كوهين" وأكدت على أن تصاعد قدرات الإرهابيين سوف تؤدي إلى تهديـــد حياة الأمريكيين ومؤسساتها كما أن تجارة المخدرات والجرائم المنظمة ســـوف تزداد وقد كانت الوثيقة دقيقة في تحديد الوسائل غير المتجانسة بواسطة الإرهابيين بل وحددت الأهداف المتوقع مهاجمتها وأهمها البنية الأساسية لوزارة الدفـــاع الأمريكـــية (البنـــتاجون) ودعت إلى البحث عن وسائل جديدة لمواجهة الإرهـــاب، ومـــن الواضـــح أن المصالح الأمريكية تحققت في أغلبها في إطار مـــنظومة الأمن القومي إلا حماية السكان في الولايات المتحدة برغم أن الوثيقة عملت على ثلاثة اتجاهات متكاملة هي:

(١) تحديد العدائيات.

(٢) القدرة على مواجهة الأزمات.

(٣) الاستعداد في مختلف الاحتمالات.

وجديـــر بالذكـــر أن فكرة الأنظمة الدفاعية المضادة للصواريخ تعتمد على إقامـــة سلســـلة متتالية من مجموعات متكاملة من النظم تغطى النطاق الدفاعي

الجـــوى المطلـــوب حمايـــته ضد قصف صاروخي معادٍ وذلك باعتراضها فى الفضاء وقبل وصولها لأهدافها وهى مكونة من الآتي:-

- مـــنظومة الاســـتطلاع والإنـــذار المبكر وتعتمد على شبكة رادارية من الأقمار الصناعية وطائرات ومراكز الإنذار المبكر.
- منظومة قيادة وسيطرة وهى مجموعة من مراكز الرصد وهى تعمل من لحظة وبداية إطلاق الصاروخ المعادى وهى منظومة متدرجة النطاقات الإقليمية في عمليات متابعة للأهداف وإنذار متتالٍ.
- مـــنظومة الاعتراض الإيجابية وهى المنوطة بتدمير الصواريخ المعادية فـــى الجـــو وتتكون من صواريخ مضادة للصواريخ، صواريخ الطاقة الكامـــنة، أســـلحة الطاقـــة الحركـــية، أسلحة الطاقة الإشعاعية، أنظمة إشعاعية ومضادة للصواريخ قصيرة المدى.

وهذه المنظومة صممت بدرجات استعداد زمنية متفاوتة وضد أعمال عدائية مـــتوقعة علـــى اتجاهـــات تهديد محددة وليس كما يشكك البعض في قدراتها أو الإشـــارة إلى تقصيرها في ما حدث، وبالتالي فجزء من منظومة الإنذار متابعة خروج الطائرات المدنية عن مساراتها الطبيعية وهو أمر محتمل ومتوقع وعادة مـــا يحـــدث لأســـباب سوء الأحوال الجوية أو للأعطال الفنية بالطائرات ويتم الإبلاغ الفوري عنه.

إلا أن السياســـة والإجـــراءات والتدابـــير والخطط ركزت على كل ما هو خـــارج أراضـــي الولايـــات المتحدة وأغفلت عن ثقة مفرطة في منظومة أمن وســـلامة الداخـــل ومنظومة القيم الأمريكية تحت زعم عدم قدرة أي قوة على اختراقها، وهو ما يعني أن خطط المواجهة للتهديدات المحددة سلفاً لم تكن على كفـــاءة الاســـتراتيجية الأمريكـــية الواضحة المعالم لأن المفترض أن المنظومة مـــتكاملة ومن ثم فالأقرب إلى الواقعية أنه كان هناك إغفال وتقصير في تقدير طبـــيعة الـــتهديدات الداخلـــية واحتمالاتها وخطط مواجهاتها، بالإضافة أن هذه

المـــنظومة قـــد اخترقـــت بالفعل من فترة غير بعيدة وبالتالي جاءت الكارثة لا إنســـانية ومروعة، وبات علينا أن نبحث في أسباب فشل الاستراتيجية وخططها أمام المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها أي دولة في العالم أمام وحشية الإرهاب بما فيه بلادنا.

- كـــان الســـيد "تينيـــت" قد لخص تصور الولايات المتحدة في تقريره الســـنوي أمـــام لجـــنة القـــوات المســـلحة في مجلس الشيوخ "إن المخاطر والتهديدات المستقبلية التي سنواجهها ستأتي من عناصر وعوامل جديدة مثل الزيادة الكبيرة في توافر التكنولوجيا والمعلومات البالغة البراعة والتعقيد في الأسواق وسهولة استيعابها واستخدامها".

## ٤- تقرير الأمن القومي الأمريكي (سبتمبر ٢٠٠٢):

يقع موجز التقرير المنشور على شبكة الإنترنت في خمس وثلاثين صفحة. وقدمه الرئيس نفسه في شكل خطاب موجه إلى العالم يكشف عن طبيعة سياسته الحاضـــرة والمقبلة، وكيف ستكون عليه علاقات الولايات المتحدة في السنوات المقبلة سواء مع حلفائها أو أصدقائها أو مع خصومها وأعدائها. واحتوى التقرير على مقدمة ومحاور هي:

(١) الكرامة البشرية.
(٢) تقوية التحالفات.
(٣) النزاعات الإقليمية.
(٤) أسلحة الدمار الشامل.
(٥) النمو الاقتصادي على الصعيد العالمي.
(٦) البنية التحتية للديمقراطية.
(٧) تعاون القوات العظمى.
(٨) الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية.

جـــاء فـــي المقدمة استعراض لما كانت عليه الصراعات الدولية في القرن الماضـــي بين النظم الشمولية الإطلاقية ونظم الحرية والليبرالية، وما انتهت إليه من انتصار الثانية على الأولى. وأكد التقرير أن الأمم التي تلتزم باحترام حقوق الإنســـان والحـــريات الاقتصادية والسياسية هي التي ستكون وحدها في القرن الواحـــد والعشرين قادرة على ضمان الرفاهية لشعوبها وتحقيق استمرارها، لأن العالم – كما جاء في نص التقرير – يطمح إلى أن يتمتع مواطنوه في كل مكان بحرية التعبير وحق اختيار حكامهم وتربية أبنائهم وبناتهم، وضمان حق الملكية وجنى ثمار عملهم.

وأضاف أن هذه الحقوق لا رجعة فيها ولا يجوز المساس بها وتفرض على العالم كله واجب حمايتها ومناهضة كل من يعاديها. وحدد دور الولايات المتحدة ضـــمن العالم وواجباتها كدولة عظمى فقال: إنها تملك قوة عسكرية لا مثيل لها وعلـــى نفوذ اقتصادي وسياسي كبيرين لا يعادلها فيهما غيرها، ويقول الرئيس: "لـــن نســـتعمل هـــذه القوة لكسب امتيازات خاصة لنا، بل إننا نبحث عن إقرار توازن بين القوى العالمية، لنكسب لنا ولغيرنا ما تستفيد منه الإنسانية جمعاء."

وأعلن الرئيس في التقرير أن بلاده اعتزمت تطبيق سياسة الحرب الوقائية الاســـتباقية بدلا من أسلوب الحرب التقليدية التي تخوضها عادة القوات العظمى كـــرد فعل لعدوان حل بها، أو لاستعادة مكانتها بعد وقوع أحداث زحزحتها عن مواقعهـــا، أو إثـــر مس مصالحها بأضرار. فهذا النوع من الحرب أصبح عند الولايات المتحدة متجاوزاً وفات أوانه. وعليها الآن أن لا تترك أعداءها ينالون منها فتضطر إلى النيل منهم بل عليها أن تسابقهم بحرب تشل قدراتهم عن السبق إلى المبادرة بالحرب.

ولقـــد صـــدر هذا التقرير بعد مرور تسعه أيام على حلول الذكرى الأولى لأحداث ١١ سبتمبر التي انعقد قبلها البيت الأبيض لاستخلاص العبر من حادث العـــدوان الإرهابـــي علـــى البرجين الأمريكيين بنيويورك ومقر البنتاجون في

واشنطن. وكان مفاجأة لجميع الأجهزة الاستخبارية الأمريكية التي لم تعلم به إلا بعد بلوغه مقاصده، مما مس بمصداقية تلك الأجهزة وشكك في فعاليتها، خاصة إذا صـــح ما قيل من أنه تسرب إلى علم بعضها أن الحادث وشيك الوقوع ومع ذلك لم تعمل على تلافيه. لذا نفهم أن تركز الاستراتيجية الجديدة على "الحرب الوقائية الاستباقية".

خصص التقرير فقرات لمعضلة الإرهاب الذي يظهر – بعد بلوغ سنة على عدوانـــه – حيـــث أكد على أن الحرب عليه لا تكفي باستعمال القوة العسكرية. وقـــال الرئيس عنه:"إننا ندافع عن السلم لأننا نقاتل الإرهابيين والطغاة، ونعمل علـــى إقامة علاقات جيدة مع سائر القوى العالمية" ثم زاد يقول: "كما أننا نعمل علـــى تقليص آثار الإرهاب بتشجيع إقامة مجتمعات الحرية والانفتاح في جميع القـــارات ولقـــد طرأت على مهامنا الحربية الدفاعية تغييرات بالنسبة لما كانت علـــيه. ففي السابق كان على أعدائنا أن يحشدوا جيوش قوية وقدرات صناعية هائلة لمحاربتنا، لكن أصبح (يعنى منذ ١١ سبتمبر) بإمكان الشبكات التي تعمل فـــي الخفاء أن تنقل إلينا الآلام والدمار ولا يكلفها ذلك إلا ما يقل عن ثمن دبابة واحـــدة. لقـــد أصبح في إمكان الإرهابيين أن يتسربوا إلى المجتمعات المفتوحة ويســـتعملوا ضـــدها قـــوة التكنولوجيا العصرية. ولمواجهة تهديدهم يلزمنا أن نستعمل ضدهم كل ما نتوفر عليه من أنواع السلاح: سواء سلاح القوة العسكرية أو ســـلاح الدفـــاع الجيد عن أوطاننا، أو سلاح القانون، أو سلاح الاستخبارات المسبقة، أو سلاح المواجهة والمتابعة لممولي الإرهاب، ومحاربة من يدعمه أو يؤوية لأن حلفاءه هم أعداء الحضارة التي علينا أن ندافع عنها بكل سلاح ".

ودعـــا الرئيس بوش في التقرير أيضا إلى تحالف القوى العظمى من أجل السلم والعدل عن السياسة السابقة التي تتمثل في التنافس من أجل اكتساب القوة للظفر بالغلبة في الحروب.

وينبغـــي أن نتوقف أمام فقرةٍ في التقرير سلطت الأضواء أكثر على سبب اعـــتماد الاســـتراتيجية خيار الحرب الوقائية، أي حرب الهجوم بدلا من حرب الدفاع. وجاء فيها: "إن على الولايات المتحدة أن تحتفظ وتظل محتفظة بقدراتها على إحباط كل مبادرة يقوم بها أو يفكر في القيام بها أي عدو من أعدائنا للنيل مـــن قوتـــنا، سواء كان هذا العدو دولة أو غيرها مثل "الشبكات الإرهابية" وأن ننـــتزع مـــنه القدرة على فرض إرادته علينا أو على حلفائنا، أو أصدقائنا في العـــالم..بل ستبقى قوتنا القوة الكبرى التي تردع جميع خصومنا وتشل قدراتهم سواء كانوا خصوما بالفعل، أو خصوما محتملين، أو من أولئك الذين يسعون إلى التسابق إلى التسلح ليصبحوا معادلين لنا أو أقوى من قوة الولايات المتحدة".

ومن هنا يبدو واضحاً لماذا أصر الرئيس على ضرب العراق ولو لم يظفر بقـــرار بذلـــك من "مجلس الأمن" لأن الغاية هي – حسب هذا التنظير – أن لا تـــتوفر أية قوة لكل من لا يجري في فلك الولايات المتحدة وكل من لا يخضع لقوتها التي يجب أن تكون أقوى قوات العالم ولن يكتفي الرئيس بأن يوفر لبلاده عناء الحرب ضد العراق ولو في حالة ما إذا أثبت تحقيق المفتشين خلو العراق مـــن أســـلحة التدمـــير، أو في حالة تدمير هذه الأسلحة إذا وجدت لأن الأسبقية تعطـــيها الإستراتيجية لتجريد خصوم الولايات المتحدة من السلاح وتنحيتهم من مجـــالات القـــوة، لـــئلا يســـتعملوا قوتهم ضد الولايات المتحدة أو ضد حلفائها وأصدقائها – والإشارة هنا إلى إسرائيل التي لم تكن تخش في المنطقة غير قوة العـــراق – وقـــد أعطي لها الضوء الأخضر لتحطيم قدرات السلطة الفلسطينية وهو ما راهنت عليه حكومة شارون منذ تأسيسها.

وخصصـــت الوثـــيقة للمحـــور الثامن المعنيِّ بـــ "الأمن القومي للولايات المـــتحدة" جاء فيها التأكيد على أن قواتها المسلحة يجب أن تكون القوة العالمية التـــي لا تضاهيها قوة. وأن عليها أن تكون حاضرة في جميع مناطق العالم ولو بصفة رمزية، ودائما على استعداد للتدخل لحماية حلفائها وأصدقائها. ومن أجل ذلـــك تقـــول الوثـــيقة "فالولايات المتحدة في حاجة إلى أن تكون لها قواعد

عسكرية أو مواقع في أوروبا الغربية، وشمال شرق آسيا، وأبعد من ذلك (بهذا التعبير). ويصبح لزاما عليها أن تجري مفاوضات تنتهي إلى إبرام اتفاقات تضمن لها شرعية الوجود في هذه المناطق عبر العالم والتي تحتاج حمايتها لتنشر فيها قواتها.

وإذا كانت وثيقة الإستراتيجية غنية بالمعلومات عن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الجديدة مما يصعب معه تلخيصها فمن المفيد أن يتعرف القارئ العربي على أهم ما جاء في خاتمتها مما يشكل فلسفة الاستراتيجية الجديدة.

تقول الخاتمة: "لم يعد في زماننا فوارق فاصلة بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية ففي المجتمع الجديد مجتمع العالم الواحد أصبح لجميع الأحداث التي تطرأ على أي جزء في العالم خارج حدودنا تأثير عميق على ما يجري داخل بلادنا. وقد أصبح واجبا علينا التعامل مع ظاهرة خطيرة هي أن الاشخاص والتنظيمات السرية سيكون في إمكانها الحصول على وسائل التدمير التي كانت لا تصل إليها من قبل إلا الجيوش النظامية.

هكذا تسود هذه الوثيقة نظرة تشاؤمية إلى مصير الصراع في العالم في هذا القرن على أنه صراع دائم ومحفوف بالمخاطر والأهوال وترشح الولايات المتحدة نفسها لتضع قوتها العسكرية في خدمة حماية العالم من أهواله ويبدو أن سياستها لإدارة هذا الصراع بطريقتها الخاصة وأنها تضمنتها وثيقة ٢٠ أيلول (سبتمبر) الماضي مما حسم كل هذا الجدل. الأفكار ذاتها كانت متداولة – وإن يكن على استحياء طوال عشر سنوات سابقة على الأقل – والجديد الآن هو الجرأة في "إعلانها". بل إننا قرأنا أيضا أنه رغم ما في وثيقة "استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة" من تجبر وتفرد وغطرسة، إلا أنها كانت في صياغتها الأصلية أكثر تجبرا وتفردا وغطرسة بما استلزم إضافة بعض مساحيق التجميل، هذا يعنى أن الوثيقة لم تكن من تداعيات أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) سنة ٢٠٠١

ولكنها عجلت بها وجعلت تمريرها في العقل السياسي الأميركي أكثر يسرا وأقل رفضاً.

في جانب من الاستراتيجية الأميركية الجديدة إنذار محدد معلن وموجه إلى الدولة – أو أي مجموعة من الدول – قد تفكر باللحاق بالقوة الأميركية على أي مستوى. بدءاً بالمستوى العسكري. فطوال خمس وأربعين سنة أدت القوة العسكرية السوفياتية إلى تحييد القوة العسكرية الأميركية بما سمح بأطول فترة سلام في القرن العشرين الآن ومستقبلاً لن تسمح الولايات المتحدة بوجود اتحاد سوفيتي آخر، أو حتى طبعات مستنسخة منه. وعلى حد تعبير مصدر عالي المستوى في البيت الأبيض فإن المهم عند الولايات المتحدة من الآن فصاعدا أن تمنع تطلع أي دولة أخرى إلى امتلاك خيار منافسة الولايات المتحدة عسكرياً لأنه: "بمجرد أن تمنع وجود تحد بالمنافسة العسكرية فأنت تفتح إمكان التعاون في عدد من الميادين الأخرى" الصين هنا مذكورة بالاسم في وثيقة استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الجديدة هذه لكن الصين وصلتها الرسالة الأميركية عملياً من خلال ثلاث عشرة قاعدة عسكرية أمريكية جديدة أصبحت تحيط بالصين، هذا جرى فقط بعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر).

لكن في جانب آخر من الاستراتيجية الأمريكية الجديدة هناك إنذار محدد إضافي إلى كل دول العالم الثالث. نفس الدول التي ناورت بدرجات مختلفة من النجاح بين القوتين العظميين طوال خمس وأربعين سنة بعد الحرب العالمية الثانية لكي تلحق بقطار التنمية الاقتصادية وتسترد بعض حقوقها. الآن تعلن الاستراتيجية الأميركية الجديدة بوضوح أن "**الشرعية الدولية**" التي كانت شعار المرحلة في الحرب الباردة ستتحول من الآن فصاعداً إلى "**الشرعية الأميركية**".

لقد انسحبت الولايات المتحدة من عدد من الاتفاقات الدولية التي كانت ارتضت بقيودها سابقاً، وهي الآن لم تعد راغبة في وضع دولي متعدد الأطراف حتى ولو كانت فيه الأول بين متساويين حيث إنه: حينما تكون المصالح

الأميركـــية على المحك فلن تكون هناك أي حلول وسط كما: "إننا لن نتردد في التصرف والعمل منفردين عند الضرورة لممارسة حقنا في الدفاع عن النفس من خلال التصرف بطريقة استباقية" لم يعد هنا احتواء ولا ردع ولا شرعية دولية. وهناك فقط سياسة إمبراطورية وضربات عسكرية استباقية كلما رأت أميركا أن هـــذا يناســـبها ويعظم من مصالحها ويجعل المنافسين المحتملين أقل قوة وقدرة على الحركة.

وكمـــا جـــرى ذكر الصين بالاسم، وخصصت لها الوثيقة الجديدة نصيحة "مخلصـــة" بأن توجه إنفاقها إلى الاقتصاد والإصلاح السياسي بدلاً من بناء قوة عســـكرية يجـــئ أيضـــا مثال توضيحي في الشق الثاني من الوثيقة الأميركية الجديدة، حيث ستسعى أميركا الجديدة إلى "كسب معركة القيم والأفكار المنافسة" بمـــا يتضـــمنه ذلك من: "معركة مستقبل العالم الإسلامي" هذه الصياغة الشفرية الرمـــزية تعـــنى محيطاً جغرافياً يمتد من إندونيسيا شرقاً إلى نيجيريا غرباً إلى الســـودان واليمن جنوباً. وإذا حاولنا أن نتذكر هنا.. ما الذي يجمع هذا المحيط الواسع بخلاف تنويعات من فهم الإسلام وتطبيقه فلن نجد سوى: البترول.

أما لماذا انحشر هنا اسم الإسلام تعسفياً، وقبله جرت الإشارة إلى الصين، فهـــذا يذكرنا بتوليفة عجيبة أخرى مطروحة منذ سنه ١٩٩٣ بعنوان آخر هو: "صـــدام الحضارات ". في حينها لم يأخذ المحللون هذا العنوان بجدية وسخروا مـــن الـــذي ابـــتدعه، الآن سطعت الأهداف: والعنوان الرمزي هو "صدام الحضارات ".

الحقيقة هي الإمبراطورية الجديدة تتقدم في أرض الواقع. قد تصبح التسمية المستحبة من باب التلطف هي "مشروع القرن الأميركي الجديد" وقد تصبح في كتابات أخرى "الرد على من يكرهون أمريكا وكل ما تمثله" البعض حتى تساءل أخيرًا: لا أحد يكره أميركا.. وإنما السؤال الحقيقي هو: لماذا تكرهنا أميركا ؟

## ٥-عقيدة بوش سبتمبر ٢٠٠٢:

كشـفت الإدارة الأمريكية للمرة الأولى عن الخطوط العريضة لاستراتيجية الأمـن القومـي الأمريكي، في تقرير للكونجرس تحت عنوان: (الأمن القومي للولايات المتحدة)، والتي باتت توصف في أوساط المراقبين بأنها (عقيدة بوش)، التـي تقـوم علـى المبادرة في مواجهة من أسمتهم (الدول المارقة وعملاءها الإرهابييـن)، قبل أن تتوفر لديهم قدرات التهديد باستخدام أسلحة الدمار الشامل ضد الولايات المتحدة وحلفائها حول العالم، وأوضح التقرير أبعاد وأسباب تبني هذه الاستراتيجية فيما يلي:

أن أعـداء الولايات المتحدة الآن أصبحوا يرون أسلحة الدمار الشامل هي الخـيار الأمـثل، في الوقت الذي كان ينظر إليها إبان الحرب الباردة على أنها الورقـة الأخـيرة، والـذي يمـثل اسـتخدامها خطراً يهدد حتى أولئك الذين يستخدمونها أنفسهم.

**تنص الاستراتيجية الجديدة على ما يلي** (١):

١- أن أمن وسلامة الولايات المتحدة هو الالتزام الأول للحكومة الأمريكية، وأن تستخدم الولايات المتحدة قوتها في العالم لنشر السلام.

٢-أن الولايـات المتحدة - في فترة ما بعد الحرب الباردة - يمكن أن تتصرف بمفـردها بمـا يحقق مصالحها الخاصة فإذا تحققت هذه المصالح الأمريكية بالتعاون مع الآخرين فإنه سيكون أفضل.

٣-أن الولايـات المتحدة لن تنتظر إلى أن تتعرض للهجوم بل إنها سوف تملك دائمـاً زمـام المبادرة خاصة في ظل تعرضها لتهديدات دائمة بشن عمليات إرهابية.

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، وواشنطن بوست الأمريكية في ٢٠٠٢/٩/٢٢

٤-أن هـدف الاستراتيجية للأمن القومي الأمريكي يتمثل في ملاحقة الإرهاب وأسـلحة الدمـار الشـامل التي تعد المشكلة الرئيسية، وربما الوحيدة، على السـاحة الدولـية التـي يتعين على الولايات المتحدة مواجهتها في السنوات القادمة.

٥-بـدلاً مـن الردع والاحتواء، يجب على الولايات المتحدة أن تبادر وتقضي علـى التهديد الإرهابي قبل أن يصل إلى الحدود حتى لو تطلب ذلك أن تتصرف الولايات المتحدة بمفردها دون مساعدة من دول أخرى

٦-يتعيـن على الولايات المتحدة في بعض الأحيان إجبار الدول الأخرى على وقف ما ترى أميركا أنه أنشطة تساعد من تصفهم واشنطن بالإرهابيين.

٧-على الولايات المتحدة الحفاظ على تفوق عسكري لا مثيل له للانتصار على الإرهـاب وأسلحة الدمار الشامل. فامتلاك قوة عسكرية ونفوذ لا ينافس ولا يضـاهي يمكـن الولايات المتحدة من تحمل الأعباء والمسئوليات والفرص أمامهـا، ويجـب أن تسـتخدم قوة أميركا في وضع نظام قوي يحافظ على الحرية في العالم.

٨-إن الدول المارقة هي تلك الدول التي تستخدم أساليب متوحشة ضد مواطنيها ولا تظهر احتراما للقانون وتصر على امتلاك أسلحة الدمار الشامل لأهداف هجومـية أو تحقيق أغراض عدائية وتدعم الإرهاب وترفض حقوق الإنسان الأساسـية وتكـره الولايات المتحدة وكل ما تمثله. ويقع في تلك الفئة كوريا الشـمالية والعراق، وهما أبرز عنصرين في ما وصفه الرئيس الأمريكي في يناير ٢٠٠٢ بمحور الشر، إلا أن التقرير لم يتضمن إيران.

وخلـص التقرير الأمريكي الذي يرسم ملامح الاستراتيجية الأمنية الجديدة التي يطلق عليها (عقيدة بوش)، إلى أن نهاية الحرب الباردة والعلاقات الجديدة بيـن الولايـات المـتحدة من ناحية وكل من روسيا والصين من ناحية أخرى سمحت لأمريكا بالنظر إلى أن أحداث ١١ سبتمبر، حددت الجهة التي يجب على

الولايـــات المتحدة أن تنتبه إليها لمواجهة مخاوف المستقبل. ومضى قائلاً: "لقد تطلب الأمر منا عقداً كاملاً لفهم الطبيعة الحقيقية للتهديد الجديد "، مشيراً إلى أن أهـــداف "الدول المارقة" والإرهابيين تجعل من غير الممكن أن تعتمد الولايات المتحدة على رد الفعل فحسب في وضع استراتيجيتها.

ويعد هذا التقرير هو الأول الذي يصدر في ظل الإدارة الجمهورية الحالية التـــي تتولى السلطة منذ يناير ٢٠٠٠، حيث ينص قانون صادر في عام ١٩٨٦ على أن يقدم الرئيس الأمريكي للكونجرس تقريراً استراتيجياً سنوياً.

ويرى المراقبون أن التقرير يمثل تحولاً مهما في العقيدة الأمنية الأمريكية، وطريقة التعامل مع قضايا العالم، حيث تتخلى الاستراتيجية الجديدة صراحة عن المـــبادئ التي تبناها آخر تقرير صدر في ظل إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون عـــام ١٩٩٩ ويســـتند بصـــورة رئيسية على الردع التي سيطرت على العراق وإيران، وبدلاً من ذلك، دعا التقرير إلى إعداد القوات الأمريكية لتوجيه ضربات اســـتباقية ضـــد المنظمات الإرهابية والدول المناوئة لأهداف ومصالح الولايات المـــتحدة، خاصـــة تلـــك التي تمتلك أو تسعى إلى الحصول على أسلحة الدمار الشامل.

وينطبق الفكر الذي يحمله التقرير مع الخط الذي تنتهجه الإدارة الأمريكية حالـــياً في شن حملة عسكرية وسياسية ضد المنظمات الإرهابية والإعداد لعمل عسكري محتمل ضد الدول التي تسعى للحصول على أسلحة الدمار الشامل.

يرســـم التقرير للولايات المتحدة صورة تقترب حرفياً من (شرطي العالم) الـــذي يضع على كاهله مهمة تخليص العالم من (الأشرار والمجرمين)، مشيرا إلـــى أن أمـــريكا ستعمل أيضاً على توسيع المساعدات من أجل التنمية وتوسيع النطاق في التجارة الحرة، ونشر الديمقراطية ومحاربة الأمراض في أنحاء العالم وإعادة تطوير الجيش الأمريكي.

## التحول في الاستراتيجية الأمريكية طبقا لعقيدة بوش:

إن استراتيجية الأمن القومي الخاصة بالرئيس بوش تمثل أكبر تحول في الاستراتيجية الأمريكية الكبرى منذ بداية الحرب الباردة، وذكرت أن نجاحها يعتمد على استعداد باقي دول العالم للترحيب بالقوة الأمريكية، إذ من المتوقع الآن أن تقوم الدول بنشر استراتيجياتها الكبرى قبل تطبيقها، وهو ما يعد انعكاساً للعصر الديمقراطي، ففي الماضي وبسبب عدم الرغبة في الكشف عن الكثير، فضل معظم الاستراتيجيين الكبار التركيز على عملية التطبيق، تاركين شرح هذه الاستراتيجيات للمؤرخين (١).

وقد أشار تقرير الرئيس بوش حول "استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة" الكثير من الجدل، وبالتأكيد سوف يستمر في إثارة الجدل. ولم يكن فقط هذا البيان هو أول بيان للاستراتيجية في إدارة جديدة، ولكنه كان أيضاً هو البيان الأول منذ هجمات ١١ سبتمبر، ولحسن الحظ فإن مثل هذه الهجمات كانت نادرة في التاريخ الأمريكي، فلم يحدث مثلها إلا حينما أحرقت بريطانيا البيت الأبيض ومبنى الكونجرس، والهجوم الياباني على بيرل هاربر، ولكن هناك شيء مشترك بين هذه الأحداث وهو أنها فتحت الطريق أمام استراتيجيات جديدة من خلال إظهار فشل الاستراتيجيات القديمة. وعلى ذلك فإن استراتيجية الأمن القومي الخاصة بالرئيس بوش تستحق قراءة واعية حيث إنها تعد بمثابة إرشاد لما سيأتي فيما بعد.

وقد حددت استراتيجية الأمن القومي الخاصة بالرئيس بوش ثلاث مهام حيث قال: "سوف ندافع عن السلام من خلال محاربة الإرهابيين والطغاة، وسوف نحافظ على السلام من خلال إقامة علاقات طيبة بين القوى العظمى، وسوف نقوم بتوسيع نطاق السلام من خلال تشجيع المجتمعات الحرة والمفتوحة في كل قارة".

---

(١) جون لويس جادين – مجلة فورين بوليسي – عدد نوفمبر/ ديسمبر ٢٠٠٢.

ويمكن مقارنة هذه الأهداف بالأهداف الثلاثة التي حددتها إدارة كلينتون في استراتيجيتها الأخيرة الخاصة بالأمن القومي والتي صدرت في ديسمبر ١٩٩٩ وهي "ضرورة تعزيز الأمن الأمريكي، وتدعيم الرخاء الاقتصادي الأمريكي، والتأكيد على الديمقراطية وحقوق الإنسان في الخارج".

وتتضح الاختلافات بين الأهداف، حيث يتحدث بوش عن الدفاع والحفاظ والتوسيع، بينما يبدو بيان كلينتون وكأنه يفترض وجود سلام. ويدعو بوش إلى التعاون بين القوى العظمى، فيما لم يستخدم كلينتون أبداً هذا المصطلح. ويشير بوش إلى تشجيع المجتمعات الحرة والمفتوحة في كل قارة بينما يظهر كلينتون رغبته في التأكيد على الديمقراطية وحقوق الإنسان في الخارج.

ويعد أول ابتكار هو تسمية بوش للإرهابيين بالطغاة باعتبارهم مصادر الخطر، وهو ما يعد نتيجة واضحة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، ويشير بوش إلى أن الاستراتيجية الأمريكية في الماضي ركزت على الدفاع ضد الطغاة، حيث يسعى هؤلاء إلى امتلاك "جيوش كبيرة وقدرات صناعية هائلة" وهي الموارد التي تستطيع الدول فقط الحصول عليها لكي يستطيعوا تهديد المصالح الأمريكية.

أما الآن فتستطيع شبكات "غامضة" من الأفراد إحداث فوضى كبيرة، من ثم فلن تنجح الاستراتيجيات التي أدت إلى الانتصار في الحرب الباردة – وهي الاحتواء والردع – في العمل على وقف مثل هذه المخاطر، وذلك لأن هذه الاستراتيجيات افترضت وجود أنظمة معروفة بقيادة زعماء معروفين يعملون بوسائل معروفة من مناطق محددة. ولكن كيف يمكن احتواء شيء كأحداث سبتمبر وكيف يمكن ردع شخص مستعد للانتحار ؟

لقد كان هناك دائماً قتلة وفوضويون ومخربون يعملون بدون دعاة واضحين، وقد جازف الكثير منهم بحياته من أجل تحقيق أهدافهم، ومع ذلك فإن أعمالهم نادراً ما أدت إلى اهتزاز استقرار الدول أو المجتمعات وذلك لأن عدد

الضـــحايا الذين استهدفوهم وحجم الدمار الذي تسببوا فيه كان صغيراً نسبياً، إلا أن هجمـــات ١١ سبتمبر أثبتت أن الإرهابيين يمكنهم الآن إحداث مستويات من الدمار كانت الدول ذات القوة العسكرية فقط هي التي تستطيع إحداثها.

وتشير استراتيجية الأمن القومي إلى أن أسلحة الدمار الشامل كانت بمثابة المـــلاذ الأخير أمام الذين يمتلكون مثل هذه الأسلحة خلال الحرب الباردة، "أما الـــيوم فينظر أعداؤنا إلى أسلحة الدمار الشامل على أنها الأسلحة المفضلة". وقد أدى ذلك إلى ارتفاع الإرهابيين إلى مستوى الطغاة من وجهة نظر بوش، وهذا هـــو السبب وراء إصراره على ضرورة إضافة استراتيجية العمل الوقائي إلى اســـتراتيجية الاحـــتواء والردع: حيث قال: "لا يمكن أن ندع أعداءنا يهاجموننا أولاً".

وقـــد حـــرص فـــي اســـتراتيجية الأمن القومي على تحديد أساس قانوني للضـــربات الوقائية حيث جاء فيها "يعترف القانون الدولي بأن الدول ليست في حاجـــة إلى المعاناة من هجوم قبل أن تستطيع بشكل قانوني اتخاذ إجراء للدفاع عـــن نفســـها ضـــد القوى التي تمثل خطراً وشيكاً ". وهناك أفضلية أيضاً لشن ضـــربات وقائية بشكل متعدد الأطراف: "سوف تناضل الولايات المتحدة بشكل مستمر من أجل الحصول على تأييد المجتمع الدولي، ولكننا لن نتردد في العمل بشكل فردي إذا لزم الأمر لممارسة حقنا في الدفاع عن النفس".

ويتطلـــب العمل الوقائي في المقابل تحقيق هيمنة، فعلى الرغم من أن بوش قـــد تحدث عن خلق توازن للقوى، توضح استراتيجية الأمن القومي أن "قواتنا سوف تكون قوية بشكل كاف لإقناع الأعداء المحتملين بالعدول عن بناء أنظمة عسكرية على أمل تجاوز أو مماثلة قوة الولايات المتحدة ".

وعلـــى ذلـــك فكـــيف سترد بقية دول العالم على الهيمنة الأمريكية ؟ هذا يوصـــلنا إلـــى ابتكار آخر في استراتيجية بوش وهو تأكيدها على التعاون بين القـــوى العظمى، وهو ما يتناقض بشكل واضح مع تركيز كلينتون على العدالة

بالنسبة للقوى الصغيرة. وقد قدم بوش في خطابه في ويست بوينت تفسيرين لعدم وجود تحالف معاد لأميركا على الرغم من هيمنتها الطاغية منذ نهاية الحرب الباردة، الأول هو أن القوى العظمى الأخرى تفضل إدارة النظام الدولي عن طريق قوة مهيمنة واحدة طالما كانت قوة معتدلة نسبياً، وتعتبر الهيمنة الأمريكية مقبولة أيضاً لأنها ترتبط بقيم معينة تشترك فيها كل الدول والثقافات.

أما آخر الابتكارات في استراتيجية بوش فتتعلق بقضية طويلة الأجل وهي عن أسباب الإرهاب والطغيان، وقد توافق تفكير بوش في هذه النقطة مع الإجماع داخل المجتمع الأكاديمي فقد أصبح من الواضح الآن أنه لم يكن الفقر هو الذي دفع مجموعة الشرق الاوسط وهي من الطبقة المتوسطة لاقتحام المباني بثلاث طائرات، ولكنه كان الاستياء من عدم وجود مؤسسات تمثيلية في مجتمعاتهم، ولذلك كان المخرج الوحيد للخلاف في الرأي السياسي هو التطرف الديني، ومن ثم أصر بوش على ضرورة أن يكون الهدف النهائي للاستراتيجية الأمريكية هو: نشر الديمقراطية في كل مكان.

وبناء على ذلك تختلف استراتيجية الأمن القومي لبوش عن سابقتها في أمور عديدة، حددها "تقرير مجلة السياسة الخارجية" في التالي:

١-أنها تعتبر قادرة على تغيير الأحداث وليس مجرد الرد عليها، فهي ترفض التسليم من جانب إدارة كلينتون بأنه نظراً لأن التحرك نحو الديمقراطية واقتصاديات السوق قد أصبح لا غنى عنه في عصر ما بعد الحرب الباردة فإن كل ما يتعين على الولايات المتحدة عمله هو "الاندماج" مع بقية دول العالم من أجل توسيع هذه العمليات.

٢-أن هناك تماسكاً في استراتيجية بوش لم يستطع تحقيقه أبداً فريق الأمن القومي في إدارة كلينتون.

٣-أن تحليل بوش للهيمنة وأسباب الإرهاب يتوافق مع التفكير الأكاديمي، وذلك على الرغم من أن الكثير من الأكاديميين لم يلاحظوا ذلك بعد.

٤- لا ترى إدارة بوش - على عكس الكثير من الإدارات السابقة - تناقضاً بين القوة والمبادئ.

ولأخيراً:

فـإن الاسـتراتيجية الجديدة تتسم بالصراحة حيث إن هذه الإدارة تتحدث بشكل واضح دون محاولة استخدام عبارات دبلوماسية.

## ثانياً: نظرية الهيمنة الأمريكية على العالم

هذه النظرية التي يبشر بها أعضاء إدارة بوش الابن كانت تختمر في أذهان خلايا التفكير اليهودية الأميركية اليمينية منذ انهيار الاتحاد السوفياتي. ومفاد هذه الـنظرية "أن أمريكا لا بد أن تستخدم قواتها العسكرية الساحقة للحصول على "الهيمـنة الشـاملة" وأن تمـنع أي خصـم محـتمل أن يأمل يوماً بمنازعتها. واسـتطاعت المجموعة بخطوة جريئة أن تعيد تعريف "الحرب على الإرهاب" لتشمل الهجوم على العراق كخطوة أولى لتوسع الحرب ضد جميع أعداء أمريكا وإسرائيل في العالمين العربي والإسلامي، سواء كانت سورية أو إيران أو حزب الله أو المقاومة الفلسطينية.

قامـت هذه الفكرة على استخدام القوة العسكرية الأميركية من أجل "إعادة تشـكيل" المنطقة بأسرها لجعلها موالية لأميركا ولتسويق "الديموقراطية" ضمن هذه الصفقة.

وجـاء تهذيـب هـذه الفكـرة في النظرية المزعومة للحرب الوقائية أو الاستباقية التي تبنتها إدارة بوش في سبتمبر ٢٠٠٣. وبموجب هذه النظرية فإن الولايـات المـتحدة لا تتحمل ترف انتظار الهجوم عليها، بل لا بد لها أن تبادر بتوجيه ضربة إلى أي مصدر تهديد محتمل وبخاصة إذا جاء من "دولة مارقة" - أي دولـة معاديـة لأميركا - من شأنها يوماً ما أن تسلم أسلحة دمار شامل إلى مجموعـة إرهابية ويبدو هنا أن الولايات المتحدة تناست أن هذه النظرية التي

تنسف ميثاق الأمم المتحدة من أساسه، تهدد بجر مناطق من العالم إلى حالة من الفوضى تحسم فيها النزاعات بالقوة الوحشية وحدها.

وهـذه النظرية هي التي تعتمدها الولايات المتحدة لتعلن بأن الهدف من الحرب ضد العراق ليس هو نزع سلاح العراق، وهو هدف تتفق عليه جميع الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، بل هو "تغيير النظام" أي إطاحة الرئيس صدام حسين واحتلال العراق وتدمير أي مظهر من مظاهر حكم حزب البعث، وإعادة تشكيل البلاد وفق المصالح الأميركية وهو ما تحقق بعد غزو العراق بالفعل.

ولكن على الولايات المتحدة أن تكون حذرة فهي قد أخطأت في التوجه لأنها إذا ما استمرت على هذا النحو، قد تتورط في حرب في مناطق أخرى لا نهاية لها وتعرض مواطنيها ومصالحها للخطر وتدمر ما تبقى من سمعتها الطيبة.

كان ينبغي أن تدرك واشنطن بصورة خاصة أن التيارات القومية قد اندمجت في سائر أنحاء المنطقة وأصبحت قوة يحسب لها حساب. هنالك بعض الدول في الخليج لا تملك الخيار في القبول أو رفض تواجد الجيوش الأميركية على أرضها. أما تركيا الحريصة على أن يكون لها دور في عراق ما بعد الحرب، والتي تحتاج إلى ١٥-٢٠ بليون دولار من القروض والمنح، فقد قبلت دخول الجيش الأمريكي لفتح جبهة ثانية في أراضيها ضد العراق. إلى جانب ذلك، فإن بعض الدول العربية المرتبطة بالولايات المتحدة إما بالاتفاقات أو المعونات، قد رغبت أيضاً في تجنب أي صدام مع واشنطن ومع ذلك فإن هناك إحساساً واسع الانتشار في الشرق الأوسط بأن الحرب على العراق هي حرب ضد العرب جميعاً، بل ضد الإسلام نفسه.

ربما كان الخوف من الهزيمة في الانتخابات الرئاسية المقبلة يمكن أن يجعل الرئيس جورج بوش يدرك بأن المحافظين الجدد من أمثال ديك تشيني

ودونـــالد رامسفيلد وحلفائهما قد جروه إلى ورطة خبيثة كان لا بد له أن يسعى إلى الانسحاب منها.

يعود التفكير الأميركي عموماً، وتفكير الجمهوريين خاصة، إلى نظرية في العلاقـــات الدولية تقول بأن الساحة الدولية هي ساحة صراع وأن على كل دولة فـيها أن تســتحوذ علـــى القــدر الأكــبر من القوة لضمان استمرارها وحماية مصالحها. وإلى جانب ذلك، تقول تلك النظرية بأن على الدولة المعنية أن تحاول أيضـــاً إضـــعاف أعدائهـــا والتأكد من عدم حصولهم على مصادر القوة الكفيلة بتمكيـــنهم من تهديد أمنها، حتى حين تدعو تلك النظرية إلى التعاون بين الدول، تقـــول بأن على الدولة المعنية أن لا تسمح لشركائها من الدول بتحقيق فوائد من عملـــية التعاون تتجاوز ما ستحوز عليه هي نفسها. وفي غياب سلطة دولية في مقدورهـــا رســـم حدود وضمانات للأمن الدولي والحفاظ على الاستقرار يصبح لـــزاماً على الدولة الأعظم تولي تلك المهمة. وهذا يعنى أن على الدولة الأعظم أن تقـــوم بـــدور الســـلطة الدولية لإقرار النظام على الساحة الدولية، مما يعنى إعطاء تلك القوة دور القاضي والجلاد في آن واحد، فهي تتهم، وتعتقل، وتحاكم، وتصدر الأحكام، وتقوم بتنفيذ ما يصدر عن أجهزتها من أحكام .

خلال القرن التاسع عشر وحتى بداية الحرب العالمية الأولى كانت بريطانيا هـــي القوة الأعظم، ولذلك قامت بدور "الدولة المهيمنة" أو القوة المهيمنة، حيث تصرفت على هواها وقامت باستغلال العديد من الدول والشعوب خلال فترة ما بيـــن الحربين العالميتين (١٩١٤-١٩٤٠) لم تكن لدى بريطانيا القوة أو النفوذ للقـــيام بـــدور القوة المهيمنة، كما أن أميركا – وعلى الرغم من امتلاكها للقوة العســـكرية والاقتصـــادية للقـــيام بذلـــك الدور – امتنعت عن القيام بدور القوة المهيمـــنة. ولهـــذا، كمـــا يدعـــي مروجو تلك النظرية، عاش العالم فتره كثيرة الصراع مما أدى إلى وقوع الحرب العالمية الثانية. لذا ومن أجل الحيلولة دون وقـــوع حـــرب عالمية ثالثة، أو السماح باتساع رقعة الصراع والحرب، أصبح على أميركا القيام بدور القوة المهيمنة.

يشير تاريخ القوة المهيمنة إلى حقائق عدة لا ينكرها أصحاب نظرية الهيمنة من أبرزها:

١- أن القـوة المهيمنة في مقابل قيامها بإقرار نظام دولي تتحمل معظم تكاليف النظام وتجنى معظم الفوائد التي يحققها النظام. وليس أدل على ذلك من قيام أمـيركا بصـوغ نظام النقد الدولي بالكيفية والشروط التي مكنتها ولا تزال تمكـنها مـن جنى معظم فوائد ذلك النظام. ومن تلك الفوائد إقرار الدولار كعملة دولية، وفتح الأسواق العالمية أمام المنتجات الأميركية، وفرض نظام السـوق الحر على العالم، وإجبار الدول الفقيرة على القبول بسياسات إعادة الهـيكلة الاقتصـادية. وتقـوم الآن أمـيركا بفرض مفهومها للديموقراطية ونظرتها لحقوق الإنسان على الغير وترويج الثقافة الأميركية المضرة بالذوق العام.

٢- أن الدولـة المهيمـنة لا تـندفع نحو إقامة نظام عالمي بدوافع إنسانية أو أخلاقـية، وإنما بدافع المصلحة الذاتية حسب ما تراه وتحدده النخبة الحاكمة. وعليه تقوم تلك الدولة بوضع قواعد اللعبة السياسية بما يخدم مصالحها الذاتية ويحـول دون نجـاح أي من الدول المنافسة أو القوى الكبرى الأخرى من الوصـول إلـى درجة المنافس الحقيقي. ولهذا قال الرئيس بوش في تقريره الأخـير: "استراتيجية" الأمن الوطني الأمريكي "إن أميركا هي أقوى وأغنى دولة في العالم، وإنها ستعمل جاهدة لتبقى أقوى الدول من الناحيتين العسكرية والاقتصادية.

٣- أن القوة المهيمنة هي عادة قوة تعمل ضمن معسكر الدول الأكثر تقدماً من النواحي الاقتصادية والتكنولوجية، وبالتالي تحاول أن تقود معسكرها لتحقيق المـزيد مـن الفوائـد علـى حسـاب الدول الفقيرة التي تعيش على هامش الـتطورات الاقتصـادية والتكنولوجـية. وهذا يعنى أن دور القوة المهيمنة

وســـعيها لتحقيق مصالحها الذاتية من شأنه تعميق التبعية الاقتصادية وزيادة حجم الفجوة التي تفصل الفقراء عن الأغنياء دولاً وجماعات وأفراداً.

٤- ولســـوء حـــظ القوة المهيمنة، تقول كل مجمل وفروع نظرية الهيمنة إنه لا يمكـــن لأيـــة قـــوة مهيمنة أن تحتفظ بدورها إلى الأبد إذ أن ارتفاع تكاليف الهيمنة سيضعفها في المدى الطويل، وذلك كما حدث بالنسبة إلى بريطانيا، أو أن طموحاتهـــا ومحاولات مد نفوذها إلى أجزاء كثيرة من العالم سترهقها وتفقدها القدرة على السيطرة، وهو ما يحدث الآن بالنسبة إلى أميركا، أو أن قـــوى أخـــرى ستظهر وتغير الوضع الدولي من حال تقوم على انفراد دولة واحـــدة إلى حال تتقاسم فيها النفوذ مجموعة من الدول المتكافئة تقريباً، وهذا ما نتوقع حدوثه قريباً.

إن مـــن غـــير الممكن أن تؤيد الصين وأوروبا الموحدة وروسيا باستمرار أمـــريكا فـــي دورهـــا الحالي ولذا وقفت فرنسا وروسيا ضد غزو العراق في مجلس الأمن.

ويبدو في ضوء ذلك كله أن العالم الذي تصور الأمريكيون أنه سيكون أكثر خضـــوعا عـــندما تحقـــق الولايات المتحدة أهدافها في العراق ربما يكون أكثر خطـــورة وربمـــا تزداد الخطورة وعندما يشعر الكثيرون أن الولايات المتحدة ليست هي ما تدعيه وأنها لن تكون شرطي العالم بل لن تكون قادرة على حماية أنظمـــة الحكم التي تزعم أنها تحت مظلتها. ويرجح الكثيرون الآن أن الولايات المـــتحدة بســـبب قلة خبرة اللوبي الذي يسيطر عليها إنما تقود العالم في طريق مظلـــم وأن النتائج سوف تكون وخيمة ولعله من السابق لأوانه أن نتحدث الآن عمـــا يحدث فعلا لأن ذلك من سبيل المزايدة، ولكننا نعتقد أن الثقافة السائدة في العـــالم العربي ثقافة قاصرة وإذا استمر الوضع على ما هو عليه فسوف يصاب العـــالم العربي بكثير من الكوارث ولعله من غير الموضوعي أن نقول إن على الحكومـــات العربية أن تراعي مسؤولياتها لأن الحكومات العربية لا تحاول أن

تستفيد مما يجرى وكل ما تفعله هو أنها تحاول استغلال الأوضاع الآنية من أجل استمرار الواقع القديم كما هو في وقت ثبت فيه أن الوضع القديم قد وصل إلى نهايته وأن الإستراتيجية الأمريكية الجديدة أكثر خطورة على العالم العربي من أي عالم آخر وليس ذلك لأنها ستصب في النهاية في صالح الكيان الصهيوني بل لأن انهيار النظام العربي يستتبعه كل نظام القيم العربية كون الإنسان العربي أصبح يدرك التفاوت بين نظام القيم الذي يطلقه العالم العربي والسلوك الفعلي في عالم الواقع، إذا انهار نظام القيم فهو الانتصار لقوى الظلم والطغيان وبداية لنهاية المنظومة العربية.

يجمع العديد من المحللين والاستراتيجيين على أن استراتيجية الأمن القومي التي أعلنها الرئيس الأمريكي جورج بوش "الابن" تكرس لفكر الهيمنة الأمريكية على العالم أجمع، إذ تشير الوثيقة إلى أن الولايات المتحدة تمتلك قوة ونفوذاً غير مسبوقين، وليس هناك ما يعرقل أو يعيق هذه القوة، **وتستعرض الوثيقة درسين مهمين من حقبة الحرب الباردة:**

**الأول:** أن الخطر الذي يتهدد الولايات المتحدة من قبل الدول "المتداعية" أكبر من الخطر الذي يتهددها من قبل الدول الغازية.

**والثاني:** أن سياسات الردع والاحتواء الخاصة بفترة الحرب الباردة لم تعد تعمل بكفاءة في عالم مليء بالشبكات الإرهابية الغامضة. ومن أجل مواجهة هذه الأخطار سوف تركز الولايات المتحدة على توجيه ضربات وقائية ضد الدول التي ترى فيها تهديداً لمصالحها [1].

ويرى الخبراء أن "عقيدة بوش" أو ما يعرف رسمياً باسم "استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة" هي أكثر وثائق هذه الإدارة خطورة في تحديد مفهومها لأبعاد التفوق الأمريكي في العالم، عسكرياً واقتصادياً، وأكثرها شمولاً في شرح سياستها الخارجية من استراتيجيات الدفاع إلى المعاهدات الدولية، وأكثرها

---

(1) مجلة الإيكونوميست، في ٢٠٠٢/٩/٢٦.

وضـــوحاً فـــي إفهـــام العالم أن أمريكا ستستخدم قوتها لإعادة تشكيله بما يلائم رؤيـــتها سواء أكان ذلك بالقوة العسكرية أم بفتح المجتمعات أم بتوسيع التجارة وغيرها، وتركز العقيدة على ثلاثة محاور جديدة، **هي**[1]:

١-إعـــلان موت استراتيجية الردع العسكري التي اتبعتها أمريكا خلال الحرب الـــباردة والانتقال رسمياً إلى استراتيجية الأعمال الوقائية، وعملياً الضربات الوقائـــية. فالعقيدة التي بإسهاب أسباب التحول هذا وتجري مقارنة بين عدو الحـــرب الباردة (الاتحاد السوفيتي) والعدو اليوم (الإرهاب والدول المارقة). لذلـــك، قال بوش: "إن أميركا ستتصرف ضد تهديدات ناشئة قبل أن تتشكل كلـــياً وإنها لا تستطيع أن تحمي نفسها وأصدقاءها وحلفاءها بأن تأمل خيراً فقط ".

٢-إعلان لا سابق له لحق أميركا في التصرف وحدها، وكما جاء في العقيدة أنه "فـــيما ستعمل الولايات المتحدة باستمرار على حشد دعم المجتمع الدولي، لن نـــتردد فـــي العمل بمفردنا، إذا اقتضى الأمر، لممارسة حقنا في الدفاع عن أنفسنا من خلال عمل وقائي.

٣-إعـــلان فـــريد أيضاً أن الولايات المتحدة لن تسمح لأي دولة بتحدي تفوقها العســـكري كما كان الحال في الحرب الباردة إذ "ستكون قواتنا قوية ما يكفي لمـــنع أعـــداء محتمليـــن مـــن السعي إلى بناء عسكري لتحقيق التفوق على الولايات المتحدة أو التساوي معها ".

أما ما يلحق بهذه الأفكار في "عقيدة بوش" فتفصيلات الأزمة في تصنيف البشر وتنظيم الدول والعلاقات في ظل دعاوى سيادة "إمبراطورية الخير" التي تبشـــر بـــأن اســـتخدامها قوتها ونفوذها "لن يجعل العالم أكثر أمناً فحسب بل أفضـــل"، لأنها ستقضي على الأشرار الذين "يكرهون الولايات المتحدة وكل ما تقـــف مـــن أجله ، وأنها ستكافئ الذين يعملون لمصلحة الحرية التي تنادي بها

---

(1) صحيفة النهار اللبنانية، في ٢٠٠٢/٩/٢٩.

وتزيد مساعداتها المالية لهم وتعاقب المتخاذلين. بل حتى إنها ستكافئ أحلافاً مثل حلف شمال الأطلسي بشراكة فعلية إذا نفذ التحسينات التي حددتها له.

المآخذ على "عقيدة بوش" كثيرة وقد ترددت في الصحافة الغربية، أمريكية وكندية وأوروبية، وتجاوزت طبعاً اللهجة التي صيغت بها وهي لهجة قاسية حيناً وأحياناً فجة، مع أن صحيفة "**النيويورك تايمز**" نقلت عن مسئول أمريكي أن بوش شخصياً أعاد تحرير مسودة الوثيقة في صيغتها النهائية "لأنه وجد أن فيها مقاطع تبدو فيها مستبدة ومتغطرسة ". ومن المآخذ أيضاً أن العقيدة التي تتحدث طويلاً عن "تهديدات وشيكة" تخفق كل مرة في إعطاء أمثلة على هذه التهديدات. والخطر الأكبر هو في إعلان أميركا حقها في التصرف وحدها مما لا يعني انتهاكاً للقانون الدولي فحسب بل إرساء سابقة قد لا تتردد دول أخرى في الاقتداء بها لضرب خصومها "وقائياً" كما فعل بعضها بعد ١١ سبتمبر عندما استخدمت ذريعة الإرهاب وأبرز مثل على ذلك حرب أرييل شارون على الفلسطينيين.

والمفارقة في إعلان أميركا حقها في التفرد أنه جاء في الوقت الذي تسعى إلى تأييد دولي لضرب العراق. وهذا إنما يطرح تساؤلات عن صدق قول أميركا أنها تسعى إلى دعم دولي لمواقفها وأنها ستحترم آراء الآخرين وعن حقيقة تفكير من صاغوا العقيدة وهم من الصقور المتطرفين الذين لم يؤمنوا يوماً إلا بسيادة القوة الأمريكية وحدها. وهذا ينعكس كذلك في منع كل من يفكر في تحدي القوة الأمريكية. ففي الإطار التي صيغت فيه بدا واضحاً أن أمريكا لا تعمل حسابا فعلياً لأوروبا ولا لروسيا التي لن تستطيع التفوق نتيجة أوضاعها الداخلية والمالية، وأنه يستهدف في الدرجة الأولى قوى أخرى مثل الصين الصاعدة.

وهذه العدائية التي تواجه بها "عقيدة بوش" العالم سواء أكان في فئة الأشرار التي تضم الإرهابيين والدول التى تسعى إلى امتلاك أسلحة الدمار

الشـــامل، أم فـــي فئة الأخيار وتنسحب أيضاً على موقف الإدارة من المعاهدات الدولـــية بـــدءاً من تقليلها شأن معاهدات حظر انتشار الأسلحة، مروراً بالمناخ، وصـــولاً إلى رفضها محكمة الجنايات الدولية وتصميمها على عدم السماح لهذه المحكمة بإعاقة أعمالها في العالم.

## استراتيجية الهجمات الوقائية الأمريكية:

كشفت إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش مطلع يونيو ٢٠٠٢ عن قيامها بـــتطوير اســـتراتيجية جديـــدة للأمن الخارجي تتجاوز المفاهيم التي كانت أيام الحـــرب الـــباردة مثل "الاحتواء" و"الردع" تعرف باسم "استراتيجية الهجمات الوقائـــية" ضـــد المجموعات الإرهابية والدول الراعية لها أو التي تمتلك أسلحة كيماوية وبيولوجية.(١)

وتؤكـــد الإدارة أن الاســـتراتيجية الجديدة التي تم طرحها من قبل مجلس الأمـــن القومـــي كجزء من أول تصور تطرحه الإدارة الحالية "للأمن القومي الاســـتراتيجي" بعد أحداث سبتمبر تؤكد على حق الولايات المتحدة في استخدام مـــبدأ "الهجمـــات الوقائية" و"التدخل الدفاعي" كخيارات رسمية في العمل ضد الـــدول والجماعـــات التي تبدو مصممة على استخدام أسلحة الدمار الشامل ضد الولايـــات المتحدة دون أن تتخلى عن الاحتواء والردع، ويعني هذا المبدأ بصفة أساســـية حق الولايات المتحدة في توجيه ضربة عسكرية وقائية ضد أية جماعة أو دولة ترى أنها باتت تمثل خطراً أو تهديداً للأمن الأمريكي بمفهومه الواسع، وهـــو الأمر الذي أثار جدلاً واسع النطاق حول تداعيات هذه الاستراتيجية على قضـــايا الســـلم والأمن الدوليين إضافة إلى تداعياتها الإقليمية خاصة فيما يتعلق بعلاقـــة واشنطن بالأنظمة التي تتهمها بـــ "المارقة" في الشرق الأوسط وعلى رأسها النظام العراقي الصدامي.

---

(١) مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية في ٢٠٠٢/٦/١٦.

وقـد جاء هذا التحول في النظرة الاستراتيجية الأمريكية للأمن القومي بعد الفشـل الكبـير الـذي منيت به سياسة "الاحتواء" "والردع" التي كانت تطبقها واشـنطن تجاه الدول والأنظمة التي ترى أنها تهدد المصالح الأمريكية منذ عام (١٩٩٣)، والتي تعني وفقاً للمفهوم الأمريكي "عدم السماح لأية دولة بالوصول إلـى قـدرة معينة تهدد المصالح الأمريكية أو الاستقرار الإقليمي، والعمل على إضـعافها وعزلها عن المنطقة المحيطة بها وعن العالم الخارجي في آن واحد وقد طبقت الولايات المتحدة على كل من العراق وإيران فيما عرف بسياسة خنق للعراق حيث شددت واشنطن إجراءات الحصار الاقتصادي والسياسي عليه ولم تتردد في استخدام القوة المسلحة ضده في الشمال والجنوب كلما ارتأت أن الأمر يسـتلزم ذلك وأعطت لعمل اللجنة الخاصة المكلفة العراقية دوراً كبيراً بقدراته العسكرية.

**أمـا بالنسـبة لإيران**، فإن سياسة الاحتواء الأمريكية ضدها وجدت تطبيقاتها في فرض طوق من العزلة السياسية والاقتصادية حولها سواء من خـلال قانون "داماتو" الذي يفرض مقاطعة اقتصادية على الشركات التي تستثمر في قطاع النفط الإيراني بما يزيد على أربعين مليون دولار، أو من خـلال اتهامهـا بدعـم الإرهـاب والسعي لامتلاك أسلحة الدمار الشامل ومسـاندة الجماعـات التي تتهمها واشنطن بالإرهاب في الشرق الأوسط، غـير أن سياسـة الاحـتواء هذه فشلت في تحقيق أهدافها، حيث نجحت الدولتان – العراق وإيران – في كسر العزلة المفروضة حولهما واستعادة علاقاتهمـا الخارجية وخاصة مع الكثير من دول العالم وفي مقدمتها قوى كبرى مثل روسيا ودول الاتحاد الأوروبي والصين.

وجـاءت أحـداث سـبتمبر لتؤكد فشل سياستي "الردع" و"الاحتواء" الأمريكيتيـن في تحقيق الأمن القومي الأمريكي إذ مثلت هذه الأحداث أول تهديد مباشر وخطير ليس فقط على المصالح الأمريكية ولكن على الوجود

الأمريكـــي ذاتـــه مما دفع الدوائر العسكرية والأمنية الأمريكية إلى إجراء أعمـــق تغييرات في تاريخها خاصة وأن هذه العمليات لم تأت من دول أو أنظمة حاكمة وإنما من جماعات ليست لديها رقعة من الأرض محددة يمكن احـــتواءها أو ردعهـــا، وهو ما أكده أحد المسئولين الأمريكيين بقوله: "إن الإرهابيين ليست لديهم رقعة من الأرض يقومون بحمايتها، وليس واضحاً كـــيف يمكن استخدام مبدأ الردع في مثل هذه الضربات التي تعرضنا لها" ومـــن ثـــم فقد تغيرت طبيعة العدو وطبيعة الخطر، ولذلك رأت الولايات المـــتحدة ضـــرورة تغيـــير طبيعة الاستجابة والرد، دونما أي تنازل عن السياسات القديمة "الاحتواء" و"الردع".

إلا أن تبني الولايات المتحدة لاستراتيجية "الهجمات الوقائية" من أجل محاولة تطبيق الأمن القومي ليست بالأمر الجديد، إذ شهدت الساحة الدولية تطبيق مثل هذه الاستراتيجية من قبل دول أخرى ومن أبرز الأمثلة في هذا الـــنطاق الغـــارة الإسرائيلية على المفاعل النووي العراقي (١٩٨١)، وقد استندت في ذلك على أن الرئيس العراقي صدام حسين كان يحاول تطوير أسلحة تمثل تهديداً لأمنها القومي الأمر الذي استلزم طبقاً لها توجيه ضربة وقائية، واستندت في توجيه هذه الضربة على المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة والتي تجيز للدول استخدام كافة الوسائل للدفاع عن نفسها، وقامت إدارة الرئـــيس الأمريكـــي ريجان باستخدام نفس هذه الاستراتيجية عندما قامت بقصف ليبيا بعد اتهامها بتفجير ملهى لابيل في برلين عام (١٩٨٦) حيـــث وصـــف ريجان هذا الإجراء بأنه "وقائي" للقضاء على الجماعات الإرهابـــية، وذلـــك فـــي خلـــط واضح بين الهجمات الوقائية والهجمات الانتقامية، وهو الخلط الذي استمر بعد ذلك، ففي عام (١٩٩٨) وفي أعقاب الهجمـــات التـــي تعرضـــت لها السفارتان الأمريكيتان في كينيا وتنزانيا،

اعتـبرت إدارة الرئيس كلينتون بأن لها الحق في قصف كل من السودان وأفغانســتان على أساس تورطهما في دعم تنظيم القاعدة الذي اتهم بتدبير التفجيرات.

وبعــد هجمات ١١ سبتمبر أصبح المجتمع الدولي مهيأ لإقرار سياسة "الهجمــات الوقائية" حيث منح مجلس الأمن الولايات المتحدة موافقة على أي عمل عسكري طبقاً للمادة (٥١) من الميثاق على أساس أن هجمات ١١ ســبتمبر كانــت ضــخمة للغايــة بدرجة يمكن اعتبارها إعلاناً من جانب المتورطيــن فــيها توجــيه ضربة أخرى، وبالتالي فإن واشنطن من حقها توجيه ضربة في إطار الدفاع عن النفس.

وعلــى الرغم من أن هذه الاستراتيجية الأمريكية ليست بالأمر الجديد إلا أن خطورتهــا تنــبع من اعتمادها كسياسة رسمية للدولة، بما لذلك من تداعــيات خطــيرة على المستويين الإقليمي والدولي، وهو ما يتضح من الآتي:

## (١) على المستوى الدولي:

أن الولايــات المتحدة لها الحق بمفردها في توجيه ضربة وقائية ضد أيــة دولــة تقرر أنها تقوم بتطوير أسلحة الدمار أو تدعم الإرهاب، الأمر الــذي يمثل ضوءاً أخضر لشن حرب أمريكية ضد أية دولة أو منطقة في العــالم ترى واشنطن أنها تهدد مصالحها دون أن تحتاج لأن تثبت تورطها فــي أعمال من هذا النوع ومن ثم فإنه في حالة القبول بسياسة الإجراءات الوقائية كسياسة قانونية، فإن هيكل السلام الدولي سوف يتعرض للانهيار، خاصة وأنه سوف يصبح في مقدور أية دولة أن توجه ضربة لدولة أخرى بحجة أنها شعرت بتهديد، مهما كان هذا التهديد بعيداً.

كما أن مبدأ الضربات الوقائية من شأنه أن يهدد بتصعيد الأزمات الدولية بسرعة كبيرة لأن الأطراف المعنية تواجه ضغوطاً تدفعها إلى اختيار التعجيل بدلاً من التأجيل في سياساتها العسكرية، طبقاً للحكمة السائدة في مجال الأسلحة النووية التي تقول "إذ لم تستخدمها فلن تستخدمها أبداً"، ناهيك عن أن توجيه أية ضربات عسكرية وقائية لبرامج الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية في أية دولة من شأنه أن ينشر هذه المواد بما قد يؤدي إلى قتل آلاف البشر لها ليس فقط في الدول المستهدفة بالعدوان، بل كذلك في الدول المجاورة لها، ومن ثم فإن القبول بالاستراتيجية الأمريكية الجديدة يعني ببساطة تقويض مبادئ وأسس السلم والأمن الدوليين التي تقوم عليهما الأمم المتحدة وكافة المؤسسات الدولية، ويقود المجتمع الدولي إلى الفوضى وسياسة "الغاب" وهو أمر في غاية الخطورة، فإذا كانت كثير من الدول قد استغلت "الحرب ضد الإرهاب"إما لتدعيم علاقاتها مع واشنطن أو لشن حملة صارمة ضد المعرضين عنها، فإن المجتمع الدولي – وكما أكدت صحيفة "الجارديان" يوم ٢٠٠٢/٦/٧ – يطالب برفض تلك السياسة التي أعلنها بوش وإلا تعرض ميثاق الأمم المتحدة لضربة قاصمة.

## (٢) على المستوى الإقليمي:

إذا كان لاستراتيجية "الهجمات الوقائية" الأمريكية هذه الخطورة على الساحة الدولية، فإن الأمر الذي لاشك فيه هو أن هذه الخطورة ستكون أشد وأكثر فداحة على المنطقة العربية وذلك في ضوء عاملين مهمين:

**الأول:** وهو استهداف الدول العربية من قبل دول وخاصة الولايات المتحدة وإسرائيل إذ يمكن للولايات المتحدة استناداً لهذه الاستراتيجية أن تقوم بعدة هجمات "وقائية" ضد دول ترى أنها تهدد أمنها وفي مقدمتها ليبيا وسوريا

وإيـــران، كما يمكن لإسرائيل أن تستند على نفس الاستراتيجية في توجيه ضـــربات عســـكرية ضد أية دولة عربية ومن ثم فالدول العربية ستكون الضحية الأولى في حالة تطبيق هذه الاستراتيجية.

**العامل الثاني:** ويتمثل في عدم قدرة الدول العربية على تطبيق هذه الاستراتيجية وذلـــك فـــي ضوء ضعف الإمكانية العسكرية والتراجع المستمر في ثقلها السياســـي والاقتصادي على الساحة الدولية، ومن ثم فإنه في حالة إقرار مثل هذه الاستراتيجية كسياسة رسمية فإن المتوقع هو أن تحظى المنطقة بنصـــيب الأســـد مـــن هذه الهجمات في إطار سياسة "تصفية الحسابات القديمـــة" التـــي قـــد تمارسها بعض الدول وفي مقدمتها الولايات المتحدة وإسرائيل.

وقد كانت العراق هي المحطة الأولى لتطبيقها على أرض الواقع وذلك في ضـــوء الاتهامـــات الأمريكية له بالسعي لتطوير أسلحة الدمار الشامل وإعلان واشنطن صراحة رغبتها في إسقاط النظام العراقي من خلال ضربة عسكرية.

وأكد صحة هذا الاستنتاج أن إعلان واشنطن عن هذه الاستراتيجية الجديدة قد جاء متزامنا مع عاملين مهمين هما:

أ- **التصـــريحات التـــي أدلى بها نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني يوم ٦/٧/ ٢٠٠٢** والتـــي أكـــد فـــيها أن الولايات المتحدة لن تسمح للعراق بتهديدها بأسلحة الدمار الشامل وأن هناك خطراً متزايداً يتمثل فيها، وصفه بالجماعات الإرهابية التي تحصل على أسلحة دمار شامل من العراق أو دول أخرى وأن هـــذا التهديد الذي تمثله هذه الجماعات يتطلب رد فعل حاسم، وهو ما يمثل تصـــعيداً خطيراً في اللهجة الأمريكية ضد العراق بعد فترة من السكون التي سادت نتيجة تدهور الأوضاع في الأراضي الفلسطينية وتراجع عملية السلام.

ب- **جولـــة وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد لمنطقة الخليج** والتي زار خلالهـــا كـــلاً مـــن الكويت والبحرين وقطر في الفترة من ٩ إلى ١١ يونيو

٢٠٠٢ وهي الجولة التي استهدفت طبقاً لوسائل الإعلام الغربية حشد التأييد لضـــرب العـــراق لإسقاط النظام، حيث أعلن وزير الدفاع الأمريكي خلال زيارتـــه للكويت أن النظام العراقي مازال يعمل على تطوير وتخزين أسلحة الدمار الشامل.

غـــير أن ما سبق يعني أن تطبيق استراتيجية "الهجوم الوقائي" الأمريكية علـــى العراق بات أمراً سهلاً برغم وجود العديد من العقبات والصعوبات أهمها الرفض الأوروبي في ضوء عدم وضوح الرؤية الأمريكية لعراق ما بعد صدام، ووجـــود خلافـــات داخل الإدارة الأمريكية ذاتها بسبب ما أشارت إليه صحيفة "نـــيويورك تايمـــز" في عددها الصادر يوم ٢٠٠٢/٦/١٠ من أن عديدين داخل وزارة الخارجية الأمريكية رأوا أن شن هجوم ضد العراق سوف ينظر إليه على المســـتوى الدولـــي بأنه مواجهة مع الإسلام وسيخلق اضطرابات في المنطقة، ناهيك عن استمرار الرفض العربي الرسمي والشعبي لاستخدام القوة العسكرية ضد العراق حتى بعد الحرب وهو ما أوضحته نيويورك تايمز أيضاً بقولها: "إنه علـــى الرغم من أن رامسفيلد أكد أن زيارته للكويت والبحرين وقطر تهدف إلى تقديم الشكر على دعمها للولايات المتحدة في حربها في أفغانستان، إلا أنه أدرك أن تلـــك الـــدول لن تنضم إلى تحالف جديد، فإذا أضفنا إلى ذلك رفض كل من روسيا والصين وفرنسا وألمانيا لأي استخدام عسكري للقوة ضد العراق".

## ٣-الانقلاب في السياسة الخارجية الأمريكية:

إن اســـتراتيجية الأمـــن القومي للولايات المتحدة التي أعلنها الرئيس الأمريكـــي جورج بوش تمثل تحولاً تاماً عن الأفكار والمبادئ التي قامت علـــيها السياســـة الخارجـــية طـــوال خمسين عاماً مضت، وخروجاً على اســـتراتيجية كلينـــتون التـــي أعلنها عام (١٩٩٩)، هي أول تفسير شامل وتفصيلي لما نشهده من ممارسة للسياسة الخارجية لحكومة بوش في العالم

وفي الشرق الأوسط، وتحديد صريح لما سوف تسير عليه هذه السياسة في المستقبل، **مشيرين إلى**[1]:

- أن الاستراتيجية الجديدة هي بمثابة تقنين لكل الأفكار ووجهات النظر السياسية، التي ظهرت متفرقة من جانب الرئيس بوش وكبار معاونيه، سواء بشكل مراوغ أو متردد منذ وصوله إلى البيت الأبيض في يناير (٢٠٠١)، أو بصورة صريحة ومندفعة ومتشددة منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١)، خاصة مفهوم الهجوم الوقائي أو استباق الآخرين بالهجوم عليهم قبل أن يهاجموك، حتى ولو لم تكن قد ظهرت عليهم نية مهاجمتك.
- أن هذه الوثيقة تضع موضع التطبيق الأفكار التي كان مختلفاً عليها بين تيارين أو مدرستين سياسيتين في الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب الباردة عام (١٩٨٩)، أولهما تنتمي إلى ما يسمى الواقعية السياسية وتؤمن بأن الولايات المتحدة لو أرادت أن تظل القوة العظمى الوحيدة في العالم، فإن الظروف الداخلية وتحولات الأوضاع الدولية، واختلاف مصادر التهديد للأمن القومي، لن تسمح لها بذلك، وأن ضمان مصالحها وأمنها في ظل هذه الظروف المتغيرة، يعرض عليها أن تتعايش مع نظام دولي يقوم على تعددية الدول الكبرى، والمشاركة مع دول محورية متوسطة لها تأثيرها على تحقيق الاستقرار والتقدم في مناطقها الإقليمية. والمدرسة الثانية تحمل اسم المثالية السياسية وهى التي ينتمي إلى تيارها جماعة المحافظين الجدد في الحزب الجمهوري، والذين يشكلون الآن الفريق المسيطر على السياسة الخارجية في حكومة بوش، وهؤلاء يتمسكون بأن تظل الولايات المتحدة هي القوة الوحيدة المهيمنة، وألا

---

(١) صحيفة الأهرام، في ٢/١٠/٢٠٠٢.

تسـمح بظهـور أي قوة دوليه منافسة لها، وان أمريكا القوية عسكريا واقتصـاديا وتكنولوجـيا هي المؤهلة لتكون صاحبة القرار في شئون العالم، لهذا صدرت الوثيقة متضمنة أفكار هذا التيار، وجاءت صياغتها بلهجـة متشددة، بل هي الأكثر تشددا في خطاب السياسة الخارجية منذ عهد رونالد ريجان، والذي كان أقطاب الفريق الحالي في حكومة بوش قـد عملـوا معه فى حكومته في شبابهم وكان أبرزهم دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الحالي.

إن الأفكار أو المبادئ التي جاءت في هذه الوثيقة تبرز بشكل واضح تطلـع الولايـات المـتحدة لتكريس تفوقها وهيمنتها على العالم ومن هذه المبادئ:

١- أن الولايـات المتحدة لن تسمح بتحدي تفوقها العسكري العالمي.وأن تكون قدرتهـا العسكرية قوية بما يكفى لمنع أي منافسين محتملين لقوتها العسكرية من بناء قوتهم العسكرية بصورة يمكن أن تزيد أو تتساوى مع قوة الولايات المتحدة. وجاءت إشارة إلى هذا التوجه بشكل توضيحي من ريتشارد أرميتاج نائب وزير الخارجية، وقال: "إننا نملك النفوذ، والمكانة والتأثير بما لم يعتبر متاحا لأية دوله أخرى في تاريخ العالم".

٢- سوف تستخدم الولايات المتحدة قوتها العسكرية والاقتصادية لتشجيع قيام - مـا أسـمته - المجـتمعات الحـرة والمفتوحة، وستفعل كل ما في إمكانها المحافظـة على وضعها بوصفها القوة العظمى الوحيدة في العالم. والتركيز علـى اسـتخدام المعونـة الخارجية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، لكسـب مـا وصـفته بمعركة القيم والأفكار المتنافسة، بما في ذلك معركة مستقبل العالم الإسلامي.

٣- إعـــادة النظر إلى الإرهاب القادر على امتلاك دول لأسلحة الدمار الشامل، باعتـــبار الإرهاب كأنه المشكلة الوحيدة في العالم، أو هو المحور الذي تدور علـــيه الاســـتراتيجية الأمريكية، بما يجعل رؤيتها شاحبة ضيقة تجاه جميع المشـــكلات والـــتحديات الأخـــرى، التي تحمل تهديداً للأمن العالمي والأمن القومي للولايات المتحدة.

وتـــنص الوثـــيقة علـــى ردع الذين يكرهون الولايات المتحدة، وأي شيء يذهبون إليه. تطبيقاً لهذا جرى تقنين كل الأفكار التي ظل الرئيس بوش يرددها طوال الأشهر الماضية عن الهجوم الوقائي على عدو محتمل، ونقل المعركة إليه في أرضه، قبل أن يقوم بأي هجوم، والتي حددها كمبدأ لاستراتيجيته المقبلة منذ خطابه أمام الأكاديمية العسكرية في ويست بوينت في أول يونيو(٢٠٠٢). وكان بـــوش قـــد ذكـــر أن بلاده ستسعى لوقوف الحلفاء معها في هذه المعارك، لكن الوثـــيقة أضافت إلى هذا المعنى، قوله: "إننا لن نتردد في التصرف وحدنا، إذا دعـــت الضرورة، لممارسة حقنا في الدفاع عن النفس، واستباق الهجوم، بهجوم وقائـــي. وأمام التهديدات الجديدة من الإرهابيين، والدول المارقة، فإن الولايات المتحدة، لن تظل تعتمد على موقف رد الفعل. ولا يمكنها ترك الأعداء يبادرون بالضرب أولاً".

٤- الوثـــيقة تعكـــس فـــي صياغتها وأفكارها طبيعة المجموعة المسيطرة على السياســـة الخارجية في واشنطن، والذين يسميهم الأمريكيون بالصقور، وهي تتحدث بلهجة الغطرسة، ولن تقبل حلولاً وسطاً، حين تقول على وجه التحديد إنـــه عندما تكون المصالح الأمريكية المهمة موضع التهديد، فلن يكون هنالك حـــل وسط، وتحمل لهجة الفرض والإكراه، يعكس هذا حديثها عن إقناع أو إرغـــام الـــدول على قبول مسئوليتها السيادية، في عدم مساعدة الإرهابيين. وهـــي بهـــذا تتجاهل مفهوم المشاركة والتعاون في مواجهة الإرهاب، وهو شـــيء انفردت الولايات المتحدة بأن تضع له التعريف الذي تراه هي، والذي يختلف معها فيه الجميع بما في ذلك حلفاؤها في أوروبا.

ويجمع الخبراء والمحللون على أن هذه المبادئ هي خروج كامل على الاستراتيجية المعلنة من جانب الولايات المتحدة، كأساس لعلاقاتها الدولية، ولدورها في العالم، والتي تقوم على العمل من خلال المعاهدات الدولية إما بقبول ما هو مقبول منها، وإما السعي لتعديل ما تراه يحتاج للتعديل، وترى العالم وعلاقاته تحكمه المشاركة والتعاون، من خلال نظرتها إلى أن مصادر التهديد الجديدة في العالم تهدد أمن الجميع، وتحتاج تكاتف الجميع من خلال مبادلة المعلومات، والجهود، وإن الولايات المتحدة تحتاج إلى آخرين، مثلما يحتاجها الآخرون، والإيمان بأن الاستقرار الإقليمي في مناطق العالم يمثل مصلحة أمن قومي للولايات المتحدة. ثم إن هذه الوثيقة هي إعلان عن تحول جوهري وكامل عن الاستراتيجية التي قامت عليها سياسة أميركا الخارجية، طوال خمسين عاماً مضت، منذ ظهور ما سمي مبدأ ترومان والذي جاء ضمن خطابه أمام الكونجرس في مارس(١٩٤٧)، ويركز أساساً على منع توسيع الاتحاد السوفيتي للنفوذ الشيوعي في العالم. وكان أساسه التحالفات خاصة - التحالف الأطلنطي -، والعلاقات القوية التبادلية مع الدول، وكان له ركنان رئيسيان هما احتواء النفوذ السوفيتي وحصاره حتى لا يتسع وردع أي نوايا هجومية سوفيتية بامتلاك أسلحة متفوقة تجعل العدو يمتنع عن القيام بأي هجوم على أميركا خشية الرد عليه بضربة مدمرة، أي أن المبدأ لم يقم على مفهوم استباق الهجوم، أو الهجوم الوقائي.

وفي هذا الإطار كان الحلفاء في أوروبا لهم دورهم ورؤيتهم في هذه الاستراتيجية، ارتباطاً بمبدأ الأمن الجماعي الذي كان هو أساس التحالف الأطلنطي، في مواجهة العدو السوفيتي وهو عنصر يبتعد عنه الخط العام لوثيقة استراتيجية بوش، خاصة وأن معظم جوانب التشخيص الأمريكي بالنسبة للحرب على الإرهاب، تحديات الأمن القومي، وأسلوب مواجهتها، لا تلقى اتفاقاً معها من جانب غالبية الحلفاء في أوروبا.

## ٤- ملامح التحرك الأمريكي على مستوى الشرق الأوسط

الرؤية الأمريكية اشتملت على موضوعين، يتعلق أولها بالعراق، بينما يتعرض شقها الثاني للشرق الأوسط عموماً. القسم المتعلق بالعراق يركز على ملامح عراق المستقبل، فهو عراق حر وموحد ومستقر، ينعم بالرفاهية، كما أنه خال من أسلحة الدمار الشامل. ليس هذا فحسب، بل إن عراق ما بعد صدام سيكون مثالاً لباقي دول المنطقة، وقاعدة تشع منها قيم الحرية والسلام والديمقراطية: يثير هذا الطرح المغرق في مثاليته عدة نقاط أساسية يصعب القفز فوقها.

الجانب المتعلق برؤية الرئيس الأمريكي لباقي دول المنطقة وعلاقتها بالحرب، لا يقل مثالية عن الوصفة العراقية. نقطة البداية في هذه الرؤية، دولة فلسطينية ديمقراطية قادرة على البقاء، خالية من الإرهاب والتهديد لأمن إسرائيل. التزام إدارة الرئيس بوش بدولة فلسطينية مستقلة تتعايش مع جارتها إسرائيل وهذا ليس جديداً، الأمر الجديد هو التركيز على صفة الديمقراطية لهذه الدولة، وربطها في الخطاب الأخير بعراق ديمقراطي، كيف ذلك ؟ جواب بوش بسيط وهو أن ذهاب صدام حسين سيحرم القوى الراديكالية (المقاومة) الفلسطينية من الدعم المالي والسياسي وحتى المعنوات التي تقدمها الحكومة العراقية لأهالي منفذي العمليات الاستشهادية. الرسالة الثانية: أن الدول الأخرى في المنطقة (سوريا وإيران) ممنوعة - في شرق أوسط ما بعد صدام - من ممارسة مثل هذا السلوك. شرط ثالث في رؤية الرئيس الأمريكي للجانب الفلسطيني أن تبرز قيادة فلسطينية إصلاحية، عندها وعندها فقط، يمكن الحديث عن تقدم في عملية السلام، والانتقال إلى مفاوضات المرحلة النهائية، ومطالبة إسرائيل باتخاذ خطوات منها وقف الأنشطة الاستيطانية. وهكذا تتحرك القضية الفلسطينية، بعد فترة من الصمت المطبق من الإدارة الأمريكية الحالية تجاه استمرار الممارسات الوحشية من قبل حكومة شارون تجاه الشعب الفلسطيني،

لكن بوش لم يقدم برنامجاً عملياً لوقف الجرائم الإسرائيلية ولكن خطته ما زالت غامضة بالنسبة للكثيرين تسمي "خريطة الطريق".

أما الدول الأخرى في المنطقة، فنصيبها من رؤية الرئيس الأمريكي يتمثل في متابعة لمطالب الرأي العام العربي، خاصة في دوائر المثقفين الداعين إلى الإصلاح السياسي وتوسيع دائرة المشاركة الشعبية والانفتاح الاقتصادي وتشجيع التجارة الحرة. وبكلمة أخرى، فعلى هذه الدول غير الديمقراطية أن تتوقع ضغوطاً في هذا الاتجاه فيما إذا قررت معارضة التوجهات والمصالح الأمريكية في مرحلة ما بعد صدام.

ما هي فرص تحقيق هذه الأهداف المعلنة؟، وما هي الضمانات على أن الولايات المتحدة ستلتزم بتحقيق هذه التعهدات ؟ في البدء لا يملك المرء إلا أن يعبر عن تشككه وتشاؤمه تجاه التزام الولايات المتحدة بالديمقراطية في هذه المنطقة، وذلك لعدة أسباب، أهمها: أولاً، أن الولايات المتحدة لم تظهر دعماً للديمقراطية في المنطقة العربية في السابق، ليس هذا فحسب، بل إن أمريكا كانت سبباً رئيسياً في استمرار كثير من الأنظمة غير الديمقراطية. ثانياً، لقد ارتبط استمرار الأنظمة الدكتاتورية في المنطقة بأمن إسرائيل، بشكل مباشر وغير مباشر، فكيف سيتم فك هذا الارتباط من قبل إدارة وصفها شارون من أنها من أكثر الإدارات قرباً من إسرائيل ؟ ثالثا، صحيح أن الولايات المتحدة قد فرضت الديمقراطية على ألمانيا واليابان، لكنها فعلت ذلك عندما خرجت منتصرة من الحرب، وكانت تقودها مجموعة من السياسيين بعيدي النظر من أمثال "جورج مارشال"، وغيره من المؤمنين بترابط المصالح الأمريكية بالمثل والمبادئ التي قامت عليها أمريكا، من الصعوبة بمكان مقارنة أولئك باليمين المتطرف الذي يسيطر على إدارة الرئيس بوش، وبشكل خاص في مرحلة ما بعد أحداث سبتمبر المشؤومة والحرب المعلنة على الإرهاب.

وأخـــيراً، فإن أغلب المشاريع الاستعمارية السابقة استخدمت مبادئ وقيم، مـــثل "تحديـــث" الشعوب المستعمرة ومساعدتها على حكم نفسها. ولعل هذا هو ســـبب الاعـــتقاد القوى بين كثيرين من أهل المنطقة بأن الشعارات الديمقراطية الأمريكية الجديدة مشكوك فيها.

إن الإدارة الأمريكـــية أمام امتحان حقيقي لإثبات ادعاءاتها الجديدة، خاصة وأن الديمقراطـــية نـــادراً ما تفرض من قبل القوات المحتلة الأجنبية – فهذا هو النقيض لحكم الشعب لنفسه وبنفسه – التي تختفي وراء أدوات الدمار. كما أن فـــرض تحقـــيق الديمقراطية في عراق ما بعد صدام سيعتمد على وعي القوى السياسية العراقية، على رأسها المعارضة في "إربيل" لتجاوز مصالحها الضيقة، وصياغة دستور جديد، يقنن التعددية والتناوب السلمي على السلطة. ومن ناحية ثانـــية، تعتـــبر المهمة الملحة أمام هذه المعارضة أن تحصل على تعهدات من الإدارة الأمريكية على أن هذه الأخيرة لن تدمر العراق وتقتل الآلاف من أبنائه باسم تخليص العراق من الدكتاتورية. كما أن من مؤشرات وعي المعارضة أن تضـــع الـــتعهدات بعـــراق ديمقراطـــي على أنها المحك الحقيقي لكيفية التعامل المستقبلي مع التواجد الأمريكي.

فريق الرئيس الأمريكي جورج بوش يكرر الأخطاء الاستراتيجية نفسها من ناحـــية إدارة الصراع وهي باختصار: حصر احتساب ميزان القوى العسكرية فـــي حالـــته الراهـــنة، وعـــدم إعطاء أهمية للتحالفات الكبرى ولا للرأي العام والشـــعوب، أو لعامل الصمود والدفاع والمقاومة. أو عامل الانهيار والاستسلام ممـــا يترك عامل الزمن يفعل فعله في استنزاف القوى القاهرة وتنمية إمكانيات القـــوى المقهورة وخبراتها ومعنوياتها. وهنا يجب الانتباه إلى عدم الدخول في تفاصـــيل الفـــروق فـــي حالة قيادة "المحور" وقيادة إدارة بوش من أجل النقاط الجوهـــرية في تقدير الموقف. لقد استعدت الإدارة الأمريكية الحالية أغلبية دول العـــالم وشعوبه مبتدئة بفرنسا وألمانيا وروسيا والصين وكانت مستعدة لاستعداء بريطانيا حكومة "توني بلير" التي عضت على جراحها وقررت ألا تترك حليفها

تحت كل الظروف وإلا فإن الأسباب التي "أزعجت فرنسا وألمانيا يجب أن تزعج بريطانيا عندما يراد للتحالف الأطلسي أن يهبط من حال الشريك صاحب حق الفيتو إلى حالة التابع الذي عليه أن يؤيد ويتبع فقط. فالعقلية التي تنظر إلى "أوروبا القديمة" بكل ذلك الاستعلاء والاستهتار لا بد من أن تنظر بالعين نفسها، إلى بريطانيا المسنة القديمة.

هذه الإشكالية (محتواها عسكري - سياسي - اقتصادي - ثقافي) لا تحتاج إلى استنتاج، ففريق بوش أعلنها ويطبقها بلا أقنعة. أي أننا أمام قيادة لا تعطي التحالفات الدولية ما تستحقه من أهمية فحسب، وإنما أيضاً، تحطم تحالفاتها القائمة منذ عقود ولا تسعى إلى إقامة حلف جديد حتى لا يكون لها شركاء. فهي تسمي من يقف معها في القضية المطروحة "حلفاء" تجاوزاً وبغض النظر عن العدد والوزن والأحجام والمحتوى. لأنها تعتقد أنها تستطيع وحدها أن تقوم بالحرب وما على الذين يؤيدونها إلا أن يتبعوا بلا حقوق، إذ يكفيهم تجنب غضبها وعدم إدراجهم في عداد "القوى القديمة" أو "الإرهاب" أو "الشر" ثم ما أن تنتهي الحرب إلا وينتهي التحالف فليس ثمة وعد ملزم ولا حق مسبق لأن كل شئ سيسير على ضوء الظروف الجديدة، وهو ما لم تحسبه المعارضة العراقية جيداً في أربيل. وقد حانت فرصتها لترفع غطاءها عن العدوان الأميركي على العراق كما فعل النواب في البرلمان التركي على الأقل. لكنها لم تفعل.فإن الصقور في إدارة بوش من أكثر الساسة احتقاراً لهما، حتى داخل الولايات المتحدة نفسها كما لا يظهر بصورة صارخة على السطح فعلى سبيل المثال كتب توماس فريدمان في "الهيرالد تريبيون" في ٢٠٠٣/٣/٣ يقول: "ولا تصدق استطلاعات الرأي. لقد جرت في عشرين ولاية فوجدت ٩٥ في المئة من أهل البلد يريدون معالجة العراق بلا حرب وبالطبع مثل استطلاعات الرأي في الدول الغربية الأخرى وفي العالم عموماً، كما أن تظاهرات الملايين تؤكد أن الفريق المذكور لا يعطي أهمية تذكر لمسألة الشعوب والرأي العام في الاستراتيجية بل تراهم يضربون عرض الحائط بكل التقديرات التي تحذر من أن كراهية أميركا

ستصبح أضعاف وضعها الحالي بعد الحرب، وان اتجاهات الإرهاب ستجد آلافاً من الغاضبين المتألمين ينضمون إلى صفوفها.

هـذا يعنى أننا أمام إدارة للصراع ذاهبة إلى هزيمة غير عسكرية – أقرب لهـزيمة الاتحاد السوفيتي السابق – وإذا كانت تراهن على تثبيت ميزان القوى العسـكرية العالمـية القائمـة، وتمنع أي محاولة لتعزيز قدراتها العسكرية أو تطويـرها فإنها سترفع على كتفيها في قادم الأيام ما لا تطيقه من حمل. فكيف يمكنها أن تمنع مضي الصين في التطوير لقدراتها العسكرية، أو تحول دون قيام فرنسـا وألمانيا بدورهما الأوروبي ورفع ميزانيتهما العسكرية. ثم كيف ستمنع روسـيا مـن الاسـتمرار في الأبحاث العلمية أو التوسع في ترسانة الصاروخ المـتعدد الرؤوس النووية. هذا يعنى أنها ستفتح باب الحرب العالمية الثالثة، أو تضـعها من جديد على الأجندة. ولكن أنى لها أن تفعل ذلك وقد رأيناها تتخبط وتكـاد تعجـز وهي تحاول إنجاز مهمة "متواضعة" وهي تكريس الاحتلال في العراق فكيف سيكون الحال حين تهب الرياح في العراق ومن حوله على غير ما تشـتهي. وكـيف سـتكون حال صناديق الاقتراع الأمريكية بعدما يجد الشعب الأميركي نفسه ينتقل من ورطة إلى أخرى أشد منها، وبلا داع ملح عدا "أحلام" قـيادة بدائـية جاهلة لم تفهم "علم الحرب" أو "فن السياسة" إلا من خلال مدخل واحد هو استخدام القوة العسكرية.

## ثالثاً- نقد الاستراتيجية الأمنية والسياسة العامة الأمريكية:

وسـوف نطـرح الـرؤية مـن خلال مستويين الأول هو النتائج الفعلية لسياسـات الحكومة الفيدرالية الأمريكية على المستوى الداخلي والثاني هو النقد الموضـوعي للسياسـة الخارجية الأمريكية، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هذه السياسـات وآلـياتها قـد خلقت حالات عديدة من الاستعداء لها على الصعيدين وبالتالـي فإنه لا يمكن إعفاء الإدارات الأمريكية من تحمل مسئولياتها نتيجة لما حـدث، وقد يكون بالفعل هناك تضاد للمصالح الأمريكية مع قوى دولية عديدة

ومـــنظمات وميليشـــيات أمريكية مسلحة وهو ما دفع المراقبين للإشارة بأصابع الاتهام في اتجاهات مبعثرة بل ومتضاربة أحيانا وأن محاولة تحديد جهة بعينها لإدانتها هو تصور لتحليل مجتزأ يعتمد على رؤية قاصرة لأبعاد عديدة يلزم أن توضـــع في الاعتبار أولها الرؤية البنيوية للاستراتيجية الأمريكية وثانيها ردود أفعـــال المتضـــررين مـــن جراء هذه السياسات الأمريكية بمستوياتها الخارجية والداخلـــية وهو ما يؤكد على ضرورة مراجعة وتقييم سياسات العجز والتقصير في هذه الاستراتيجية الأمريكية.

## ١-على مستوى السياسة الداخلية:

إن الإدارات الأمريكـــية المتعاقبة زعمت أنها تنشر أفكاراً إنسانية وعملية لخلـــق عالم أفضل تسوده الحرية ويحكمه القانون ويعمه السلام ولكن كان على الجانـــب الآخـــر معانـــاة شـــعوب في نطاقات عديدة من العالم وفئات وأقليات عنصرية ودينية أمريكية تعيش معاناة وتستشعر الحرمان لحقوقها الإنسانية من آثار سلبية لهذه السياسات الأمريكية كان أعظمها على مستوى الداخل الأمريكي وهـــو مـــا أفـــرز تنظيمات وجماعات وميليشيات مسلحة رافضة لنظام الحكم والإدارة فـــي واشـــنطن ساعدها على ذلك المناخ المتاح لحرية حركة الحقوق المدنـــية الأمريكـــية، وترى هذه المنظمات أن النخبة الأمريكية تحتكر السلطة والسياســـة لصالح قطاع ممثل في النخبة العليا من الطبقات الأمريكية وذلك في إطـــار مـــنظومة اقتصـــادية تحقق أهدافاً لرأسمالية الكولونيالية وهم يرون أن الديمقراطية الأمريكية وهم وسراب يعمل لصالح الجنتل الأمريكي أمام المجتمع الدولـــي كواجهـــة مزيفة للواقع الأمريكي. إن الإدارات الأمريكية ومنذ اندلاع الحـــركة المدنية في الستينات عجزت عن حسم وإدارة قضايا وظواهر مجتمعية داخلـــية سواء أفرزتها أقليات عرقية أو دينية أو حتى عقائدية مستحدثة وبالتالي فلـــم يكـــن غريباً أن يكون هناك العديد من المنظمات الأمريكية غير الحكومية المناهضة لسياسات واشنطن في مؤتمر "دير بان" في جنوب أفريقيا ومعبرة عن

رفـــض قطاعـــات عديدة في المجتمع الأمريكي لخطط حكومة واشنطن لإنشاء درعهـــا الصـــاروخي علـــى سبيل المثال وهو ما أكد حالة التمفصل المجتمعي والثقافـــي الأمريكي بمعنى أن سياسات"الكابيتول" لا تعبر أو تعكس لما تموج به عناصـــر المجـــتمع الأمريكي ذاته ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هناك حالة من انهيار للقيم الأمريكية التي تعد العمود الفقري لما أطلقنا عليه سياسات العولمة.

ونشـــير بالبحث في استقراء بعض المتغيرات التي لحقت بمجتمع الولايات المتحدة والتي طرحها علماء الاستراتيجية ورؤساء أمريكيين سابقين من خلالها يمكـــن تحديد بعض من الأسباب دون الدخول في تفاصيلها ومن أهم المتغيرات الحادثة:

(أ) ذكـــر "آرثـــر شليزينجر" في كتابه تفكيك أمريكا " The Disuniting of America" صوراً لمجتمع متعدد الثقافات وهو متغير داخلي وخطير وكان يعـــتقد أن في التنوع الثقافي وحدة وأنهم نجحوا في خلق هوية قومية جديدة وهـــنا يقـــع عبء توحيد القومية على سياسات الحكومة الفيدرالية التي كان يجـــب عليها التغلب على كل صور العنصرية وهو ما لم نشاهده في مؤتمر دير بان (٢٠٠١).

(ب) كتب "ديفيد أوسبورن" زميل مجلس مستشاري سياسي حكام الولايات رؤية وطنـــية واســـتراتيجية تدعوا للإصلاح من خلال طرح ميثاق فيدرالي جديد لتحديد الدور المناسب لواشنطن لمعالجة أزمة العلاقة بين الشعب والحكومة، وقد طرح "أوسبورن" فكرة بروستوريكا أمريكية لإعداد هذا الميثاق كما جاء فـــي كتاب "تفويض بالتغيير" " Mandate for Change "(١٩٩٧) أن الشعب الأمريكي يشعر بالإحباط ويأمل فى سياسة جديدة ترتقي بعظمة الحلم الأمريكـــي وأن الحكومة الفيدرالية فى أزمة لاستخدامها أساليب بيروقراطية بالية وينبغي البحث عن طريق ثالث.

(جـــ) وقـد رأى الرئـيس "نيكسون" في كتابه "نصراً بلا حرب" (١٩٩٩) " war Victory without" في حديثه عن أمريكا الجديدة أن هناك سلبيين جدد يدعون أن الإدارة الأمريكية قد تداعت، وقد أصاب "نيكسون" في تحديد المشكلة ولكنه أخطأ عندما قال إن العلة قد أصابت الشعب الأمريكي والحقيقة أنها أصابت النخبة الحاكمة في واشنطن.

(د) وتساءل الرئيس "جيمي كارتر" في كتابه "لماذا لا ننشد الأفضل؟" (١٩٧٥) "best? the why not" حيث تساءل هل حكومة واشنطن تمثل الأمريكيين على حقيقتهم؟ ودعا لسد الثغرة بين الشعب والحكومة وأن يتحدوا لتشكيل مستقبل الأمة وأن نعيد الثقة في حكومتنا بواشنطن.

## ٢- على مستوى السياسة الخارجية:

وعلـى مستوى السياسات الخارجية الأمريكية حددت الاستراتيجية الأمنية برنامجا لدعم المصالح الأمريكية في مختلف أنحاء العالم خلال الفترة وحتى عام (٢٠١٥) التـي تدعـو إلى تدعيم الأمن الدولي بصورة ما تتمشى مع المصالح الأمريكية وإمكانية مواجهة الأزمات والاستعداد لمواجهة التحديات في المستقبل ولقـد نجحـت هـذه الاسـتراتيجية في ترتيب أولويات التهديدات رغم التفوق التكنولوجي وقدرة الأجهزة الأمنية على تحديد التوقعات في مختلف أنحاء العالم سـواء بانتشـار القـوات الأمريكية أو بشبكات الإنذار المسيطرة على أرجاء المعمـورة. ولقد اكتسبت العديد من القضايا التي كانت من موضوعات العولمة صـبغة ذات تأثـير مباشر في الشئون الداخلية الأمريكية في تبادل عكسي لما جرى عند انطلاق عمليات العولمة، وقد أصبحت العديد من هذه القضايا محاور رئيسية في السياسة الخارجية الأمريكية انطلاقا من كونها القوة الوحيدة المهيمنة علـى العالم، إلا أنها شهدت بعض الانتكاسات.ولا شك أن عملية صنع السياسة الخارجـية فـي القـرن الحادي والعشرين عملية مركبة وتعد الولايات المتحدة نموذجـاً مثالـياً للتخطـيط المؤسسي فهي مجموعة من العمليات تتم في دوائر

واسعة وتخضع لمراجعات دورية وبالتالي فإن عملية اتهامها بالتقصير في التخطيط تؤخذ على حذر حيث إن محددات تقييم الأمور قد تستبعد بعض أولويات السياسة الأمريكية التي ترتبط بمصالحها العليا ولا يستطيع باحث أن ينكر قدرة الاستراتيجية الأمريكية على المناورة والعمل إثناء إدارة الأزمات خاصة في ظل وجود فراغ استراتيجي مناوىء لقدراتها وهو ما دفعها لتغليب مصالحها الخاصة على جدول أعمال النظام الدولي.

لقد تعرضت السياسة الخارجية للإدارة الأمريكية الجديدة للانتقادات الحادة من أصدقاء وحلفاء التي حذرت من انتكاسات سياسية أرجعتها لاعتبارات أهمها سياسة القطب الواحد، والكيل بمكيالين واعتبار أن القوة هي الآلية الوحيدة لفرض سياستها الخارجية وهو ما أنهك الموازنة الأمريكية على حساب تنمية ورفاهية المجتمع الأمريكي لأن ما وقع بالفعل نتيجة للتداخل المعقد بالسياسات الأمريكية الاستعلائية بحيث كانت مشجعة ودافعة لقوى عديدة تعمل لمواجهة ومناهضة الحكومة في واشنطن.

إن هذه التجربة المريرة والمؤسفة تدعو كل إنسان مؤمن بالحرية والديمقراطية أن يرفضها وفي نفس الوقت يدعو الولايات المتحدة أن تراجع العديد من سياستها الداخلية والخارجية بحكمة لأن ما حدث نموذج يمكن أن يتكرر في أماكن عديدة من العالم وينعكس على أمنه وسلامته ويمكن الإشارة إلى مجموعة من هذه الانتقادات.

(أ) وقدمت "اليزابيث كريميو" عرضا لمشكلة نزعة الهيمنة في كتاب عن الزعامة الأمريكية American Leadership (١٩٩٩) والتي عارضها بشدة "بول كنيدي" عن مولد وزوال القوة العظمى ونهاية السيادة الأمريكية نتيجة للمغالاة في إضفاء صبغة الحجم الكولونيالي عليها وقد رأت "كريميو" أن النفوذ والسلطة هي القدرة على الفعل؛ وفعل الفعل، ومنع الفعل للآخرين لانتهاج سلوكيات معينة وقد فشلت سياسة "بوش الأب" (١٩٨٨)

باتباعها مذهب "ترومان" بسياسة سد الحواجز والاحتواء كما فشلت الديمقراطية الموسعة التي أعلنها "كلينتون" (١٩٩٢) والتي أشعلت الحرب ضد الحمائية وإصرارها على أن ما هو صالح لأمريكا ينبغي أن يكون صالحاً للعالم بأثره وهو ما لم تثبت صحته، كما ثبت فشل سياسات "بوش الابن" (٢٠٠١) وإهماله لأهمية دور الولايات المتحدة في توجيه السياسة الخارجية الذي أطلق العنان لإرهاب الدولة الذى تمارسه إسرائيل ضد شعب أعزل في فلسطين المحتلة. ولقد بلغت الهيمنة الأمريكية داخلياً وخارجياً مبلغاً من القسوة لا يستهان به وهو ما تنبأ به "الفريد فالا داو" من أن القرن الحادي والعشرين هو قرن الزعامة الأمريكية ولن يتحقق ذلك إلا إذا أنقذت أمريكا نفسها من نفسها

(ب) وقد أكد الرئيس "بوش الأب" (١٩٩١) أن هدف الولايات المتحدة في مناطق عديدة من العالم هو تحقيق الاستقرار إلا أن العدو الأول هو عدم القدرة على التنبؤ، وإذا كان البيت الأبيض كذلك فكيف يأمن المواطن العادي لإدارة واشنطن التي يتحمل هو وحده نتيجة تقصيرها ؟.

## ٣- ما لم تتحدث عنه استراتيجية الأمن القومي:

وتطرقت دورية "شئون سياسية" إلى القضايا التي لم تتناولها استراتيجية الأمن القومي، معتبرة أن ذلك التجاهل ربما كان عن قصد، حيث إن استراتيجية الأمن القومي لبوش تحظى بأجندة لا تعلن عنها الإدارة، ويتعلق ذلك بالسبب وراء نظر الإدارة إلى الطغاة في عالم ما بعد ١١ سبتمبر على أنهم يمثلون نفس الخطر الذي يمثله الإرهابيون.

وقد حاول بوش شرح هذه العلاقة في خطاب حالة الاتحاد في يناير (٢٠٠٢) عندما حذر من خطر دول محور الشر المكون من العراق وإيران وكوريا الشمالية. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه العبارة تربك أكثر مما توضح، وذلك نظراً لأن صدام حسين والطبقة الحاكمة من رجال الدين في إيران وكيم

جونـــج ليســـوا هـــم الطغاة الوحيدون في العالم، كما أن العلاقة بين كل منهما والآخـــر ليست واضحة، بالإضافة إلى أن عدم توضيح لماذا لا يمكن أن تعمل سياسة الاحتواء والردع ضد هؤلاء الطغاة؟.

ولـــم تعلن كل من استراتيجية الأمن القومي وخطاب ويست بوينت الكثير عن "محور الشر"، وكما يتضح الآن فإن هذه العبارة عكست حماسة مفرطة في كـــتابة الخطاب وليس التفكير المتسم بالحرص. وقال بوش الابن: "وإذا كررنا انتصـــارنا في أفغانستان على ضفاف نهر الفرات، يمكننا تحقيق صفقة عظيمة، حيـــث ســـنتمكن من إتمام المهمة غير المنتهية لبوش في حرب الخليج الثانية، والقضـــاء أيضاً على أسلحة الدمار الشامل التي قد يكون قد جمعها العراق منذ ذلـــك الحين. وسوف يمكننا أيضاً من منع الدعم الذي يقدمه للإرهابيين خاصة الذيـــن يعملـــون ضد إسرائيل، ونتمكن أيضاً من تحرير الشعب العراقي نفسه، وضمان الإمدادات الوفيرة من النفط الرخيص. وسوف نتمكن أيضاً من البدء في عملـــية طويلـــة لتقويض دعائم الأنظمة الرجعية في المنطقة والقضاء عليها في الـــنهاية وبذلـــك نقضـــي على التربة الخصبة الأساسية للإرهاب، ونقل منطقة الشرق الأوسط إلى العالم الحديث".

وأوضـــحت مجلة الشئون السياسية "Foreign Policy" مصادر الخلل المحتملة في الاستراتيجية الكبرى لبوش في المحورين التاليين:

أ- **تعـــدد المهـــام:** فقـــد حذر برنت سكوكروفت وآل جور من الانحراف عن الحـــرب ضد الإهاب إذا اتخذت الولايات المتحدة إجراء ضد صدام حسين، اســـتنادا إلـــى مـــبدأ الـــتعاون مـــع عـــدو واحد. ولكن هناك مجموعة من الاســـتراتيجيات الناجحة قد انتهكت هذا المبدأ، وهناك مثال واضح على ذلك الخلـــل وهـــو قرار روزفلت بالدخول في حربين في وقت واحد ضد ألمانيا والـــيابان مـــا بين عامي (١٩٤١)، (١٩٤٥). والمثال الآخر هو استراتيجية الاحـــتواء الخاصة بكينان والتي سعت إلى ردع الاتحاد السوفيتي وفى نفس

الوقـــت إنعاش الديمقراطية والرأسمالية في أوروبا الغربية واليابان. وتفسير كـــلا المثالين هو أن هذه الحروب كانت على جبهات مختلفة ضد نفس العدو وهـــو الفاشـــية والظروف التي كانت تخلقها. وترى إدارة بوش حربها ضد الإرهابييـــن والطغـــاة بنفس الطريقة، حيث إن المشكلة ليست هي أن صدام حســـين يؤيـــد تنظـــيم القـــاعدة بشـــكل فعال، ولكنها تكمن في أن الأنظمة الاســـتبدادية في الشرق الأوسط تدعم الإرهاب بشكل غير مباشر من خلال اســـتمرارها في خلق أجيال من العاطلين الذين لا يجدون من يمثلهم، وبذلك فهـــم يخلقون أجيالا من شباب لديه قابلية للتطرف والذين يستطيع أسامة بن لادن وأمثاله تجنيد أفراد منهم في شبكاتهم.

ب- **انتظار الترحيب:** تعتمد هذه الخطط بشكل كبير على توقع الترحيب بالقوات الأمريكـــية فـــي بغداد، وذلك مثلما حدث في كابول، وذلك لأنها مبنية أساسا علـــى الاعـــتقاد بأن الشعب العراقي سوف يفضل الاحتلال الأمريكي على الظروف الحالية التي يعيش فيها (وهو ما لم يحدث... حتى بعد الغزو).

وعـــلاوة علـــى ذلـــك فإن إدارة بوش لم تربط بعد بين السياسات الداخلية والاستراتيجية الكبرى، وهذا ما يعد أكبر فشل في القيادة حتى الآن، وهو الخلل الذي لابد من إصلاحه قبل الانحراف عن الاتجاه المقصود.

وخلصت "Foreign Policy" إلى نتيجة فحواها أنه على الرغم من هذه المشكلات، فإن استراتيجية بوش صائبة فيما يتعلق بتحديد الهدف، وذلك بالنظر إلـــى الظروف الجديدة التي تواجه الولايات المتحدة وحلفاءها، فقد كان الاحتواء كافـــيا خـــلال الحرب الباردة دون السعي إلى إصلاح الأنظمة الاستبدادية، فقد تركنا الاتحاد السوفيتي ليصلح نفسه. إن أهم استنتاج لاستراتيجية الأمن القومي الخاصـــة بـــبوش هي أن الافتراض الذي كان ساريا أيام الحرب الباردة لم يعد ممكـــنا الاعتماد عليه الآن، حيث إن استمرار الأنظمة الاستبدادية في كل مكان يمكن أن يعزز مشاعر الاستياء التي يمكنها أن تثير الإرهاب الذي يضرنا بشكل

خطير. وعلى ذلك فإن التقرير الخاص باستراتيجية الأمن القومي لبوش قد يعد أهـم عملية إعادة تشكيل للاستراتيجية الكبرى الأمريكية خلال أكثر من نصف قـرن، ويـنطوي ذلك على مخاطر كبيرة وذلك على الرغم من أنها قد لا تشبه المخاطر التي واجهها واضعو سياسة الأضواء عندما بدأت الحرب الباردة.

## ٤ – الاستراتيجية الأمريكية في الميزان:

أ- إن حالة السيولة الاستراتيجية في تحديد الأهداف هي من بقايا الحرب الباردة والإصرار على فكرة الإدارة بالمتناقضات ولأجل غير محدود، فقد استخدمت إسـرائيل تاريخـيا لتحجيم دور العرب إقليميا وها هي إسرائيل تخرج عن السـيطرة الأمريكـية فـي فرض القوة على نظام إقليمي بأكمله، كما كانت استخدام نوازع عقائدية إسلامية لمحاربة الشيوعية في مرحلة ما قبل انهيار الاتحـاد السـوفيتي حـتى عجز صانعاها (الولايات المتحدة وباكستان) عن السيطرة على مخلوقهما المشوه (طالبان) وبات الأمر أن الانتصار المزعوم وهـم، دلالته الحالة الأفغانية الحالية وكان الأمر التالي المستهدف هو تشويه صـورة الإسـلام والمسـلمين وهو ما غاب عن فطنة المجاهدين فأصبحوا وصمة في جبين التاريخ بعد أن كانوا نموذجاً للدفاع عن الحق.

ب-إن مـن الخطـأ تصدير أزمة الداخل الأمريكي وانتكاساته نتيجة سياسات خارجية غير فعالة إلى نطاقات إقليمية عديدة وإدارة حروب محدودة وهو ما يؤكـد بـالفعل غياب الاستراتيجية أو قرب نهايتها لأن إدارة المصالح العليا للدول والحفاظ على أمن وسلامة العالم لا تكون بسياسات ردود الأفعال.

ج- لقد صاغ البنتاجون بالفعل نظرية يطلق عليها "استراتيجية من نوع مختلف" "strategy asymmetric"وهـي إدارة الموقف المحدود لمواجهة أحداث طارئة وهو ما يعنى أن هنالك سيناريوهات لمواجهة عدو غير محدد الملامح وهـي تعـتمد علـى فريق عمل مدرب للعمل داخل الحدث ذاته في توقيت مناسب وهي بهذا المفهوم لا يمكن أن تدرج تحت مفهوم الاستراتيجية والأدق

ان تـــرج تحـــت مفهوم (إدارة الأزمة) فالاستراتيجية غير منوطة بالإدارة التكتيكـــية للحدث أو الفعل مثل التصدي لعمليات (الكاميكازا) التي كان يقوم بهـــا طـــيارو اليابان بعمليات انتحارية باعتقاد أنها الريح الإلهية إلا أن هذه الفكـــرة اليابانية كانت هي بداية النهاية ونتيجة الحرب في جنوب شرق آسيا ومواجهة "الكاميكازا "المعاصرة تحتاج إلى الحكمة والعدل معا.

د- مـــن أهم الدروس المستفادة هو الحاجة إلى بناء استراتيجية معلوماتية جديدة أحـــد أهم عناصرها هي مرحلة كشف النوايا وهى مرحلة تسبق المؤشرات ورغـــم صـــعوبة هذه المرحلة إلا أنها تعتمد على مداخل تنبؤية يعتمد على قياســـات وردود أفعـــال دورية باستخدام مجموعة من الوسائل البحثية غير التقليدية فى جمع المعلومات وتحليلها.

## ٥- الدلالات الاستراتيجية لفشل منظومة الأمن القومي الأمريكي "في مواجهة الإرهاب":

### أ- الدلالات الأمنية والمعلوماتية

(١) أن هـــناك حالة صراعية بين الأجهزة الأمنية والمعلوماتية نابعة أساسا من تنافســـها في الأداء وهذا التنافس أدى إلى فشل تنسيقي بين الأجهزة وهو ما دعا "البنتاجون" أن يعلن رسميا عن إنشاء جهاز أمنى واستخباري خاص به بعد هذه الأحداث، ومن المعروف أن صراع الأجهزة والمؤسسات هي سمة من سمات العالم الثالث تستخدم لضمان الولاء للنظام والمفترض أن الولايات المـــتحدة لا تعـــيش هذه الحالة وإن كان قد ثبت العكس، ويبقى التساؤل عن جدوى تعدد المصادر المعلوماتية. هل من الأفضل تكاملها أم تصارعها ؟

(٢) فـــإذا كـــان هناك سوق، واسع لبيع السلع والخدمات للمستهلكين يهدف سير العملـــيات داخـــل أروقـــة الشركات الكبرى والمتعددة الجنسيات فإن هناك مـــنظومات أخـــرى للاتجار في المعلومات وهو ما يعنى أن هناك تحالفات

معلوماتية بين هذه الشركات بحيث تعد سوقا واسعا لأجهزة الجاسوسية وهذا التحالف غير الشرعي أنجب قدرات معلوماتية مباحا أمكن للمنظمات الرافضة استخدامها. ومن المؤسف أن الحد الفاصل بين التجسس العام والخاص تلاشى تدريجيا مع انتشار دور هذه الشركات خاصة مع اشتعال التنافسية وكان هذا السوق مدخلاً واسعاً للمعلومات الإسرائيلية الكاذبة والمهولة لحجم أسلحة الدمار الشامل للعراق.. وهو ما استندت إليه الولايات المتحدة في تبرير غزوها للعراق.

(٣) وأخيرا ارتبط متغيران رئيسيان بعضهما ببعض الأول اتساع دور "اتحاد تجارة المخدرات الدولية" "IDTU" والثاني هو "سوق الجواسيس" وذلك من خلال فكرة "جيمس ميلز" من أن هناك إمبراطورية خفية تمتلك السلطة والثروة أكثر من دول عديدة وهو ما عرض له "ألفين توفللر" في كتابه تحول القوة "Power Shift"، ومن المؤكد أن تحالف اتحاد المخدرات وتجارة المعلومات قد استفاد من عجز القوانين الدولية بهذا الشأن وهو ما دعا إلى تسمية وكالة المخابرات الأمريكية "CIA" بالشركة وهو ما يعنى صراحة خصخصة التجسس إن جاز التعبير.

(٤) أن ما حدث وشاهدناه يعني أن هناك دولة خفية داخل المنظومة المؤسسية الأمريكية استطاعت أن تخترق العديد من المنظومات الأمنية وحتى الإدارة الأمريكية نفسها التي تأكد تبنيها لفكر الجاكسونيين المؤيّد من المسيحية الصهيونية ومن ثم فقوتها متعاظمة ولا يمكن الإشارة إليها بسهولة دونما أن تراجع الحكومة الأمريكية منظوماتها الأمنية والبحثية كاملة ودورها في دعم المنظمات المدنية التي كان من المفترض أنها تحقق أهدافا لصالح المجتمع الأمريكي إلا أنها انقلبت على صانعيها وتضاد مصالح الحكومة الفيدرالية وتعاونت مع منظمات خارجية.

ب-الدلالات العسكرية

١-على المستوى العسكري والأمني، بالغ بعض الخبراء من أن هناك حالة من الانكشاف الاستراتيجي للمنظومة الدفاعية الأمريكية، وهذا زعم باطل، إن ما حدث لم يكن عملا عدائيا من قبل عدو متوقع قائم من اتجاه تهديد محدد سبق الاستعداد له وحتى يتم صده، بل إن اختراق المنظومة تم من خلال اختراق معلوماتي وتعديل مسار طائرات عرف بعدها أنها مختطفة خرجت عن ممرات الملاحة الجوية المحددة دولياً وهو أمر عادة ما يقع نتيجة خطأ ملاحي أو لسوء الأحوال الجوية يتم تداركه بواسطة أبراج المراقبة والمتابعة الجوية في مراحلها الأولى (والخطأ البين كان واضحاً في منظومة الدفاع عن البنتاجون "كهدف استراتيجي" يلزم توفير الحماية له في السلم قبل الحرب وضد كل صور العدائيات).

٢- فشل الاستعداد لمواجهة استراتيجية الحرب غير المتكافئة، وهى شكل من أشكال صراع القيم غير المتكافئة وقد حذر بعض الخبراء داخل البنتاجون من طبيعة هذا الصراع التي تحصر فكرتها في استخدام وسائل غير متوقعة وأفكار بسيطة لإحداث خسائر جسيمة في أهداف كبيرة وهذه الحالة عادة ما تكون نتيجة لاختلال جسيم في ميزان القوى ليجبر الطرف الأقوى على الإذعان وهو ما يدعو الدول للعمل غير الملتزم باحترام القوانين الدولية أمام دول تستخدم القوى بموجب قوانين وتشريعات دولية.

٣- أن ما حدث قد يكون نموذجا متكررا لحرب المستقبل والتي لا تخضع لقانون بل تخضع لابتزاز الإرهاب وهو المعنى الدقيق للا قانون في كل ممارساته بدءا من الدافع إلى الوسيلة إلى النتيجة وقد تكون بداية لدحض الاستراتيجيات وهو ما يدعو إلى مراجعة الاعتمادية المطلقة على السيطرة الآلية مع البحث عن خيارات وبدائل تحقق السيطرة على سير العمليات وليس معنى ذلك الاستغراق في التقليدية أو العودة إلى البدائية بل في البحث عن

وسائل وأدوات يصعب اجتيازها أو استيعابها لغير المتخصصين في المجال الأمني أو العسكري.

٤- أن احتكار القوة وأن الأمن الجماعي يتطلبان وجود نظام أمني وتكامل جماعي دولي وأن مواجهة الإرهاب ليس بالإجراءات الأمنية فقط بل بالتعامل مع أسباب الظاهرة والعودة إلى احترام الشرعية والقانون الدولي ومحدداتها.

## ج- الدلالات السياسية

(١) لقد ارتكبت الإدارة الأمريكية عدة أخطاء استراتيجية ما كان ينبغي أن تصدر عن قوى عظمى منوطة بقيادة العالم نوجزها في الآتي: الانسحاب من توقيع معاهدة "كيوتو" وهي المنظمة المقاومة للإضرار بالبيئة، ورفض توقيع معاهدة إنشاء المحكمة الدولية لمجرمي الحرب تجنبا لمحاكمة عسكريين أمريكيين عن جرائم ارتكبت في فيتنام أو ارتكبها قادة إسرائيليون ضد جنود في الجولات العربية الأربعة، رفض مقترح التسوية حول الأبحاث الجرثومية والبيولوجية والعمل على عسكرة الفضاء واستغلاله للأهداف عسكرية، إلى جانب الصمت عما يدور من جرائم لا إنسانية ضد شعب فلسطين الأعزل أمام آلة الحرب الإسرائيلية، ثم التقاعس غير المبرر عن ممارسة دور إيجابي وإنساني فعال في صراعات داخلية في أماكن عديدة من العالم، هذا غير مهادنة نظم حكم تسلطية تمارس سطوة الأوليجاركية الحديدية والبطش بقواعد المجتمع المدني، وأخيرا ما حدث في مؤتمر ديربان بجنوب أفريقيا وانسحاب الولايات المتحدة مما أضعف مصداقيته الادعاء الأمريكي حماية حقوق الإنسان، ووقوفها منفردة إلى جانب العنصرية الإسرائيلية كل هذا أدى إلى تراجع دور الأمم المتحدة في قضايا دولية عديدة لا مناص من تدويلها تجنبا لانعكاساتها السلبية وحفاظا على النظام الدولي.

(٢) كما أن نموذج الهيمنة الثقافية والإعلامية على العالم من أنماط الاستهلاك المعلوماتي وهي على ما يبدو قشور الهيمنة الثقافية التي ترتكز على تقدمها

التكنولوجـــي وفى هذا الإطار استبدلت الولايات المتحدة دور الزعيم الدولي لتشغل دور المدير الدولي وهناك فارق شاسع بينهما فدور الزعامة يعنى أنها دولة قوية وأن الدولة ترى في أدائها نموذجاً في اتجاه الصالح العام أما دور المديـــر فيعنى العكس بأنها دولة قوية تحذو حذوها دولة أخرى لأنه لا بديل لها عن ذلك وهو ما يعني أنه نموذج جبري وقمعي والواقع أن سياسة هيمنة الإدارة قد انعكست على الداخل الأمريكي فاتجهت الدولة نحو خدمة الشركات الكبرى فحققت نتائج اقتصادية مذهلة في ظل ارتفاع معاناة نسبة متزايدة من الشعب الأمريكي.

(٣) أعلن "توماس دونالي" وهو نائب مشروع القرن الأمريكي من أن الولايات المـتحدة ســوف تتخبط في سياساتها الخارجية وأن الأمريكيين لن يصبروا طويـــلا علـــى فشـــل هذه السياسات وحجم الكراهية المتصاعدة ضدهم في الخارج.

## د- الدلالات الداخلية

(١) يعـــتقد الأمريكي النموذجي أن حوالي نصف أموال الضرائب الفيدرالية يتم إهدارهـــا ويرغـــب٨٥% مـــن شباب الولايات المتحدة في التغيير كما يرى ٥١% مـــنهم أن الحكومة الفيدرالية في حاجة إلى تغييرات شاملة كما طلب ٣٤% إلـــى إيقاف عمليات التوسع اللانهائية للحكومة الفيدرالية برغم وعود الرؤســـاء لتخفيضـــها منذ تولي نيكسون الحكم حتى بلغ معدل نمو العاملين بالحكومة ٢,٧% .

(٢) فشـــل محاولة إذابة الخلافات العرقية فإنجيل العرقية الجديدة يرفض تصور الذوبان من كافة الثقافات في ثقافة واحدة وأن أمريكا دولة جماعات وأن هذا التقســـيم العرقي هو الكيان الأساسي للمجتمع الأمريكي وخير دليل على ذلك ما تقوم به بعض الجامعات من الدعوة للأصول والهويات العرقية وتكريسها وهو ما يغذى روح التحيز وإثارة العداوات.

(٣) ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة الوحيدة المهيمنة على العالم سياسيا واقتصاديا وثقافيا إلا أن المجتمع الأمريكي يشهد مجموعة من الظواهر الاجتماعية السلبية مثل المجتمعات الفقيرة، وتجمعات الأقليات العرقية، وارتفاع معدلات الجريمة... كل هذه الظواهر من شأنها أن يكون لها انعكاسات مجتمعية تؤكد هشاشة المجتمع الأمريكي برغم قوته الظاهرة للعيان.

## ٦-الاستراتيجية الأمريكية وتهديدها للأمن القومي العربي:

يرى بعض المحللين أن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي تمثل تهديداً للأمن القومي العربي، وذلك نظراً لما يلي[١]:

أ-هناك مظاهر قلق كثيرة ومنها: ما يتفق عليه المهتمون بهذه التحولات من خبراء السياسة الخارجية في أوروبا والولايات المتحدة، من أن السياسة الأمريكية الجديدة، ستحدث اضطراباً في الأسس التي تقوم عليها العلاقات الدولية، وبدء مرحلة من عدم الاستقرار في الشرق الأوسط، وهجمة على مفهوم سياسة الدولة على أرضها، وتجاهل للقانون الدولي، واستبعاد الحاجة للحلفاء، لتتمكن الولايات المتحدة دون قيود من أحد من الانفراد بفعل ما تريد، في الوقت الذي تريده، وفي أي مكان تريد.

ب-كشفت وثيقة الأمن القومي للولايات المتحدة بطلان مفعول كل القواعد والأسس والمعاهدات التي كانت تحكم سياسة الولايات المتحدة طوال الأعوام الخمسين الماضية، تجاه دول العالم للصديق منها والعدو، وأنها قد تحولت - حسب تعبير خبير السياسة الخارجية الأمريكي روبرت تيتر - من سياسات خارجية دفاعية، إلى الموقف الهجومي، وأن الهجوم لن يعتمد على معلومات

---

(١) عاطف الغمري صحيفة الأهرام، في ٢٠٠٢/١١/١٣.

عـــن الخصم أو العدو الذي وضعته نصب أعينها، لكنه يعتمد على الشبهة، والتكهنات، بل وعدم التأكد، وعدم اليقين بالنسبة لنيات من افترضته عدواً.

هذه الشواهد فيما يخص العالم العربي، بدأت بوادرها تلوح **مثل:**

١) إطلاق طائرة أمريكية دون طيار صاروخاً على سيارة في شمال اليمن، قالوا إنها تقل أعضاء في تنظيم القاعدة بالطريقة نفسها التي اغتالت بها إســرائيل مـــن تراهم أعداء لها من الفلسطينيين كما سبق أن فعلت في تونس، وتأتي عملية اليمن كأول تطبيق عملي للمبدأ الذي سبق أن تحدث عـــنه دونـــالد رامســـفيلد وزير الدفاع الأمريكي: بأننا قد نقوم بعمليات بوحدات خاصة لملاحقة عناصر إرهابية في حربنا على الإرهاب، داخل دول، ودون علم حكومات هذه الدول.

٢) بـــيان الرئاســـة الأمريكية الذي يصف السودان بأنها خطر على السياسة الخارجية والأمن القومي للولايات المتحدة، متزافقاً مع تجديد الكونجرس للقـــانون الصـــادر عـــام (١٩٨٧) باستمرار العقوبات المفروضة على الســـودان، ولـــنا أن نتأمل معنى اختيار تعبير خطر على الأمن القومي للولايـــات المـــتحدة، وما يجر إليه ذلك من احتمالات مثيرة للقلق وعدم الارتياح.

٣) تقرير المخابرات العسكرية الإسرائيلية الذي تسرب أخيراً متضمناً إدراج إيران وليبيا ضمن القائمة الأمريكية للدول التي ترى أنها مصادر تهديد استراتيجي لها.

وتصريح أرييل شارون القائل بأنه في اليوم الثاني للانتهاء من الحرب على العـــراق، ســـوف تكـــون هناك ضغوط حتى توضع إيران على رأس القائمة. ولا يخفى أن الضربة العسكرية للعراق، مقصود بها – بخلاف الأســـباب التي تخص العراق – أن تحدث هزة فيما يحيط بها، فالعراق تحيط به إيران، وسوريا، والسعودية، والكويت، والأردن، وتركيا، وإذا

ضـــربت إيران في التوقيت الذي يتصوره أو يريده شارون، فإن دائرة الاهتزاز الإقليمي تتسع وتتعمق.

٤) وضع مبدأ عدم الحاجة إلى دليل لإثبات عداء أو جهة أو حتى نية العداء لـــدى دولـــة تقرر الولايات المتحدة التدخل فيها، أو توجيه ضربة لها، وخطوط هذا المبدأ جاءت (لتطبق على العراق) – على لسان رامسفيلد حيـــن قـــال أخيراً: "لو أننا انتظرنا إلى أن نصل إلى دليل على امتلاك نظـــام ما لأسلحة الدمار، فسوف يكون الوقت قد فات، بعد أن يكون هذا الـــنظام قـــد اســـتعمل أسلحته". وقول بول وولفيتز نائب وزير الدفاع، وصـــاحب النظريات التي تتحول إلى صياغات استراتيجية في الإدارة الحالـــية: "إن الدليل هو الطريقة التي تفكر فيها بالنسبة لتطبيق القانون، وأعـــتقد أن الأمر في حالة الحرب، يختلف عنه في حالة التصرف في إجراءات قضائية"، وأبدى وولفيتز عدم اقتناعه بأنه يحتاج إلى دليل على وجـــود خطـــر وشـــيك لتدبير حملة التخلص من صدام. أي أن الاتجاه يطمـــس مفهوم ميثاق الأمم المتحدة، والقانون الدولي، ويجعل الولايات المـــتحدة تأخذ في يدها التصرف منفردة في تجاهل للآخرين، وللأسس المستقرة للعلاقات الدولية، وصيانة الأمن القومي للدول الأخرى.

ج–إن الخريطة الإقليمية المطلوب إعادة رسمها، هي الخريطة السياسية لعالمنا العربي، المستهدف خلخلة أوضاعه، وهو ما يلقي على العالم العربي تبعية لا يســـتطيع تفـــادي تحملها، فهي مصير وليس مجرد مشكلة أو نزاع أو أزمة عارضـــة، وهـــو ما يجرنا للتساؤل: أليس مهما أن نتدارس الأمر مع قوى دولـــية أخـــرى يجمعـــنا معهـــا مشاعر القلق نفسها، نتحاور ونتبادل الرأي والمشـــورة وقـــبل هـــذا كله، أن يكون لنا مشروع متكامل بهمومنا وفكرنا وتصـــوراتنا، ندخل به هذه المناقشة وقد جهزنا أنفسنا لها، حتى نخرج منها بمـــا يفيد. إن الآخرين يتصرفون على هذا النحو، لأن لديهم فكراً استراتيجياً

يحكـــم حركـــتهم، ســـواء بالتصرف إزاء ما هو مستمر وثابت على الجبهة الأخـــرى من علاقاتهم، أو سواء بمراجعة فكرهم ومواقفهم حتى لا يضعف مركزهم في المواجهات الاستراتيجية مع الآخرين، خصوماً كانوا أم أصدقاء، وبالتالـــي فلكي نفعل مثلهم، لابد أن يكون هناك أولا فكر استراتيجي عربي، يســـتوعب ما يحدث حولنا من تحولات، وتأثيراتها المحتملة على أوضاعنا، ســـواء كانت هذه التأثيرات متوقعة عن يقين، أو حتى في عداد الاحتمالات. فالعـــالم العربـــي بكاملـــه موضـــوع علـــى خط واحد من زاوية نظر فكر اســـتراتيجي آخر، فهل يترك نفسه للرياح الاستراتيجية للآخرين تهب عليه وتطـــوح به كيف تريد، وأينما تريد، وهو ملقى في العراء السياسي، منزوع الفكـــر، مجـــرد من رداء استراتيجي، ويحمي أمنه القومي، أو يبلور لنفسه فكـــراً، ولـــو عـــند الحد الأدنى الممكن، ويحمل لذاته مشروعاً يتقدم به إلى الآخريـــن المشغولين بدراسة ما سيجري لمنطقتنا، يفكر معهم، ويتدارس، ما دامت لهم ردود الفعل نفسها إزاء التحولات في السياسة الأمريكية، وما داموا يبحـــثون في إيجاد خيارات وسياسات وبدائل، يتعاملون بها مع الواقع الجديد الـــذي ســـيحل علـــى العالم، يرتقون بها إلى مستوى ما يحدث، لا أن يظلوا قابعين في مكانهم والتغيرات تعلو من حولهم موجات فوق موجات.

## ٧- بداية ترويج فكرة الغزو:

مـــع نهاية شهر ديسمبر عام (٢٠٠٢) ظهر فيه بوش في غرفة روزفيلت ليعلـــن "أن اللعبة قد انتهت" وليعطي الضوء الأخضر لخطاب باول أمام مجلس الأمـــن، إصدار البيت الأبيض توجيهات لأكبر مسؤولين بوزارة الدفاع لإجراء سلســـلة غـــير عادية من المقابلات التليفزيونية يركزون فيها على أهمية خطاب بـــاول. وقـــد أجـــرى وزير الدفاع دونالد رامسفيلد مقابلات وأدلى بتصريحات لتلفزيون "إيه بي سي" في لوس أنجليس و "فوكس" بشيكاغو و "إن بي سي" في سياتل و"سي بي إس" في منيابوليس وأجرى بول ولفويتز، الرجل الثاني بوزارة

الدفـــاع والمعـــروف بمواقفـــه المتشددة إزاء العراق مقابلات مع قنوات التلفزة المحلـــية فـــي نيويورك وكليفلاند وسان فرانسيسكو. وأجرت "كوندليزا رايس" مقابلات على نفس المنوال مع تليفزيون "سي إن إن" وبرنامج "لاري كينغ على الهواء" وبرنامج "نايتلاين" في محطة "إيه بي سي".

وقـــال "دان بارتليـــت"، مديـــر الاتصالات بالبيت الأبيض: "كنا نعرف أن مقابلات المسؤولين الجماهيرية ستتكاثر وكذلك التصريحات حول طبيعة الخطر من جهته، قال ماثيو داود، المخطط الاستراتيجي الذي يشرف على استطلاعات الـــرأي للبيت الأبيض، أنه لم تجر استطلاعات الآراء لقياس ردود الفعل سواء مـــن قـــبل البيـــت الأبـــيض أو من هيئة الاستطلاعات القومية التابعة للحزب الجمهـــوري. لكـــنه أضـــاف إنه كان سعيداً لنتائج الاستطلاعات الأخرى التي أوضـــحت تزايد التأييد للعمل ضد صدام حسين، حيث إن ستين في المائة قالوا إنهم يؤيدون الحرب ضد العراق. وقال داود الاستطلاعات التي أجريت في تلك اللـــيلة كانت كلها جيدة. ولكنها ليلة واحدة، وكنت أتوقع فعلاً أن تحدث قفزة. ما يهمني هو الموقف بعد أسبوع من الآن.

– مـــع كـــل ذلك فان حملة البيت الأبيض صادفتها عثرات كثيرة وعقبات كبيرة. فقد كان الجدل مستمراً بين كبار مساعدي بوش للأمن القومي، حتى ليلة إلقـــاء خطاب "باول"، حول كمية وطبيعة المعلومات التي ينبغي كشفها. وكان هـــذا الجدل يكشف التوتر بين أولئك الذين يركزون على أهمية إقناع الجمهور بخطـــر صـــدام حســـين، وأولـــئك الذين يخشون تعريض مصادر المعلومات الاســـتخبارية إلـــى الخطـــر وانزعج مسئولو الإدارة كذلك عندما صرح وزير الخارجية الفرنسي، في مؤتمر عقده بالأمم المتحدة يوم ٢٠ يناير(٢٠٠٣)، وقال فـــيه "لا شيء لا شيء مطلقا" يبرر الحرب. وكان مفتشو الأمم المتحدة يطلبون في تلك اللحظات نفسها تمديد مهمتهم شهورا أخرى لإكمال عملهم،،،

## ٨- انعكاسات الاستراتيجية الأمريكية الجديدة:

أ- لقد ثبت أنه من الخطأ اعتقاد الاستراتيجية الأمريكية أن القوة هي الأداة الوحيدة لفرض هيمنتها للعمل من أجل تحقيق الأمن والاستقرار الدولي، لقد حددت الولايات المتحدة هدفاً استراتيجيا هو التصدي للإرهاب الدولي ومنع تعرض القوات الأمريكية لأعمال إرهابية من خلال زيادة القدرة على جمع المعلومات على المستوى الدولي، وثبت فشل تحقيق الهدف وضعف المنظومة الأمريكية المنفردة عند التعرض لحادثة الهجوم على المدمرة "كول" أغفلت الاستراتيجية الأمريكية أن يكون الإرهاب موجها للداخل الأمريكي ومن إفرازاته وسياساته المجتمعية بل تجاهلت التغذية العكسية لفشل السياسات الخارجية وانعكاساتها في تعبئة العنف وتوجيهه داخل المجتمع الأمريكي.

ب- لقد ارتضت العديد من دول العالم أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة العسكرية الوحيدة المسيطرة والتي تعمل لصالح الأمم المتحدة إلا أن الأمر سرعان ما سار على غير هدى بل وتعدى وتحدى الشرعية الدولية ذاتها كما أن هذه الاستراتيجية نعمت بدعم الآلة الإعلامية المسيطر عليها من قبل اللوبي اليهودي وأصبحت تصريحات الرئيس الأمريكي الأسبوعية جزءا من منظومة هذه الآلة وتعبر عن قوى تعمل في الخفاء داخل الإدارة الأمريكية. وبرغم مطالبة العديد من الخبراء ومراكز الأبحاث بضرورة مراجعة الولايات المتحدة منظوماتها الاستراتيجية سواء الخارجية أو العسكرية أو الأمنية إلا أنها أصرت على رؤية أحادية في إدارتها لصراعات إقليمية تأكد فشلها دون التسمية لصراع بعينه وذلك نتيجة لعدم قدرتها على صياغة معادلة توازن طبيعي للصراع دون إجحاف طرف على طرف آخر .ولقد شاهدنا نتيجة هذا الإجحاف في إدارة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وإهدار الدم الفلسطيني من أجل أمن إسرائيل وأيضا على مستوى إدارة صراعات داخلية بين عناصر قوى المجتمع الأمريكي ذاته ويمكن

إرجاع دواعي الفشل إلى تعظيم دور الأجهزة الأمنية والمعلوماتية الأمريكية التي أصابها الوهن والضعف حتى في تقدير حجم وطبيعة التهديدات الداخلية.

ج- إنـــه من الخطأ في الإدارة الاستراتيجية لهذه الأزمة إن جاز التوصيف في مواجهـــة الإرهـــاب أو دول محور الشر كما تسميها الاستراتيجية الأمريكية وتتصرف الولايات المتحدة منفردة وبعيداً عن الشرعية الدولية لأن هذا يعني تفكيك النظام الدولي وتعد سابقة ومؤشرا لإحلال الفوضى وبمعنى أدق انهيار منظومة العلاقات الدولية.

إنـــنا لا نقـــف اليوم في نهاية التاريخ كما حاول (فرنسيس فوكاياما) أن يوهمنا ولكـــن نمر بمنعطف تاريخي ومأساوي فإذا ما تعرض العالم لاستمرار هذا الـــنمط العشـــوائي من العمليات الإرهابية اللامحدودة فسوف تؤول الحروب التقليدية إلى الانقراض، كما أنها دون مبالغة قد تكون نهاية تراجع المشروع الإنساني لرفاهية البشرية في القرن الحادي والعشرين.

د- ويـــرى البعض أن أحداث الإرهاب في العديد من مناطق العالم وما وقع في واشـــنطن ونـــيويورك هي صناعة لسياسات أمريكية استمرت لعقود تتجاهل حقـــوق الإنسان الأمريكي في الداخل وحقوق الإنسان في بؤر صراع عديدة مـــن العـــالم وهو ما أطلق عليه بعض علماء الاجتماع بأنه "الغباء السياسي المطلـــق" وهـــا هي النتيجة أن المواطن الأمريكي هو أول المعانين من هذا الغـــباء والعنـــت الأمريكـــي ويمكن الاستدلال الأولي على ذلك من اختيار الأهـــداف الاقتصـــادية والأمنـــية الأمريكـــية وهـــو ما يعني ضرب الكيان الاقتصادي الأمريكي المرفوض وبالتالي لا يمكن استبعاد احتمالات أن يكون وراء هـــذه الأحداث منظمات عالية المستوى بكفاءة معلوماتية وتقنية رفيعة المســـتوى يصـــعب أن تـــتوافر لمـــنظمات منفردة دون اختراق لمنظومات معلوماتـــية أمريكـــية بحيـــث يـــبدو الأمر من أن القائم على إدارتها أجهزة معلوماتية ومخابراتية دولية.

هـ- كما أن سياسات بوش الدفاعية وبرنامج إصلاح المنظومة العسكرية جاء على حساب احتياجات المجتمع الأمريكي ومثل صورة بارزة لغطرسة القوة وتأكيد الهيبة ضد مصالح قوى عالمية أخرى ولقد ثبت للإدارة الأمريكية منذ تولـيها أن مـنهجها فـي اتباع فكر "إدارة المصالح بالأزمات" [مستفيدة من خـبرات الحرب الباردة التي بالغت في إهانة الثقافة اليابانية وعجلت بانهيار الاتحاد السوفيتي ونجحت في الشرق الأوسط منذ سقوط الشاه وحتى تحرير الكويت ولـم تتوقف عن ذلك منذ مدريد وحتى وصول شارون للحكـم في تـل أبيب] وها هي نتائج وآثار فكر الإدارة بالأزمة تظهر في عنف مأسوي ضـد المصالح الأمريكية ذاتها وأغفلت فكر "درء الأزمة" واحتوائها بصفتها الحـاكم الفعلـي للعـالم وتخلت عن موقعها كراعٍ للسلام وبالتالي انحازت لمصـالح قوى بعينها وحتى على حساب الإنسان الأمريكي الذي زادت من حالة احتقان رؤى شعوب العالم للسياسة الأمريكية.

و- وبـدلا مـن الوصول إلى نتائج تبنى على مسلمات تم التوصل إليها إلا أن الأمـر في هذا الموقف المعقد يفرض علينا تساؤلات تحتاج لرؤى أمريكية جديدة تحترم حرية الإنسان في كل مكان ومن أهم هذه التساؤلات:

هـل تصـر الولايات المتحدة على استمرارها في استخدام القوة وإحلالها مكان الدبلوماسية كوسيلة رئيسية لتحقيق الأهداف؟ وهل تراجع الولايات المتحدة كـل التشـريعات التي يرى البعض أنها منافية لحقوق الإنسان مثل حق الهجرة وحـق المواطنة وحق حمل السلاح بدون ترخيص وحق التنقل الحر من ولاية إلـى أخـرى داخـل الفيدرالية الأمريكية؟ وهل يتراجع الكونجرس عن وضع ضوابط للإنفاق العسكري ؟ وهو غرض يفرض العسكريون سطوتهم من خلاله ودعماً للعسكرية؟ وأخيرا هل الاستراتيجية وحدها تكفي؟ في ظل استمرار تهديد الإرهـاب وحصوله على قدرات نوعية؟ وفي ظل تأييدها المطلق وغير العادل للسياسات الإسرائيلية وممارساتها غير الإنسانية ضد الشعب الفلسطيني؟.

*وهذه بعض الدلالات على الساحة الأمريكية الأمنية والعسكرية والخارجية والداخلية كأولوية عاجلة ومن منطلق ما ذكره الرئيس "جيمي كارتر" لقد حان وقت الحساب والمراجعة وإن لم تكن الآن فمتى تكون المصالحة مع النفس؟" ومنها نستشرف دعوة لبناء استراتيجية دولية لمواجهة الإرهاب والذي لا يفرق بين دين أو جنس أو لون بما فيه إرهاب الدولة والذي تمارسه إسرائيل على سبيل المثال تحت مظلة الاستراتيجية الأمريكية بدلا من شن الحروب وتقسيم العالم إلى خيرين وأشرار.

# النِظامُ العَربيُ فِى دَائِرة الأَزمَة

تمهيد:

- أولا : القدرات العربية وانعكاساتها على النظام العربي .
- ثانيا : الإدارة العربية للأزمة .
- ثالثا : العراق وإدارته للأزمة

---

* أعد هذا الفصل لواء أ ح / عبد المنعم سعيد كاتو الخبير الاستراتيجي.
لواء أ ح د / محمد نجاتي إبراهيم الخبير الاستراتيجي.

## تمهيد:

عندما هبت عاصفة سبتمبر (٢٠٠١)، انطلاقا من الولايات المتحدة في اتجاه الشرقين الأوسط والأقصى فإن كثيرا من المحللين حاولوا استرجاع العديد من النظريات والفرضيات والأقوال المأثورة التي تعطى مدلولا لأسباب توجه العاصفة إلى تلك المنطقة الحساسة من العالم دون غيرها، وخصوصا أن معظم هذه النظريات قديمة، وطبقت في الحروب العالمية السابقة، ثم أثناء الحرب الباردة، وتساءل الجميع، هل يمكن تطبيق نفس النظريات في العصر أحادى القوة، أو عصر العولمة الذي نعيش فيه حاليا، وتعتلى الولايات المتحدة فيه قمة النظام العالمي، وتسيطر على أرجاء الكون، وتفرض نظريات العولمة الاقتصادية والسياسية على الجميع، كذلك شرعت في "أمركة" الثقافات والقيم في مختلف أنحاء العالم.

كانت بداية البحث واسترجاع النظريات، تتبلور في **النظرية الأولى** التي صاغها المفكر الاستراتيجي "نيكولوس جون سبيكمان" في علم الجيوبوليتكس[١]، والتي تتحدد في أن "سياسة تأمين الدولة يجب صياغتها من منظور جغرافي"، لذلك فقد حدد أن "أوراسيا"[٢] هي قلب الأرض الذي يدخل في نطاق الاهتمام الأمريكي، أما دول الهامش المحيطة، فهي التي تشمل معظم دول أوروبا (عدا روسيا)، ودول آسيا الصغرى، والبلاد العربية، وجنوب شرق آسيا والبحار

---

(١) مجموعة باحثين، التكتلات والأحلاق العسكرية، إدارة المطبوعات والنشر، ١٩٦٤، ص٧٣.

(٢) أوراسيا هي المنطقة الملتحمة ما بين أوربا وآسيا، وتشمل العديد من دول أوربا إلى جانب أجزاء من الاتحاد السوفيتى القديم، وقد حرصت الولايات المتحدة وأوربا مع أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتى إلى ضم (دول أوربا الشرقية) التي تمثل معظم أوراسيا إلى حلف الأطلنطي والاتحاد الأوروبي تحقيقا لتلك النظرية.

المحـيطة بهـا. ومن ذلك التحديد فقد بنى نظريته على أساس "من يسيطر على دول الهامش يحكم أوراسيا، ومن يحكم أوراسيا يسيطر على أرجاء العالم". وقد رأت الولايات المتحدة تطبيقا لاستراتيجيتها فيما بعد الحرب العالمية الثانية العمل على التدرج في السيطرة على المنطقة الشرق أوسطية وذلك بزرع إسرائيل أولا كقـاعدة غربـية مـتقدمة ثـم تكوين تحالفات على شاكلة حلف بغداد والحلف المركـزي أو تطبـيق نظرية أيزنهاور (يناير ١٩٧٥) لملء الفراغ في الشرق الأوسـط مـع تكوين قوات لها القدرة على الانتشار وتحقيق التفوق في المنطقة وأي مـناطق أخرى في العالم، ثم القفز على المنطقة والتواجد بها عندما تسمح الظـروف، وهو الذي تحقق فعلا اعتبارا من بداية عقد التسعينيات نتيجة للخطأ الكبـير الذي اقترفه العراق بغزوه للكويت، والذي أدى إلى متغيرات حادة على مسـتوى المـنطقة والعالم (يفهم من ذلك أن هناك ارتباطاً كاملاً ما بين الأمن العالمي والأمن العربي، لا يمكن تفكيكه أو التنصل من مسئولياته).

**الـنظرية الثانـية** قـيد البحـث: هـي نظـرية "والترليبمان" أحد علماء الاسـتراتيجية، وهـو يتناول في نظريته علاقة القوة العسكرية بالأمن القومي ويقـول: "إن الدولـة سـتكون آمـنة حينما لا تضطر إلى التضحية بمصالحها المشـروعة لتتجنـب الحرب.. بل تكون قادرة عند التحدث للمحافظة على تلك المصـالح بـأن تلوح بالحرب".. وهذا يعنى أن القوة العسكرية هي الأساس في تحقيق الأمن ضد العدوان الخارجي، وأي تهاون في تحقيق تلك القوة، هو تهاون فـي حـق الأمن القومي للدولة أو الإقليم، وسوف يكون له مردود هائل فيما لو تعرضت الدولة لعدوان سافر (وقد تعرضت دول العالم العربي فرادى لمثل هذا العدوان مرارا، وكانت له نتائجه الوخيمة التي تعانى منها حتى الآن). كذلك فإن هـذه النظرية ترتبط بسابقتها لتبرهن على أن توازن القوة وتوازن المصالح هو

الأســاس في العلاقات الدولية، وعندما تتهاون دولة في بناء قوتها، فإنها تخضع لتحكم القوى الخارجية فيها.. وهو حال الأمة العربية حاليا.

**النظرية الثالثة:** تنبع من مقولة تيودور هيرتزل مؤسس الحركة الصهيونية عام (١٨٩٦) في كتابه الدولة اليهودية حيث قال: "تبني من أجل أوروبا مخفرا أماميا في فلسطين للوقوف ضد آسيا، وسيكون هذا المخفر طليعة العالم المتحد ضــد الــبربرية، وسيشكل جدارا فاصلا بين السكان العرب في آسيا، والسكان العــرب في شمال أفريقيا، ويشير هيرتزل بنظريته هذه إلى إسرائيل، ووضعها المســتقبلي لتفصل ما بين المشرق والمغرب العربيين ولكي تصبح إسرائيل هي ذراع الغــرب الطويلــة للعــدوان على الأمة العربية المقولة للرئيس الأمريكي الأســبق ريتشارد نيكسون[1] ويذكر فيها "أن اكثر ما يهمنا في الشرق الأوسط، هــو الــنفط وإســرائيل، ولو أنهما لا يسيران في اتجاه واحد".. ومن هنا فإن الولايــات المــتحدة تعتبر المنطقة العربية ذات مصلحة حيوية كبرى تؤثر على الأمــن القومي الأمريكي، ومن المعروف أن هناك مصلحتين أساسيتين لأمريكا في الشرق الأوسط، وهما تأمين منابع النفط في الخليج، وطرق نقله، إضافة إلى تحقــيق أمــن إسرائيل المطلق باعتبارها الحليف الاستراتيجي الأول للولايات المــتحدة فــي المنطقة. وقد نجحت الولايات المتحدة في فصل قضايا النفط في الخلــيج، عــن قضايا ومشاكل الصراع في الشرق الأوسط (الصراع العربي / الإســرائيلي) بحيث لا يستخدم سلاح النفط في التأثير على القرار السياسي تجاه إسرائيل، ولا يهدد أمن إسرائيل من قريب أو بعيد كخبرة من نتائج نصر أكتوبر (١٩٧٣).. ومؤكــد تلــك النظرية أن للولايات المتحدة مصلحتين رئيسيتين في الشــرق الأوســط تتعلقان بالأمن القومي الأمريكي ذاته، وبالتالي فسوف تبذل جهودا مكثفة من أجل الحفاظ على مصالحها.

---

(١) ريتشارد نيكسون، الفرص السانحة، ترجمة أحمد صدقي مراد، دار الهلال، القاهرة،١٩٩٢، ص١٥٢.

**النظرية الرابعة:** أشار إليها المفكر الاستراتيجي الأمريكي "ستيفنسون" في كتابه "التقسيم الواضح"[1] وهو "أن للولايات المتحدة توجهاً تاريخياً لكي ترتقى إلى تلك المرتبة التي وصلت إليها، حيث يرى الأمريكيون، أن تتمتع بإمكانيات فريدة من نوعها، وأن تاريخها هو مفتاح لفهم تاريخ العالم، وإلى أن يأتي ذلك اليوم الذي تسود فيه الحضارة والديمقراطية والتنوير أرجاء العالم، فإن الشعوب المتحضرة هي التي يجب أن تحكم من هم أدنى منها، وعلى الأمم والأفراد أن تتبوأ مراكز الزعامة والقيادة، إذا كانت مؤهلة لما يحوله القدر لها".. ويقول أيضا "إن كل الإمبراطوريات السابقة نهضت على دعائم من الخزي والغزو والدماء والسلب، أما نحن فقد أخذنا العبرة مما لاقته هذه الإمبراطوريات من آلام وما ارتكبته من خطايا، إننا نعيش في ظل عصر أفضل من عصر تلك الأمم، ولنا دستورنا المؤسس على قواعد راسخة من الحرية يجمع فضائل كل أمم الأرض، ويخدم كل قضايا البشرية، وتفسر العبارتان السابقتان لماذا حرصت الولايات المتحدة على بناء القوة من أجل أن تسود العالم بالصورة التي نراها عليها الآن، ولكي تفرض قرارها السياسي على كل أرجاء الأرض، وفى مقدمته منطقتنا العربية.

**النظرية الخامسة:** للرئيس محمد حسني مبارك في كلمته في مؤتمر القمة العربي في شرم الشيخ الأول من مارس (٢٠٠٣)[2] ويقول فيها "إن مستقبل الأمة العربية أصبح في الميزان.. مما يفرض علينا جميعا الوقوف في خندق واحد".. وهي نظرية تنبئ بالخطر الذي يحيط بالوطن العربي، ويعكس نداء

---

(١) Anders Stephenson , manifest Desting: Amercan Expansionism and the Empire of right , Hill and Wang ,New York , ١٩٩٥ ,P١١٣.

(٢) جريدة الأهرام، القاهرة، عدد ٢ مارس ٢٠٠٣، ص١.

قائد ورجل دولة مسئول عن الحفاظ على الأمن القومي العربي وتأمين الشعوب العربية من مخاطر محدقة يقف أمامها البعض مكتوفي الأيدي دون حراك.

**النظرية السادسة:** هي نظرية سياسية تدرس في المعاهد والكليات المتخصصة وتحدد الركائز التي تقوم عليها سياسة الدولة، ويتحدد من خلالها علاقاتها الإقليمية والدولية، وهذه الركائز هي:-

١) أن المصلحة الوطنية تأتي على قمة الغايات القومية التي تحدد الاستراتيجية السياسية لتحقيقها. وبالتالي فإن العمل السياسي والدبلوماسي يتصاعد عندما يكون هناك تهديد أو مساس بالمصلحة الوطنية أو الأمن القومي الشامل، وما عدا ذلك فان الحركة السياسية أو الدبلوماسية تسير على منهج المشاركة والتكامل أو التضاد طبقا لتوجه الدولة.

٢) أن القدرة الشاملة للدولة – وفى مقدمتها القوة العسكرية – هي السند الرئيسي لسياسة الدولة في تحقيق أهدافها، والقدرة السياسية لابد لها من قوة عسكرية تعتمد عليها في التكوين باستخدامها عند اللزوم وعندما تتعارض مصالح الدولة مع مصالح أخرى مضادة، أما القول بأن السياسة تستند على القانون والشرعية الدولية، فهي مقولة أثبتت عدم جدواها، وخصوصا في عالم أحادية القوة.

٣) أن الرغبة في التوسع والهيمنة لدى الدول الكبرى، هو قانون أزلي استمر عبر التاريخ، وحتى الآن من خلال صعود وهبوط دول وإمبراطوريات، وكل منها كانت لديه مقومات التوسع التي يفرضها على الغير، والآن فإن الولايات المتحدة الأمريكية تفرض قانونها من خلال العولمة، وادعاءات حقوق الإنسان والديمقراطية والحرب ضد الإرهاب.

والقصد من استعراض كل تلك النظريات أن يترسخ في عقيدتنا أن بناء القوة لا يأتي جزافا كما أنه ليس من قبيل الرفاهية، ولكنه ضرورة تفرضها المتغيرات الدولية، وحقائق الحياة التي نعيش فيها كما أن هذا البناء يأتي على النقيض بين التفرق والتشرذم الذي يتميز به العالم العربي والذي تعمل على تحقيقه قوى خارجية تهدف إلى إضعافه والسيطرة عليه، وللأسف تستجيب له بعض الدول العربية بدون قصد، والمحصلة النهائية، هو ما آلت إليه الأمة العربية من ضعف إرادة، برغم ما تمتلكه من إمكانيات وقدرات وعقائد. وضعف الإرادة هو العائل الرئيسي الذي يعيق تحقيق الأمن القومي وقدراتنا الذاتية من أجل الارتقاء بمستوى دول العالم المتقدمة ويؤكد هذا الاستعراض أيضا أن العالم العربي هو قلب الدنيا، ولا يمكن أن ينعزل بمنأى عن الأحداث، وإن لم يصبح قوة فاعلة تؤثر في الأحداث فسوف يكون مطمعا للقوة الكبرى، وهدفا لتحقيق مصالحها على حساب دوله وشعوبه.

(وإذا ابتعدنا عن النظريات، واسترجعنا الأحداث والأقوال التاريخية، نجد أن جميع الحضارات المؤثرة في العالم نشأت في ربوع العالم العربي، بدءا بالحضارة الفرعونية على أرض مصر، والحضارات الآشورية والبابلية على أرض العراق، والهيلينية والفينيقية على أرض الشام، وحضارة قرطاجة على أرض المغرب العربي، وعلى حدوده نشأت الحضارة الفارسية.. ثم جاءت الحضارة الإسلامية لتضم كل أجزاء الوطن العربي وأجزاء أخرى في عمق آسيا وأفريقيا وأوربا ولتنطوي كلها تحت لواء الإسلام.

والعالم العربي كان باستمرار مطمعا لكل الإمبراطوريات عبر التاريخ، وكان الاسكندر الأكبر هو أول غازٍ أوروبي تطأ قدمه أرض العالم العربي، وغامر بحملته لأنه كان عاشقا للشرق، وهو الذي فتح الباب بعد ذلك للإمبراطورية الرومانية، ثم للاستعمار الأوروبي سواء من خلال الحملات

الصليبية أو الغزو في العصر الحديث، وكان نابليون بونابرت (أول غاز للعالم العربي في العصر الحديث) عاشقا للشرق بنفس درجة عشق الاسكندر الأكبر، وكتب في مذكراته "إن مصر هي أجمل بلاد الدنيا... في مصر شعرت بأني أستطيع الاستسلام للأحلام الزاهية.. ليست أوروبا سوى تل صغير حقير، كل شئ هنا يبلى مع الزمن، لقد انقضى كل ما كسبت من مجد، وأوروبا الصغيرة هذه لا تتيح مجالا كافيا للأمجاد، فلابد إذاً من الذهاب إلى الشرق، لأن كل مجد عظيم لم يظفر به أصحابه إلا في الشرق"(١).

ومن خلال حملة نابليون، اهتمت الاستراتيجيات الغربية المتتالية بوضع الشرق الأوسط، وبالتحديد العالم العربي على رأس مناطق الاهتمام في العالم خاصة لأوروبا، ثم للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في عصر الحرب الباردة، ثم ازدادت أهمية العالم العربي في العصر أحادي القوة.

لذلك نجد أن العالم العربي في المنطقة الشرق أوسطية استأثر في العصر الحديث (القرن التاسع عشر والعشرين) دون غيره، بالعديد من التوجهات الاستراتيجية الغربية والشرقية على حد سواء نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:-

١) اتفاقية لندن عام (١٨٤٠)، والتي تحد من القدرة العسكرية المصرية، وتقييدها لعدم تمكينها من تحقيق أمن عربي متكامل في مواجهة الغرب.

٢) التنافس والنزاع الإنجليزي / الفرنسي لربط الشرق بالغرب عن طريق مصر والعالم العربي، والذي فازت فيه فرنسا بإنشاء قناة السويس ثم مشاركة بريطانيا لها في امتلاك أسهم القناة.

---

(١) كريستوفر هيرولد، بونابرت في مصر، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٨، ص٣٠.

٣) القفز على العالم العربي، واستعماره وتفتيت أجزائه وإخضاعه لمناطق نفوذ أوروبية مختلفة.. والأكبر من ذلك، أن مساحات كبيرة من المنطقة العربية (مصر والشام بالذات) كانت مسرحا للعمليات في الحربين العالميتين بين القوات المتضادة من أجل السيطرة على هذه المنطقة الهامة من العالم، وحرمان القوة المتضادة من استخدامها، والسيطرة على طرق المواصلات ما بين الشرق والغرب.

٤) اتفاقية سايكس / بيكو عام (١٩١٦) لتقسيم العالم العربي إلى منطقتي نفوذ بريطانية وفرنسية.

٥) السعي لإنشاء إسرائيل من أجل تقسيم العالم العربي إلى مشرق ومغرب، ولتكون إسرائيل قاعدة غربية متقدمة تحقق أهداف ومصالح الدول الاستعمارية.

٦) الاستراتيجية السوفيتية للوصول إلى المياه الدافئة عن طريق العالم العربي، وقد تحقق لها ذلك اعتبارا من صفقة السلاح المصرية / الشرقية في سبتمبر (١٩٥٥)، وازداد تغلغلها في مرحلة الستينيات من القرن الماضي.

٧) مبدأ إيزنهاور في ٥ يناير (١٩٥٧) لملء الفراغ في الشرق الأوسط، ومنع التغلغل السوفيتي في المنطقة.

٨) التحالف الأمريكي / الإسرائيلي في ٥ يونيو (١٩٦٧) لضرب الثورة المصرية والحد من امتداد تأثيرها.

٩) مبدأ كارتر الذي أعلنه عام ١٩٨٠ لحماية المصالح الأمريكية (البترول) في الشرق الأوسط، والذي أدى إلى إنشاء القوات الأمريكية للانتشار السريع.

١٠) الاســـتراتيجية الحديـــثة التي طبقتها الولايات المتحدة بإنشاء تحالف دولي لكسب الحرب في مواجهة إحدى الدول "المارقة"، والذي طبق عام (١٩٩٠) تجاه العراق، وحول صورة الحرب الحديثة في النطاق الإقليمي لتصبح أقرب منها إلى الحرب العالمية التي تشارك فيها عدة دول، تجاه دولة واحدة، وبما يضمن النصر وتوزيع أعباء الحرب.

١١) مـــبدأ كلينـــتون الـــذي أعلنه عام (١٩٩٦) وصاغه "كولين باول" رئيس الأركان المشتركة في حرب الخليج، ووزير الخارجية في إدارة جورج بوش الابـــن، والتي تحدد "تحقيق أهداف سياسية ونصر عسكري من خلال توجيه ضـــربات نيرانية حاسمة للخصم دون إشراك قوات برية، وبما يقلل الخسائر البشرية للتحالف الغربي.

١٢) الحـــرب ضـــد الإرهاب، وهو نوع جديد من الحروب لم تتحدد بداياته أو أهدافـــه، وتوجهت آلياتها إلى الشرق الأوسط بكل أركانه.. لنجد أنفسنا فيما نحن فيه الآن.

## أولاً: القدرات العربية وانعكاساتها على النظام العربي:

هـــناك سؤال يطرح نفسه بإلحاح عندما نتكلم عن النظام العربي.. ألا وهو هـــل هـــناك قدرات ذاتية يعتمد عليها النظام العربي، وتؤدى إلى تفعيل قدراته الذاتية في مواجهة التحديات والأزمات؟ والإجابة تأتى بنعم وألف نعم وبرغم أن العالم العربي ينقسم إلى قسمين رئيسيين، القسم الشرقي ويشمل وادي النيل ودول المشرق العربي (دول الهلال الخصيب) وشبه الجزيرة العربية، والقسم الغربي، يضـــم بـــلاد شمال أفريقيا، من ليبيا حتى موريتانيا. إلا أن البلاد العربية ترتبط فيما بينها بروابط ثقافية وروحية، تجعل وحدتها حقيقة ثابتة.

وقـد يبدو أنه قد تنشأ بين سياسات هذه البلاد بعض مظاهر الفرقة، ولكن الـروابط اللغوية، والثقافية والتاريخية، تجعل من الأمة العربية نسيجا واحدا له خصائصه المميزة[١]

لقـد كـان للـثورة العربـية تأثير كبير على العواطف القومية، حتى أن الإحساس القومي بلغ درجة وصل فيها إلى نفوس العامة من أبناء البلاد العربية الذين لم يسبق لهم أن اهتموا بمثل هذه الشئون الوطنية. وتمكنت القومية العربية من نفوس العرب، وعمقت جذورها، وعم طوفانها، وبالرغم من أن الوطنيين في جمـيع الـدول العربـية لم يكونوا على اتفاق تام في برامجهم السياسية إلا أن خلافاتهم كانت في التفصيلات وليس في المبادئ.[٢]

إن الأمـة العربية تذخر بالقدرات في المجالات المختلفة، ولكنها في النهاية تصبح قدرات متفرقة، ولو تجمعت وأضيفت لها استراتيجية موحدة تتأسس على مـبادئ العلـم والخبرة ودروس التاريخ، فإنها ستصبح أداة لبناء القوة العربية الشـاملة التـي تقف في مواجهة أي تهديدات خارجية، ويكفى القول إنه عندما توحدت جهودنا بشكل ما خلال حرب أكتوبر (١٩٧٣)، فقد صنفت الأمة العربية على أنها القوة السادسة على مستوى العالم، ولا شك أن قدراتنا الحالية هي أكبر بكثير من أمم صاغت استراتيجيتها على التفوق وحققته فعلا بعد تغلبها على كل الـتحديات التي واجهتها وسوف نتعرض إلى العديد من القدرات التي تشكل في إجمالها ركائز الأمن القومي العربي، عسى أن نحقق الهدف الرئيسي، وهو كيف نفعل تلك القدرات من أجل خلق نظام عربي فاعل.

---

(١) ت.كويارينج، الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته، ترجمة عبد الرحمن أيوب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٨.

## القدرات السياسية العربية

من المتعارف عليه أن القدرة السياسية لأي تجمع إقليمي تنبع من محصلة وإجمالي القدرات السياسية للدول الفاعلة لهذا التجمع، إلى جانب تأثير التجمع ككتلة في إدارة التوجه السياسي المرسوم، وبتحقيق استراتيجية متكاملة للوصول إلى هدف محدد.

والقدرة السياسية لا تأتى منفصلة، ولكنها تستمد فاعليتها من تأثير القوى الأخرى الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والعلمية.. إلخ، بحيث تستند باستمرار على ركائز تؤدى إلى تفعيل الدور السياسي، واحترامه من قبل الدول / التجمعات الأخرى. ولنضرب مثالا على ذلك، فإن القدرة السياسية للولايات المتحدة تستند على قدرة عسكرية وقدرة اقتصادية هائلة، يمكن من خلالها فرض عقوبات (بأي أسلوب) على الدول التي لا تساير سياسة الولايات المتحدة. كذلك فإنه أثناء وفى أعقاب حرب أكتوبر (١٩٧٣)، فقد فرضت السياسة العربية نفسها على العالم من خلال انتصارها العسكري واستخدام إمكانياتها الاقتصادية، وحققت إنجازات كبرى خلال مرحلة هامة في تاريخ الأمة العربية. وأيضا، فإن مشاركة الدول الرئيسية العربية في حرب تحرير الكويت، فرضت عقد مؤتمر مدريد للسلام في نهاية أكتوبر (١٩٩٠) كانعكاس للقدرة العربية الفاعلة.. وهكذا.

وهذا يقودنا إلى طرح تعريف للقدرة السياسية العربية: بأنها محصلة لقدرات القوى في المجالات المختلفة، والذي يشكل حال الأمة، وتأثيرها السياسي كمركز ثقل قادر على تفعيل دورها تجاه القضايا الرئيسية، والحفاظ على كيانها كنظام متكامل. وهذه القدرة هي التي تؤدى إلى خلق رأى عام إقليمي وعالمي

مؤيـــد لقضـــايا العروبة، كذلك هي التي تخلق تحالفات ومجالات تعاون لنصرة وتأييد الدول العربية في مواجهة التحديات بمستوياتها المختلفة.

وتستند القدرات السياسية العربية على العديد من الركائز التي يجعل منها – فـــيما لـــو أحســـن توجيهها – قوة رئيسية فاعلة تقف على نفس مستوى القوى الكـــبرى فـــي العالم. وهذه الركائز تتنوع ما بين استراتيجية الموقع والموضع، وبيـــن النظام العربي الموحد، وانعكاس القدرة الاقتصادية وكذلك تاريخ المنطقة وما يحمله من علامات رئيسية تجاه تحقيق فاعلية هذه القدرة.

## استراتيجية المكان وانعكاساتها على القدرة السياسية :

يـــنفرد الوطـــن العربـــي بموقع استراتيجي هام يتوسط العالم، حيث يعتبر المحـــور المركزي بين القارات الثلاث القديمة على مستوى العالم، كما اختصته الطبـــيعة بأكثر من نصف ثروة العالم كله من البترول واختصته الطبيعة أيضا بالمســـاحة الفســـيحة، والمـــناطق الزراعية الواسعة، والجبال الشاهقة والوديان العمـــيقة، والأجواء المعتدلة، كما اختصته أيضا بالبحار التي تشكل مع بعضها أهم ممرات على مستوى العالم[1]

واستراتيجية المكان في الوطن العربي، تشكل أهم عامل مؤثر على القدرة السياسية، التي لو تم توجيهها بالصورة الصحيحة، فسوف يزداد التأثير العربي بشكل كبير. أما الركائز السياسية المترتبة على استراتيجية المكان، فتنحصر في الآتي:-

١- الركائز المترتبة على تواجد العالم العربي في منطقة تتوسط العالم:-

إن تواجد الوطن العربي في منطقة الفصل بين القارات الثلاث، وفى منطقة تتوســـط العـــالم أدت في الماضي إلى أن تصبح هذه المنطقة مطمعا لدول

(١) أمين سعيد، الوطن العربي، ص ١٩٥.

الغرب والشرق في آن واحد، وأدى ذلك إلى أن الدول العربية وقعت تحت تأثير الاستعمار لفترات طويلة.

وفـــي العصر الحديث، فإن مبادرة الرئيس إيزنهاور في الخامس من يناير (١٩٥٧)، من أجل ملء الفراغ في الشرق الأوسط[١]، تعتبر هي أول مبادرة في عصر الحرب الباردة تجاه منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية بالذات، وإلى توجيه الاهتمام الأمريكي لهذه المنطقة الرئيسية من العالم.

فـــي نفـــس الوقت فإن الاتحاد السوفيتي السابق، لم يقف مكتوف الأيدي، ووجـــه استراتيجيته تحت مسمى "الوصول إلى المياه الدافئة"، وتمكن من خلال ذلـــك إلى التواجد على الساحة العربية في العديد من الدول مثل مصر وسوريا والعـــراق، واليمـــن والجزائر، وبالتالي، فقد أصبحت هذه المنطقة منقسمة طبقا لتوجهات القوة العظمى في العالم.[٢]

وفـــي أعقـــاب انهيار الاتحاد السوفيتي القديم، وصعود نجم القطب الواحد الذي يقود العالم وهو الولايات المتحدة، فإن أولى اهتماماتها، كان هو التواجد في المنطقة، وقد حققته فعلا كانعكاس لخطأ العراق في غزو الكويت.

واســـتراتيجية المكان للوطن العربي تحقق للنظام العربي العديد من المزايا السياسية، والتي لابد أن تستخدم في تعظيم قدرة هذا النظام، ونظام العولمة الذي يتصـــاعد باســـتمرار، قد أعطى أهمية قصوى للمناطق الاستراتيجية في العالم، ومنها منطقة الشرق الأوسط، ويعنى ذلك أنه لابد أن تشعر المنطقة بأهميتها من خلال تقويم لسياستها الاستراتيجية نحو تحقيق أهداف المنطقة كجزء من أهداف

---

(١) وأصلان، هيئة البحوث العسكرية، ١٩٦١، ص ٥٤.

(٢) مجموعة من القادة السوفييت، الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفيتية، دار الكتاب العربي للطبع والنشر، القاهرة ترجمة اللواء محمد عبد الحليم أبو غزالة،١٩٧٩، ص ٩٦.

العالم الذي تدور العولمة في نطاقه، والمعروف أن الوطن العربي يشغل حوالي ٨٠% من مساحة الشرق الأوسط.

وربمـــا تكون الولايات المتحدة قد كسبت لهذا الإجراء، لذلك، فقد تحركت فـــي سياســـتها تجـــاه المنطقة إلى فصل قضايا البترول عن الصراع العربي / الإســـرائيلي، وتقســـيم العالم العربي إلى دول صديقة للولايات المتحدة، ودول "مناوئة"، وأخرى شريرة.. في نفس الوقت فقد ربطت استراتيجيات بعض الدول الفاعلة باستراتيجيتها في المنطقة، كما أصبحت هي المورد الرئيسي للأسلحة لما يقرب من ٦٠% من الدول العربية.

وكـــل تلك الإجراءات ليست عناصر سلبية مطلقة، ولكن يمكن من خلالها فـــرض المصالح العربية في دوائر السياسة الأمريكية نفسها وقد حاولت الدول العربـــية الفاعلـــة (مصر والسعودية) استغلال تلك الفرضية، فيما يتعلق بأزمة العراق الأخيرة، وأدت إلى إجبار الولايات المتحدة لمراجعة استراتيجيتها حيال المـــنطقة، وطلب الرئيس مبارك أن تقوم الولايات المتحدة بإجبار إسرائيل على نزع أسلحة الدمار الشامل كمرحلة ثانية امتدادا لتشدد الولايات المتحدة في نزع تلك الأسلحة من العراق.[1]

فـــي نفـــس الوقت فإن الدول الفاعلة في النظام السياسي العربي لها القدرة على تحقيق ضغوط / تفاهم مع القوة الرئيسية في العالم لمصلحة النظام العربي بالكامل ولنضرب أمثلة على ذلك.

- فإن كلاً من مصر والسعودية والمغرب هي دول تتميز بعلاقات خاصة مـــع الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي، والدول الرئيسية على

---

(١) تصريحات الرئيس مبارك في المؤتمر الصحفي مع رئيس رومانيا، القاهرة، ٢٠٠٢/١٠/١٥، صدرت في صحف اليوم التالي.

مستوى العالم، ويمكن من خلالها عرض القضايا العربية بأسلوب يتمشى مع المتغيرات العالمية والتوجيهات السياسية لمختلف التجمعات العالمية.

في نفس الوقت، فإن سوريا والعراق لها علاقات خاصة مع روسيا الاتحادية والصين، ويمكن أن تنهج نفس المنهج.

- والعالم العربي بتواجده في قارتين (شطر أفريقي، والآخر آسيوي)، يمكن أن يستغل ذلك في حشد الجهود السياسية لصالح القضايا العربية، فمثلا، مصر دولة مؤثرة على المستوى الأفريقي، وهي عضو في العديد من المنظمات الأفريقية وبالتالي يمكن استقطاب معظم دول القارة الأفريقية لصالح النظام العربي.

في نفس الوقت، فإن الدول الخليجية من خلال ثرواتها، هي دول آسيوية، ويمكن التأثير على معظم الدول الآسيوية أيضا لصالح القضايا العربية. ولا يعني هذا انفصال التأثير على القارتين، ولكن تستمر الجهود لجميع الدول في التأثير على مختلف الدول / التجمعات لصالح الأمة العربية.

والدول العربية (ومصر بالذات) من الدول المؤسسة للعديد من التجمعات الإقليمية والعالمية، والتي تشكل ثقل للوطن العربي، مثل مؤتمر عدم الانحياز، منظمة الوحدة الأفريقية، المؤتمر الأفريقي الآسيوي، مجموعة الـ ٧٧، مجموعة الـ ١٥، الاتحاد الأفريقي، منظمة الكوميسا، الشراكة الأورومتوسطية، منظمة المؤتمر الإسلامي، لجنة القدس، وغيرها، ويمكن زيادة فاعلية تلك التجمعات والحفاظ عليها وتطويرها بما يتناسب مع متغيرات العصر، لكي تصبح ذات أهمية قصوى لصالح النظام العربي المتكامل، وقد تم فعل العديد من الإجراءات في سبيل ذلك التطوير.

ورغـم تعدد الإيجابيات المترتبة على توسط الوطن العربي للعالم، إلا أن هناك العديد من السلبيات، يأتي في مقدمتها:

* تقسـيم الدول العربية إلى خمسة مجموعات، طبقا لوجهة نظر جغرافية، وتاريخـية، وأمنـية وعرقية يؤثر على وحدة الصف العربي، وهذه التجمعات هي[1]

* مجموعة دول المركز (الطوق) وهي المجموعة الرئيسية التي تتحمل – أكـثر من غيرها – أعباء الصراع العربي / الإسرائيلي وتضم مصر وسوريا والأردن، ولبنان والفلسطينيين.

* مجموعـة دول الخلـيج: وهـي مجموعـة متكاملة جغرافيا وتاريخيا وقضاياها الأمنية مشتركة وتعتبر حاليا هي منطقة الصراع الثاني، بعد المنطقة السابقة، وإن اختلفت عناصر ومكونات الصراع، والأطراف التي تتحمله، وتضم كـلاً من السعودية والإمارات والكويت وقطر والبحرين وعمان.. ويضاف إليها جغرافيا دون الدخول في مجلس التعاون الخليجي كلاً من العراق، واليمن.

* مجموعـة دول المغـرب العربـي، وهي مجموعة إقليمية تشترك في الجـذور، ولكـن لم تتحقق فيها وحدة في تحقيق هدف مشترك نظرا لاختلاف الـنظم السياسية التي تجمع بين الثورية والاعتدال والملكية والجمهورية، وهي تحاول الابتعاد عن قضايا الوطن العربي الأساسية وتهتم في التوجه إلى أوروبا، وتضم كلاً من ليبيا وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا.

* هناك مجموعتان تشترك بعض دولها في المجموعات السابقة، ولكن يقع عليها عبء التواجد في تجمعات إقليمية تؤثر مباشرة على الأمن القومي العربي، وبالتالي فهي تتطلب دعما عربيا مستمرا.. وهي:-

---

(١) مصر والشرق الأوسط، إدارة الشئون المعنوية، مؤسسة الأهرام، ٢٠٠٠، ص ١٩.

- مجموعة دول الشمال الشرقي: وهي تمثل دول التنافس، وتختص بظاهرة عدم الاستقرار وتجمع فيما بينها قضايا تاريخية تؤدى إلى نزاعات مستمرة ومنها قضايا الأكراد والحدود والمياه، وتضم كلاً من العراق وسوريا كدول عربية، إلى جانب كل من إيران وتركيا كدول غير عربية.

- المجموعة الثانية هي دول حوض النيل والقرن الأفريقي، وهي مجموعة تختص باهتمام كامل من قبل أحد الدول الرئيسية في العالم العربي وهي مصر، حيث إن أمن حوض النيل يؤثر مباشرة على أمنها القومي، كذلك فإن أمن البحر الأحمر يتأثر مباشرة بأمن القرن الأفريقي وتضم المجموعة كلاً من مصر والسودان والصومال وجيبوتي، وجزر القمر كدول عربية، إلى جانب أثيوبيا وإرتريا وأوغندا كدول غير عربية.

* ومن السلبيات أيضا التوجه إلى "القطرية" أكثر من التوجه إلى القومية "وقد يبدو أن هذا التوجه لا يعيبه شيء، حيث إن قوة الدولة تؤدى إلى زيادة تأثيرها وفاعليتها عن المستوى الإقليمي والدولي، وإن إجمالي القدرات الفاعلة تحقق فاعلية المنظمة الإقليمية، غير أن هذا المفهوم غير مطبق على المستوى العربي، وبالتالي أضعف النظام العربي ككل، حيث إن القدرة المضافة لأي دولة تستخدم لتحقيق ذات الدولة دون النظر إلى التوجه القومي العربي، ويكفى أن ندلل على ذلك بالقدرة العراقية حيث توجهت لغزو الكويت وما ترتب على ذلك من سلبيات، كذلك القدرة السورية التي توجهت للتواجد في سهل البقاع اللبناني، بينما الجولان لا يزال محتلا.

وأن معظم التوازنات في دول الجوار العربية تأتى من منطلق توازن عربي / عربي، نتيجة لعدم توافر الثقة بين الأنظمة، وبالتالي، فإن القدرات العربية

تستهلك داخليا، دون توجيهها كقدرة موحدة تجاه التهديدات الخارجية (اليمن / عمان - قطر / البحرين - الجزائر / المغرب - إلخ)

كذلك فإن التوجه السياسي نحو التحالفات الدولية ينقسم في داخل الدول العربية إلى توجه نحو الشرق (الاتحاد السوفيتي سابقاً) أو تجاه الغرب (الولايات المتحدة بصفة أساسية)، ويمكن من خلال هذه التوجهات تجميع القوى العالمية لمصلحة العالم العربي. إلا أن ذلك لم يتحقق واستبدل بتبادل الاتهامات، والانقسامات السياسية، وانعدام الثقة، وهذا أدى إلى ضعف النظام العربي.

* وأخيرا فإن مسيرة السلام - كاستثمار لنصر أكتوبر - والتي قادتها مصر خلال حقبة السبعينيات من القرن الماضي لم يتم استيعابها من قبل بعض الأنظمة العربية، وبالتالي ضاعت فرصة ذهبية، أدت إلى استمرار احتلال الجولان حتى الآن، ومعاناة الفلسطينيين كما يجرى حاليا وانقسامات عربية خطيرة تهدد النظام العربي في الأساس. وقد شعرت الدول المعتدلة بأهمية المبادرة المصرية مؤخرا.[1]

## الركائز المترتبة على تواجد العالم العربي بالقرب من أوروبا :-

رغم أن قرب العالم العربي من أوروبا، قد أدى إلى استعمار أوروبي للدول العربية لفترات طويلة سابقة، إلا أن المتغيرات العالمية، والتطورات الكبرى التي شهدتها العلاقات الدولية، وخصوصا في أعقاب نصر أكتوبر (١٩٧٣)، أدت إلى ضرورة أن يحدد العالم العربي أوليات توجهاته السياسية تجاه العالم الغربي بصفة عامة، والاتحاد الأوروبي بصفة خاصة، حيث إنه

---

(١) تصريح نائب رئيس الوزراء الكويتي " الشيخ صباح الأحمد " في حديث صحفي :" إن القضية بكل أسف في أسوأ أوضاعها وعلينا جميعا التحرك لإنقاذها، وألا نسير خلف عواطفنا، وألا نستمر على حالنا بأن نكون دائما عرب الفرص الضائعة.. صحيفة الأهرام، القاهرة، عدد ١٢ أكتوبر ٢٠٠٢، ص ٣.

الجار المباشر للوطن العربي، والذي يشارك في أمن البحر المتوسط، إلى جانب أن انعكاسات الأمن العربي تنعكس مباشرة على الأمن الأوروبي والعكس صحيح.

لذلك - فمما لا شك فيه - أن الاتحاد الأوروبي يمثل أهمية كبرى في العلاقات العربية الخارجية نظرا للآتي :-

-الاتحاد الأوروبي قوة عالمية صاعدة، وقد يكون منافسا للولايات المتحدة أو مكملا لها في وقت من الأوقات لذلك يجب الارتباط معه بروابط وثيقة والاتحاد الأوروبي له علاقات تاريخية بالعالم العربي، لابد من استثمارها باستمرار والاتحاد الأوروبي شريك رئيسي للولايات المتحدة الأمريكية، ومن خلاله يمكن التأثير على سياسة الولايات المتحدة تجاه المنطقة.

كذلك فإن حجم التعاون العربي الأوروبي يزيد على حجم التعاون مع أي دولة / كتلة أخرى. وحلف الأطلنطي، كذلك جيش أوروبا الموحد الذي سينتهي من تشكيله عام (٢٠٠٣)، له مهام رئيسية في المنطقة العربية، لذلك يجب التنسيق مسبقا بهذا الخصوص، وحتى لا تتحول تلك المهام إلى عدوان أوروبي على إحدى الدول العربية، ولكي تتم تلك المهام من منظور المصالح العربية وليس ضدها. وقد صارت أوروبا تركز على تحقيق أهداف عملية، كالتكامل الأوروبي، وتطوير سياسته الأمنية، وكذلك رسم سياسة خارجية أوروبية مشتركة متجة في أحد أهم ركائزها إلى جنوب المتوسط، كذلك التوجهات الأوروبية نحو دعم المشاركة الأوروبية / المتوسطية، لتغطى دوائر التعاون السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ثلاثة أنواع من الالتزامات طبقا لما نص عليه إعلان برشلونة عام ١٩٩٥، تدور حول الآتي:

١) العلاقـــات السياســـية والأمنية بإقامة حوار سياسي وتأكيد مبادئ المشاركة السياسية، وإقرار مبدأ الأرض مقابل السلام، وكذا مبدأ عدم جواز الاستيلاء علـــى أراضـــي الغـــير بالقوة كمبادئ أساسية في إدارة الصراع العربي / الإسرائيلي.

٢) المشـــاركة الاقتصـــادية والمالية: بهدف قيام منطقة تجارة حرة بحلول عام (٢٠١٠) تضم مجموعة دول برشلونة، وتوفر دول الاتحاد الأوروبي الدعم المالي لذلك، ولزيادة قدرات اقتصاديات دول جنوب وشرق المتوسط.

٣) الحـــوار الاجتماعـــي والثقافـــي من أجل تحقيق الديمقراطية وسيادة القانون وحماية حقوق الإنسان والحوار بين الأديان والثقافات.

وقد أصبح – تمشيا مع تلك المبادئ – لزاما أن يقوم العالم العربي بتحديد أولويـــات توجهاته السياسية تجاه العالم الخارجي، وفى اتجاه الاتحاد الأوروبي بالذات، والذي سوف تزداد قدرته بانضمام ١٠-١٢ دولة بحلول عام (٢٠٠٤). حيـــث صارت "الدائرة المتوسطية" تمثل بعدا جديدا نسبيا في السياسة الخارجية للـــدول العربية، وصارت تتسع لتشمل بقية دول أوروبا والدول المحيطة بدول البحر المتوسط بحكم تشابك المصالح[١].

والـــبديل المتوســـطي طـــرح نفسه بقوة بعد تجمد مسار الحوار العربي، الأوروبي، الذي بدأ في شكل حوار شامل جمع كل الدول أعضاء جامعة الدول العربـــية من جانب، وكل أعضاء التجمع الأوروبي التسعة – في ذلك الوقت – اعتـــبارا من عام (١٩٧٤) (كانعكاس لنصر أكتوبر وظهور العالم العربي كقوة سادســـة على مستوى العالم). والتقدير بأن هذا الحوار تجمد بسبب تمسك بعض

---

(١) بيان وزير الخارجية المصري أمام مجلس الشورى، ٨ مارس ١٩٩٥، وحديثه لجريدة الحياة يوم ١٣ ديسمبر ١٩٩٥، ولجريدة الأهرام يوم ١٥ ديسمبر ١٩٩٥.

الدول العربية بالقاسم المشترك الأعلى لمواقفهم السياسية، الذي تحكمت فيه دول مثل العراق وسوريا. في حين لم يكن الطرف الأوروبي بقادر على تقديم أكثر من القاسم المشترك الأدنى لمواقف دوله من قضية الشرق الأوسط. وعلى جانب آخر فقد ضحت الدول العربية باستمرار الحوار كثمن لتجميد عضوية مصر فيه، على أثر تجميد عضويتها في جامعة الدول العربية، ثم بدأ الجانب الأوروبي يقيم حواره مع الجانب العربي مجزءا مع " دول الخليج دول المغرب العربي الدول المتوسطية.[1]

ومما تقدم فإن الشراكة الأوروبية / المتوسطية لابد من تفعيلها باستمرار، وتطويرها من منظور سياسي شامل لصالح الأمة العربية. ويكفى القول، بأن الاتحاد الأوروبي تقع عليه أعباء اقتصادية تجاه القضية الفلسطينية، كذلك فإنه يسعى باستمرار – من منظور سياسي – أن يكون له دور رئيسي في الوصول إلى حلول سياسية جذرية لهذا الصراع.

**الركائز المترتبة على سيطرة العالم العربي على الممرات بين الشرق والغرب والشمال والجنوب :-**

منذ فجر التاريخ، تعتبر المنطقة العربية هي المسيطرة تماما على طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، وذلك، بما تحتويه من شواطئ على البحر المتوسط، ثم سيطرته شبه الكاملة على البحر الأحمر، والبحر العربي، والممرات بينها، والتي تشمل مضيق جبل طارق، وقناة السويس، ومضيق باب المندب، ومضيق هورمز.

---

(١) مجموعة بحثية، مستقبل العلاقات العربية / المتوسطية في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية، مركز الدراسات الاستراتيجية ق. م، القاهرة أكتوبر ١٩٩٦، ص ٢٦ وما بعدها.

وتمـــثل تلك السيطرة عامل شديد الأهمية في زيادة القدرة السياسية للوطن العربـــي، حيث إنه يمكنه من التحكم في أهم مرتكزات الاقتصاد العالمي، وهي الـــنقل والتجارة الخارجية. وقد ثبت ذلك في عدة مراحل تاريخية، منها إغلاق قـــناة السويس خلال عدواني ١٩٥٦، ١٩٦٧، والذي كانت له انعكاسات شديدة على الاقتصاد العالمي، والأوروبي منها بالذات. كذلك فإن حرمان إسرائيل من المـــرور فـــي قناة السويس منذ إنشائها وحتى إبرام معاهدة السلام المصرية / الإسرائيلية، أدى إلى انحسار الاقتصاد الإسرائيلي. كذلك فإن تهديد الملاحة في الخلـــيج العربي خلال حروب الخليج الأولى والثانية أدى إلى التأثير بشدة على اقتصاد العالم.

وإدراك الولايـــات المـــتحدة لهـــذه الســـيطرة أدى إلى قيامها بالعديد من الإجـــراءات، مـــنها تكثـــيف دور الأسطول السادس في البحر المتوسط، كذلك الســـيطرة بقـــوات عسكرية على جنوب البحر الأحمر والخليج العربي، وبحر العرب، إلى جانب تأكيد تواجدها في دول الخليج.

سيؤثر على:-

(١) الـــتحركات العســـكرية للولايات المتحدة عبر المحيطات والقارات لتنفيذ مهام استراتيجية.

(٢) تدفـــق البـــترول إلى الدول الغربية والشرقية في آن واحد، ومنها الدول الأوروبية واليابان.

(٣) حركة التجارة العالمية عبر القارات.

## النظام العربي وانعكاساته على القدرة السياسية :-

تشـــكل جامعـــة الدول العربية ومنظماتها المتخصصة، إضافة إلى مؤسسة القمـــة العربـــية الإطار المؤسس للنظام العربي منذ منتصف الأربعينيات وحتى الآن. وهناك وجهتا نظر مختلفتان في النظام العربي:-

**النظرة المتشائمة**: تتحدد في أنه وبرغم اعتماد النظام العربي على الصفة القومـــية، إلا أن الهـــدف الأساســـي منه، كان الالتفات عليها وتعزيز الكيانات القطـــرية، وهو ما يتناقض مع الصفة القومية للجامعة. حيث أخذ النظام – منذ ولادتـــه – طابعا تناقضيا، تجلى في إطار العلاقات الثنائية بين أطرافه، والتي أخـــذت طابع الانتقال الحدي من الصراع إلى التعاون أو العكس. وقد أدى ذلك إلى تناقض في النظام المؤسسي للجامعة العربية، وبين صفتها الإقليمية وصفتها القومية.[1]

**فـــالأولى**: تقـــوم علـــى احترام سيادة كل دولة، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

**والثانية**: في جوهرها تبرر تخطى تلك السيادة.

كما ارتبط ذلك الاختلاف في فهم النظم العربية لمعنى العروبة واستخدامها لها. فبعض النظم استخدمت العروبة لخدمة مصالحها القطرية وكأداة للتدخل في شـــؤون الدول الأخرى، كما تعاملت بعض النظم مع العروبة كجزء من عقيدتها السياسية. وعلى جانب آخر اعتبرتها مجرد ارتباط ثقافي وعاطفي.[2]

---

(١) سمير الزين، مصدر سابق، ص٣٥-٣٦.

(٢) على الدين هلال، وجميل مطر، جامعة الدول العربية والنظام العربي، مصدر سابق، ص٩.

ويؤكد المتوجهون إلى النظرة التشاؤمية إلى أنه قد غاب التوجه القومي من ميـــثاق جامعـــة الدول العربية، وحرص الميثاق على استقلال الدول الأعضاء وســـيادتها، وحظر التدخل في شؤونها الداخلية، دون أن يضع إطارا قوميا عاما يوجـــه سياستها وحصر حركتها المستقلة في حدوده ، وهكذا عمل الميثاق على تكـــريس الـــتجزئة، وأضفى على هذه التجزئة والتي انبثق التيار القومي أصلا لتجاوزها نوعا من الشرعية، ومن هنا نشأ التناقض بين الجامعة العربية كمركز للتنســـيق بيـــن دول وحكومات مستقلة ذات سيادة. وبين التيارات الإقليمية التي يموج بها النظام العربي، والتي تهدف إلى خلق كيان عربي موحد وليس مجرد التنسيق بين الحكومات العربية.(١)

**نظـــرة معـــتدلة**: تـــتحدد في أن النظام العربي ضرورة فاعلة لاستمرارية تواجـــد الـــدول العربـــية داخل النظام العربي لتكون شبكة علاقات بين أطراف مخـــتلفة، أعـــم وأشـــمل مـــن جامعة الدول العربية نفسها والتي تشكل الإطار الرســـمي، فبعـــيد عن الجامعة، جرى الكثير من الأحداث والتفاعلات في العالم العربـــي، ومع ذلك تبقى الجامعة من الناحية التنظيمية جزءا من النظام الإقليمي يضـــم الأقطار أعضاء النظام وحيث كونها تعكس سياسات وتطلعات ومصالح هذه البلدان، فضلا عن أن الجامعة العربية تمثل رمزا قوميا يحدد أهداف الأمة العربية برغم المحاولات التي جرت وتجرى لحرمانها من هذه الصفة.(٢)

ورغم طابع التناقض لجامعة الدول العربية (بين صفتها القومية، وتوظيفها لـــتعزيز الحـــدود القطـــرية)، فإنها أدت أدوارا هامة في إطار النظام العربي، وحافظت على حد أدنى من العلاقات العربية في مراحل التدهور التي مرت بها،

---

(١) حسن نافع، الجامعة العربية ومستقبل النظام العربي، شئون عربية، العدد ٣٧، القاهرة،١٩٨٤، ص٢٣٨

(٢) جميل مطر وعلى الدين هلال، النظام الإقليمي العربي، دراسة في العلاقات السياسية العربية، مصدر سابق، ص٧٠.

وعملت في كثير من الظروف الحرجة على عدم خروج بعض الدول العربية من إطاره، وفى رحابها عقدت قمم عربية استجمعت شمل الأمة العربية في ظروف عصيبة، كما حدث - مثلا - عقب نكسة يونيو (١٩٦٧). وما زالت جامعة الدول العربية رمزا للتضامن العربي الذي تحقق في أكبر صورة عام (١٩٧٣).[١]

وجامعة الدول العربية تسير مع بداية الألفية الثالثة في إطار تطوير شامل لتفصيل دورها في قيادة النظام العربي، وأهم إنجازاتها هي دورية انعقاد القمة العربية سنويا، لذلك فإن هناك العديد من التوجهات لتفعيل دورها ومساندتها من قبل جميع الأنظمة العربية، حيث إن جامعة الدول العربية هي منظمة تنسيق، وليست منظمة رئاسية.. وأن وجودها يمثل رمزا للنظام العربي، والذي يجب الحفاظ عليه في مواجهة التحديات.. ومن تلك التوجهات :-

(١) حرص الدول العربية على الحفاظ على النظام العربي في إطار الجامعة العربية، وربما تكون الدول الفاعلة في هذا النظام هي التي يقع عليها العبء الأكبر في دعم قدرات الجامعة وتنسيق طرح القضايا وإيجاد حلول من خلال تلك الجامعة.

فالشرق أوسطية، سيف مسلط على النظام العربي، لذلك فإن المطلوب هو دمج الشرق أوسطية داخل النظام العربي، وليس العكس لأن معنى إهدار النظام العربي هو تعميق التشرذم وتفتيت الأمة العربية.

---

(١) جميل مطر، الجامعة العربية والنظام الإقليمي العربي وتحديات الثمانينات، مركز دراسات الوحدة العربية، بدون، ١٩٨٣، ص٨٩٥.

ونقاط الاتفاق بين الدول العربية أكثر كثيرا من نقاط الخلافات، والمطلوب هـو توازن فيما بين القطرية والقومية، وتغليب المصالح القومية على المصالح القطرية الضيقة في إطار تبادل المصالح.

كذلك فإن دراسة نظم التجمعات الدولية قد يكون هو الإطار الأنسب لتطوير جامعة الدول العربية لكي تبقى باستمرار رمزا للنظام العربي.

## القدرة الاقتصادية وانعكاساتها على القدرة السياسية:-

في نطاق مفهوم قدرة الدولة الشاملة، فإن مجالات الأمن القومي تؤثر على بعضـها بالإيجـاب والسـلب، وربما يكون العامل الاقتصادي هو أحد العوامل المؤثرة إيجابيا في المجال السياسي بصفة عامة، ويدعم ويقوى القدرة السياسية للدول الفاعلة وللنظام العربي بصفة عامة، ويأتي هذا المفهوم من الآتي:-

أ- أن العالم العربي يمتلك الاحتياطي الرئيسي من البترول في العالم، وقد اسـتخدم البترول كسلاح اقتصادي وسياسي إبان حرب أكتوبر (١٩٧٣)، وأدى إلى نتائج إيجابية في الإدارة السياسية للصراع.

ب- أن الإمـداد بالطاقة إلى مختلف أنحاء العالم يمر عبر ممرات تسيطر عليها الدول العربية.

ج- أن الدول العربية تمتلك موانئ في مناطق تقع وسط العالم، وبما يؤهلها كأهم منطقة لتجارة الترانزيت.

د- أنـه بخلاف البترول تمتلك الدول العربية مخزونات هامة من المعادن الرئيسية على مستوى العالم.

هـ- أن طبيعة الطقس والتربة وأنواع الزراعات في المنطقة العربية تعتبر مكملة لما تنتجه أوروبا.

و- أن العالم العربي يعتبر - حتى الآن - سوقا رئيسيا للصناعات الأوروبية والأمريكية والآسيوية.

ومن كل ما تقدم فإن التأثير الاقتصادي يعتبر عاملا رئيسيا في توجيه سياسة الأمة العربية من أجل تحقيق مصالحها في التعامل مع مختلف دول / تكتلات العالم، وبما يحقق تفعيل القدرة العربية في مواجهة التحديات.

## العقيدة الدينية، وانعكاساتها على القدرة السياسية:

منطقة الشرق الأوسط، هي منطقة "نزول الوحي" على أنبياء الله جميعاً الذين تم ذكرهم في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى. وفي هذه المنطقة وعلى أرضها، نشأت الديانات الثلاثة الكبرى، لتنتشر في أرجاء العالم[1]. وقد أضفى نزول الرسالات آثاراً دينية هامة على أرض الأمة العربية، يعتبر التوجه إليها جزءاً من قربان الديانات المختلفة، مثل الحج إلى بيت الله العظيم في مكة المكرمة وزيارة قبر الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم. ومثل "التقديس" في الديانة المسيحية، بزيارة القدس، وكنيسة بيت لحم والآثار المسيحية الأخرى ومثل زيارة حائط المبكى للديانة اليهودية في القدس. إلى جانب العديد من الآثار الأخرى في أرجاء الوطن العربي، وأهمها الآثار الإسلامية والمسيحية واليهودية في كل من مصر والسعودية وفلسطين.

وينعكس ذلك في ارتباط عقائد المقربين في أرجاء العالم بالمنطقة، وسعيهم إلى التوجه إليها من أجل الحج أو العمرة أو الزيارة. وهذا يمثل أهمية أساسية كبرى فيما لو استغلت بأسلوب علمي حضاري لربط الرأي العام العالمي بالمنطقة، ومن هنا:

فإن موسم الحج للدين الإسلامي يجب أن يكون تظاهرة سياسية من أجل توحيد الفكر، وتكوين رأي عام إسلامي لنصرة الحق العربي من أجل استمرار

---

(١) مصر والشرق الأوسط، مرجع سابق، ص ١٣

الحفـــاظ علـــى العقيدة وما ينطبق على الحج إلى مكة المكرمة، يجب أن ينطبق على الديانات الأخرى.

وقـــد يتطلـــب ذلك نوعاً من التنظيم والتنسيق من أجل تحديد هدف معين يتحقق على مدارات مختلفة ويمثل استراتيجية عربية تهدف لتكوين رأي عالمي لصـــالحها دون الـــتدخل فـــي مـــبادئ العقيدة أو الشعائر، لذلك، فإن رسم تلك الاســـتراتيجية يجـــب أن يتم باستخدام كافة القدرات العربية، وبفكر علمي سليم حتى يتحقق الهدف منه

## *تاريخ المنطقة وانعكاساته على القدرة السياسية:

لـــم تشـــهد مـــنطقة فـــي العالم أحداثا تقاس بما حل بمنطقتنا العربية عبر الـــتاريخ، ولم تصمد دول أو شعوب أمام المتغيرات المتعاقبة كما صمدت الدول العربية، ولم تتبرك حضارات ويسطع نجم إمبراطوريات، وتخبو قوى عظمى، كما حدث عبر تاريخ تلك المنطقة، التي امتد على أرجائها الحضارات الفرعونية والآشورية والبابلية، والهيلينية وحضارة قرطاجة ثم حضارة الإسلام.(١)

والعـــالم العربـــي نتيجة لتاريخه الطويل، فله علاقات تاريخية مع الفرس (إيـــران) ومـــع العثمانييـــن (تركـــيا). كذلك مع الإغريق (اليونان)، والرومان (إيطاليا)، ثم الإنجليز والفرنسيين.

وربما يكون افتتاح مكتبة الإسكندرية الذي تم إجراؤه في السادس عشر من أكـــتوبر (٢٠٠٢)، هـــو صـــورة مصغرة لارتباط العالم العربي بالحضارات والـــثقافات القديمـــة، ومـــدى ما يمكن أن تحققه الدول العربية في تفعيلها لتلك العلاقات من منظور سياسي لصالح الأمة العربية.

حيـــث إنـــه تحليل الكلمات التي ألقاها الضيوف، أو تصريحاتهم الصحفية، تدل على أنهم لا يزالون يذكرون انعكاس الحضارة المصرية على بلادهم، وأنهم

---

(١) مصر والشرق الأوسط مصدر سابق. ص ١٣

حضروا من أجل تواصل الماضي بالحاضر. ومن هنا يمكن استغلال هذا الحدث وخلافه في تفعيل الدور السياسي العربي لصالح القدرة العربية المتكاملة.

## القدرات الأمنية والاجتماعية وانعكاساتها على النظام العربي:

تعتبر القدرات الأمنية والاجتماعية هي الفيصل في قياس قدرة الدولة الشاملة، حيث إن أي دولة مهما كانت ثروتها أو قدراتها الاقتصادية أو السياسية لا يمكن أن يكتب لها البقاء أو التأثير دون أن تحقق قدرة اجتماعية متوازنة تتمكن من مسايرة المتغيرات الإقليمية والعالمية والتعامل مع المجتمعات الأخرى، كذلك قدرة عسكرية تحقق الأمن والأمان للدولة.

والأمثلة في هذا المجال عديدة، وربما تكون مسألة الكويت، وغزو العراق لها. أكبر دليل على ذلك وهناك ارتباط قائم بين القدرة الاجتماعية والقدرة العسكرية للدولة في تحقيق متطلبات الأمن، والتوازن الإقليمي في المجال الاستراتيجي:

١-فكلما زادت قدرة المجتمع الاقتصادية والثقافية والعلمية، وتحققت لديه الديمقراطية وتوفر له التوازن كلما ارتفع مستوى الدولة. وانعكس ذلك على قدرة القوات المسلحة بالإيجاب لتصبح قوات مسلحة مؤثرة في منطقتها والعالم.

٢-وكلما ازداد نماء المجتمع تطلب ذلك قدرة عسكرية وأمنية لحماية هذا المجتمع.

٣-وكلما انحسرت القدرة البشرية في مجتمع الدولة، كلما تطلب امتلاك قدرات عسكرية متطورة وحاسمة من أجل حماية أمن المجتمع.

٤-وكلما ازدادت القدرة البشرية في المجتمع انعكس ذلك على توفير متطلبات القوات المسلحة من الأفراد الأصحاء.

٥-وإذا كانت كل تلك المعادلات تمثل عنصرا إيجابيا في العلاقة ما بين المجتمع وقواته المسلحة، فإن العكس يأتي صحيحاً أيضاً.

*فكلمـــا كان المجتمع غير متوازن، فإن ذلك ينعكس على القدرة العسكرية وبـــناء القـــوات المســـلحة. وتصبح الدولة في وضع غير مستقر أمنيا، وتتركز الأطماع تجاهها

*وكلمـــا قـــل نماء المجتمع وتفشت فيه أعراض الفقر والمرض، فإن ذلك يكون إيذانا بانهيار النظام والدولة من الأساس.

*وكلمـــا زاد اهـــتمام المجـــتمع بأحد ركائز الأمن القومي دون تكامله مع ركائـــزه الأخرى، مثل الاهتمام بالنماء الاقتصادي على حساب القدرة العسكرية مـــثلاً، كلمـــا كانت الدولة مهددة، ويكفينا أن نضرب مثالا في هذا المجال، فإن دولتيـــن كبيرتيـــن مثل ألمانيا واليابان والتي فرضت عليها عقوبات في أعقاب الحـــرب العالمية الثانية مع تحديد حجم قواتها المسلحة.. إلا أننا شعرنا بأن ذلك سوف يؤدي إلى عدم اتزان الأمن القومي فيها نظراً للقدرة الاقتصادية التضامنية وأثر ذلك في أن تعقد اتفاقيات مع الولايات المتحدة لتوفير الأمن الخارجي لكل مـــنهما وكـــان ذلـــك في حد ذاته كفيلاً بتحقيق التوازن العسكري وإبعاد شبح الأطماع عن أي منهما.

فـــي نفـــس الوقـــت، فـــإن هـــناك العديد من التحديات في مجال القدرات الاجتماعـــية تؤثر تأثيراً مباشراً على الأمن القومي العربي بركائزه المختلفة، وخصـوصاً المجال العسكري، وأهم هذه التحديات:

١-تباين النمو الاقتصادي في الدول العربية، وما يستتبع ذلك من معدلات الإنفـــاق العســـكري وانتشار ظواهر الفقر والبطالة، إلى جانب تصدير رؤوس الأمـــوال العربـــية دون استثمارها داخل الوطن العربي، بما جعل هذه الأموال ســـلاحا مسلطا على أصحابها... أكثر منها استفادة لهم، وخصوصا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠٢).

٢-ارتفـــاع معدلات الإرهاب والجريمة المنظمة والتطرف والعنف بأبعاده الرمـــزية والمادية وهي ظاهرة عالمية تتأثر بها المنطقة، بل إن الدول الغربية

تـــتهم الوطن العربي بأنه المصدر الأول للإرهاب، نتيجة للأصولية التي يتبعها بعض الأفراد – وخصوصاً تنظيم القاعدة – دون اتخاذ الدول العربية إجراءات فعالة للقضاء على هذه الظاهرة.

٣-وجـــود انفصال ما بين القاعدة الجماهيرية والإدارة الحاكمة في معظم الـــدول العربـــية، ربما تجلى ذلك في معالجة قضايا تأييد الانتفاضة الفلسطينية الأخـــيرة، ومطالبة الجماهير لحكوماتهم في التدخل لوقف العدوان الإسرائيلي، كذلك يظهر في ضعف استجابة الجماهير للمشاركة في الانتخابات أو الاستفتاء من أي نوع.

## قدرات المجتمع العربي وانعكاساته على النظام الأمني العربي:

لا يشـــك أحد في أن قدرات المجتمع العربي كبيرة في كل المجالات، ويمكن أن يتحقق من خلالها تكامل مرتكزات الأمن القومي فيما لو كانت هناك اســـتراتيجية شـــاملة نحـــو تحديد الهدف للوصول إلى مستوى اجتماعي وأمني محدديـــن. فالطاقة البشرية متوفرة، والرقعة الأرضية والمائية كبيرة، والحدود متلاصـــقة، والإمكانـــات الاقتصادية متوفرة، والعقيدة موحدة، والتقارب النفسي متكامل.

وقـــدرات المجتمع هي الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها القوات المسلحة في تحقيق توافر القدرة الشاملة التي تحقق الكفاءة القتالية، وهي التي تتكون من الثلاثـــية المقدسة (البشر – السلاح – مسرح العمليات). فالبشر هم عماد القوات المســـلحة ، والســـلاح هو الآلة الرئيسية التي تستخدم في القتال، وكلما تقدمت زادت إمكانيات النصر وزاد الاعتماد على القدرات العلمية للعناصر البشرية أما مســـرح الحـــرب فهـــو الميدان الذي يجب أن يجهز بأسلوب يحقق كفاءة عمل القـــوات المســـلحة، ويخدم أهدافها إلى جانب مما نعته لإجراءات العدو. وهناك العديـــد مـــن العناصر التي تؤثر بالإيجاب والسلب على قدرة المجتمع لتحقيق النظام الأمني العربي المتكامل وهي:

## أ-الكثافة السكانية والفراغ الاستراتيجي:

(١) تبلغ مساحة الوطن العربي ١٣,٨٦ مليون كيلو مترا مربعاً، ورغم ذلك فإن تعداد السكان لا يزيد عن قرابة ثلاثمائة مليون، أي بكثافة حوالي ٢١,٦ فرد في الكيلو متر المربع، وهي تمثل نسبة إشغال قليلة طبقاً للمعدلات العالمية. وعلى مستوى الدول العربية، فإن نسبة المساحة للسكان تتباين بشدة طبقاً لمساحة الدولة وكثافة السكان وحجم المناطق المأهولة. وهذا يتسبب في وجود فراغ استراتيجي كبير في بعض الدول العربية.

(٢) وعلى سبيل المثال فإن دولة مثل مصر، مساحتها أكثر من مليون كيلو متراً مربعاً، إلا أن نسبة المناطق المأهولة في حدود ٦% أي حوالي ستين ألف كيلو مترا مربعاً فقط، وبالتالي فإن باقي المساحة تعتبر صحراء، وهو ما يؤثر على استراتيجية الدولة. ومن هنا فإن سيناء تركت في فترات سابقة كمسرح للحرب، ومساحتها تساوي ثلاثة أضعاف مساحة إسرائيل، ولم تستغل إمكانياتها إلا بعد تحقيق السلام، وبناء المشروع القومي نشر العمران على أرض مصر في مساحة ٢٥% من مساحتها وهو المشروع الذي وضع من أجل تقليل الفراغ الاستراتيجي على أرض مصر ، ونفس الأمر ينطبق على دول مثل السعودية والسودان والجزائر ذات المساحات بينما العمران يمتد على مساحة حوالي ٥,٤% من رقعتها فقط ولذلك، فإن المناطق الحدودية تطلبت تجهيزات عسكرية هائلة عند وضع خطة الدفاع عنها مثل ما حدث في أعقاب أزمة غزو الكويت. عام (١٩٩٠) على الحدود السعودية، وما يحدث للسودان على حدوده الأمنية الجنوبية وهذا ينطبق أيضاً على العديد من الدول العربية وخصوصاً ذات المساحات الكبيرة والمتوسطة حيث تشكل تلك المساحات أعباء هائلة على استراتيجية الدفاع. وتأمين الحدود المترامية وبما يتطلب جهد في إعادة صياغة توزيع الكثافة السكانية على أرجاء الدولة، حيث يوفر التواجد البشري نظاما للدفاع، وتجهيز المسرح، ويعتبر عائقاً لحشد جهود العدو في اتجاهه. وقد لا

يشكل التناسب بين السكان ومساحة الدولة عائقاً كبيراً في بعض البلدان، محدودة المساحة بقدر ما يشكله للدولة ذات المساحة الكبيرة.

ويؤثـر عامل الفراغ الاستراتيجي الناشئ عن الكثافة السكانية على تنظيم القوات المسلحة لكي تصبح قادرة على تأدية مهامها بكفاءة، ويتطلب هذا التنظيم تكلفة مادية باهظة ومجهودا ضخما وتكنولوجية عالية.

١-نظـام متكامل للحصول على المعلومات وتحليلها، مرتبط بآلية متقدمة لاتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

٢-قـوات جوية بحجم مناسب للتعامل مع أي عدائيات تستغل هذا الفراغ الاستراتيجي لحين وصول القوات البرية.

٣-قـوات بـرية ذات خفـة حركة ومرونة عالية لتحقيق المناورة والتقدم السريع تجاه مصادر التهديد.

٤-وسـائل ردع يمكن من خلالها إيقاف تهديد العدو، أو نقل المعارك إلى داخل حدوده.

## النمو السكاني والاحتياجات الأمنية:

تتبايـن النسـب التنموية في معدلات السكان في الوطن العربي، وتختلف باخـتلاف المجتمعات وثقافتها ومستواها الاقتصادي، والتهديدات الموجهة لها. والـنمو السـكاني فـي الوطـن العربي يؤثر تأثيرا مباشراً على قدرة القوات المسـلحة، سـواء من حيث الحجم أو من حيث المستوى التقني وتوافر الشباب القـادر على التعامل مع التقنيات الحديثة.. ويمكن إحصاء القدرات العربية في النمو السكاني كالآتي:-

١-بلغ عدد سكان الوطن العربي عام (٢٠٠٢) حوالي ٢٩٨ مليونا، وذلك بمعـدل زيـادة متوسطة بلغ سنويا حوالي ٢,٥%، وهو من أعلى المعدلات في العـالم. وتتباين تلك النسبة من دولة عربية إلى أخرى، فبينما تصل نسبة النمو

فـــي دولـــة مثل مصر حوالي ٢,٢% سنويا، نجد أنها تصل في السعودية إلى ٢,٩٥%، وفي تونس إلى ٢,٢٥%، وفي سوريا ٢,٥٤%[١].

٢-ونتـــيجة لذلـــك، فإن الطاقات / النسب من الشباب القادرين على حمل الســـلاح يختلف بنسب متفاوتة بين الدول العربية فبينما يبلغ نسبة القادرين على حمـــل الســـلاح في سوريا يبلغ ١٢,١٢%، وفي السعودية ١٣%، وفي تونس حوالـــي ١٥%، وبرغم ذلك فإن حجم الشباب الذي ينخرط في القوات المسلحة يتباين بدرجة كبيرة، حيث تبلغ نسبة الشباب القادر على حمل السلاح في سوريا إلـــى نسبة ٤١,٢%، وفي السعودية حوالي ٤%، وفي تونس ٢,٦٧%، ويعود ذلـــك إلـــى مطالـــب هـــذه الدول من الشباب لتكوين قوات مسلحة قوية، تحقق الأهـــداف المـــرجوة، إلـــى جانـــب شعور الدولة بالتهديد، وحجم السكان بها، والاحتياجات الاجتماعية الأخرى.[٢]

### ٣-طاقة العمل وتأثيرها على النظام العربي :

طـــبقاً للمنهج الاجتماعي والتقدم الحضاري في الدول العربية، فإن متوسط طاقـــات العمـــل العربية تتجه بنسبة ٤٥,٨% لقطاع الخدمات، ونسبة ٣٥,١% لقطاع الزراعة، ونسبة ١٩,١% لقطاع الصناعة[٣].

وبشـــكل عـــام فـــإن هـــيكل القوى العاملة العربية تتميز بتدني الإنتاجية، خصوصاً في قطاع الزراعة وضعف مشاركة الإناث في قوى العمل العربية، إذ يصـــل هـــذا المعـــدل إلـــى أكثر من ٢٥% في كل من مصر والمغرب ولبنان وتونـــس، ويـــنخفض عـــن ذلـــك فـــي باقي الدول العربية بنسب متفاوتة طبقاً لتقاليدالدولة[٤].

---

(١) http://www. Cia.gov,cia/publications/factbook/goos/Arab.

(٢) انظر الملحق أ، ب المرفقين.

(٣) حال الأزمة العربية، مصدر سابق، ص ٨٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٨٢.

جـــ- وقد أشارت دراسات منظمة العمل العربية إلى أن الوضع الراهن للعمالـــة العربية لا يتناسب مع القدرات والطاقات الهائلة التي تتطلبها احتياجات العمـــل طـــبقاً للمقاييـــس الدولية، ووضعت المنظمة معدل النمو العالي للقوى العاملة، وتدني نوعيتها وإنتاجيتها، وارتفاع تكلفتها، بأنها من التحديات الأساسية للاقتصاد العربي وخصوصا في ظل العولمة[1].

## الأقليات في الوطن العربي، وانعكاساتها على الأمن القومي:-

إن مشكلة الأقليات في العالم العربي، ليست مشكلة تختص بها هذه الدول، ولكنها مشكلة عالمية يهبط ويرتفع تأثيرها طبقا لمسار الدولة، وحجم الديمقراطية التـــي يتمـــتع بها الشعب كي يعبر عن آرائه ويحصل على حقوقه، كذلك جهد الدولة في تذويب الفوارق بين الأقليات طبقا لنظام عادل ومتوازن.

والمـــنطقة العربـــية تحظى في غالبيتها بنوع من الاستقرار والتعايش بين الأعـــراف والمذاهـــب، والأديـــان، إلا فـــي بعـــض المناطق التي تشتعل فيها المواجهـــات والصراعات العرقية، وأهمها العراق، ولبنان والجزائر والسودان. وبتحليل المجتمع العربي من ناحية الأقليات نجد الآتي.[2]

١- إن خمســـة أقطـــار عربية تقل فيها نسبة الأقليات الاثنية عن ١٥%، وهي الأقطار الأشد جفافا وتشمل (السعودية - الأردن - قطر - تونس - ليبيا)، ويمكن القول بأن أوضاع الغالبية العظمى - من السكان شديدة التجانس. فهم عرب مسلمون سنيون - ساميون / حاميون.[3]

٢-أن أقطار عربية، تدخل في نطاق الدول المتوسطة التجانس، وهي الدول التي تحتوى على تكوينات اثنين لغوية أو دينية أو مذهبية بلغ نسبتها ما بين ١٥-

---

(١)المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) مصر والشرق الأوسط المرفق، مرجع سابق ص ٣٣٠-٣٣٢ (وتشمل الدراسة السكان الأصليون، دون التعرض للعمالة الوافدة) (انظر الملحق أو المرفق)

(٣) يوجد ١٠% من مسلمي السعودية وقطر يتبعون المذهب الشدمر

٢٥% من مجموع السكان، وهذه الدول هي (الكويت – الإمارات – عمان – الجزائر) وفي كل من الكويت والإمارات تصل نسبة الأغلبية العربية المسلمة السنية بين المواطنين إلى حوالي ٨٠%، وحوالي ٢٠ % مسلمون شيعة، وتنحدر من أصول ثقافية عربية، أما الآخرون فهم من أصول إيرانية في عمان (أغلبية مسلمة تتبع المذهب الخارجي الأباضي بنسبة ٧٠%، وأقلية مسلمة سنية عربية بنسبة ٢٠%، وأقلية شيعية بنسبة ١٠% تكون من عرب وإيرانيين).

٣-أن ثمانية أقطار عربية يصل الأقليات بها إلى ٢٥% أو أكثر. وهي (العراق – البحرين – لبنان – موريتانيا – اليمين – السودان – المغرب – سوريا). والعراق هو من أكثر الدول العربية تنوعا (٨٠% عرب – ١٨% أكراد – ٢% أخرى)، أما من ناحية الدين فإن ٩٥% من السكان مسلمون ينقسمون فيما بينهم إلى صنفين تقريبا شيعة وسنة. أما في البحرين فينقسم السكان إلى ثلاث جماعات (٤٥% عرب سنة، ٤٥% عرب شيعة، والإيرانيين ٨%، أخرى ٢%) من الشيعة تشكل ٥١% في البحرين، بينما السنة حوالي ٤٨%.

في سوريا، هناك أغلبية عربية مسلمة بنسبة ٦٥%، ثم العلويون بنسبة ١٢% والمسيحيون بنسبة ٨% وجميعهم عرب، إلى جانب ٨% من الأكراد المسلمين، ثم الدروز ٣% وأقليات أخرى ١% سوريا – مثل العراق – تتركز الأقليات في مناطق محددة ليشكلوا تجمعات بشرية.

وفي لبنان، فهي أكثر الدول العربية تنوعا من حيث الاثنين، والذي يتحدد أساسا في المحور الديني، والمحور الطائفي. فيه قسم لبنان إلى المسلمين بنسبة ٥١,٥ % مسلمون، ٤٩,٥% مسيحيون وفي كل مجموعة تتعدد الطوائف المذهبية بدرجات متعادلة.

أما في اليمن، فينقسم السكان إلى جماعتين اثنين، هما الشيعة الزيدية، والسنة الشافعية كل بنسبة ٤٩% وعن ٢% للاثنيات الأخرى.

٤-التقسيم الاثني العراقي في العالم العربي له مردودات وانعكاسات تمس الأمن القوى العربي ذاته:

*فبعض الدول العربية تستثني بعض الطوائف من التجنيد أو تولي مناصب قيادية في القوات المسلحة لاعتبارات أمنية (العراق يحد من تجنيد الشيعة إلى جانب عدم تنصيبهم في مراكز هامة).

*وفي بعض الدول تتصارع الأقليات بالصورة التي تشتعل فيها حروب أهلية (لبنان - جيبوتي).

*في بعض الدول تشكل الأقليات خطورة على الأمن العام، وتقوم بأعمال إرهابية ضد النظام الأمني للدولة نفسها (الجزائر والجماعات الإسلامية).

*في السودان أدى التقسيم العرقي إلى مشاكل قد تصل إلى تقسيم الدولة شمالا وجنوبا.

*وغير ذلك الكثير.

٥-وقد يحتاج التقسيم العرقي في العالم العربي إلى أسلوب للمعالجة يرتكز على تحقيق العدالة وتأكيد المواطنة إلى جانب إتاحة أكبر قدر من الديمقراطية لكي تعبر كل فئة عن مطالبها بحرية تامة.

## القدرات الأمنية في الوطن العربي:

سوف نركز في تحليل القدرات الأمنية على المجال العسكري والاستراتيجي، وهي تمثل القدرات التي تحقق عملية التوازن بين الأطراف الإقليمية، وتحقق أمن الدولة، والأمن القومي العربي بشكل كامل في مواجهة التهديدات الخارجية.

هناك العديد من المعاهدات والاتفاقيات الأمنية الموقعة ما بين الدول العربية أو بين بعضها وبعض الدول الأجنبية مثل:

١-معـــاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين الدول العربية (١٣ إبريل ١٩٥٠)

٢-اتفاقيات التعاون العسكري الثنائية الموقعة بين مصر وسوريا عام (١٩٦٦)، ومصر والأردن عام (١٩٦٧) واتفاق الوحدة الثلاثية بين مصر سوريا ليبيا عام (١٩٧١).. وغيرها.

٣-كذلـــك هناك اتفاقيات أمنية موقعة بين الدول الخليجية مع الولايات المتحدة، ودول الغـــرب فـــي أعقاب العدوان العراقي على الكويت عام (١٩٩٠)، ثم اتفاقية الدفاع المشترك الخليجي الموقعة بين الدول الخليجية الستة.

٤-إلا أن كل تلك الاتفاقيات لم تحقق الأمن القومي العربي المتكامل، لتصل إلى ما عليه الآن حيث ظلت المسألة العراقية / الكويتية تلقي بظلالها على السطح دون أي أمل لحلها في نطاق عربي، وعلى مدى قريب أو متوسط. إسرائيل تعمـــل علـــى تحقيق تفوق نوعي، في سبيل وصولها إلى قوة إقليمية رئيسية تحقق أهدافها من خلال القدرة العسكرية المتفوقة على أي دولة عربية أخرى في المنطقة.

*وتســـتمر الـــنزاعات الحدوديـــة بين الدول العربية، وتستمر التوازنات الاســـتراتيجية عربـــية / عربـــية دون أن توجه القدرات العربية تجاه الأعداء الحقيقيين.

*ولتزيد قدرة الدول - غير العربية - في الشرق الأوسط ولتشكل كل منها مصادر تهديد رئيسية للأمن القومي العربي.

*ويظـــل العـــرب غير قادرين على تجميع قدراتهم تجاه إحدى الدول غير العربـــية التي تقوم بالعدوان على إحدى الدول العربية، مثل ما يحدث حاليا من عدوان إسرائيلي على الفلسطينيين.

*وتقف القدرات العربية عاجزة عن إيقاف توجيه الولايات المتحدة لضربة عسكرية للعراق من أجل تقليص قدراته العسكرية.

## ثانياً: الإدارة العربية للأزمة:

نخـــرج ممـــا سبق أنه كانت هناك عوامل كثيرة متعارضة وظروف مرت علـــى الأمـــة العربـــية وضـــغوط متعددة الاتجاهات والأهداف وقدرات شاملة اســـتنفذت وتشـــتت مقاصدها. ولقد ألقت كل هذه المحددات والسلبيات بظلالها الكثيفة على شكل وأسلوب ومحدودية تأثير الإدارة العربية للأزمة.

نشير في البداية أن إدارة الأزمة عربياً لم تكن على مستوى الحدث نفسه، ولـــم تمـــارس أي إجراءات إيجابية، ولكنها اتسمت بمواقف سلبية كردود أفعال لأحـــداث متتالـــية ســـادت الساحة، وبالتالي فإن الأمة العربية تركت للولايات المـــتحدة الطـــريق ممهداً لاتخاذ القرارات طبقا لمصالحها الذاتية وتنفيذها على الأرض في حرية مطلقة، دون أن تنظر الدول العربية إلى انعكاسات ذلك عليها مستقبلاً، وبداية الأزمة نشأت عربياً بعد غزو العراق للكويت، ولم يكف مرور اثنـــي عشـــر عامـــاً على إيجاد حلول لها نظرا لسوء تصرفات العراق وتشدد الكويـــت وانـــتهاز الولايات المتحدة للفرص من أجل تأكيد تواجدها على أرض الخليج.. وقد تصاعدت الأزمة مرة أخرى عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١)، عندما أشير بأصبع الاتهام إلى الإسلام والعرب في المشاركة في تنفيذ تلـــك الأحداث بالتجريم أو المطاردة أو العقاب الاقتصادي أو المصادرة، وكان موقـــف الـــدول العربية هو التجاوب والدفاع عن النفس على استحياء من موقع اتهـــام. وفشـــل العـــرب فـــي وضع حد فاصل بين التعامل الأمريكي مع أفراد منحرفين من دول عربية معينة وبين التعامل مع سلطة الدولة، كما نسي النظام العربـــي أن يذكـــر الولايـــات المتحدة بأن استمرار اندفاعها نحو اتهام العرب بالإرهاب أو الكراهية ربما يضر بمصالحها في المنطقة وخصوصاً على المدى البعـــيد، وربمـــا كـــان هذا النسيان حدث نتيجة لعدم تواجد أي فكر عربي في اســـتخدام أسلحة العرب الاستراتيجية الشاملة في الضغط من أجل تحقيق أهداف عربية، لأنه لا يوجد استراتيجية من الأساس.

وخلال فبراير (٢٠٠٢)، وبعد تحقيق الولايات المتحدة الأمريكية جزءا من أهدافهـــا في أفغانستان بتفكيك قواعد تنظيم القاعدة / طالبان، وتشتيت زعمائهما وأفرادهما في الجبال والدول المجاورة، فإن الفكر الاستراتيجي للولايات المتحدة بـــدأ يتجه إلى المنطقة العربية بدءا بالدول التي ثبت وجود قواعد لتنظيم القاعدة فـــيها، منها الصومال واليمن والسودان، كذلك الدول العربية التي ثبت مشاركة بعض رعاياها في أحداث سبتمبر أو قامت منظمات أو أفراد منها بتمويل القاعدة أو الأحـــداث الإرهابية بصفة عامة، وكان من هذه الدول من هم حلفاء للولايات المـــتحدة مـــثل المملكة العربية السعودية أو الكويت، أو الإمارات... وبرغم ما تتمـــيز بـــه العلاقـــات مـــا بين هذه الدول والولايات المتحدة، وحجم المصالح المشتركة بينهم، إلا أن ذلك لم يكن شفيعا لهم، حيث وجهت الضغوط السياسية والاقتصـــادية على حكومات تلك الدول لاتخاذ إجراءات ضد رعاياها المتهمين في علاقاتاهم بتنظيم القاعدة. هكذا فقد نجحت الولايات المتحدة في تقسيم العالم العربي إلى عدة مجموعات، تتعامل مع كل منها باستراتيجية خاصة، تحقق من خلالها أهدافها ومصالحها على حساب العرب أنفسهم وساعدت على ذلك أنه لم يكـــن هـــناك حد أدنى من اتفاق عربي على إدارة الأزمة أو استراتيجية موحدة ولكـــن كـــان هـــناك استراتيجيات مختلفة تنفذها الدول العربية بصورة متفردة وترتـــبط بمصالح خارج نطاق الأمة العربية ويمكن تلخيص تلك الاستراتيجيات ومواقف الدول كالآتي:

مجموعـــة دول الخليج "دول مجلس التعاون الخليجي"، وهي مجموعة دول تضـــع الولايات المتحدة أهمية استراتيجية خاصة في التعامل معها وبالتالي فإن استراتيجيتها متأثرة تماما بالتوجه الأمريكي نحو المنطقة أو المصالح الأمريكية المرتبطة بالطاقة، وكذلك التواجد العسكري الفعلي الأمريكي على أرضها ومن هنا فإن الاهتمام الأمريكي يعود لعدة أسباب منها:

١- ما تمتلكه هذه الدول من احتياطي نفطي مؤثر على مستوى العالم.

٢- الموقـع الاستراتيجي الهام، الذي يمثل مجالاً حيويًا، ومركز ثقل للولايات المتحدة، يربط ما بين البحار والمحيطات التي تنتشر فيها القواعد الأمريكية.

٣- توجـه أمـريكا إلى احتواء إيران والعراق من خلال تواجد قواتها في تلك الدول.

٤- الـتوجه الاقتصادي نحو استقطاب عائد البترودولارز لهذه الدول، وإعادة تشـغيله فـي الولايـات المتحدة، وبما يقلل من الآثار السلبية في الاقتصاد الأمريكي نتيجة شراء النفط من دول الخليج.

والـتوجهات الاسـتراتيجية الأمريكية في إدارة الأزمة تجاه هذه الدول تم تحقيقها على مرحلتين، تلخصت المرحلة الأولى، في الفصل ما بين قضايا النفط وما بين التحالف الاستراتيجي لتحقيق أمن دول الخليج وما بين قضايا الإرهاب

ولـم تسمح الولايات المتحدة بأن يثار سلاح البترول كسلاح يمكن استخدامه فـي مواجهـة الولايـات المتحدة لتخفيف ضغوطها على العرب، بل إن حجم الضـغوط أدت إلى أن يصدر وزير الخارجية السعودي "الأمير سعود الفيصل" تصـريحا، "بـأن البـترول ليس دبابة أو مدفعاً يمكن أن نحوله إلى سلاح [١] وبتحيـيد أهم سلاح يمتلكه العرب، فقد مارست الولايات المتحدة ضغوطها على الحكومـات للقـبض علـى رعاياها المشتبه فيهم، وقامت بتجميد أرصدة أفراد وهيـئات عربية لمجرد شكوك في أنها استخدمت في تمويل تنظيمات إرهابية، ووضعت دول الخليج في قفص اتهام يشير إلى أن النظم الداخلية ومناهج التعليم والحـيز الديمقراطـي الـذي يحصل عليه الشعب من حكامه إلى جانب حقوق الإنسـان أدت كلهـا إلـى تنامي التوجه لدى شعوب دول الخليج نحو التطرف والإرهاب.

ولما تأكدت الولايات المتحدة الأمريكية من تحقيق أهداف المرحلة الأولى، بوضـع الأنظمـة الخليجـية فـي موضـع الدفاع عن النفس، بدأت المرحلة

---

(١) جريدة الأهرام، القاهرة، عدد ١٤ ابريل ٢٠٠٢.

الاستراتيجية التالية، بتصعيد الاتهامات للعراق وتأكيد نواياه المعادية لدول الخليج (الكويت والسعودية بالذات)، وللأسف كان العراق يستجيب لذلك، بإطلاق تصريحات عن مسئوليه تظهر من خلالها ما يكنه العراق تجاه الكويت أو غيرها وتلتقطه أجهزة الدعاية الأمريكية وتضخمه لإبراز أن النظام العراقي يمثل تهديدا لأمن الخليج. لذلك فإن الولايات المتحدة لم تجد عناء كبيراً في إقناع دول الخليج بتواجد قوات أمريكية بحجم كبير على أراضيها من أجل " نزع أسلحة الدمار الشامل التي يمتلكها العراق ".

ساعد على ذلك، أن هناك اتفاقيات استراتيجية أو أمنية أو عسكرية ما بين دول مجلس التعاون الخليجي (فرادى) وبين دول أجنبية كالآتي :

١- المملكة العربية السعودية: لها اتفاقيات عسكرية قديمة مع الولايات المتحدة، تستند عليها في تواجد قوات أمريكية على أرضها منذ عقد الستينيات، كذلك وقعت اتفاقيات أمنية مع فرنسا وبريطانيا في أعقاب حرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠/١٩٩١.. ويتركز على أرض السعودية قوات جوية أمريكية وبريطانية في قاعدة الأمير سلطان بالقرب من العاصمة الرياض، وفي قاعدة الظهران، وتخرج من هاتين القاعدتين الطلعات الجوية اليومية لمراقبة منطقة الحظر الجوي جنوب العراق.

٢- الكويت: في أعقاب حرب الخليج الثانية وقعت اتفاقية عسكرية وأمنية مع خمس دول (الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، وروسيا، والصين)، وسمحت للولايات المتحدة باستخدام قاعدتين جويتين لطلعات مراقبة الحظر الجوي جنوب العراق، إلى جانب تخزين أسلحة ومعدات أمريكية.

٣- دولة الإمارات العربية المتحدة: في أعقاب حرب الخليج وقعت اتفاقيات أمنية وعسكرية مع كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، وتخصص قاعدتين جويتين تستخدمهما الولايات المتحدة الأمريكية.

٤- دولة قطر: في أعقاب حرب الخليج الثانية وقعت اتفاقيات أمنية وعسكرية مع كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، ثم جددت الاتفاقية مع الولايات المتحدة عام (٢٠٠٢) لتنشئ الولايات المتحدة قاعدة " العديد " الجوية في قطر وليتمركز قسم من القيادة الأمريكية في قاعدة " السيلية"، ولتنقل القيادة الجوية المركزية الجوية الأمريكية من السعودية إلى قطر.

٥- البحرين: في أعقاب حرب الخليج الثانية، وقعت اتفاقية مع كل من الولايات المتحدة وبريطانيا، ثم جددت الاتفاقيات عام (١٩٩٥)، لتتمركز قيادة الأسطول الخامس الأمريكي في البحرين، إلى جانب تخصيص قاعدة جوية للطيران الأمريكي.

٦- عمان: في أعقاب حرب الخليج الثانية، وقعت اتفاقية عسكرية وأمنية مع كل من الولايات المتحدة وبريطانيا خصص بموجبها قاعدة جوية للقوات الأمريكية.

وربما يثير توقيع كل هذه الاتفاقيات تساؤلا نحو من هو صاحب المصلحة أو الساعي لها.. هل هي دول الخليج من أجل تحقيق الأمن، أو الخوف من عودة العراق لمثل ما فعل في الأول من أغسطس عام (١٩٩٠) باجتياحه للكويت؟ أم أن الولايات المتحدة هي التي سعت إلى ذلك؟.. وربما تكون الرغبة متبادلة في توقيع تلك الاتفاقيات لعدة أسباب.

**الأول**: أن الولايات المتحدة في تحقيقها لمطالب استراتيجيتها في حقبة الثمانينيات "استراتيجية النصر الحاسم" والتي تؤكد على تحقيق النصر الأمريكي في أي مواجهة عسكرية تخوضها مهما كانت شدتها، فإنها كانت تبحث عن قواعد رئيسية في مراكز الثقل الاستراتيجية في العالم، ومنها منطقة الخليج العربي.. وقد مثل الغزو العراقي للكويت الذريعة المثلى للولايات المتحدة لتحقيق مطالب دول الخليج "عن رضا كامل من جانبها" في التواجد الأمريكي

علـــى أرضـها لتحقيق الأمن ولتحقيق مصالح مشتركة[1] بين الجانبين، وبالتالي تحقـــيق أهداف الولايات المتحدة في بناء قاعدة استراتيجية في أحد أهم مراكز الثقل على مستوى العالم.

**الثانـــي:** أن دول مجلـــس الـــتعاون الخليجي، وضعت الدروس والخبرات المكتسبة من غزو العراق للكويت، في مقدمة التحديات الأمنية التي تواجهها من منطلق أن هذا الغزو غير من مفاهيم الأمن الخليجي، لذلك فإن دول الخليج في بحـــثها عن الاستقرار وإلى حين تنمية قدرتها الذاتية، فلابد أن تلجأ إلى "شريك" يدعـــم قدراتهـــا الدفاعية [2]، وكان هذا الشريك هو الولايات المتحدة، لأن دول الخلـــيج رأت مـــن وجهة نظرها الخاصة أو بضغوط أمريكية أن إعلان دمشق والـــذي عـــرف بصيغة " ٦ + ٢ " [3] والذي تم توقيعه في السادس من مارس (١٩٩١)، لا يحقـــق أمنا كاملا للخليج، إلى جانب أنه أدى إلى معارضة إيرانية مـــن منطلق رغبتها في المشاركة في صياغة استراتيجية متكاملة لأمن الخليج، كذلـــك إلى معارضة من الولايات المتحدة التي كانت ترغب في استمرار البقاء في المنطقة، لذلك فإن هذا الاتفاق ولد ميتا وتلك الوفاة حققت رغبة بعض دول الخليج التي كانت تشعر بحساسية نحو تواجد قوات عربية على أرضها.

**الثالث:** السلبية المطلقة لدول التأثير والثقل العربي وعدم قيامهم بدور فاعل للضـــغط على دول الخليج والتأثير عليها لعدم السماح بوجود قوات أجنبية على أرض عربية، وأن أمن الخليج هو شريحة من الأمن الشامل الذي يتأثر بالتواجد الأجنبـــي في أحد أجزائه الرئيسية، وترك الأمر لدول الخليج لتتصرف بمفردها بمعزل عن النظام العربي.

---

(١) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج من بداية العصور الحديثة حتى أزمة ١٩٩١، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٩١، ص٤٤١.

(٢)شمة بنت محمد بن خالد آل نهيان، تداعيات حرب الخليج الثانية على قضايا الأمن السياسي والاجتماعي وأمل مجلس التعاون الخليجي، المستقبل العربي، العدد ٢٤٦، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أغسطس ١٩٩٩، ص ٥٤.

(٣) هذه الصيغة تشير إلى دول الخليج الستة بالإضافة إلى دولتين من خارج مجلس التعاون الخليجي وهي مصر وسوريا.

**الـــرابع:** أن الهاجس الأمني يمثل أحد هموم دول مجلس التعاون الخليجي، مـــن منطلق أن الخطر في المنطقة يأتي من داخلها، وليس من خارجها، وتولي دول المجلـــس أهمـــية كبـــيرة للتعاون الأمني، إدراكا منها بأن الخطط التنموية والتطور والازدهار لن يتحقق إلا في ظل الاستقرار[1].

**الخـــامس:** أن دول مجلس التعاون الخليجي تعاني من مشاكل لا حصر لها فـــي بـــناء القدرة الدفاعية الذاتية، منها على سبيل المثال نقص الكوادر البشرية والفنية واختلاف العقائد القتالية ما بين دول المجلس، وعدم وجود قاعدة صناعية عســـكرية يعتمد عليها، والتباين في التوازنات ما بين رقعة الدول ومطالبها من عناصر الدفاع، وما بين القدرات العسكرية، وهي في النهاية لا تحقق أي توازن مع دول التهديد المباشر في داخل المنطقة نفسها، وهذا يدفعها إلى اختيار حليف مضمون يتولى مسئولية الدفاع والأمن، ولا شك أن الولايات المتحدة كقوة وحيدة على رأس النظام العالمي تمثل أفضل الخيارات.

وبالتالي فإن استراتيجية دول الخليج لإدارة الأزمة تلخصت في الآتي :

١- الاعـــتماد الكلي على الولايات المتحدة الأمريكية في تحقيق الأمن وتصفية الـــنظام العراقـــي الـــذي يشـــكل تهديداً خطيراً على أمن الخليج (من وجهة نظرهم). وتشعر لما تشعر به دول الخليج من نقاط الضعف العديدة والتي لا يمكـــن التغلـــب عليها في مدى زمني قصير أو متوسط، لذلك فقد آثرت أن يكون أمنها محققا من خلال التحالف مع دول كبرى ذات تأثير عالمي، ولها مصـــالح فـــي استقرار دول الخليج، لذلك فقد كانت الولايات المتحدة ودول الغـــرب بصفة عامة، هم أقرب الحلفاء الذين اعتمدت عليهم دول الخليج في تحقيق أمنها.

٢- تحيـــيد أي جهـــد عربي/عربي في حل الخلافات ما بين العراق والكويت، والتشـــدد فـــي المطالب من أجل استرجاع كل الحقوق الكويتية الذي اعتدى

---

(١) موجز إنجازات مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الأمانة العامة للمجلس ، الرياض، ٢٠٠٠، ص ٣٣.

علـيها العـراق، دون التوصل إلى حلول وسط.. وربما أدى ذلك في بعض الأحـيان إلـى انقسـامات داخل دول الخليج نفسها، حيث كانت هناك جهة متشـددة مـن السعودية والكويت، وأخرى تطالب بحلول للقضية مكونة من قطـر والإمارات، وثالثة غير عابئة من البحرين وعمان، وفي كل الأحوال كانت الجهة المتشددة هي صاحبة الصوت الأعلى.

٣- بـذل جهود في سبيل دعم القوة الذاتية الخليجية من أجل الوصول إلى قدرة عسـكرية تحقق جزءاً من أمن دول الخليج إلا أن ذلك لم يتحقق طوال اثني عشر عاما رغم الآتي :-

أ- أن الإنفـاق العسكري الخليجي قارب التريليون دولار منذ عام (١٩٨٠) وحتى نهاية عام (٢٠٠١)

ب- أن الإنفـاق العسـكري السـعودي وصل إلى ٢٧,٩ مليار دولار عام (٢٠٠١).

ج- رغـم كل هذا الإنفاق، فإن حجم القوات المسلحة ثابت تقريبا خلال عقد التسـعينيات (مـا بعد حرب الخليج) وحتى الآن، ولم تحقق دول الخليج طفرة في القدرة العسكرية تتناسب مع حجم الإنفاق العسكري.

د-محاولـة وجود استقلالية خليجية خارج النظام العربي، وبما يحقق ذاتية هـذه الدول، ووجود كيان إقليمي وعالمي لها، والبعد عن قضايا العرب الكثيرة والتي تنعكس بتأثيراتها عليها.

وفـي محاولة من دول مجلس التعاون الخليجي لصياغة استراتيجية دفاعية وأمنية متكاملة فقد أقر وزراء دفاع دول المجلس عام (١٩٩٣)، عدة ركائز لقيام تلك الاستراتيجية هي :-

١- نبذ اللجوء إلى القوة العسكرية في حل الصراعات الإقليمية والمحلية.

٢- أن أمن الخليج هو جزء لا يتجزأ من الأمن القومي العربي الشامل.

٣- تعزيـــز القـــدرات الدفاعـــية لدول الخليج وتوحيد نطاق تسليحها وعقيدتها القتالية.

٤- تطوير قوات درع الجزيرة لتولي مسئولية أمن الخليج.

ومـــنذ عام ١٩٩٣، وحتى الآن، فإن تلك الاستراتيجية لم ينفذ منها إلا أقل القليل، وبقيت دول الخليج تعتمد على الأمن "الوافد من الخارج" وخصوصا من الولايات المتحدة الأمريكية.

## حجـــم التســـهيلات التي قدمتها دول الخليج للولايات المتحدة للحشد في مواجهة العراق :

مـــنذ نوفمبر (٢٠٠٢)، هناك حركة دؤوبة في دول الخليج لاستقبال حشود عسكرية أجنبية، استعدادا لتوجيه ضربة عسكرية ضد العراق، وتستند هذه الدول على العديد من المبررات للتواجد الأجنبي على أراضيها، منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- أن الـــتواجد العســـكري الأجنبي يتم بموجب اتفاقيات سابقة، ودول مجلس التعاون الخليجي تحترم اتفاقياتها.

٢- أن الـــنظام العراقي دأب على تهديد الكويت، ولم ينفذ تعهداته السابقة التي طرحـــت فـــي قمة عمّان، وقمة بيروت، ولا يزال يحتفظ بأسرى كويتيين، وأرشـــيف الدولة الكويتية، ويطلق بين الحين والحين تصريحات تمثل تهديداً لأمن الكويت والخليج.

٣- أن دول الخليج تتعاطف مع الشعب العراقي، وتتمنى عدم قيام حرب، وتؤكد على التزام العراق بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١.

٤- أنـــه إذا كـــان وجود الرئيس صدام حسين على رأس النظام العراقي يمثل تحديـــاً للولايـــات المتحدة، فإنه يمكنه مغادرة العراق، ليتجنب شعب العراق والمنطقة ويلات حرب، وقد قامت دولة الإمارات العربية المتحدة (وهي أكثر الدول الخليجية التي قدمت معونات للعراق، ويمثل الشيخ زايد آل نهيان "أحد حكماء العرب"، الذي يحرص على تحقيق التوازن، ودعم الأشقاء في أوقات الشـــدة)، بطرح مبادرة من جانبها في صورة رسالة إلى مؤتمر قمة القاهرة في الأول من مارس (٢٠٠٣)، ثم نوقشت تلك المبادرة في مجلس التعاون الخليجـــي علـــى المســـتوى الوزاري، ثم طرحت كمبادرة في مؤتمر القمة الإسلامي في الدوحة يوم ٥ مارس (٢٠٠٣) تنص على الآتي:-

أ-أن تقرر القيادة العراقية التخلي عن السلطة وتغادر العراق على أن يتمتع بكـــل المـــزايا المناســـبة، وذلك في غضون أسبوعين من تاريخ القبول بالمبادرة العربية.

ب- تقديم ضمانات قانونية ملزمة محليا ودوليا للقيادة العراقية بعدم التعرض لها أو ملاحقتها بأية صورة من الصور.

ج- إصدار عفو عام وشامل عن كل العراقيين داخل العراق وخارجه.

د-تـــتولى جامعـــة الدول العربية، بالتعاون مع الأمين العام للأمم المتحدة، الإشـــراف على الوضع في العراق لفترة انتقالية يتم خلالها اتخاذ ما يلزم مـــن إجـــراءات من أجل عودة الأمور إلى حالتها الطبيعية وفق ما يراه الشعب العراقي الشقيق.

٥- أنه برغم قيام دول الخليج بتقديم تسهيلات لقوات أجنبية، إلا أنها لن تشارك في أي عدوان على العراق.

ونظرا لخطورة الموقف فقد دعا الرئيس حسني مبارك إلى عقد مؤتمر قمة طارئ في القاهرة لبحث موقف الأزمة العراقية واتفاق العرب على موقف موحد بهدف منع الحرب والاتجاه للحل السلمي ولكن كان هناك تردد من بعض الدول بعقد هذه الجلسة الطارئة بحجة أن مؤتمر القمة العادي سيعقد في ١٣ مارس ولهذا تحول إلى قمة عادية عاجلة وقد عقد في أول مارس حيث تقرر فيه التأكيد على رفض الحرب كحل للمشكلة وعدم المشاركة في أي حرب ضد العراق مع دعوة العراق بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ أو المعاونة الجدية في عملية التفتيش لإثبات عدم امتلاكها أسلحة دمار شامل. مع تشكيل لجنة مفوضة من القمة لزيارة أطراف الأزمة والقوى المؤثرة وكذلك العراق لشرح وجهة النظر العربية. ولكن لم تظهر نتائج ملموسة لهذه اللجنة خاصة وقد رفضت العراق استقبالها وطلبت تأجيلها لوقت مناسب.

وقد نصت الفقرة الأولى من قرار القمة العاجل على: "تأكيد الرفض المطلق لضرب العراق، أو تهديد أمن وسلامة أي دولة عربية باعتباره تهديد للأمن القومي العربي، وضرورة حل الأزمة العراقية بالطرق السلمية في إطار الشرعية الدولية (ودول مجلس التعاون الخليجي كانت ضمن الدول العربية التي وافقت على هذه الفقرة) كما تنص الفقرة الخامسة، والتي تتوجه مباشرة لدول الخليج بأنه "التأكيد على امتناع دولهم عن المشاركة في أي عمل عسكري يستهدف أمن وسلامة ووحدة أراضي العراق وأي دولة عربية"..

وهذه الفقرة سبق أن وردت في قرارات مؤتمر الجامعة العربية على المستوى الوزاري في السابع عشر من فبراير (٢٠٠٢)، ولكن بصورة أشد وهي "امتناع دول الخليج عن استخدام أراضيها في شن عدوان على العراق".

وفي المؤتمر الإسلامي في الدوحة، تكررت هذه الفقرات بنفس نصوصها تقريباً.

هل هناك نية مشاركة خليجية في التحالف ضد العراق ؟

من المعروف أن المشاركة في أي حرب ذات شقين:

الأول: مشـــاركة سلبية.. بمعنى أن لا تشترك قوات الدولة في أي هجوم على دولة أخرى، وتبقى قواتها العسكرية داخل حدودها، ولكنها في نفس الوقت تســـمح لقوات دولة / دول أخرى باستخدام أراضيها أو قواعدها العسكرية أو موانـــيها في شن الحرب على هذه الدولة، وهي الحالة التي اتخذتها بعض دول الخليج.

الثاني: هي مشاركة قوات الدولة في التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضـــد العراق، وهنا يبرز سؤال هام (يردده رجل الشارع العربي) وهو ما هي مهمـــة قـــوات درع الجزيـــرة التي توجهت إلى الكويت خلال شهري فبراير ومـــارس (٢٠٠٣)؟ فالقرار المعلن، أن هدف تواجدها على أرض الكويت هو دعـــم القوات الكويتية ومساعدتها في الحفاظ على الأمن داخل الكويت، كما أن حجـــم القـــوات علـــى أرض الكويت كاف لتحقيق هذا الأمن، ومن هنا فإنهم يشيرون بإصبع الاتهام بأن تواجد هذه القوة على أرض الكويت تعني مشاركة خليجية كاملة في التحالف الدولي ضد العراق، وخصوصا أن إعلان "رامسفيلد" يشير إلى هذه المشاركة، عندما أعلن أن دول الخليج بالكامل سوف تشارك في التحالف الدولي عدا دولة واحدة، وعندما سئل عن هذه الدولة أجاب بأنه يترك ذلك لكي تدافع كل دولة عن نفسها.[1]

---

(١)تصريحات صحفية لوزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد، قناة الجزيرة، حصاد اليوم، ٢٠٠٣/٢/٢٧.

فـــي نفس الوقت فإن هناك حادثتين تشيران إلى تأكيد مشاركة بعض دول الخليج مشاركة إيجابية :

ففـــي الكويت: وعقب تصريحات السيد طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقـــي عـــن استعداد العراق لتوجيه ضربات للحشود الأمريكية على أرض الكويـــت، فقـــد تصاعدت التصريحات الكويتية بأنهم لا يخفون انطلاق القوات الأمريكية / البريطانية من أراضيها لتوجيه ضربة إلى العراق، وزاد على ذلك، أنـــه عندما صوت البرلمان التركي بعدم نشر قوات أمريكية على أرض تركيا، فقـــد صـــرح وزيـــر الخارجية الكويتي، بأن الكويت مستعدة لاستقبال القوات الأمريكية على أراضيها.(١)

وفـــي السعودية: فقد صرح أحد المعارضين السعوديين بموقف بلاده التي تعلن باستمرار بأنها لن تسمح باستخدام أراضيها لعدوان على العراق حيث ذكر أن هـــناك قـــوات أمريكـــية موجـــودة في مطار عرعر السعودي على الحدود الســـعودية / العراقية وقد تم إغلاق المطار أمام السعوديين، كذلك تتواجد قوات أمريكـــية في حفر الباطن خميس مشيط، وكلها سوف تستخدم ضد العراق.. وقد اضـــطر الأمـــير ســـلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس الوزراء ووزير الدفـــاع والمنســـق العام للقوات المسلحة، إلى تأكيد ذلك في اليوم التالي مباشرة (٩ فـــبراير ٢٠٠٣)، وذكـــر أن وجود هذه القوات لأغراض إنسانية واستقبال اللاجئين العراقيين كما أكد وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل، بأن السعودية لن تفتح أراضيها أمام القوات الأجنبية لضرب الكويت.(٢)

---

(١) قناة الجزيرة حصاد اليوم، ١٦، ٢٨ فبراير ٢٠٠٣.

(٢) قناة الجزيرة، حصاد اليوم، ٨،٩ فبراير ٢٠٠٣.

## الدور المصري في إدارة الأزمة العراقية الأمريكية:

لقد سعت مصر جاهدة لمنع انفجار الأزمة بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية على كافة الأصعدة العربية والإسلامية والوصول إلى حالة الحرب ومن خلال دول عدم الانحياز والتي يزيد عددها عن مائة دولة وكذلك بالتنسيق مع الدول الكبرى سواء المعارضة أو المصممة على الخيار العسكري لحل هذه الأزمة ونوضح هنا الدور المصري في إدارة هذه الأزمة التي تهدد الأمن والاستقرار في المنطقة.

## ركائز الدور المصري:

مصر هي أكبر دولة عربية في المنطقة، كما أن مساحتها أيضاً تعتبر من الدول ذات المساحة الكبيرة في الوطن العربي تمثل ٧% من مساحة الوطن العربي وتقع عليها مسئولية الشقيقة الكبرى لكافة الدول العربية وعليها أن تقوم بالدعم والمساندة والمشورة لكافة قيادات الدول العربية، كما أن مصر تعتبر من المحطات الرئيسية في صياغة قرار مستقل، ومصنع المنطقة العربية، كما أنها محور المشاركة في كافة الصراعات التي تشهدها المنطقة.

إن إيمان مصر بقضايا الوطن العربي بلا حدود ومنذ ثورة يوليو (١٩٥٢) وإحيائها للقومية العربية والتي أصبحت منذ ذلك الوقت محور السياسة الخارجية لمصر ونهضتها ومساندتها كافة القضايا التحررية في الوطن العربي بل والأفريقي أيضا بدءا من قضايا استقلال العراق ذاتها والخلافات العراقية الكويتية في التسعينيات مروراً باليمن والسودان حتى الجزائر غربا وقد كان التحرك المصري تجاه العراق حرصاً على وحدة أراضيه واستقلاله ومساعدته للخروج من محنته والأزمة التي وضع نفسه بها.

تحظى مصر بمكانة هامة في الوطن العربي وذات ثقل عالميا، وقد كان ذلك منطلقا من مشاركة مصر في جهود السعي لتحقيق حل سلمى للأزمة

العراقـــية الأمريكية بدلاً من الوصول إلى الصراع المسلح لحل الأزمة وقد كان ذلك محور السياسة الخارجية المصرية خلال الفترة ما قبل الغزو ويمكن القول إن التحرك السياسي المصري تركز خلال العامين الماضيين للوصول إلى حلول توفيقية للصراع العراقي الأمريكي والصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

لقد كان لدى مصر قناعة بمكانة العراق إقليمياً وكجزء رئيسي في المسيرة العربية وجهودها لعودة العراق قويا للوطن العربي في إطار العقوبات والحصار المفـــروض على العراق منذ عام (١٩٩٠) حاولت مصر إقناع القيادة العراقية بأهمية الوصول إلى حلول سلمية وتجنيب شعب العراق ويلات الحروب والدمار لحاجـــة الوطـــن العربي لقدرات العراق العسكرية والاقتصادية ودعمه السياسي للدول العربية ليكون إضافة للقوى العربية وليس عبئا عليها.

لقـــد اعتمد التحرك المصري لمواجهة الأزمة العراقية الأمريكية من قناعة مصر من أن الولايات المتحدة الأمريكية تنتهج في سياستها الكيل بمكيالين فهي لا تنفذ الشرعية الدولية تجاه إسرائيل بل تمنع من إقرار الشرعية الدولية ضدها في الوقت الذي ترتكب المجازر وترفض تطبيق حتى القرارات التي اتخذت، في الوقت الذي تحاول فيه إدانة العراق سواء بالضغط عليه عبر الشرعية الدولية أو حـــتى اتخاذها القرارات ضده منفردة دون أي شرعية دولية مثلما أقامت مناطق حظـــر شـــمال وجـــنوب العراق تذرعت بواسطتها لضرب العراق شبه يومي بدعوى المراقبة عليها مقارنة بما تمتلكه إسرائيل من كافة أنواع أسلحة التدمير الشـــامل من أسلحة وذخائر كيماوية وبيولوجية وأسلحة نووية تضعها في مرتبة أكبر خمس دول نووية في العالم ومختلف أنواع الصواريخ المتوسطة والطويلة المدى دون أي قيد على امتلاكها أو التلويح باستخدامها.

## جهود مصر لمواجهة الأزمة

لقد رفضت مصر الخيار العسكري لحل الأزمة العراقية الأمريكية وحذرت مـــرارا مـــن مخاطـــر اللجـــوء للحرب سواء مع الجانب العراقي ذاته أو على الولايات المتحدة الأمريكية والتي أوضحت لها مرارا عن تداعيات الحملة على العـــراق وعلـــي المنطقة العربية كلها كما أن مصر تؤمن بأنه ترديد الولايات المـــتحدة الأمريكية تغيير النظام العراقي فهذا شأن داخلي لا يمكن تحقيقه بالقوة المسلحة.

## ويمكن حصر الجهود المصرية في المسارات التالية:-

أكـــدت مصر دوما على أنه يجب العمل على حل الأزمة العراقية بالطرق الســـلمية في إطار احترام قرارات مجلس الأمن الدولي وهو ما أوضحه وزير خارجيتها دوما في العديد من تصريحاته خاصة خلال الفترة الأخيرة بقوله:

"إن بـــلاده تـــبذل جهودا كبيرة لتجنب توجيه ضربة عسكرية للعراق وإن التحرك المصري في ذلك يتم على ثلاثة محاور أساسية هي:-

- العمـــل مـــع العـــراق منذ قبوله عودة المفتشين الدوليين وتشجيعه على استمرار التعاون مع المفتشين لدرء أي ذريعة لتوجيه ضربة عسكرية له.

- العمـــل مـــع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأخرى لتأكيد ضرورة الـــتحرك في إطار مجلس الأمن واحترام الشرعية الدولية وعدم اتخاذ خطوات انفـــرادية يكـــون من شأنها زيادة التوتر وإيجاد ظروف تعرض مصالح الجميع للخطر.

- وأخـــذ التحرك على مستوى الأمم المتحدة ولجان التفتيش على الأسلحة العراقـــية ووجهـــت مصـــر أكثر من دعوة إلى القيادة العراقية تحثها فيها على

ضرورة التعاون التام والكامل مع فرق التفتيش حتى لا تقدم أي ذريعة للعدوان عليها ولهذا لم يكن غريبا أن يحذر الرئيس المصري مبارك نهاية شهر يناير (٢٠٠٣) الماضي النظام العراقي من "عدم الوقوع في خطأ حرب الخليج القانونية" قد يتصور الجانب العراقي أن حشد القوات العسكرية الأمريكية مجرد مظاهرة وطالب النظام العراقي أن يأخذ الأمر مأخذ الجد، وأن يبدى التعاون الكامل مع لجان التفتيش.

وفي إطار الرفض المصري للعمل العسكري كان إصرار مصر عدم منح أي تسهيلات للولايات المتحدة الأمريكية برغم الجهود الأمريكية وضغوطها على مصر منذ بداية العام (٢٠٠٢) في كافة الصحف والمجلات ومن تصريحات كبار المسئولين بقطع المعونة الاقتصادية والعسكرية التي تمنحها الولايات المتحدة الأمريكية إلى مصر وأصبح هذا الحديث شبه يومي وتهديد وتلميح بعدم تعاون مصر مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ويمكن القول إن قبول الرئيس العراقي بعودة المفتشين الدوليين والذي أعلن عنه في سبتمبر (٢٠٠٢) يرجع بالأساس إلى دعوات الرئيس المصري مرارا بقبول عودة المفتشين الدوليين وجهود المملكة العربية السعودية أيضاً.

## على المستوى العربي

لم تتحرك مصر في إطار هذه الأزمة منفردة بل سعت بالتعاون مع دول عربية أخرى مثل سوريا والمملكة العربية السعودية على المستوى الثنائي وعلى المستوى العربي أيضاً كانت مصر قد دعت يوم ٢٠٠٣/٢/١٤ رسميا إلى عقد قمة عربية طارئة تخصص للملف العراقي وطلبت من جامعة الدول العربية إبلاغ الدول الأعضاء وكان وزراء الخارجية العرب قد اجتمعوا اجتماعا طارئا في مقر الجامعة يوم ٢٠٠٣/٢/١٦ تمهيدا للقمة وبرغم محاولات بعض الدول

عـــرقلة عقد القمة إلا أن مصر سعت جاهدة إلى عقده حيث عقد في الأول من مارس (٢٠٠٣).

وكـــان الرئيس مبارك قد أشار بعد محادثات أجراها مع ملك البحرين يوم ٢٠٠٣/٢/١٤ إلـــى أن هـــناك ضرورة ملحة للبحث عن حل للأزمة العراقية خاصـــة أن القمة العربية لو عقدت في موعدها سيكون أمامها شهر ولو وقعت الضربة وترك الأمر كما هو عليه فلا يمكن ضمان ماذا سيحدث.

هذا وكان كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة قد ذكر في خطاب له أمام الجمعـــية العامـــة للأمم المتحدة في ٢٠٠٢/٩/١٣ أنه يحيي بصفة خاصة دور العديد من الدول العربية والأمين العام للجامعة لجهودهم في إقناع العراق بقبول عـــودة المفتشين الدوليين مما يؤكد الجهود المصرية في محاولات الوصول إلى حل سلمي للأزمة.

## على المستوى الإسلامي ودول عدم الانحياز:

شاركت مصر بفاعلية في مؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامي وقمة دول عدم الانحـــياز والتي تضم في عضويتها الدلو العربية والإسلامية ويزيد عدد دولها عن مائة دولة والتي عقدت اجتماعاتها أوائل العام (٢٠٠٣) والتي أكدت خلالها رفضـــها الـــتام لأي عدوان أمريكي على العراق بل ودعت إلى وقف استخدام أراضـــي الـــدول لانطـــلاق القـــوات الغازية، وقد كان مشاركة مصر بفاعلية، وســـاندت اجـــتماعها بهـــدف الإعلان القائم على الحل السلمي لتجنيب المنطقة ويلات وآثار الحرب.

## على المستوى العالمي:

لم تدخر مصر جهدا فى تحركها على المستوى العالمي تجاه الدول الكبرى بـــدءا مـــن الولايـــات المتحدة الأمريكية ذاتها كان آخره الاتصال الذي تم بين الرئـــيس المصري مع الرئيس الأمريكي جورج بوش في منتصف شهر فبراير (٢٠٠٣) والـــذي كان قد أعرب فيه عن أمله في التوصل لحل للأزمة بطريقة سلمية مؤكدا أنه لا يريد الدخول في حرب.

كما أنه على صعيد الدبلوماسية المصرية لتجنب المنطقة حرب محتملة قام الرئيس المصري في الثامن عشر من فبراير (٢٠٠٣) بزيارة لألمانيا استغرقت يومين ضمن جولة أوروبية شملت فرنسا وذلك لمناقشة ما يسمى بخطة الميراج التـــي تقدمـــت بهـــا الدولتان لنزع أسلحة العراق سلميا وتوسيع نظام العقوبات والمراقـــبة وجعـــل العـــراق بأكملـــه منطقة حظر جوي وقيام طائرات تجسس واستطلاع بمساعدة أعمال المفتشين الدوليين.

## ثالثاً: العراق وإدارته غير الرشيدة للأزمة:

عند تحليل إدارة العراق للأزمة، فمن الصعب الفصل ما بين البدايات التي أدت إلـــى تصـــاعد الأزمة إبان حرب تحرير الكويت، والتي أدت بدورها إلى تمركز القوات الأمريكية البريطانية على أرض الخليج، وما بين الإجراءات التي تصـــاعدت على مدى عقد كامل إلى أن أوصلتنا إلى ما نحن فيه الآن بمعنى أن العـــراق على مدى ثلاثة عشر عاما أدار الأزمة بصورة غير رشيدة، وبأسلوب مـــتراكم جعـــل من الصعب على أي محلل أن يجد له مخرجا يبعد عن الشعب العراقي شبح الحرب، أو يقي العراق نفسه من التدمير.

والقـيادة العراقية تصرفت في كل الأحوال بنفس نمط الأساطير الإغريقية والرومانـية القديمـة والتي تصور البطل وهو قادم على المحرقة بخطى ثابتة، دون إبـداء أي علامات تنم عن تقديره لما سيحدث له، أو تحكى قصص تعذيب الـنفس التـي يمارسها أبطال الأساطير من أجل التقرب إلى الآلهة أو المحبين وعـندما نـتذكر تلك الأساطير، تبدو الصورة واضحة لنا من تصرفات النظام العراقـي نحـو منطقته وتجاه القوى الرئيسية في العالم. ومن هنا يمكن تحديد السوابق التاريخية لجذور الأزمة التي أدارها العراق، وأوصلته إلى الهاوية.

* فقرار مواجهة إيران عسكريا، وشن حرب ضروس عليها، والتي بدأت في الحادي والعشرين من سبتمبر (١٩٨٠) كان قراراً خاطئاً، وتشير كل الدلائل علـى أن العـراق دفع للحرب بالوكالة عن آخرين من أجل الانتقام من حادث السـفارة الأمريكـية فـي طهـران عام (١٩٧٩)، كذلك تحجيم انتشار الثورة الإيرانية، والتي كانت قد أعلنت مبادئها في إقامة دولة شيعية في المنطقة تكون عاصـمتها "قـم" وبالتالي فإن دول الخليج مستهدفة من إيران إلى جانب أجزاء أخـرى مـن الأمة العربية والتحجيم لا يأتي إلا إذا تم توجيه ضربة إلى إيران وإشـغالها عـن تحقيق أهداف الثورة، واختيرت العراق لأن تنفذ تلك الضربة والحرب بالوكالة سواء عن أمريكا أو الدول الخليجية، لأنها كانت القوة الوحيدة المؤهلة لمثل تلك المهمة إلى جانب أنه كانت هناك أزمة لازالت آثارها قائمة ما بيـن العـراق وإيـران تتمثل في تقسيم شط العرب طبقا لاتفاقية الجزائر عام (١٩٧٥)، والتي رأى النظام العراقي أنه كان مجبرا على توقيعها من أجل تحييد إيـران وإبعادهـا عن مشكلة الأكراد التي كانت تدعمهم للحرب بالوكالة عنها لاسـتنزاف قدرات العراق، وإشعال حرب أهليه تؤثر تأثيرا مباشرا على النظام العراقـي نفسه وتجاوب النظام العراقي، وارتضى لنفسه الحرب بالوكالة، وأدار الأزمـة مـن منطلق عقائدي وثني قديم، وهو الصراع ما بين الفرس والعرب،

وحـــاول في العديد من المرات أن يستغل الموقف لإشعال ذاكرة التاريخ وينمى العـــداء القديـــم ويجدده من أجل شحذ همم الدول العربية في خوض الحرب إلى جانـــب العـــراق وقد أدى طول مدى الصراع الذي دام مدة ثماني سنوات (٢٠ سبتمبر ١٩٨٠ - ٨ أغسطس ١٩٨٨) إلى أن يطلق على هذه "الحرب المنسية"، نظـــرا لأن استمراريتها كانت تؤيدها القوى التي أشعلت الصراع من الأساس، إلى جانب أن المسالة اللبنانية التي تزامنت مع تلك الحرب، كانت تستولي على اهـــتمامات العالم لتركيز الإعلام عليها، بينما لا تهتم الميديا الإعلامية الإقليمية والعالمية بمنطقة الحرب العراقية الإيرانية.. وعموما فقد أفرزت تلك الحرب فيما يخص العراق العديد من العناصر الرئيسية التي أدت بدورها إلى افتعال أزمات متلاحقة.. ومن تلك العناصر:-

- نماء قوة العراق على مختلف الأصعدة، فقد أدى الدعم العربي والعالمي الذي كان يقدم للعراق إلى بناء قدرة عسكرية ضخمة خلال الحرب تتلخص في تكويـــن الجـــيش العراقـــي الذي بلغ حجمه ما بين ٨٠٠ ألفا ومليون فرد يمتلك ٥٥٠٠ دبابة، وحوالي ٧٠٠ طائرة معظمها طائرات متقدمة، وآلاف المدافع من الأعيرة المختلفة، وكل ذلك يندرج في ٥٢ فرقة مشاة ومدرعة إلى جانب الأفرع الرئيسية الأخرى، ومنها القوة البحرية التي فازت إيطاليا وفرنسا بصفقه القرن فـــيها لبـــناء أسطول عراقي حديث يحتوى على ٦ مدمرات إلى جانب زوارق الصـــواريخ والـــزوارق والسفن الأخرى... وهى التي كانت القيادة العراقية تهـــدف من خلالها إلى السيطرة على الخليج العربي بدءاً من مضيق هرمز إلى رأس الخليج في أم القصر.

- وفى مجال الصناعات العسكرية، فإن العراق تمكن من بناء قاعدة وطيدة لهذه الصناعات التقليدية بمختلف أنواعها، وكانت له برامجه النووية كذلك كانت له برامجه في إنتاج الصناعات الإلكترونية الدقيقة.

- وإلـــى جانـــب ذلك فقد كانت هناك مشكلة اجتماعية تنعكس آثارها على الأمن الوطني العراقي بصورة كبيرة، وهي الإجراءات التي كان يجب اتخاذها بعد انتهاء الحرب، من تسريح دفعات المجندين، وحل الجيش الشعبي والحد من إنـــتاج الأسلحة والذخائر، وقد وجدت القيادة العراقية صعوبة بالغة في ذلك لأن تلـــك الإجراءات ستؤدى إلى انتشار البطالة، إلى جانب تغير النمط الاجتماعي الذي استمر لمدة ثمانية سنوات، وهو الاعتماد على عمل المرأة وتشغيل العمالة الأجنبية المتخصصة وغير المتخصصة في مختلف المهن، وبالتالي فإن تصادماً اجتماعـــيا لابـــد أن يحـــدث فيما لو تم تقليص حجم القوات المسلحة والوسائل الإنتاجية المتعلقة بها فجأة. وكانت هناك رغبة أكيدة للقيادة العراقية للحفاظ على القـــوة العسكرية لعدة أسباب، منها التخوف من انتقام إيراني ضد العراق، ومنها أن العراق المنتصر لابد أن يسود، وأن يعتلى النظام العربي والإقليمي، ويصبح الـــنظام العراقـــي هو الذي يقود الأمة العربية، وأن الحفاظ على القوة هو الذي ســـيجبر الـــدول النفطـــية على سداد ديون الحرب الخاصة بالعراق إلى جانب مســـاهمتها في تمويل البرامج العسكرية العراقية لإنتاج الأسلحة غير التقليدية. وكـــان هـــناك التفكير في شن حرب أخرى، يتم من خلالها معالجة كل عوامل الأزمة المتعلقة بالنواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية واستند على العديد من العوامل من وجهة نظر عراقية.. **أهمها:-**

١- أن للعـــراق حقوقاً تاريخية في أرض الكويت، وأنها كانت في حقبة الحكم العثماني قطاعا من لواء البصرة العراقي، وأن احتلال الإنجليز لها ثم منحها الاســـتقلال عام (١٩٦١) لا يخل بتلك الحقوق، وأن العراق منذ اليوم الأول لإعـــلان استقلال الكويت وهي تطالب بضمها إلى العراق، ولم يختلف حاكم عراقي على ذلك منذ أن استقلت العراق نفسها وحتى الآن... والوضع الحالي

– ومـــن خلال القدرة العسكرية المتميزة للعراق – يمكن تحقيق ذلك، وإنهاء تلك المطالبة بالضم الفعلي للكويت.

٢- أن العـــراق كدولة إقليمية كبرى ذات قدرات عسكرية متميزة، لابد لها من حـــدود بحـــرية طويلة وعميقة، يعمل من خلالها الأسطول العراقي للسيطرة على الخليج العربي والتحكم في مضيق هرمز الذي يمر من خلال ٣٠% من صـــادرات الخليج من البترول يومياً، وهذا في حد ذاته يؤكد سيطرة العراق وقدرتها وينعكس على مدى تأثيرها على المستوى الإقليمي والعالم.

٣- أن القـــدرة الاقتصادية للكويت تحقق طفرة كبيرة لاقتصاد العراق، وتجعله يـــنطلق إلـــى آفـــاق بعيدة سواء على مستوى الاقتصاد العالمي أو البرامج العســـكرية غـــير التقلـــيدية التـــي يسير فيها العراق، كما تحقق سداد ديونه الخارجـــية التـــي وصلت بعد انتهاء الحرب العراقية / الإيرانية إلى حوالي ١٢٠ ملـــيار دولار.. في نفس الوقت، فإن ضم الكويت سيجعل من العراق دولة بترولية كبرى، تتحكم في حوالي ٢٠% من إجمالي احتياطي العالم من البترول.

كـــل ذلك وغيرها من العوامل في تقدير الحسابات الخاطئة أدت إلى اتخاذ القيادة العراقية قرار غزو الكويت في ليلة ٢/١ أغسطس (١٩٩٠)، دون تقدير لعوامـــل أساسية أخرى تحظر عليها اتخاذ مثل هذا القرار، حيث إن استراتيجية المكان ترتبط بالاستراتيجية العالمية وليست بالاستراتيجيات الإقليمية، وأن العالم مقـــدم على نظام عالمي جديد له ضوابط تحدد في سيطرة رأس النظام على كل شبر من العالم، وهو ما ذكره الرئيس بوش "الأب" وقتها "أن ما فعله العراق لا يمكن أن يحدث في زماننا" بمعنى أن الحروب الإقليمية غير مسموح بإشعالها إلا من خلال توازنات وأهداف محددة لا تضر بمصالح الدول الكبرى.

– وفي غمرة الإعداد للغزو ارتكب النظام العراقي العديد من الأخطاء حتى مع أقرب المقربين إليه، حيث استخدام الاتصالات مع الدول الفاعلة "مصر / السعودية" في تحقيق الخداع الاستراتيجي المتعلق بالحرب، وحاول تكوين تحالف قبل الحرب فيما سمي "مجلس التعاون العربي" والذي تمت صياغته وتفعيله بالتنسيق مع الأردن، وضم إلى جانبها كلاً من مصر واليمن، وكان الهدف الحقيقي من هذا المجلس هو استغلال قدرة مصر في تحقيق أهداف العراق ولكنه فشل في ذلك تماماً لأن مصر تعرف قدرها، ولا يمكن أن تجر لمثل هذا المستنقع، ومن أجل تجميع رأى عام أو دول مؤيدة لهذا الغزو فقد حاول – مسبقاً – توزيع ثروات دول الخليج على أنظمة ودول وتجمعات شعبية، زاعما أن البترول هو ثروة كل العرب، ولا يجب أن تستأثر به دول أو أنظمة بعينها.

وكانت "عاصفة الصحراء" هي الرد الفريد للقرار الخاطئ للقيادة العراقية، حيث استأثر العراق بـ "١٧" قرارا من مجلس الأمن الدولي من ضمن ٢٧ قرارا أصدرها مجلس الأمن تأخذ أرقاما من القرار ٦٦٠ في ٢ أغسطس ١٩٩٠، حتى القرار ٦٨٧ في السابع من إبريل ١٩٩١. وقد أدت انعكاسات هذه الحرب إلى حصار للعراق دام اثني عشر عاما متصلة، ودمر مقدرات الشعب العراقي بالكامل وأطاح بكل ما يملك من مقومات الأمن القومي، حيث أصبحت أرض وسماء العراق أهدافاً مستباحة للولايات المتحدة وبريطانيا تحت مسمى مراقبة مناطق الحظر الجوى. والتي أعلنتها دول التحالف (دون قرار من مجلس الأمن في السابع والعشرين من أغسطس ١٩٩١) من أجل حماية سكان العراق من الشيعة في الجنوب والأكراد في الشمال نتيجة استخدام النظام العراقي لقواته الجوية في إخماد الثورات التي اشتعلت بواسطتها في أعقاب حرب عاصفة الصحراء.

وتوالت الضربات والنكسات والحصار على العراق نتيجة لقرارات عراقية لا تساير الحالة السائدة في المنطقة، ولا الحصار المدمر الذي فرض على العراق بقرار من مجلس الأمن والذي سعت الولايات المتحدة بكل جهدها لتنفيذه بشكل متكامل.. ومن القرارات الخاطئة التي كان لها رد فعل مباشر آخر بالعراق:

١- محاولة القيادة العراقية حشد قوات على حدود الكويت، وكان الرد من قوات التحالف قصف جوي في الفترة من ١٣-١٨يناير (١٩٩٣)، راح ضحيته ٤٤ عراقياً طبقاً لإعلان العراق نفسها.

٢- تدبير محاولة لاغتيال الرئيس بوش "الأب" عند زيارته للكويت، وكان نتيجة لاكتشافها قذف مقر الاستخبارات العراقية في بغداد بعدد ٢٣ صاروخاً "توماهوك" في ٢٧ يونيو (١٩٩٣)، ثم موافقتها بلا شروط على قرار مجلس الأمن رقم ٧١٥، حول مراقبة الأسلحة العراقية بواسطة لجان التفتيش في ٢٦ نوفمبر (١٩٩٣).

٣- حشد قوات عراقية على حدود الكويت في أكتوبر (١٩٩٤) بادعاء تواجد قوات أمريكية تتمركز بالقرب من الحدود العراقية الكويتية، وعندما اشتعلت الأزمة اضطر العراق إلى الاعتراف رسمياً بدولة الكويت، والحدود معها "بعد إعادة الترسيم" وذلك في العاشر من نوفمبر (١٩٩٤).

٤- وفي منتصف أغسطس (١٩٩٥)، حدثت نكسة للنظام العراقي، حين انشق مهندس برنامج التسليح العراقي، وصهر الرئيس صدام حسين، هو حسين كامل المجيد، وفر إلى الأردن، حيث التقطته المخابرات المركزية الأمريكية، وأدلى الرجل بخبايا برنامج التسلح العراقي، وخصوصا في المجال التقليدي، وأدت اعترافاته إلى اكتشاف برامج عديدة لإنتاج الغازات الحربية والمواد

البيولوجية، إلى جانب استمرار العمل في البرنامج النووي، ومنذ تلك اللحظة، تأكدت عدم مصداقية النظام العراقي في التعامل مع لجان التفتيش، ومجلس الأمن، وهو ما تأصل حتى آخر لحظة قبل إعلان الرئيس بوش الابن الإنذار النهائي للرئيس العراقي بنزع أسلحته، صحيح أن النظام العراقي نجح في استدراج حسين كامل المجيد ليعود للعراق ويتم إعدامه في ٢٣ فبراير (١٩٩٦)، وصحيح أيضاً أن العراق تشدد فيما يخص إجراءات لجان التفتيش، وطرد الأمريكيين المشاركين في تلك اللجان في ١٣ نوفمبر (١٩٩٧)، ثم عاد وتراجع عن قراره في العشرين من نفس الشهر ثم افتعل نفس الأزمة في فبراير (١٩٩٨)، مستغلاً رفض الرأي العام العالمي لمنطق الحرب ضد العراق، وتدخل الأمين العام للأمم المتحدة، إلا أن الولايات المتحدة لم تتراجع عن قرارها التي كانت قد اتخذته في أزمة فبراير ١٩٩٨، وأجلته إلى نهاية العام، والذي يقضي بتقليص قدرات العراق ومنعه من إعادة بناء قوته العسكرية، وكانت الولايات المتحدة تهدف من عملية "ثعلب الصحراء" التي نفذتها من خلال توجيه ضربات نيرانية قوية لمدة ٧٩ ساعة متواصلة في الفترة من ١٦-١٩ ديسمبر (١٩٩٨) استخدمت فيها حوالي ٥٠٠ صاروخا **موجها إلى الآتي:-**

أ- تدمير الأهداف التي سبق قصفها في عملية عاصفة الصحراء، وأعاد العراق بناءها.

ب- تدمير الأهداف التي ثبت أهميتها، ولم يسبق قصفها سواء في عاصفة الصحراء أو بعد ذلك ومنها ما تم الكشف عنه من المعلومات التي أدلى بها حسين كامل المجيد.

حـ- تدمير جميع الأهداف الصناعية والاقتصادية، والتي ثبت لدى لجان التفتيش أهميتها وقدرتها على تطوير الصناعات العسكرية العراقية.

د- تدمير الأهداف التي رفض العراق تفتيشها بواسطة لجان التفتيش، أو الأهداف التي ثبت أن العراق يستخدمها لإخفاء المواد والذخائر والأسلحة عن لجان التفتيش.

هـ- إلى جانب ذلك كله فقد حظيت القدرات العسكرية التي أعاد العراق بناءها بنصيب وافر في عملية "ثعلب الصحراء".

وفي إعلانه عن إيقاف الضربة في الواحدة صباحا ليلة ١٩/٢٠ ديسمبر (١٩٩٨)، فقد حدد الرئيس "كلينتون" استراتيجية الولايات المتحدة تجاه العراق في عدة نقاط رئيسيه منها:-

١- أنه طالما بقى صدام حسين في السلطة، فسيكون مصدر تهديد حيث يشكل خطرا على شعبه وعلى المنطقة بالكامل.

٢- لابد من وجود حكومة جديدة، كما يجب التعاون مع المعارضة، وذلك للعمل على إمكانية عودة العراق إلى وضعه الطبيعي في المنطقة.

٣- وجود قوات عسكرية قوية في المنطقة لردع صدام في الوقت المناسب ومنعه من توجيه قواته الجوية ضد جيرانه أو ضد الأكراد أو ضد شعبه في الجنوب.

٤- استمرار الحصار الاقتصادي الذي كلف العراق ١٢٠ مليار دولار مع الاستمرار في برنامج النفط " مقابل الغذاء " في حدود ١٠ مليار دولار سنويا من أجل الشعب العراقي.

٥- عودة لجان التفتيش "Uniscom" لمهامها على أن يبدى العراق استعداده للتعاون الكامل معها.

٦- وفي النهاية، فإن المجتمع الدولى لن يسمح للعراق بتهديد جيرانه في أي وقت.

- وقد رفض العراق عودة لجان التفتيش، برغم صدور قرار جديد من مجلس الأمن الدولي يحمل رقم ١٢٨٤ في ١٧ ديسمبر (١٩٩٩)، ولم يقبل عودة المفتشين إلا بعد صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ الصادر في ٢٧ نوفمبر (٢٠٠٢) مع تصاعد الأزمة واشتدادها.

وهذا يمثل جزءاً من الأحداث التي واجهت العراق، وتصرف من خلالها بأسلوب قاصر، واتخذ قرارات أدت إلى الإضرار بالشعب العراقي بشدة، وقد اعتمدت إدارة النظام العراقي في إدارة الأزمة على:-

**أولاً:** تدويل الأزمة والتصدي بإمكانياته المحدودة للنظام العالمي الجديد، ومنذ البداية رفض العراق قبول النظام العربي لدعم قضية العراق، ولكنه آثر الاستعلاء على العرب، ورفض كل مبادراتهم إلى درجة أنه عندما تولى السيد عمرو موسى منصب الأمين العام للجامعة العربية، وطرح مبادرة لتصدى الجامعة العربية لما يدور في مجلس الأمن في مايو (٢٠٠١) لفرض عقوبات ذكية على العراق، فإن الذي رفض قرار مجلس الجامعة العربية ولم يتعاون معها هو العراق نفسه.وكان العراق ينظر باستمرار إلى النظام العربي أنه قاصر، وأن قدرة العراق أكبر من قدرة هذا النظام، وأن العراق سوف يترأس هذا النظام في يوم ما وبالتالي فلا يجب أن يظهر بمظهر الضعف ويطلب مساندته.

**ثانيا:** الالتفاف على القرارات الصادرة من مجلس الأمن وعدم الانصياع لتلك القرارات وقد يكون للعراق عذراً في ذلك نتيجة أن قرارات مجلس الأمن لا يتم تنفيذها من العديد من الدول، ولكن حالة العراق هي حالة فريدة، فالقرارات تصدر بموجب الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة الذي يصرح باستخدام القوة لتنفيذ القرارات الدولية، كذلك فإن الولايات المتحدة تقف

بالمرصـــاد للعـــراق وتحـــيطه بآلات عسكرية من كل جانب، وبرغم ذلك فإن العـــراق لـــم يـــأخذ العبرة في بدايات العملية مما سبق من أحداث، استمر في الالتفاف على القرارات متحملاً كل أوزار تلك المخالفات.

**ثالـــثا:** أن الـــنظام العراقي أخرج من حساباته ما يعانيه الشعب العراقي في تحمله خلال مسار الأزمة التي حرمته من أقل الحقوق الإنسانية في توفر الغذاء والـــدواء، ولم يراع إلا نفسه، بينما الشعب العراقي يذوق الحرمان، فإن القيادة العراقـــية تعيشـــه في مستوى رفاهية مناسب وتقام القصور والنصب التذكارية، وتماثيل الرئيس وصوره في كل مكان، كما تقام الاحتفالات ببذخ شديد في عيد ميلاد الرئيس وعيد الثورة، على حساب احتياجات الشعب الماسة والحيوية "وهذا ما ذكره الرئيس "كلينتون" في أحد خطبه حيث قال: كيف يشكو العراق من موت الأطفال جوعا بينما نرى كل هذه الرفاهية في احتفالات صدام بأعياد ميلاده؟؟".

وفى هذا المجال أيضا، فإن النظام العراقي استخدم سيكولوجية خطيرة، وهي تحويـــل انـــتماء الشعب العراقي لوطنه إلى انتماء للنظام، واستخدم في ذلك كل مظاهر وآليات العنف والقسوة وغسيل المخ، بحيث اختفت كلمة العراق، وسادت كلمة صدام، وهو أمر في غاية الخطورة تنعكس آثاره عند قيام الحرب نفسها.

**رابعاً:** إن النظام العراقي هو نظام مغلق، يؤمن بتوجيهات الرئيس فقط دون مـــراعاة للمتغيرات الدولية، ولهذا فقد لازم إدارة الأزمة الفشل باستمرار، وكان القرار العراقي يأتي متأخرا، ولو أتى فهو يستند على مقومات خاطئة أو مضى زمـــنها وربما كان المثال في هذه القرارات، هو ردود الفعل نحو برنامج النفط مقـــابل الغـــذاء، والـــذي بدأ بقرار مجلس الأمن رقم ٩٨٦ في إبريل (١٩٩٥) للتخفـــيف عـــن معانـــاة العراقيين بعد أن سجلت لجان حقوق الإنسان ومنظمة الصحة العالمية النسب الكبيرة لوفاة الأطفال العراقيين نتيجة سوء التغذية وعدم

توفر الأدوية، ثم قبل العراق القرار واستمر في إجراءاته لتهريب البترول بثمن بخس، وحتى تم تعديل قرار "النفط مقابل الغذاء" عام (١٩٩٨) بعد عملية عاصفة الصحراء ليصبح ١٠ مليار دولارا بدلا من ٥ مليارات في السابق.

**خامسا:** ومع تصاعد الأزمة الأخيرة، والتي بدأت بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١)، فإن العراق لم يساير الأحداث، ولم يشعر بالأخطار التي تتسارع في اتجاهه، ولم يحاول أن يتلاحم مع العرب، ويفض اشتباكه مع دول الخليج الفاعلة وخصوصاً دولة الكويت، ولم يستغل الفرص التي تهيأت له من خلال القمم العربية في عمان عام (٢٠٠١)، وفي بيروت عام (٢٠٠٢) وفي شرم الشيخ عام (٢٠٠٣)، ولم يأخذ بنصائح الحكماء من القادة العرب، وعلى رأسهم الرئيس مبارك، والشيخ زايد رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ولكنه استمر على نفس المنوال في إدارته للأزمة وربما كانت هناك علامات وقرارات عربية، وتنسيق عربي استغلها المسئولون العراقيون لإبراز قوة النظام العراقي، ولم تستغل لصالح العراق، ونحاول أن نستعرض بعضها دون **ترتيب زمني**:-

١- فقد كان أبرز تلك المظاهر هو المؤتمر الصحفي الذي عقدة وزير الخارجية العراقي "ناجى صبري" في أعقاب قرارات مؤتمر قمة شرم الشيخ في الأول من مارس (٢٠٠٣)، ووقف خلاله يستعرض النصر الذي حققه العراق من خلال تلك القمة، ويشيد بقوة العراق واستعداده لردع العدوان.

٢- نفس الشيء فعله الرئيس صدام حسين في خطاباته لشعب العراق، وهو يقسم على دحر العدوان، وإرسال الجنود الأمريكيين إلى بلادهم في نعوش.

٣- وقد وقف العالم العربي حابساً للأنفاس عندما قيل إن الرئيس صدام يوجه اعتذاراً للكويت في السابع من ديسمبر (٢٠٠٢) عن الغزو العراقي لها ولكن

للأسف كان الاعتذار بمثابة تهديد وتقليب للأمور، ومناشدة للشعب الكويتي والشعوب العربية للتصدي "للعدو الأجنبي" الذي يقف على أراضيها.

٤- رفضت القيادة العراقية العرض الذي طرحة رئيس دولة الإمارات في أن يغادر صدام حسين ورؤوس نظامه العراق لتجنيب الشعب العراقي حرب أصرت الولايات المتحدة على شنها ولكن كان نصيب الرجل وابلاً من السباب والشتائم علما بأن الشيخ زايد لم يكن هو الوحيد صاحب مثل هذه المبادرة فقد عرضت العديد من الدول منها روسيا وجنوب إفريقيا وكوريا الشمالية وكوبا استضافة صدام حسين.

٥- ربما كانت استجابة النظام العراقي لمطالب لجان التفتيش إيجابية طبقا لمطالب لجان التفتيش، ولكن ما أخذ على النظام هو أنه يجب أن يعترف على ما يملكه أو تخلص منه، وذكر الرئيس بوش بوضوح أن لجان التفتيش لا يمكنها البحث في دولة مترامية الأطراف مثل العراق، ولابد أن يحدد النظام المناطق التي يصنع فيها أسلحة الدمار الشامل.. ولكن النظام العراقي أصر أنه لا يمتلك شيئاً، فزادت الشكوك الأمريكية في توجهاته.

كل ذلك وغيره يوضح كيف أديرت الأزمة من جانب النظام العراقي بأسلوب غير رشيد لا يعبأ بالمتغيرات ولا يلتفت إلى المحددات والقدرات العراقية وبالتالي وضعته على طريق الحرب وحده رافضاً التعاون سواء على المستوى العالمي أو الإقليمي أو العربي.

# الإدارة الأمريكية للأزمة العراقية

## تمهيد:

- أولا : سيطرة اليمين المتطرف على السياسة الأمريكية.
- ثانيا : المراحل الرئيسية لإدارة الأزمة العراقية وتهيئة المناخ الدولي.
- ثالثا : محددات الأزمة (وجهة النظر الأمريكية).
- رابعا : أهداف ومواقف الأطراف المؤيدة والمعارضة للحرب.
- خامسا : الأسلوب الجاكسوني في إدارة الأزمة.

---

• أعد هذا الفصل دكتور / محمد جمال مظلوم الخبير الاستراتيجي
دكتور / عبد الغفار عفيفي الدويك الباحث في الشئون الاستراتيجية

## تمهيد:

كـــان للمتغـــيرات التـــي حدثت مع بداية التسعينيات خاصة تفكك الاتحاد الســـوفيتي وبدايـــة فترة أحادية القوة وسعى الولايات المتحدة الأمريكية للهيمنة على العالم مستغلة كافة الظروف والمتغيرات الإقليمية لتحقيق أهدافها ومصالحها أثـــر كبـــير فـــي تحقيق هذه الأهداف، وقد تحقق لها ذلك في ظل ضعف القوة الأخرى والتي توقع الكثيرون بزوغها لملء فراغ تفكك الاتحاد السوفيتي إلا أن هذه القوى سواء الاتحاد الأوروبي أو الصين أو اليابان أو روسيا وريثة الاتحاد الســـوفيتي الســـابق لـــم تحقق أي مكانة للمنافسة في ظل تنامي القوى السياسية والاقتصـــادية والعســـكرية للولايـــات المـــتحدة الأمريكية خاصة في ظل تزايد اعـــتماداتها العســـكرية حتى أن ميزانيتها للعام الحالي تعدت ٤٠٠ مليار دولار لتقترب من نصف الإنفاق العسكري في العالم أجمع.

مـــن هـــذا المنطلق تحاول الولايات المتحدة الأمريكية استغلال المشكلات والصـــراعات الدائـــرة في العالم ومشاركتها بهدف دعاوى الديمقراطية وحقوق الإنســـان تـــارة وللحـــد من التسلح وامتلاك أسلحة التدمير الشامل تارة أخرى بصـــفتها شـــرطي العالم مستغلة الصمت الدولي وانطواء القوى الأخرى ساعية لتحقـــيق مصالحها واستراتيجياتها سواء في الشرق الأقصى أو وسط آسيا حتى مـــنطقة الشرق الأوسط ، واستغلت الخلافات العربية والضعف العربي لإحكام قبضتها على المنطقة تارة بدعوى تحقيق الديمقراطية وحقوق الإنسان أو بدعوى إيـــواء عناصر من القاعدة وقد ساعدها على ذلك ((أحداث ١١ سبتمبر)) واتهام عـــرب وإســـلاميين بتدبـــير تفجـــيرات برجي التجارة الخارجية وحملتها على

الإرهـــاب والتـــي بدأتها بأفغانستان في السابع من أكتوبر (٢٠٠١) في أقل من شهر من أحداث سبتمبر عام (٢٠٠١).

وللحديـــث عن الإدارة الأمريكية للأزمة العراقية وإصرارها على ضرب العراق تحت أي ظرف من الظروف بالرغم من عدم التأكد من امتلاكه لأسلحة التدمير الشامل في الوقت الذي أكدت كوريا الشمالية امتلاكها هذه الأسلحة ومع ذلـــك تتعامل معها بالوسائل الدبلوماسية نعود لأسلوب الإدارة الأمريكية لاتخاذ القرارات السياسية.

تأخذ النخب الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية عادة بالنهج البراجماتي عند تصديها لقضايا السياسية الخارجية ولما كانت البراجماتية تفترض أن سياق الأحـــداث يحمل في طياته الحلول اللازمة لكل مشكلة وأن كل مشكلة لابد وأن تحـــل إذا ما تم التصدي لها بقوة كافية كما أن تأخير حل المشاكل سيترتب عليه مضـــاعفات تحول دون حلها مستقبلاً غاية الأمر أن الحل المتأخر لهذه المشاكل يتطلب جهداً مضاعفاً.

لقد كان تعليق روبرت ماكنمارا وزير الدفاع الأمريكي عن إدارة الأزمات بقولة في بداية الستينيات "لم يعد هناك مجال بعد الآن للحديث عن الاستراتيجية وإنمـــا عـــن إدارة الأزمات فقط" وكان هذا القول هو الذي حدد فيه رؤيته لدور الولايـــات المـــتحدة الأمريكـــية وأســـلوبها في معالجة المشاكل الدولية مستقبلاً وعزمها على الاضطلاع بدور رئيسي في هذا الشأن كأول اعتراف صريح من أحـــد صناع القرار الأمريكي بنوايا بلاده في هذا الشأن والذي ظل خافياً لفترة خلال عهد الرؤساء السابقين.

هذا وقد كان الدور الأمريكي يتزايد طبقاً لوجهة النظر الأمريكية في فشل الـــنظام الدولـــي القائم في تسوية الصراعات طبقاً للمصالح الأمريكية منذ عام (١٩٦٢) ومـــن أجـــل ذلك تزايد الدور الأمريكي كعامل دائم لحل الصراعات الدولية.

من هذا المنطلق نحاول الغوص قليلاً في أسلوب إدارة الأزمة حيث تحاول الولايـــات المتحدة الأمريكية انتهاج سياسة إدارة المصالح بالأزمات أي ما يعنى خلـــق الأزمـــة وإدارتهـــا بما يحقق المصالح الأمريكية وهنا يمكن حصر أهم المصـــالح الأمريكـــية في كلتا الدولتين العراق وكوريا الشمالية وهي بالأساس اســـتمرار الـــتواجد في هذه المناطق تجاه الرفض الجامح من كافة الدول بهدف الاســـتقلال ومعارضة التواجد الأجنبي في هذه الدول في الوقت الذي تهدف فيه الولايـــات المتحدة للسيطرة على الموارد في هذه الدول وحالة العراق خير دليل على ذلك.

- وســـوف نتعرف على عقل الأزمة العراقية الأمريكية من خلال التعرف علـــى بعـــض الملامـــح الشخصية لمجموعة الإدارة في البيت الأبيض.. والمراكز البحثية المعاونة لها: فحكومة الحرب الأمريكية تتكون من الرأس الكبير: جورج دبليو بوش (بوش الابن).

- ديـــك تشـــيني نائـــب الرئـــيس الأمريكي، كولن باول وزير الخارجية الأمريكـــية، دونـــالد رامســـفيلد وزيـــر الدفاع، جورج تينت مدير وكالة المخابرات المركزية، بول ولفويتز الرجل الثاني في البنتاجون.

- الجـــنرال ريتشـــارد مايرز رئيس أركان الجيوش الأمريكية، والجنرال تومـــي فـــرانكس القـــائد العـــام للقـــوات الأمريكـــية في الخليج، وأخيراً كوندليزارايس مستشارة البيت الأبيض لشئون الأمن القومي.

## أولاً: سيطرة اليمين المتطرف على السياسة الأمريكية (عقل الأزمة)

يـــدور الحديث كله في الولايات المتحدة الأمريكية عن الحرب ضد العراق فذلك ما كان ينبغي أن يفعلوه قبل عشرة أعوام ماضية ويتردد بأن الحرب على الإرهـــاب ماضية تماماً وها قد تمكنا من تحقيق درجة جيدة من النجاح ولسوف نكســـب الجولـــة فـــي نهاية المطاف. الجميع لا يساورهم أدنى شك بأن اليمين المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية هو الذي يمسك بزمام الأمور الآن.

يـتألف شـعب الولايات المتحدة في مجمله من المهاجرين وهم أناس لجأ أسلافهم إلى هذه البلاد فراراً من أنظمة الحكم الديكتاتورية في أماكن أخرى من المعمـورة فحطوا على شواطئ الولايات المتحدة الأمريكية طلباً للأمن والحرية والسـلامة من الاضطهاد والعنف وحينما انهار برجا مركز التجارة العالمي في نـيويورك فقد الأمريكان شعورهم بالأمن وانتابهم حس بأن السلامة التي طالما نعموا بها باتت مهددة وكأن هذا الحادث تكفل باستثارة مخاوف اندثرت منذ وقت طويل في الأعماق تحت سطح الذهنية الأمريكية.

ثـم هـناك ذلك الجرح المزمن في الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني ومن المثير للاهتمام ملاحظة أنه كلما كان اليهود عرضة للخطر في إسرائيل وخاصة بسـبب كـابوس التفجـيرات الاستشهادية (وهو الأمر الذي ترتعد له فرائص الأمريكيين بحـق) تتوجه الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية نحو الإدارة الأمريكية مطالبة بمنح المزيد من المساعدة للحكومة الإسرائيلية وبالطبع نحن هنا نتحدث عن ما يتراوح بين ستة وسبعة ملايين يهودي يشكلون مجتمعين أكبر قوة مؤثرة على القرار السياسي داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

## وهذا يوضح التغلغل اليهودي في المجتمع الأمريكي وسيطرة اليمين المتشدد على السياسة الأمريكية.

عندما نلقي نظرة على الكونغرس نلمس دلائل اللوبي الصهيوني أو اليمين المسيحي أو التجمع العسكري الصناعي، ثلاث أقليات متطرفة بالغة النفوذ يجمع بينها العداء للعالم العربي وقناعة خرقاء بأنهم من أنصار الملائكة. وأمسى لكل واحـدة مـن المقاطعات الخمسين في هذا البلد نشاطها الدفاعي بحيث أضحت الحـرب مسـألة وظائف وليست مسألة أمن. وقد يتساءل المرء مستغرباً كيف لحـرب باهظـة الكلفة أن تؤمن حلولاً للركود الاقتصادي مثلاً والإفلاس لنظام الضـمان الاجتماعي، والدين المحلي المتزايد، والفشل الذريع الملحوظ في نظام التربـية العام في هذا البلد؟ طبعاً لا تأتي الحرب بأي فائدة في هذا المجال على

الإطـــلاق، وعلى رغم ذلك فإن الفريق المؤيد للحرب مضي قدماً نحوها بخطى متسارعة لا تقف في طريقها أية عثرة. وفسرت التظاهرات المكثفة كمجرد شكل آخـــر من أشكال عمل العصابات، فيما تحولت الأكاذيب المتميزة بدرجة الخبث فيها حقائق مطلقة من دون توجيه أي انتقاد أو رفع أي اعتراض.

وهكـــذا نشهد نية متعمدة في خداع الشعب الأمريكي، فقد شوهت مصالحه وبـــترت مـــن عقالها، وطمست الأغراض الحقيقية لحرب بوش الابن الخاصة طمســـاً يلامس حد الغطرسة. لننس أن ولفويتزوفايث وبيرل – وكلهم مسؤولون غير منتخبين يعملون لدى دونالد رامسفيلد غير المنتخب بدوره في البنتاجون – دافعوا علناً عن ضم إسرائيل للضفة الغربية وغزة وإيقاف "عملية أوسلو" ودعوا للحرب ضد العراق (وإيران لا حقا)، وبناء المزيد من المستوطنات الإسرائيلية (أثـــناء حملـــة نتانـــياهو الـــناجحة لرئاسة الوزراء في العام ١٩٩٦) بصفتهم مستشارين لديه، وبأن هذا الأمر تحول اليوم عرفاً أميركياً.

إنهـــا ديموقراطـــية مخدوعة، ولكنها في الواقع مهانة بل داستها مجموعة صـــغيرة مـــن الـــرجال الذين بكل بساطة استولوا على مقاليد الأمور في هذه الجمهوريـــة كما لو لم يكن من مسألة أكثر إلحاحا، من بلد عربي؟ من يدير دفة الولايـــات المتحدة الأمريكية، بما أنه بات واضحا أن الشعب غير ممثل في هذه الحرب التي تستعد الإدارة لشنها على عالم يرزح بما يكفيه من المآسي والفقر، كمـــا أن الإعـــلام يواظـــب علـــى خـــداع الشـــعب الأمريكي، أما بالنسبة إلى الديماجوجييـــن ورجال الفكر الخاضعين الذين يرون الرعب من منظار خيالهم الجـــامح فمن سمح لهم بالتآمر بهدف إلحاق المآسي بملايين اقتصرت جريمتهم على أنهم مسلمون أو عرب؟

## بوش الابن:

لا يقصد المرء المبالغة إذا زعم أن جورج بوش قد تجاوز برؤاه المحافظة ســـلفه رونالد ريجان وحاز بامتياز لقب زعيم الأصولية المسيحية في الولايات

المتحدة لكن بوش نفسه لم يكن أصوليا حتى عام (١٩٨٦) عندما زعم أنه تصالح مع معتقداته الدينية بعد حياة مليئة بالإثارة.

وقد جاءت توبته هذه عندما تعرف إلى القس بيللي جراهام الذي استذكره بوش قائلاً ((لقد زرع جراهام في روحي بذرة ما زالت تنمو حتى اليوم، لقد أرشدني إلى الطريق حيث بدأت أمشي وكانت تلك بداية أعظم تغيير في حياتي)).

وخلال فترة السنوات الست التي قضاها حاكما لتكساس راح بوش يراقب باهتمام وغبطة تزايد نفوذ اليمين في الحياة السياسية الأمريكية ورأى فيه أمله في الوصول إلى الرئاسة. ولم يدع بوش مناسبة تمر دون أن يبرهن لحلفائه الجدد أنه خير من يستطيع تمثيلهم وخدمة مصالحهم حتى أنه وخلال حملته الانتخابية في ولاية آيوا قام بتسمية السيد المسيح فيلسوفه المفضل، وإمعاناً في إرضائهم قرر اختيار "ديك تشيني" الذي يعتبر من ثقاة اليمين الديني نائبا له. بالمقابل وعد اليمين المسيحي بوش بتقديم الدعم الذي ضنوا به على السيناتور "بوب دول" عندما قرر تحدي الرئيس كلينتون في انتخابات (١٩٩٦) لأنه رفض إلزام نفسه ببعض مطالبهم كما نصروه على منافسه الجمهوري " جون ماكين " الذي لم يكن على يمينيته متديناً بدرجة كافية بالنسبة إليهم.

لا غرو إذاً أن زعماء اليمين المسيحي اعتبروا وصول بوش إلى البيت الأبيض انتصاراً شخصياً لهم حتى أن رالف ريد اعتبر نجاح بوش في الانتخابات أول دخول كنسي إلى البيت الأبيض منذ بنائه مطلع القرن التاسع عشر. وقد أبرزت وسائل الإعلام الأمريكية تصريحاته التي قال فيها ((لقد تمت كلمة الله على أمريكا، لن نلقي حجارة على البيت (الأبيض) بعد اليوم لأننا نحن من يسكنه. ندعو الله أن يحفظه (بوش) ذخرا لهذا البلد وأن يصونه من شر الإرهابيين الكفار))، وبالطبع كان على بوش أن يرد الجميل لمن حمله إلى سدنة الحكم وكان كريما لدرجة أخجلت حلفاءه الأصوليين حيث قام بإسناد معظم المناصب في إدارته إلى مجموعة من تحالف اليمين المسيحي والمحافظين الجدد

ومعظـــم هـــؤلاء الأخيريـــن من يهود أمريكا العلمانيين، وقد جمعهم مع اليمين المسيحي تأييدهم.

## حكومة الحرب الأمريكية

- ديـــك تشـــيني نائب الرئيس الأمريكي (٦٢ سنة)، رجل الظل ويعتبر أحيانا الـــرأس المفكر للبيت الأبيض وهو يلعب دورا محوريا في الإدارة الأمريكية التـــي يمـــثل إلى جانب وزير الدفاع دونالد رامسفيلد أبرز صقورها. ودعا تشيني منذ البداية إلى تدخل عسكري وقائي ضد العراق، ولو من دون موافقة الأمـــم المتحدة. وكان وزيراً للدفاع إبان حرب الخليج في عهد الرئيس بوش الأب. ويعرف بأنه منظم ماهر، مارس مهمات في الإدارة الأمريكية في ظل خمـــس ولايـــات رئاســـية متتالية، إذ كان سكرتيراً عاما للبيت الأبيض أيام جـــيرالد فـــورد، ثم برلمانيا، فوزيراً، قبل أن يصبح رجل أعمال. وهو من المقربين الموالين لعائلة بوش، نقطة ضعفه مشكلات صحية في القلب.

- كولـــن باول، وزير الخارجية (٦٥ سنة)، أيضا من قدامى فريق بوش الأب. وهـــو جـــنرال في الجيش كان رئيساً لأركان القوات الأمريكية خلال حرب الخليج. ويحظى بكثير من الإعجاب لدى الأمريكيين، كما أنه معروف كأحد المعتدلين في الإدارة، وأقنع بوش في الخريف بالسعي إلى دعم الأمم المتحدة قبل أي تحرك عسكري ضد العراق.

- دونـــالد رامســـفيلد، وزير الدفاع (٧٠ سنة)، يعتبر من المتشددين والمؤيدين للحـــرب علـــى العراق. وهو يتميز بشخصية قوية توحي بالسلطة والنفوذ. ورامسفيلد شخص إعلامي من الطراز الأول، ويتمتع بطاقة هائلة وكثير من الاندفـــاع والحماسة. وهو من صقور الإدارة الأمريكية، دعا منذ البداية إلى توجـــيه ضـــربة وقائية لبغداد. ورامسفيلد صاحب لسان حاد، يتكلم بصراحة مطلقة، وهو الذي اتهم فرنسا وألمانيا بأنهما تمثلان ((أوروبا القديمة)) معتبرا

أن نقطة الارتكاز في أوروبا تنتقل شرقاً، حيث دول الكتلة الشيوعية السابقة أكثر تأييداً لخطط واشنطن الحربية.

- وتولى رامسفيلد وزارة الدفاع للمرة الأولى بين ١٩٧٥ و١٩٧٧ في عهد الرئيس فورد. كما كان مندوبا أمريكياً إلى الحلف الأطلسي، عضواً في الكونجرس.

- ورامسفيلد ثري صاحب ملايين جمعها في مجال الأعمال. وأصبح أكبر وزراء الدفاع سناً في تاريخ الولايات المتحدة، بعدما كان أصغرهم قبل ربع قرن في عهد الرئيس جيرالد فورد (١٩٧٤ – ١٩٧٧). وتنبأ رامسفيلد بمتاعب قبل ١١ أيلول، معبراً عن تخوفه من تعرض الولايات المتحدة لهجمات يشنها ((إرهابيون)) أو ((دول مارقة)) ولرامسفيلد ظهور إعلامي كبير، حتى أنه أضحى من نجوم محطات التلفزيون الأمريكية. لكن بعض الصحفيين الأمريكيين ورئيس الوزراء الأسباني خوسيه ماريا أثنار، نصحاه أخيرا بأن، ((يقلل كلامه)) ويتجنب صب الزيت على النار، بعدما أثارت تصريحاته عن ((أوروبا القديمة)) الاستنكار في ألمانيا وفرنسا.

- وينتقد كثيرون من العسكريين الأمريكيين – في الأحاديث الخاصة – تعجرف رامسفيلد ويأخذون عليه تدخله أكثر مما ينبغي في المجالات الاستراتيجية والتكتيكية غير آبه بآراء بعض الجنرالات.

- والتقى رامسفيلد بصدام حسين في (١٩٨٣)، بصفته مبعوثاً خاصاً للرئيس السابق رونالد ريجان، في وقت كان العراق يحظى بدعم واشنطن ضد إيران.

- جورج تينيت مدير وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) (٥٠ سنة)، هو العضو الوحيد في فريق بوش الذي كان من عناصر إدارة بيل كلينتون. وتينيت من قدامى أجهزة الاستخبارات الأمريكية، عين على رأس الوكالة في مارس ١٩٩٧، ثم مدد له بوش في منصبه. تعرض لانتقادات كثيرة بعد ١١

سبتمبر، وأشارت أصابع الاتهام إلى الاستخبارات الأمريكية آخذة عليها فشلها في استباق الاعتداءات.

- بول ولفويتز، الرجل الثاني في البنتاجون (٥٩ سنة)، والساعد اليمين لرامسفيلد وأحد كبار صقور الإدارة الأمريكية. ويقيم ولفويتز - المنحدر من عائلة من المهاجرين اليهود البولنديين - علاقة قوية مع إسرائيل، حيث يحظى بتقدير كبير في الأوساط اليمينية. وهذا المسئول الشديد التشبث والحدة، تبنى إلى جانب رامسفيلد وتشيني الدعوة إلى حرب وقائية ضد العراق لإطاحة صدام.

ورأس هذا الأستاذ الجامعي خلال مساره السياسي إدارة شرق آسيا والمحيط الهادي في الخارجية الأمريكية كما كان سفيراً لدى إندونيسيا، وعين في عهد بوش الأب نائباً لوزير الدفاع.

- ولفويتز هو الشخصية الأولى التي تتبادر إلى الأذهان، لدى التحدث عن دعاة حرب أميركيين لإطاحة صدام. ويعود موقفه من العراق إلى (١٩٧٩)، حين قدم دراسة اعتبر فيها أن العراق سيمثل في المستقبل ((تهديداً للشرق الأوسط وللمصالح الأمريكية)). وفي فبراير (١٩٩١) حين كان من كبار البنتاغون، أعرب ولفويتز علناً عن أسفه لعدول الرئيس جورج بوش الأب عن الزحف إلى بغداد. وكان يؤيد القضاء كلياً على الحرس الجمهوري العراقي وفرض شروط أكثر تشدداً لوقف النار. ويقال إن بوش يرى هذا المثقف المختلف اختلافاً كاملاً عنه، مثيراً للاهتمام ومغايراً.

- ووصفه الكاتب بيل كلير بأنه ((متفائل فيما يتعلق بقدرة أمريكا على بناء عالم أفضل))، خلافا لغيره من ((المحافظين الجدد)) المتشائمين بمستقبل العالم.

- كوندليزا رايس، مستشارة البيت الأبيض لشؤون الأمن القومي (٤٨ سنة). أستاذة جامعية سابقا مقربة من الرئيس بوش، وهي أول امرأة تتولى رئاسة مجلس الأمن القومي، واختصاصية في شؤون روسيا وفي مسألة مراقبة

الأسلحة، وعملت في مجلس الأمن القومي بين ١٩٨٩ و١٩٩١ أيام جورج بوش الأب.

- الجنرال ريتشارد مايرز، رئيس أركان الجيوش الأمريكية (٦٠ سنة)، وأول جنرال من سلاح الجو يعين في هذا المنصب. وهو متخصص في الدفاع الجوي، والمستشار العسكري الرئيسي لجورج بوش.
- الجنرال تومي فرانكس، القائد العام للقوات الأمريكية في الخليج (٥٧ سنة)، وهو تابع مباشرة لوزير الدفاع والرئيس ويتولى المهمات التي كلف بها الجنرال نورمان شوارتزكوف خلال حرب الخليج عام (١٩٩١). وهو صاحب شخصية ودودة، لكنه يميل إلى التحفظ وقاد فرانكس نهاية (٢٠٠١) الحملة العسكرية في أفغانستان، وهو من قدامى مقاتلي حرب فيتنام وأصيب ثلاث مرات.

## أهم المراكز البحثية الأمريكية: (اليمينية)

إلى جانب هذه الشخصيات الرسمية يوجد مجموعة من المراكز البحثية الأمريكية الهامة التي تشارك في وضع القرار بشكل مباشر ومن أهمها الجمعية الفيدرالية، ومؤسسة هيراتيج، ومركز السياسة الأمنية، ومؤسسة أمريكان انتربريزر ومؤسسة كاتو، ومؤسسة هدسون، ومؤسسة أمريكيون من أجل الإصلاح الضريبي.

ومراكز البحث الأمريكية التي كان أهمها:

الجمعية الفيدرالية (Federalist Society): وهو ائتلاف يضم مجموعة من المحامين وطلاب القانون المحافظين تأسست في مطلع الثمانينات وانحصر اهتمامها بنشر الأيديولوجية اليمينية في مجالي القانون الدستوري والحقول المدنية.

وقـد أمدت هذه الجمعية إدارة بوش بمعظم صناع القرار في حقلي القانون والتشـريع ومـن رموزهـا في الإدارة وزير العدل جون أشكروفت الذي لمع كسـيناتور وحـاكم لولايـة ميسوري وكان المرشح المفضل للجماعات الدينية اليمينية لانتخابات الرئاسة لكنه اعتذر عندما علم بترشيح جورج بوش.

ويسيطر أشكروفت مع نوابه ومساعديه الذين استقدمهم جميعا من الجمعية الفيدرالـية على جميع نواحي الحياة القانونية والتشريعية في الولايات المتحدة. ومـن رموز الجمعية أيضا المحامي العام تيودور أولسون الذي عمل في إدارة ريجـان ومـثله في فضيحة إيران جيت كما مثل بوش في المحكمة الدستورية العلـيا خلال النزاع على فرز الأصوات في ولاية فلوريدا وكان شريكاً للمحقق المسـتقل بنث ستار في فضيحة مونيكا لوينسكي ومستشارا لفريق المحامين في قضـية باولا جونز ومحامي الادعاء الشخصي ضد كلينتون في فضيحة وايت ووتـر المـتعلقة بشراء أراضي في ولاية تكساس. وينحدر من الجمعية أيضا وزيرة البيئة جال نورتون المعروفة بسجلها البيئي السيئ ووزير الطاقة سبنسر إبراهام وهو من مؤسسي الجمعية وغلاة اليمين الديني.

ويـتفق هؤلاء جميعا في معارضتهم لتشريعات المساواة العرقية، ورفض قوانيـن مـنع اسـتخدام العـنف ضد المرأة، خدمتها في الجيش وحريتها في الإجهاض كما يدعمون استمرار العمل بعقوبة الإعدام وفرض رقابة على وسائل الإعـلام وحـرية النشـر ويفضلون تقديم دعم حكومي للمنظمات الدينية ونقل صـلاحيات الدولـة إليها في مجال الخدمات الاجتماعية والصحية ويسعون إلى فصل الجنسين في المدارس الحكومية.

مؤسسـة هيراتـيج – Heritage Foundation: وهي أكثر المؤسسات الفكـرية الأمريكـية تطرفا ومن المعروف أنها وضعت مسودة سياسات البيت الأبـيض خـلال الفـترة الرئاسية الأولى لرونالد ريجان ومسودة ((التعاقد مع أمريكا)) التي تبناها الجمهوريون عندما استعادوا سيطرتهم على مجلس النواب

عـــام (١٩٩٤)، وقـــد أمـــدت هيراتيج إدارة بوش بمجموعة كبيرة مَن موظفي المستويين الأول والثاني.

وتعتبر وزيرة العمل إيلين شارو من أبرز وجوه المؤسسة في الإدارة وهي إضـــافة إلـــى زميلـــتها المرشحة السباقة ليندا شافيز من أبرز معارضي التعدد اللغوي ومن أنصار فرض الإنجليزية لغة رسمية للبلاد.

ومـــن رموز هيراتيج أيضا مساعد وزير التعليم أيوجين هيكوك، المستشار السياســـي للرئـــيس وكاتب خطاباته مايكل جيرسون، المساعد الخاص للرئيس، وكاتـــب خطاباته الاقتصادية ديفيد فروم، ومدير دائرة المبادرة الاستراتيجية في البيت الأبيض باري جاكسون، ومدير مكتب مساعد نائب الرئيس لشئون الأمن القومي ستيفن باتس ومدير صوت أميركا روبرت رايلي.

مركـــز السياســـة الأمنية (Center for Security Policy) أنشأه فرانك جافني مساعد وزير الدفاع في إدارة ريجان وصاحب مبادرة الدفاع الاستراتيجي ويوصـــف بأنه مركز أعصاب جماعات ضغط حرب النجوم. ومن رموزه في الإدارة وزيـــر الدفـــاع دونـــالد رامسفيلد، ونائبه بول وولفيتز، ومساعد الوزير للشـــئون السياسية دوجلاس فيبيث، ونائبة مساعد وزير البحرية لشؤون الاحتياط والمـــوارد البشرية أنتيا بلير ومستشار بوش الجديد لشؤون الصراع العربي – الإســـرائيلي إلـــيوت إبرامـــز الذي عمل رئيسا لمركز السياسة العامة المختص بتوثـــيق الروابط المسيحية – اليهودية وشغل عضوية مجلس إدارة المركز بين عامي ١٩٨٩-١٩٩٦.

مؤسسة أمريكان إنتربرايزر (American Enterprise Institute): أكثر المؤسســـات اليمينية نفوذا في الولايات المتحدة وتعتمد في عملها على تبرعات منظمات اليمين المتطرف. ومن رموزها في الإدارة وزير الخزانة السابق بول أونـــيل الـــذي أقاله بوش مؤخرا، ومساعد وزير الخارجية لشؤون التسلح جون بولتون وكان يشغل منصب نائب رئيس مجلس إدارة المؤسسة قبل أن ينتقل إلى مركز السياسة الأمنية.

مؤسسة كاتو: (Cato Institute) تقود عمليات الضغط باتجاه خصخصة القطاعات الخدمية الحكومية، وقد أنفقت نحو ثلاثة ملايين دولار لدعم فكرة خصخصة الضمان الاجتماعي في الولايات المتحدة. ومن رموزها في الحكومة المساعد الخاص في مكتب مساعد وزير الخارجية لشؤون التسلح مارك جرومبردج.

مؤسسة هدسون (Hudson Institute): مقرها إنديانا وهي تضغط باتجاه إلغاء الضرائب على الشركات الكبرى. ومن رموزها في الإدارة مساعدة وزير الخارجية للشئون الدولية باولا دوبرنيسكي، مساعد وزير التعليم كارول داميكو، ومساعد وزير الصحة ويد هورن وهو من كتاب الواشنطن تايمز – أبرز صحف اليمين الجمهوري – ومساعد وزير الإسكان جون ويشر.

منظمة أمريكيون من أجل الإصلاح الضريبي (Americans for Tax Reform): يقودها جروفر نوركويست الذي يوصف بأنه مركز أعصاب اليمين المحافظ في أمريكا حيث يرأس اجتماعا أسبوعيا لأشد جماعات الضغط اليميني تطرفا. ومن رموزها الحكومية وزير الصحة تومي تومبسون وهو عضو أيضاً في مجلس السياسة القومية وهي منظمة يمينية سرية تضم زعيم الأغلبية السابق في مجلس الشيوخ ترينت لوت والزعماء الدينيين الذين أوصلوا بوش إلى البيت الأبيض، وجيري فالويل، ورالف ريد وبات روبرتسون. وتضم أيضا ريتشارد لاند للحريات الدينية حول العالم الذي يطالب الحكومة بتقديم الدعم المالي اللازم لتحويل المسلمين، واليهود والهندوس إلى المسيحية.

## عقل الأزمة ونموذج الأزمة الكورية والعراقية

للوقوف على اختلاف إدارة الولايات المتحدة الأمريكية للأزمة في البلدين يلزم بداية توضيح موجز لكل من الأزمتين:-

### الأزمة العراقية:-

الولايات المتحدة الأمريكية تستهدف العراق منذ أكثر من ٢٥ عاماً وتحديداً منذ الانقلاب والثورة على ملك العراق في أواخر الخمسينيات وربما يرجع ذلك لأهمية موقع العراق وهو القريب من وسط آسيا والحدود الروسية وقت الانقلاب وطبقاً لما تكشف حالياً من امتلاكه احتياطات بترولية ضخمة يعتقد أنها تقترب من احتياطات المملكة العربية السعودية ومحاولات الولايات المتحدة الأمريكية التخلص من اعتمادها على بترول منظمة الأوبك بخلاف أهداف سياسية وإقليمية أخرى عديدة أهمها تأمين الظهر الخلفي لدولة إسرائيل بإخراج العراق من حسابات القوة العربية الشاملة والتهديد المباشر لإيران من الغرب.

## الأزمة الكورية الأمريكية:

تتهم الولايات المتحدة كوريا الشمالية أيضاً كإحدى ثلاث دول تشكل محور الشر في امتلاكها أسلحة التدمير الشامل خاصة الصواريخ وأسلحة نووية ولاشك أن هذه القوى تعتبرها الولايات المتحدة الأمريكية تشكل تهديداً للتواجد الأمريكي في المنطقة سواء في اليابان أو تايوان أو كوريا الجنوبية أو في دول أخرى جنوب وشرق آسيا.

وإن كان يجمع الدولتين معا أنه يتواجد بها نظم حكم تعارض السياسة الأمريكية وتواجدها في هذه المنطقة بخلاف أنها تهدد – طبقاً للادعاءات الأمريكية – دولاً صديقة للولايات المتحدة الأمريكية في كل من الخليج العربي بالنسبة للعراق وفي جنوب وشرق آسيا بالنسبة لكوريا الشمالية.

تعود الأزمة الراهنة بين واشنطن وبيونج يانج إلى أغسطس عام (١٩٩٨) حين صدمت كوريا العالم بإطلاقها صاروخاً باليستيا بعيد المدى فوق اليابان آنذاك، وتم احتواء الأزمة بالطرق الدبلوماسية.

لكن المشكلة طفت على السطح مجدداً في أكتوبر (٢٠٠٢) الماضي حين أعلن مسؤولون أمريكيون أن كوريا الشمالية استأنفت برنامجها النووي الذي كان قد أوقف بموجب الاتفاق – الإطار الذي بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية

عـــام (١٩٩٤)، وهـــنا جاءت الصدمة الثانية فبدلاً من أن تنفي بيونج يانج هذه الاتهامـــات، عمـــدت إلى تأكيدها ثم أرفقت ذلك بسلسلة من خطوات استفزازية بـــدأت بالانســـحاب من معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية والتهديد باستئناف التجارب الصاروخية والتخلي عن اتفاقية الهدنة لعام (١٩٥٣) التي أنهت الحرب في شبه الجزيرة الكورية عام (١٩٥٠-١٩٥٣).

وفي أواخر فبراير (٢٠٠٣) خرقت مقاتلة ((ميج)) كوريا الشمالية الأجواء الجوية لكوريا الجنوبية للمرة الأولى منذ عدة سنوات.

وهـــي الرســـالة التي أراد الرئيس الكوري الشمالي توجيهها إلى الولايات المـــتحدة الأمريكية علنية وصريحة، توقيع معاهدة عدم اعتداء بين البلدين تلغى بموجـــبها وضعية بلاده بصفتها العدو ((رقم ٢)) على جدول "محور الشر" بعد العـــراق وقبل إيران وهو يستخدم المسألة النووية – الصاروخية كورقة ابتزاز للوصـــول إلـــى هـــذا الهدف، بيد أن هذه ليست الورقة الوحيدة ثمة أيضاً ورقة "عاطفـــية أخرى" إذا جاز التعبير فالكوريون الشماليون يجادلون وعن حق بأنهم كـــانوا الـــبلد الأكـــثر تعرضـــا للتهديدات النووية الأمريكية طيلة نصف القرن الماضي.

ففـــي خريف عام (١٩٥٠) سعى الجنرال الأمريكي ماك أرثر إلى ضرب كوريـــا بالقـــنابل الذريـــة وخلال الحرب الكورية تداول أعضاء هيئة الأركان المشتركة الأمريكية مسألة استخدام القنبلة لإخضاع الشمال الكوري وقد اقتربوا بالفعل عدة مرات من اتخاذ قرار في هذا الشأن.

وفـــي عملية "هدسون هاربر" عام (١٩٥١) قامت قاذفة أمريكية من طراز (ب-٥٢) بالتحلـــيق فوق عاصمة كوريا الشمالية لتبدو كأنها تستعد لإلقاء قنبلة ذرية بهدف إحداث الذعر وبالطبع نجحت الطائرة في تحقيق هدفها.

وبـــدءا من عام (١٩٥٧) احتفظ الأمريكيون بمخزون من الأسلحة النووية قـــرب المنطقة المنزوعة السلاح في الجنوب بهدف تخويف الشمال ولم تسحب

واشـــنطن هذا المخزون إلا في عام (١٩٩٠) بضغط من حركة السلام الكورية الجنوبـــية ورغم ذلك واصلت الولايات المتحدة إجراء مناورات القصف النووي بعيد المدى حتى عام (١٩٩٨).

هـــذا التاريخ النووي الصاخب يُطرح الآن على أنه أحد الأسباب الرئيسية وراء سعي بيونج يانج للحصول إما على أسلحة نووية أو على ضمانات أمريكية بعدم استخدام هذه الأسلحة ضدها.

ويبدو أن هذا الصخب بدأ يؤتي بعض الثمار فقد نجحت المناورات الكورية الشمالية البارعة التي استفادت من انشغال الولايات المتحدة في حرب العراق في وضع كل التحالفات الأمريكية في الشرق الأقصى أمام إشكالات حقيقية.

ويقـــول الكاتب الأمريكي هوارد فرينش إن المواجهه بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية حول برنامج هذه الأخيرة النووي بدأ يختبر بشدة أقدم التحالفات الأمريكـــية فـــي المـــنطقة. وهذا استنتاج دقيق فقد وصل إلى السلطة في سيول الرئـــيس "روه مو – هيون" الذي نجح في الانتخابات تحت شعار تسريع سياسة الانفتاح بين الكوريتين في مجالات التجارة والمساعدات والاستثمارات ورفض فـــرض العقوبات الاقتصادية أو توجيه الضربات العسكرية إلى بيونج يانج بل عرض أن يضمن شخصياً أمن كوريا الشمالية.

**اليابان:**

أمـــا في اليابان فتبدو الصورة أكثر تعقيداً وحتى أكثر خطورة إذ في خضم الأزمـــة الحالـــية بـــدأ مسؤولون في اليابان (المسالمة رسمياً) الحديث عن شن "ضربات استباقية" ضد كوريا الشمالية لتدمير الصواريخ البالستية الموجهة ضد بلادهـــم بـــل قال وزير الدفاع الياباني شيجيرو إسهيبا "إن أمتنا ستستخدم القوة العسكرية كإجراء للدفاع عن النفس إذا ما بدأ (الكوريون الشماليون) باللجوء إلى السلاح ضدها.

هـنا وفـي الوقـت الذي ينادى فيه "كوزو" رئيس الوزراء الحالي برفض صيحات الحرب العالية هذه إلا أن خططه وخطط المعتدلين لتسوية الأوضاع في المـنطقة لا تقل خطورة عن تداعيات هذه الصيحات فثمة دعوات قوية الآن في طوكيو للانفتاح على كل من كوريا الشمالية والصين، لأن ذلك قد يساعدها على بلورة سياسة خارجية مستقلة عن أميركا وعن لعب أدوار إقليمية وعالمية مهمة، بدلاً من أن تكون مجرد (بريطانيا أخرى في شرق آسيا).

وهـذا الـتطور يشـكل سيناريو الرعب الأمريكي الحقيقي. فبالنسبة إلى البنـتاجون مـن المُلح أن تواصل اليابان الاعتماد على الحماية الأمريكية. وأي محاولـة لاستبدال هذه الحماية بوفاق مع بيونج يانج وبكين تعتبر ضربة قاضية للنفوذ الأمريكي العسكري والسياسي في شرق آسيا.

فإذا ما خفت التوترات مثلاً بين كوريا الشمالية واليابان وبين الكوريتين فإن مبرر وجود القواعد الأمريكية في المنطقة (خصوصاً أوكيناوا) ودور اليابان في الاستراتيجية الأميركية العالمية سيكون موضع تساؤل.

**الصين:**

كذلـك حاولت الولايات المتحدة مع الصين في دعمها نزع أسلحة التدمير الشامل الكورية إلا أن الصين رفضت ولم تساند الموقف الأمريكي فكولن باول الـذي زار بكيـن أواخر فبراير (٢٠٠٣) سعياً للحصول على دعمها لحل هذه الأزمـة (بصـفتها الطرف الذي يمد كوريا الشمالية بكل احتياجاتها من الطعام والطاقـة) لـم يحقـق الكثير من المحادثات ليعترف بأنه لم يحقق اختراقاً مع المسـؤولين الصـينيين لا حـول نزع سلاح بيونج يانج ولا حول نزع سلاح العراق.

هـذا فـي حين كان مسؤولون أمريكيون يقولون إنه لامناص أمام الصين سـوى الـتعاون مع أميركا "لأن بروز كوريا الشمالية نووياً سيؤدى حتما إلى بروز اليابان نووياً أيضاً" وهذا يشكل كابوساً حقيقياً لبكين.

هكـذا تظهر حقيقة الموقف الأمريكي تجاه الأزمة الكورية وهو تراجع من يطلقـون على أنفسهم لقب الصقور ويقولون إنه ليس في وسع الإدارة الأمريكية أن تفعـل أكـثر من ذلك وحذف منطق القوة واستراتيجيات الحرب الاستباقائية والوقائية والنووية ونظريات محور الشر وغيرها الكثير من الاستراتيجيات التي تطبق على العراق.

الصين من الدول التي عارضت دور الولايات المتحدة الأمريكية في ضرب العراق ولا تختلف التحليلات والأسباب لمعارضة الصين للحملة الأمريكية على العـراق عما ذكر بالنسبة لفرنسا وألمانيا وروسيا وإن كان الأمر يختلف نسبياً بالنسـبة للصين والذي نضيف هنا طبقاً لأراء بعض المحللين أن ضرب العراق هـو خطوة للاقتراب من الصين وتشديد الخناق عليها نسبياً خاصة وأن الصين مـن الـدول التي تستورد بتروﻻً من دول الخليج في الوقت الحاضر وسيتزايد استيرادها من النفط في المستقبل لقرب نضوب الاحتياطيات المتوفرة بها.

كمـا أن تنامي القدرات الاقتصادية للصين خاصة خلال الـ ١٠-١٥ سنة الماضـية تعتـبره الولايـات المتحدة الأمريكية يشكل تهديداً لها ويتعارض مع استراتيجية الولايات المتحدة في عدم السماح ببزوغ قوى دولية اقتصادية جديدة تنافس الولايات المتحدة.

ولعلـنا فـي الـنهاية وربما يمكننا أن نحاول الإجابة على الاختلاف في النموذجين الكوري عن العراقي فيما يلي:-

١- بالنسـبة للقدرات العسكرية التقليدية وغير التقليدية ففي كوريا الشمالية أكبر بكثـير مـن قدرات العراق العسكرية فكوريا الشمالية تمتلك صواريخ بعيدة المدى يمكنها أن تطول أراضي الولايات المتحدة الأمريكية وتهدد فعلياً دول إقليمية تسير في فلك الولايات المتحدة الأمريكية.

٢- أن الـــدول المحـــيطة والمجاورة لها سواء صديقة أو معادية ترفض ضرب كوريا فدول الجوار لها اليابان، الصين، روسيا، بعكس الأوضاع في العراق بالنسبة للوضع في الدول العربية.

٣- أن كوريا الشمالية تجاوزت بكثير إمكانيات صنع الأسلحة الذرية إن لم يكن قـــد أنتجتها فعلاً بعكس حالة العراق التي ربما تمتلك تكنولوجيا التصنيع فقط ولم تنتجها بعد (وذلك قبل الاحتلال).

٤- أن الجهود الأمريكية تجاه كوريا الشمالية بهدف الضغط على كوريا الشمالية لـــتكون مســـتعدة لمناقشـــة القضايا الأمنية الواسعة في المنطقة بعكس حالة العـــراق والـــذي تهـــدف فيه الولايات المتحدة بالأساس إيجاد حكومة عميلة موالية وتوافق على السياسة الأمريكية في المنطقة.

٥- أنه في حالة كوريا الشمالية فالولايات المتحدة الأمريكية تحتاج موافقة أربع عواصـــم إقليمية وهي موسكو، طوكيو،، بكين، سيول والأمر يختلف ما بين هـــذه العواصم والعواصم المماثلة في الشرق الأوسط وحالة الضعف العربي وأن هذه الدول لن تتفق مع السياسة الأمريكية في حال استخدام القوة إلا بعد إحســـاس هـــذه الدول أن الولايات المتحدة الأمريكية بذلت جهدها من خلال الدبلوماسية لتجنب تصعيد الموقف مع كوريا الشمالية.

## ثانياً: المراحل الرئيسية لإدارة الأزمة العراقية وتهيئة المناخ الدولي

لقد كان أهم الأعمال الرئيسية في إدارة الأزمة العراقية الأمريكية هي سعي الولايات المتحدة الأمريكية لتهيئة المناخ الدولي لإدارة الأزمة العراقية، بدءا من تأكيد اتهام العراق بامتلاكه أسلحة التدمير الشامل مما يشكل تهديداً للسلم والأمن العالميين واعتبار امتلاك العراق لهذه الأسلحة تهديداً للولايات المتحدة الأمريكية وقـــد أضافت الولايات المتحدة الأمريكية اتهامات إضافية للعراق منها: أنه نظام مستبد يحكم شعبه بقوة السلاح ولا يسمح للأقليات بالمشاركة ويضرب مثلاً بذلك بإعلانه الحرب على جيرانه إيران والكويت، ثم الحملة ضد الأكراد عام ١٩٨٩

واتهـــام صدام حسين بضرب مدينة حلبجة بالأسلحة الكيميائية، هذا إضافة إلى دعـــاوى ضـــبط التسلح والذي طبق على العرب بصورة أخرى وهي الحد من التســـلح فـــي الوقـــت الـــذي تغـــدق فيه الولايات المتحدة الأمريكية بالأسلحة وتكنولوجيا صناعة الأسلحة على إسرائيل.

وتتضـــح الدعـــاوى الأمريكـــية من حديث الرئيس جورج بوش مع بوب وودوارد مســـاعد مديـــر صـــحيفة الواشنطن بوست في التاسع عشر من شهر نوفمـــبر (٢٠٠٢) حـــول أسلوبه في القيادة ومكانة أمريكا في العالم والاتهامات لإدارتـــه بأنهـــا تمـــيل إلى العمل المنفرد والحديث عن العراق وعندما تطرق الحديث عن الحرب الأفغانية كان بوش حساساً للغاية إزاء الاتهامات بأنها حرب دينية أو حرب ضد الإسلام ورفض هذا التشبيه متحدثاً عن ضرورة الدفاع عن قـــيم الحرية والعدالة وعن اهتمامه بجانب معاناة الناس قائلاً إنه أراد أن ينظر العـــالم إلى أمريكا كدولة حررت أفغانستان وليس كدولة ساعية للهيمنة والتسلط كما أنه أضاف أنه يرى أيضاً أبعاد إنسانية في قضيتي العراق وكوريا الشمالية وفـــي قوله أيضاً إن أمريكا لن تستطيع مطلقاً أن تحصل على موافقة كل الناس على استخدام القوة.

وكـــان لرؤية الرئيس بوش حول الدور العالمي الممتد الذي يقول إن على الولايـــات المـــتحدة أن تلعبه هي التي تعكس التغيير الذي حدث في تفكيره منذ هجمـــات ١١ ســـبتمبر التي غيرت العالم وغيرت رئاسته بصورة كاملة إذ قال بـــوش ((في هذه اللحظة من لحظات التاريخ إذا كانت هناك مشكلة عالمية فإن دورنا هو أن نتعامل معها ونحلها هذا هو ثمن القوة وهو ثمن المكانة التي تحتلها حالياً الولايات المتحدة الأمريكية)) المشاكل التي يعتقد بوش أن واجب الولايات المـــتحدة الأمريكية التصدي لها ليست عسكرية فحسب بل إنسانية ويدعى بوش أن هذا هو السبب الذي جعله يكلف الجنرال ريتشارد مايرز رئيس هيئة الأركان المشـــتركة لإســـقاط المساعدات الإنسانية في أفغانستان قبل بداية حملة القصف الأمريكي على تلك البلاد وأضاف كانت حساسيتي مرتفعه إزاء الاتهام بأن تلك

كانت حرباً دينية وأن الولايات المتحدة ستكون هي القوة القاهرة وكنت أتطلع أن ينظر إلينا ليس باعتبارنا قاهرين بل محررين.

من هذا المنطلق أيضاً برر الرئيس الأمريكي بالطابع الإنساني لهدف تغيير النظام العراقي والذي قال إنه ستكون له أبعاد استراتيجية.ومن وجهة نظره أيضا هناك معاناة لا توصف في حالة كوريا الشمالية.

هناك قيم خيرة بالنسبة للشعب الأمريكي فإنها خيرة كذلك بالنسبة للشعوب الأخرى وهذا لا يعني أننا نفرضها بل يعنى أنها قيم خلقتها الولايات المتحدة هذه قيم الحرية والطبيعة الإنسانية وحب الأمهات لأطفالهم.

كما طالب الرئيس الأمريكي أن يكون السيف الأمريكي حديداً وحاداً في كل الأوقات ووصف نفسه بالاستفزازي أي يستفز الناس لدفعهم لاتخاذ قرارات.

وقد كان لتاريخ الأحداث والضغوط الأمريكية لتحقيق حملتها وخططها مستفيدة من أحداث ١١ سبتمبر تأثيرا على تنفيذ مراحل حملتها التالية.

وهكذا كان لقبول العراق عودة المفتشين طبقاً لقرار ١٤٤١ أن عرقل المخططات الأمريكية حيث تصورت أنه سيرفض عودتهم رهناً بتجديد فترة التفتيش تمهيدا لرفع العقوبات نهائياً مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تبدى اعتراضها على تقارير المفتشين بأن العراق ما زال يراوغ وأنه لم يمتثل ومازال يمتلك أسلحة التدمير الشامل ولا يرغب في تدميرها.

كما استغلت الولايات المتحدة اتهام المفتشين للعراق بعدم تعاونه الكامل وسارعت باستكمال خطط الحشد الضخمة إلى الدول المحيطة بالعراق إلى حد أنه وصل عدد القوات في المنطقة إلى ما يقترب من ٢٥٠ ألف مقاتل حتى آخر فبراير (٢٠٠٣) مما مكنها من الحصول على تنازلات عديدة من الجانب العراقي مثل:-

١- الموافقة على تفتيش قصور الرئاسة.

٢- الموافقة على تحليق طائرات الاستطلاع الأمريكية ٢-u.

٣- الموافقة على استجواب العلماء العراقيين على درجات بدءا بوجود مندوب للحكومة ثم سمحت باستجوابهم منفردين.

٤- الموافقة على تدمير صواريخ الصمود- ٢ الذي اتهم العراق بأن مداها يزيد على ١٥٠ كيلو متر (١٨٠كم).

## ١- خلفية الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية والدول العربية

يمكن القول أن الصراع بين الدول العربية والولايات المتحدة الأمريكية يرتبط جذوره بالصراع العربي الإسرائيلي والدعم والمساعدات التي تقدمها لإسرائيل وتسليحها بأحدث الأسلحة والمعدات في الوقت الذي تطبق فيه حظر تسلح في صورة ضبط وصور أخرى على الدول العربية، وقد جسد هذا الصراع الدفين إلى أحداث حرب أكتوبر (١٩٧٣) التي شنتها كل من مصر وسوريا سعياً لتحرير الأرض العربية المحتلة والتي استخدم فيها سلاح البترول كأحد أدوات الصراع.

وقد كانت في هذه الفترة العراق بصفة خاصة من أكثر الدول تشدداً سواء في الحظر أو في عدم رفع حصص الإنتاج بهدف الحفاظ على سعر مناسب للصادرات البترولية العربية.

وتسترجع الولايات المتحدة الأمريكية الذاكرة أنه بناء على إلحاح من الرئيس نيكسون قرر وزراء النفط العرب في ديسمبر (١٩٧٣) أن رفع الحظر سيرتبط بالتناسب مع الخطوات نحو التنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذي يقرر انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وكان عند صدوره يُعبر عن إجماع دولي أمريكا جزء منه.

وكانت أمريكا مستاءة من التباطؤ العربي في رفع الحظر باعتباره نموذجا من الابتزاز العربي على رغم أن الرئيس نيكسون نفسه قد سبق له أن وعد

مراراً بالتنفيذ الكامل للقرار رقم ٢٤٢ وبالتالي فالمتوقع من وزير خارجيته أن يعمل على الوفاء بهذا الالتزام.

وفي ٢٥ يناير سنة (١٩٧٤) بعث نيكسون برسائل شخصية إلى الملك فيصل سجل في إحداها قولة "في رسائل سابقة إلى جلالتكم قلت إن الأحداث أثبتت حكمة مشورتكم عبر السنوات. إن حكومتي الآن تباشر وتلتزم بمسيرة هي في قناعتي ستحقق سلاماً عادلاً ودائماً في الشرق الأوسط، إن الثمار الأولى لهذا الالتزام تنعكس في اتفاقية فض الاشتباك بين القوات وبمقتضاها ستنسحب القوات الإسرائيلية من سيناء كخطوة أولى نحو تسوية نهائية بحسب قراري مجلس الأمن رقمي (٢٤٢، ٣٣٨)"، ويمكن تصور فداحة الحظر على الولايات المتحدة الأمريكية في خطاب الاتحاد والذي ألقاه نيكسون في يناير (١٩٧٤) وبدأ به خطابه بتهنئة الأمريكيين بحصوله على وعد من قادة عرب برفع الحظر العربي للبترول المصدر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد انخدعت الدول العربية في الوعود الأمريكية وإن كان تلا ذلك وعودها أيضاً عقب حرب الخليج الثانية عام (١٩٩١) ومؤتمر مدريد للسلام في ٣٠ أكتوبر (١٩٩١) والتي لم تحقق السلام المنشود حتى انتفاضة الأقصى في ٢٨ سبتمبر عام (٢٠٠٠).

## ٢- أحداث ١١ سبتمبر

كان لأحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١) في الولايات المتحدة الأمريكية المروعة وانجذاب العالم إليها وتداعياتها والتهديد الأمريكي بأن عالم ما بعد الأحداث سيختلف عن عالم ما قبلها فقد كانت مفاجأة بدرجة كبيرة للمواطن الأمريكي الذي لم يشهد على أرضه هجوماً مماثلاً منذ أحرق البريطانيون البيت الأبيض عام (١٨١٢).

ومن بين العالم الذي شمله التهديد والوعيد الأمريكي العرب والمسلمون الذين وجدوا أنفسهم فجأة تحت المقصلة ليس فقط كأفراد نسبت إليهم الأحداث

منذ لحظتها الأولى ولكن أيضاً كدول وشعوب وثقافات في طول العالم وعرضه. ومع أن الشعبين البريطاني والأسباني مثلاً عانيا من الإرهاب المروع لأكثر من ثلاثين عاماً إلا أن حكومة واحدة في البلدين لم تحاول في أي وقت تصدير مشكلتها الداخلية إلى العالم بالقدر الذي فعلته الحكومة الأمريكية منذ أحداث سبتمبر فباسم تلك الأحداث لم تتحرك أمريكا لضرب أفغانستان فقط ولكنها عبأت الحشود لاحتلال العراق وتضع البرامج لتغيير الثقافات السائدة في العالم العربي بمجموعه وتقيم تحالفات وتخترع أعداء وتعلن استراتيجيات تهدد بها العالم كله بمبدأ من ليس معنا فهو ضدنا.

وبالنسبة للعرب صدرت تشريعات وإجراءات داخل الولايات المتحدة للتمييز الصريح ضد مواطني ست وعشرين دولة عربية وإسلامية واعتقل الآلاف بغير تهمة ولا جريمة ولا محامين ولا محاكمات وتلقت حكومات عربية وإسلامية ضغوطاً وتهديدات وتحركت بوارج وطائرات وأقيمت قواعد عسكرية ومخازن أسلحة وعبئت قوات برية وجوية وبحرية وأطلقت يد إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال بوحشية غير مسبوقة واعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية المقاومة الفلسطينية للاحتلال وكل من يؤيدها إرهاباً مماثلاً لإرهاب ١١ سبتمبر.

وتدخلت واشنطن في شؤون مصارف ومؤسسات مالية في الدول العربية بحجة الشفافية بحثاً عن علاقات مع الإرهاب وأطلقت سلطة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في اغتيال من تراهم داخل أي دولة أخرى وجرت ممارسة ذلك كنموذج مبكر في اليمن. وأعطت أميركا لنفسها الحق في توجيه ضربات عسكرية استباقية وإجهاضية ضد أي دولة ترى – أميركا- أنها مشتبه فيها وعلى رغم من أن كيسنجر الذي عين رئيساً للجنة التحقيق في أحداث ١١ سبتمبر والذي اضطر إلى الانسحاب من رئاسة لجنة التحقيق مبكراً إلا أن مجرد التفكير فيه لرئاسة لجنة أمريكية بتلك الأهمية والخطورة كانت له دلالة إضافية بالنسبة إلى المنطقة العربية خصوصاً، فنصف كوارث منطقتنا الحالية كان

لكيسنجر يد فيها إبان وجوده في الإدارة الأميركية سنوات نيسكون وفورد بل وحتى في ما بعدها عندما عمل لحساب شاه إيران حتى لحظته الأخيرة في السلطة بل وحتى وفاته وهو الذي كان صنيعة للاستخبارات الأمريكية من الأساس وبسبب جرائمه غير المسبوقة ضد شعبه استمرت العلاقة الأمريكية مع إيران مسمومة حتى الآن.

وهكذا تتضح خبايا السياسة الأمريكية تجاه الدول العربية والإسلامية ومنها دول منطقة الشرق الأوسط.

### ٣- خطاب الاتحاد للولايات المتحدة الأمريكية في ٢٩ يناير (٢٠٠٢):

عقب بدء الحملة الأمريكية المزعومة على الإرهاب من أفغانستان في السابع من أكتوبر (٢٠٠١) بدأت الولايات المتحدة الأمريكية في البحث عن متهمين جدد في إطار حملتها على الإرهاب والتي لمحت في بعض الأيام بأنها تمثل حوالي ستين دولة في محاولة لتخفيف وطأة أحداث ١١ سبتمبر على الشعب الأمريكي ومن هذا المنطلق كان اتهام كل من العراق وكوريا وإيران بأنهم دول محور الشر وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية في إدارة الصراع مع كل من هذه الدول في إطار حملتها على الإرهاب عقب خطاب الرئيس الأمريكي المشار إليه.

تبعها مباشرة التلويح بالحملة على الإرهاب المرحلة التالية ووجهت أصابع الاتهام إلى العراق وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة في الحشد العسكري وتهيئة الرأي العام العالمي ودول المنطقة عن خطط الولايات المتحدة الأمريكية لشن الحرب على العراق ، وتفيد التقارير الأمريكية والغربية أن العد التنازلي للحملة بدأ اعتباراً من فبراير (٢٠٠٢) ورجحت بعض المصادر أنه من أواخر عام (٢٠٠٢) وإن كان يعتقد تأجيل موعد الحسم مرة تلو الأخرى بهدف أن تحين الفرصة المناسبة لتحقيق هدفها في الحملة المزعومة والذي بدأت إجراءاته بالفعل ٢٠ من مارس (٢٠٠٣) بعد انتهاء مهلة الإنذار التي حددها بوش إلى صدام للتنحي ومغادرة العراق والنفي طواعية وحدث الاحتلال فعلاً.

## ٤- صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١

وكـــان أن ســـنحت الفرصـــة للولايات المتحدة الأمريكية باستصدار قرار مجلـــس الأمـــن رقم ١٤٤١ في أوائل نوفمبر (٢٠٠٢) الذي يجبر العراق على قبول مفتشي الأمم المتحدة وبدأت التفسيرات المختلفة للأطراف المختلفة ما بين من يعتقد (انظر الملحق (١) عن القرار رقم ١٤٤١):-

أ- أن القرار يعطى الفرصة للحل السلمي ولعمل المفتشين الدوليين وفي حال عدم تجاوب العراق أو عرقلة عملهم على مجلس الأمن أن يقرر الخطوة التالية.

ب- والاتجاه الآخر والذي تترأسه الولايات المتحدة الأمريكية يرى أن القرار يخولها استخدام القوة لنزع أسلحة الدمار الشامل التي تدعى أن العراق يمتلكها حتى دون الرجوع مرة أخرى إلى مجلس الأمن.

## ٥- خطاب الاتحاد (حالة الأمة) للولايات المتحدة الأمريكية في ٢٩/ ١/٢٠٠٣ (الرئيس بوش):

تعهـــد بـــوش باستخدام قوة الولايات المتحدة العسكرية وعظمتها كلها في حـــرب العـــراق وسعى إلى حشد الأمة الأمريكية وراء عزمه على نزع أسلحة الحـــاكم العراقي. ووجه بوش أقصى الانتقادات إلى الرئيس العراقي مشيرا إلى التعذيـــب الـــذي يمارسه صدام حسين بحق شعبه معتبراً أن هزيمة نظام صدام حسين ستؤدى إلى تحرير الشعب العراقي وشدد بوش على أنه لا يزال يأمل في إيجاد حل سلمى للأزمة العراقية لكنه شكك في استعداد الرئيس العراقي لاحترام قـــرارات الأمم المتحدة وأضاف ((البعض يقول إن علينا ألا نتحرك إلا إذا كان التهديد وشيكاً لكن إذا سمحنا بظهور هذا التهديد فجأة وبكامل قوته يكون الأوان قـــد فات لأي تحرك أو اعتراض)) وأكد أن ((الثقة بحكمة صدام حسين وقدرته علـــى ضبط النفس ليس خياراً)) وقال ((إن دكتاتور العراق لا ينزع أسلحته بل على العكس إنه يخادع)).

وقال بوش متوجها إلى عشرات الآلاف من القوات الأمريكية المنتشرة في الخليج إن أوقات مصيرية لا تزال تنتظرنا وتابع ((هذه الأمة تحارب على مضض لأننا نعرف الثمن ونخشى الحزن الذي يرافق الحروب على الدوام)) لكنه عاد ليشدد ((في حال فرضت الحرب علينا سنقاتل بكل ما أوتيت الولايات المتحدة الأمريكية من قوة وعظمة عسكرية والنصر سيكون حليفنا وسننتصر)) وفي محاولة لتجاوز معارضة أي عمل عسكري ضد العراق قال بوش إن ((الولايات المتحدة ستطلب من مجلس الأمن أن يعقد اجتماعا في الخامس من فبراير للبحث في وقائع استمرار العراق في تحدي العالم)).

وأضاف الرئيس بوش أن إدارته ستقدم إلى مجلس الأمن الدولي (أدلة) على الصلات التي قال بوجودها بين العراق ومنظمات إرهابية مشيراً إلى تقرير كولن باول الذي عرض فيه أمام مجلس الأمن معلومات ومعطيات من أجهزة استخبارات حول برامج العراق للأسلحة المحظورة ومحاولاته إخفاء هذه الأسلحة عن المفتشين وروابطه مع مجموعات إرهابية وقال سنجرى المشاورات لكن أود تبديد أي التباس في حال لم ينزع (الرئيس العراقي) صدام حسين أسلحته كلياً فإننا سنقود ائتلافا لنزع أسلحته حفاظاً على أمن شعوبنا والسلام في العالم وشدد بوش على وجود أدلة من مصادر الاستخبارات واتصالات سرية وأفاد أنه من استجواب سجناء تكشف أن (الرئيس العراقي) صدام حسين يساعد ويحمي إرهابيين منهم أعضاء في تنظيم القاعدة وأضاف (بطريقة سرية ومن دون أن يخلف آثارا يستطيع أن يعطى إحدى هذه الأسلحة المخفية إلى إرهابيين أو مساعدتهم على تطوير أسلحتهم).

## ٦-إنشاء مركز للتهديدات الإرهابية:

أعلن الرئيس بوش في خطابه عن إنشاء مركز للاستخبارات لتقديم تحليل دقيق ومتكامل للتهديدات الإرهابية الخارجية والداخلية التي تواجه الولايات المتحدة وقال بوش ((الليلة فإنني أصدر تعليماتي إلى قادة مكتب المباحث الفيدرالي والاستخبارات المركزية ووزارة الأمن الداخلي ووزارة الدفاع لإنشاء

مركـز لمواجهـة التهديدات الإرهابية لتجميع وتحليل كافة المعلومات الخاصة بالـتهديدات (الإرهابية) في موقع واحد ولا يحتاج بوش إلى موافقة الكونجرس لإنشاء المركز الجديد.

وقـال مسؤول كبير في إدارة بوش إن الجهاز الجديد الذي سيرأسه جورج تينيـت مديـر وكالـة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي. آي. إيه) ويضم الوكالة ومكتب المباحث الفيدرالي (إف. بي. آي) ووزارة الأمن الداخلي ووزارة الدفاع (البنتاجون) ستكون مهمته تحسين حماية الأمريكيين بالحيلولة دون تكرار الهجمات التي شنت على الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر (٢٠٠١).

## ٧- التقرير الأول للمفتشين في ٢٧/يناير /٢٠٠٣

هذا وكان رئيس لجنه "أنموفيك" والمدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية قـد قدمـا تقريـرهما الأول في السابع والعشرين من يناير (٢٠٠٣) وقد كانت الـتقارير كلها لا تدين العراق بشكل صريح وإن كان الاتهام الذي وجه للعراق أنه لا يتعاون بشكل تام مع المفتشين ولم يقدم المعلومات الضرورية الهامة عن أسلحة التدمير الشامل.

وفـي هـذا الإطار طلبت الولايات المتحدة الأمريكية عقد اجتماع لمجلس الأمـن لسماع تقرير وزير الخارجية الأمريكي كولن باول والذي ادعى تقديمه بيانات ومعلومات تؤكد امتلاك العراق أسلحة التدمير الشامل وشملت تسجيلات صـوتية لبعض القادة تدعى الولايات المتحدة الأمريكية أنها تمت بهدف إخفاء أسـلحة التدمير الشامل كما شملت صوراً أيضاً عن العربات المتنقلة التي ادعت أنها عبارة عن معامل لإنتاج الأسلحة البيولوجية كذلك صوراً أخرى لمواقع يتم فيها إخفاء أسلحة التدمير الشامل العراقية.

## ٨-التقرير الثاني للمفتشين في ١٤ فبراير (٢٠٠٣)

### تقرير رئيس لجنه أنموفيك:-

في ١٤ فبراير (٢٠٠٣) قال هانس بليكس في تقريره أمام مجلس الأمن لو كـــان العراق تعاون بشكل مُرضٍ عام (١٩٩١) لكانت مرحلة نزع الأسلحة في ظـــل القـــرار ٦٨٧ قصـــيرة ولكان بالإمكان تجنب عقد من العقوبات وأكد أن اســـتئناف عملـــيات التفتيش يساهم فعلياً في الاطلاع على ما قام به العراق بعد رحيل المفتشين عام (١٩٩٨) من بغداد وقال إن عمليات التفتيش تساهم فعلياً في ردم الفجوة التي خلقها غياب المفتشين بين ديسمبر (١٩٩٨) ونوفمبر (٢٠٠٢) في مجال الاطلاع على التسلح العراقي.

وشـــكك رئيس لجنه (أنموفيك) في التفسير الأمريكي للصور الملتقطة عبر الأقمـــار الصـــناعية التـــي عرضها وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في الخـــامس من فبراير على أنها أدلة على أنشطة مشبوهة في موقع تسلح عراقي وقـــال بلـــيكس (قـــد يكون الأمر متعلقاً بنشاط روتيني وليس عملية نقل ذخائر محظـــورة مع اقتراب عملية تفتيش محتملة في إشارة إلى الصور التي عرضها باول في الخامس من فبراير على أنها أدلة أمريكية ضد العراق وقال إنها تظهر نقل أسلحة من موقع عراقي).

وأكـــد بلـــيكس عدم وجود أي دليل على أن العراق كان يعلم مسبقاً بوجهة الخـــبراء الدوليين في إطار عمليات التفتيش عن أسلحة دمار شامل وأضاف لم نطلع أبداً على دليل مقنع يظهر أن الجانب العراقي كان على علم مسبق بوصول المفتشـــين وقـــال إن العراق قدم تعاونا من الناحية الإجرائية خصوصاً الدخول الفـــوري للمواقع دون إبطاء أو أية مشاكل لاسيما دخول القصور الرئاسية ونوه باستمرار هذا التعاون الجوهري الذي لا غنى للمفتشين عنه، لكنه قال إن الأمر يتطلـــب أكثر من فتح الأبواب، فعليه عرض ما تبقى من مواد محظورة أو أدلة

على تدميرها مشيراً إلى عدم عثور مفتشي لجنة أنموفيك على أي مواد محظورة عدا عدد قليل من الرؤوس الكيماوية الفارغة.

ولفت النظر إلى عدم حسم مصير بعض مواد غاز الأعصاب والجمرة الخبيثة التي يقول العراق أنه دمرها مضيفاً أن العراق أضاع فرصة لتوضيح مصير هذه المواد في الملف الذي قدمه عن أسلحته وقال إن مهمة المفتشين ليست العثور على كل المواد المحظورة ولفت إلى مشكلة فنية في التحقق من تدمير غاز الأعصاب والخبراء مازالوا يدرسون الأمر وهناك شكوك في شأن دفن هذه المواد.

وأشار بليكس إلى تحقيق تقدم بالنسبة إلى تعاون بغداد في الأسابيع الأخيرة ولا سيما في مجال الالتقاء بالعلماء على انفراد والسماح باستخدام طائرات ((يو-٢)) لكنه أوضح أنه لا يعلم شيئاً عما حدث للعديد من الأسلحة المحظورة وقال هذا مهم جداً وأضاف منذ وصولنا إلى العراق قمنا بأكثر من ٤٠٠ عملية تفتيش لأكثر من ٣٠٠ موقع وجميع عمليات التفتيش جرت من دون إخطار مسبق والوصول إليها كان دائماً تقريباً ما يحدث سريعاً.

وذكر أن عمليات التفتيش شملت مواقع رئاسية كما استخدمت في بعضها رادارات تخترق الأرض وكشف أن العراق يملك صواريخ يفوق مداها المسافة التي تسمح بها قرارات الأمم المتحدة وقال (إن نموذجي صاروخ الصمود -٢ قادران على تجاوز مسافة ١٥٠ كم ونظام الصواريخ هذا محظور حالياً بموجب القرارين ٦٨٧، ٧١٥ الصادرين عن مجلس الأمن عام (١٩٩١) وأضاف أنه من الضروري إجراء تدقيق إضافي في المعلومات التي قدمتها السلطات العراقية عن نظام صواريخ آخر أطلق علية اسم (الفتح) كي (يتم الاطلاع على قدرات نظام صاروخ الفتح).

وطالب بليكس العراق بأن (يحدد بوضوح وضع الجمرة الخبيثة وغاز الأعصاب والصواريخ طويلة المدى) وهو ما يعني عدم إدانة لامتلاك العراق أسلحة التدمير الشامل.

## ٩-تقرير المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية

أعلن المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية محمد البرادعي أن المفتشين الدوليين (لم يعثروا على أنشطة نووية أو أنشطة مرتبطة بالأسلحة النووية المحظورة تجرى حالياً في العراق).

وأضاف أن خبرة الوكالة الدولية للطاقة الذرية في مجال التحقق من الأسلحة النووية تثبت أنه من الممكن لاسيما مع وجود نظام تحقق حازم، تقويم وجود أو عدم وجود برنامج نووي حتى من دون التعاون التام من جانب سلطات الدولة المعنية، لكنه حض بغداد على التعاون بصورة تامة وفعالة للتعجيل بعملية التفتيش.

ونوه بتعاون العراق الذي (سمح بالوصول إلى كل الأماكن من دون إبطاء أو عراقيل) وأشار إلى أن المرحلة الجديدة هي التأكد من عدم استخدام المعدات ذات الاستخدام المزدوج في نشاطات محظورة.

وأشار إلى وجود بعض القضايا مازالت قيد البحث ولم نتوصل إلى نتيجة في شأنها بعد، مثل مادة (إتش. إم. إكس).

وقال إن الوكالة الدولية للطاقة النووية مستمرة في عمليات التفتيش المفاجئة وتعزيز قدراتها في التحقيق والمراقبة ومقارنة المعلومات التي تحصل عليها مع المعلومات التي يقدمها العراق.

واعتبر المدير العام للوكالة قرار الرئيس العراقي صدام حسين حظر أسلحة الدمار الشامل وقال (رفع هذه العقبة القانونية يعتبر بالنسبة إلى العراق خطوة في الاتجاه الصحيح لإبداء رغبته في الانصياع للالتزامات الواردة في قرارات مجلس الأمن).

وحث العراق على تأكيد (التزامه التعاون بالاستمرار في ترجمة ذلك عملياً) وختم كلمته بعدم وجود دليل لدى الوكالة على نشاطات نووية لدى العراق.

## وجهات النظر المختلفة:

اعتبر وزير الخارجية الأمريكية أن التقدم الذي أحرزه المفتشون ليس كافياً وطالب الأمم المتحدة بالبدء في دراسة العواقب الوخيمة للعراق وطالب نظيره البريطاني جاك سترو الرئيس صدام حسين بتغيير فوري وكامل في تصرفاته لتجنب الحرب مشدداً على أن بغداد تواجه العواقب الوخيمة إذا لم يتغير سلوك صدام.

وفي مؤشر مهم إلى أن الانقسام في مجلس الأمن الذي يتعمق يوماً بعد الآخر أعلن وزير الخارجية الفرنسي"دومينيك دوفيلبان" أنه فخور بكونه من (بلد قديم في قارة قديمة طبقاً للاتهام الأمريكي لأوروبا) ودعا المجلس إلى عقد جلسة في ١٤ مارس (٢٠٠٣) لتقويم عمل المفتشين نافياً أن تكون للعراق أي علاقة بتنظيم (القاعدة) ودعا وزير الخارجية الروسي إيجور إيفانوف إلى مواصلة عمليات التفتيش لأنها تسير بسلاسة مطالباً العراق بمواصلة تعاونه مع المفتشين.

أما وزير الخارجية السوري فاروق الشرع فقارن بين موافقة العراق على القرارات الدولية وتعاونه مع المفتشين واعترافه بحدود الكويت واستقلالها وامتناع إسرائيل عن تطبيق ٥٠٠ قرار دولي وامتلاكها أسلحة دمار شامل وقال إن التعامل مع الحالتين يتجاوز قضية المعايير المزدوجة إلى التعرض لحقوق ومصالح (المسلمين والعرب).

## ١٠-مهلة للعراق حتى أول مارس للموافقة على تدمير صواريخ الصمود -٢:

في الحادي والعشرين من فبراير (٢٠٠٣) طلب كبير مفتشي الأمم المتحدة من العراق تدمير صواريخ الصمود - ٢ التي يمتلكها في الوقت الذي قدم فيه هانز بليكس رئيس لجنة أنموفيك تقريره الدوري إلى الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن في ٢٠٠٣/٢/٢٨ أعلن متحدث باسم الأمم المتحدة أن بالإمكان البدء في ٢٠٠٣/٣/١ بتدمير صواريخ الصمود -٢ العراقية التي تتجاوز المدى

المسموح به وهو ١٥٠ كم وجاء تأكيد المتحدث في اليوم التالي لإعلان العراق موافقته على تدمير هذه الصواريخ.

وقالت مصادر عراقية إن نحو ٥٠ صاروخاً من نوع الصمود – ٢ وزعت على وحدات الجيش إضافة إلى ٥٠ صاروخاً أخر لا تزال قيد التصنيع وجارى تجميع الكل لتدميرها.

كذلك تعمل واشنطن على التقليل من أهمية الموقف العراقي واستبق وزير الدفـــاع الأمريكي دونالد رامسفيلد الموافقة العراقية على تدمير الصواريخ واتهم رامســـفيلد بغداد بصورة عامة بأنها (تماطل) وبأنها (قاومت عبر إعلان ناقص) فـــي ديسمبر طلبات الأمم المتحدة بنزع السلاح الكامل وقد قام المفتشون بتدمير عدد لا بأس به من هذه الصواريخ قبل إلغاء مهمتهم في العراق.

وبـــرغم ما يبدو من تراجع العراق وجهوده في تنفيذ قرارات مجلس الأمن كـــان آخرها موافقته على تدمير الصواريخ أرض أرض من طراز الصمود-٢ والتي أعلن أن مداها لا يزيد عن ١٥٠كم وهو المدى المسموح به إلا أن إصرار مفتشي الأمم المتحدة دفعه إلى الانصياع لاقتراحاتهم وبدأ في التدمير منذ الأول من مارس (٢٠٠٣) بهدف عدم إيجاد ذريعة تستغلها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لتحقيق عدوانها.

## ثالثاً: محددات الأزمة العراقية الأمريكية:

### ١- السياسة الخارجية الأمريكية:

يرى المحللون أن السياسة الأمريكية عبارة عن خليط متفاوت التركيب من الواقعـــية والبرجماتـــية كما أن المفكرين أيضاً يرون أن غالبية الطبيعة البشرية شريرة في الأساس وبالتالي فالغلبة للأقوى.

وهذا يعنى أن سياسة القوة هي وحدها المسيطرة على العلاقات بين البشر كمـــا أنه بالإمكانية التوصل إلى السلام الدائم بين البشر عن طريق تحقيق التقدم الفكري والأخلاقي للجنس البشري.

في الواقع أن أمريكا كانت مثالية طيلة القرون السابقة وحتى نهاية الحرب العالمـــية الثانـــية ويمكـــن القول بشكل عام أنها لم تكن شريرة أثناء فترة الآباء المؤسســـين: جـــورج واشـــنطن، بنياميـــن فرانكلين، إبراهايم لنكولن، توماس جفرســـون.. إلـــخ فـــي ذلك الوقت كان الحلم بالمثل العليا هو الذي يتغلب على الواقعية والمكيافيلية دون أن يلغي ذلك وجود الأخيرة وبخاصة لدى جفرسون.

ولكـــن بعد الحرب العالمية الثانية انتقلت أمريكا إلى سياسة الواقعية والقوة والتوســـع الإمبراطوري وتخلت عن النزعة المثالية إلى حد كبير دون أن يعنى ذلـــك أنهـــا انتهت بالطبع. وقد حصل في أوروبا تطور معاكس فأوروبا كانت واقعـــية من الناحية السياسية طيلة القرن الاستعماري الكبير التاسع عشر وحتى منتصـــف العشـــرين وبعدئذ أصبحت مسالمة وانتقلت عموماً إلى سياسة تحترم القـــانون الدولي وتتميز بالطابع الأخلاقي الإنساني ولكن العلماني فأوروبا أكثر علمنة من أمريكا بكثير.

فـــي الواقـــع أن أمـــريكا وطيلة كل تاريخها كانت تتأرجح بين ميلين ميل الانعزالـــية والتقوقع على الذات وميل التوسع والانخراط في مشاكل العالم.ولقد لعبت دوراً إيجابياً بل وحاسماً في حل العديد من الأزمات والقضايا الأخرى كما يتضـــح مـــن كـــلام جيرار شاليان. نضرب كمثال على ذلك موقفها من سياسة التطهـــير العرقـــي الإجرامـــية فـــي البوسنة والكوسوفو وقضايا أخرى عديدة أيضاً.ولكنها أخطأت بشكل أساسي في فيتنام وفلسطين.

فـــي عهـــد كلينتون كانت المبادئ التي تقود السياسة الأمريكية بسيطة جداً كانت تتمثل في نشر النموذج الأمريكي القائم على الديمقراطية والحرية في شتى أنحـــاء العـــالم وكذلـــك عولمة التبادلات التجارية والمصرفية لكي تنفتح معظم الأســـواق أمـــام البضائع الأمريكية وكان "فرنسيس فوكويان" ينظر لهذا الاتجاه

السياسي ويخلع عليه مشروعية فلسفية عن طريق الارتكاز على هيجل، فمعلوم أن هـيجل قال بأن التاريخ انتهى بانتصار نابليون في معركة (يينا) وكان يعنى انتصـار المُثل العليا للثورة الفرنسية أي الحرية، المساواة، الإخاء لقد انتصرت الحـرية على الاستبداد وانهار النظام الإقطاعي اللاهوتي القديم الذي كان يحكم أوروبا منذ مئات السنين.

وعندما وصل "جورج دبليو بوش" إلى سدنة السلطة كان ميالاً إلى النزعة الانعزالية والتفرغ لمشاكل أمريكا وعدم التدخل في شؤون العالم إلا بالحد الأدنى ولكـن ١١ سـبتمبر لـم يسمح له بذلك فبعد هذا الحدث تغيرت سياسة أمريكا وأولوياتهـا وأصبحت أمريكا أو قيادتها السياسية مقتنعة أنه لا أمان لأمريكا ما دام أعداؤها في الخارج مطلقي السراح. لقد وصلوا إليها في عقر دارها وينبغي أن تلاحقهم في عقر دارهم أيضاً وهكذا عادت فلسفة هوبز إلى الساحة من جديد وانتصـرت علـى فلسفة كانط وروسو المسالمة والأخلاقية إن القيادة الأمريكية مقتـنعة بأنـه مـع شخصيات من نوعية بن لادن وصدام وسواهما فإن سياسة الأخـلاق والقانون لا تجدي نفعاً فهم لا يفهمون إلا لغة القوة ولا يحترمونك إلا إذا كنـت أقـوى مـنهم وأشد فتكا. ولهذا السبب انتصر الصقور في واشنطن وسيطروا على مراكز القرار.

إن الاسـتراتيجية الأمريكية الجديدة هي استراتيجية كفاح وصراع فالقيادة الأمريكية تعتقد بأن المواجهة الكبرى بين قوى الخير وقوى الشر قد اندلعت وإذا كانت أمريكا واثقة من نهاية الصراع لصالحها إلا أنها تعرف أنه سيكون صعباً ومريـراً وطويـلاً ولكن بما أن قوى الخير تتمتع بتفوق عسكري وتكنولوجي سـاحق فـإن قـوى الشـر ستنهار. وبالتالي فالمحور الأساسي للاستراتيجية الأمريكية هو الشعور بالرسالة أو المهمة التاريخية. فأمريكا تعتقد بأنه يقع على كاهلهـا مهمـة إنقاذ الحضارة الغربية وهي لم تختر ذلك اختياراً وإنما واجب فـرض علـيها ومسؤولية، فلو أنها خيرت لربما اختارت العزلة وراء حدودها والعـيش بنعـيم ورفاهية بعيداً عن المشاكل ولكن الظروف أجبرتها على ذلك

وينبغي عليها أن تكون على مستوى التحدي. ولكي تنجح في أداء مهمتها الجديدة بعد أن أطاحت بإمبراطورية الشر، أي الشيوعية فإنها بحاجة إلى التصرف بكل حـــرية، بمعـــنى آخـــر فإنها ستعود إلى الميكافيلية التي تقول بأن الغاية تبرر الوســـيلة. وبالتالـــي فكل الضربات أصبحت مباحة ومشروعه بعد أحداث ١١ سبتمبر، فبما أن العدو لن يتورع عن استخدام أشد أنواع الإرهاب قتلاً وتدميراً فإن محاربته لن تكون بالمواعظ الأخلاقية ولكن هل يحق لأمريكا أن تتدخل في العالم كما تشاء وتشتهي أم أنه ينبغي عليها أن تتقيد بالقانون الدولي؟.

## ٢ - الهدف الأمريكي من السيطرة على الخليج:

يتضـــح الهدف الأمريكي من السيطرة على منطقة الخليج إذا ما عرفنا بأن هيمـــنة الولايـــات المتحدة كقوة عظمى وحيدة لم تكتمل بانتصارها على الاتحاد الســـوفيتي والكـــتلة الشـــيوعية القديمة إذ جاء النصر في الحرب الباردة نصراً عســـكرياً وسياســـياً حقـــق للولايات المتحدة سيطرة عالمية على مستوى هذين العنصـــرين من عناصر القوة العسكرية والسياسية ولكن يبقى الاقتصاد كضلع ثالث في هذا المثلث.

ورغـــم تسليم العالم بأن نهاية الاتحاد السوفيتي تعنى أن هناك قوة عظمى وحيدة في هذا العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية وأن النظام العالمي يتسيده هـــذا القطب الأوحد، إلا أن الأمر لم يحسم على المستوى الاقتصادي فبدا العالم أحـــادى القطبية عسكرياً وسياسياً ولكنه في الوقت ذاته متعدد القطبية اقتصادياً حيـــث ظهرت أوروبا الموحدة كمنافس اقتصادي لأمريكا وخصوصاً الاقتصاد الألماني كذلك ظهر منافسون آسيويون على رأسهم الصين واليابان.

وهكـــذا تسعى الولايات المتحدة الأمريكية أن تتسيد الضلع الثالث لعناصر القـــوة وهـــو الاقتصاد.لذا لجأت لاستخدام القوة العسكرية والسياسية كي تضمن ســـيطرة اقتصـــادية أو على الأقل ترتيب أوراق الحالة الاقتصادية العالمية بما يخدم الاقتصاد الأمريكي.

الـناظر إلـى الاقتصـاديات الـثلاثة المنافسة لأمريكا (الاقتصاد الصيني والياباني والأوروبي) لا يفوته أن يتعرف على قاسم مشترك يمثل نقطة ضعف فـي هذه الاقتصاديات. نقطة الضعف هذه تتمثل في اعتماد الجميع على بترول الخليج لإدارة ماكينة هذه المجتمعات إذ تستورد الصين مثلاً ٨٠% من بترولها مـن منطقة الخليج الشيء نفسه ينطبق على أوروبا واليابان اعتمادا شبه كامل على بترول الخليج بينما تستورد الولايات المتحدة من المنطقة ما بين ١٦% إلى ١٨% مما تستخدمه من البترول من المنطقة العربية ومن هنا يتضح أن الوجود الأمريكـي في الخليج ليس لتأمين وصول البترول إلى أمريكا بسعر مقبول كما يدعى البعض ولكن للضغط على أوروبا واليابان والصين وبذلك تستخدم أمريكا قوتهـا العسكرية للسيطرة الاقتصادية وتتحول السيطرة السياسية والعسكرية إلى سـيطرة عسـكرية واقتصـادية وسياسية. وإذا كانت هذه تشكل نواة السيطرة الأمريكـية من خلال استراتيجيتها تجاه الدول المنافسة اقتصادياً فإن التدخل في العـراق لـم يعد أمراً عادياً لتغيير نظام وإنما هو ضرورة استراتيجية تفرضها معطيات الخارطة الجيوسياسية العالمية الجديدة.

فالأمريكـيون يـرون أنفسهم الآن على حد قول أحد أعضاء مجلس الأمن القومي أنهم (حاملو راية الإمبراطورية البريطانية في الخليج).

ولكـي تـتحقق هـذه السيطرة يصبح التدخل في العراق ضرورياً ولكن المختلف هذه المرة هو عدم الاعتماد على العرب كثيراً في هذه المعادلة الجديدة بل ستعتمد أمريكا على أطراف غير عربية مثل إسرائيل والهند وتركيا ذلك لأن الموضوع ليس العراق وإنما هو خاص بأوروبا واليابان والصين كمنافسين.

لذلك نجد تململاً أوروبياً – باستثناء بريطانيا – وربما عدم القبول ورفض الحـرب ضد العراق أو أي حرب تمكن الأمريكيين من السيطرة المطلقة على بترول الخليج.

أمـا كـيف يحقق الأمريكيون هدفهم هذا فالأمر يحتاج إلى فهم التكتيكات الأمريكـية لتحقـيق أهدافهم الاستراتيجية وإذا ما أخذنا السلوك الأمريكي تجاه

بغـداد حيـث يبدو جلياً أن أمريكا اعتمدت على استخدامين أساسيين للقوة يمثل القـرار ١٤٤١ الشـق الناعم والقانوني من القوة الأمريكية، هذه القوة الناعمة SOFT POWER تتمـثل فـي محاولة إضفاء طابع عالمي على عمل فردى، بحيث يبدو التصرف الأحادي وكأنه سلوك يمثل الإجماع الدولي أما الشق الثاني مـن القـوة وهـو شق القوة الصلبة HARD POWER فهو يتمثل في وجود عسكري فعلى مثل قيادة الأسطول الخامس في البحرين ووجود القيادة المركزية التـي انتقلـت من "تامبا – فلوريدا" إلى "قاعدة العديد" في قطر إضافة إلى كل التجهيزات العسكرية المتقدمة.

فـي حالـة العراق يمكن القول إن الحرب قد بدأت بالقرار ١٤٤١ القاضي بـنزع السـلاح من العراق وقد يتصور البعض أن هذا هدفها. الحقيقة هي أن عملـية التفتيش ونزع أسلحة الدمار الشامل خصوصاً البيولوجية والكيماوية من العـراق يقـع فـي إطار ما يعرفه العسكريون بأنه حماية للقوات التي ستدخل العراق Force Protection أي أن ما ستقوم به أطقم التفتيش هو إفقاد العراق أسلحته حتى يزول الخطر في حالة الاشتباك معه أي تجريد النظام من الأسلحة البيولوجية والكيماوية هو تمهيد لضربة ولكن بنسبة خسائر أقل للجيش الأمريكي من هنا نزع السلاح ليس بديلاً عن الحرب وإنما هو بداية لها.

## ٣- السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط:

تـتلخص وجهه النظر الأمريكية في أنه تعانى دول منطقة الشرق الأوسط مـن مشـكلات عـده تمر بها دول المنطقة، هناك في الوضع ما يغرى بعض المراقبيـن بـالدعوة إلـى الانسحاب وترك مجتمعات المنطقة لصراعاتها لكن الحقـيقة الصـعبة هي أن الشرق الأوسط المتورط في صراعاته الداخلية يشكل خطراً على الشعب الأمريكي مثلما هو خطر على شعوب منطقة الشرق الأوسط موطـن بعض أصدقاء الأمريكيين وموقع ثلثي الاحتياطي العالمي للنفط ومنبت إرهابي ١١سبتمبر أي أن الكثير يتوقف على أوضاعه وسيكون للوقوف مكتوفي الأيدي أمامها عواقب وخيمة.

وتتلخص وجهه النظر الأمريكية أن للولايات المتحدة وأصدقائها والمجتمع الدولي في المنطقة مصلحة قوية في استعادة الأمل من خلال جدول أعمال يقوم على التصدي للإرهاب ونزع سلاح العراق والتوصل إلى السلام بين العرب وإسرائيل ودعم الإصلاح الاقتصادي والسياسي الداخلي.

وإذا كان لكل من هذه الأهداف أهميته الخاصة فيجب ألا يوضع أي منها رهينة لغيرها أو تناولها متفرقة بل علينا متابعتها كلها في شكل متزامن ومن خلال استراتيجيات متماسكة بعيدة المدى تبنى على الجهود الحالية لشعوب المنطقة وحكومتها.

## ٤-الحرب على الإرهاب:

بعد هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية أوضح الرئيس بوش مجدداً بما لا يقبل الشك رفضه للفكرة القائلة بأن قضية ما يمكن أن تشكل تبريراً لقتل الأبرياء وهو لم يقم بذلك باسم الشعب الأمريكي وحده بل باسم كل شعوب العالم المتحضر.

وقد نظم الرئيس بوش منذ ذلك الحين التحالف الدولي الذي حرر أفغانستان حيث قال "ونحن نواصل مع شركائنا استخدام كل الوسائل المتاحة السياسية والديبلوماسية والمالية والاستخباراتية والأمنية والعسكرية للقضاء على لعنة الإرهاب".

وقد ذكر بوش في مؤتمر حديث عن الحرب ضد الإرهاب:

"إنها حرب على العنف المتطرف وليس على العالم الإسلامي أو العربي ذلك أن إرهابي ١١ سبتمبر وبالي وأشباههم هم أعداء العرب والمسلمين لقد دنسوا ديانة عظيمة لكي يبرروا جرائمهم" "ولأصدقائنا في الشرق الأوسط مصلحة خاصة في هذه الحرب لقد عانى الكثير منهم من الإرهاب وشاهد الكل تهديده للاستقرار والمجتمع والتقدم".

تواجـــه دول المنطقة والمجتمع الدولي ككل تهديداً حقيقياً متنامياً من نظام صـــدام حسين في العراق إنه يشكل خطراً على شعبه منذ أكثر من عقدين وقاد العـــراق إلى كارثتين واستعمل السلاح الكيماوي ضد النساء والأطفال العراقيين ومارس كل ما يمكن تصوره من إرهاب.

إنه أيضاً خطر على جيرانه وقد طالبت الأمم المتحدة بغداد قبل ١١ سبتمبر بالتخلي عن أسلحتها للدمار الشامل ووافق صدام حسين على ذلك لكنه منذ ذلك الحين يواجه قرارات مجلس الأمن بالإنكار والمراوغة.

إن تحـــدي صدام المستمر لهذه القرارات شكل استفزازاً لكل أعضاء الأمم المـــتحدة. وهـــذا سبب وقوف الرئيس بوش أمام الجمعية العامة في ١٢ سبتمبر (٢٠٠٢) وتحديـــه للأمـــم المـــتحدة أن تقوم بمسئوليتها، وهو أيضاً السبب في التصـــويت الإجماعـــي من مجلس الأمن على قرار جديد صارم (١٤٤١) يقدم للعـــراق الفرصة الأخيرة لتحمل مسئولياته. إن على النظام العراقي إما التنازل عن سلاحه طوعاً أو يُنزع بالقوة الخيار أمامهم ولا مجال للتأجيل.

### ٥-السلام العربي – الإسرائيلي:

تـــرى الإدارة الأمريكية الإرهاب والعنف عقبتان على الطريق إلى مستقبل واعـــد خصوصـــاً بالنسبة للفلسطينيين والإسرائيليين. الطريق الوحيد إلى ذلك المســـتقبل هو إنهاء الإرهاب والعنف وليس هناك طريق آخر غير اللجوء إلى مائدة المفاوضات(وهنا خلط متعمد لأن المقاومة الفلسطينية ليست إرهاباً بل حق مشروع).

لقـــد شـــهد الصـــراع مـــا يكفـــي ويزيد من الموت ويستحق الفلسطينيون والإسرائيليون أفضل من هذا وسيكون هذا السلام الفلسطيني – الإسرائيلي بدوره جـــزءا مـــن جهد واسع نحو سلام شامل بين إسرائيل وكل جيرانها من ضمنهم سورية ولبنان يقوم على الأسس المعروفة – مدريد وقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ و١٣٩٧.

إن لكل دولة في المنطقة مصلحة حيوية في هذه التسوية ولا يمكن لأي حكومة أن تتخلى عن مسؤوليتها في المساعدة. وكان هذا السبب في ترحيب الرئيس بوش بمبادرة ولي العهد السعودي الأمير عبد الله التي تبنتها قمة الجامعة العربية في بيروت عام (٢٠٠١) كما أنه السبب في رفض أي دولة تلتزم بالسلام حق إيواء مجموعات متطرفة تقوم بقتل المدنيين،فالسلام الشامل لا يمكن التوصل إليه أبدا من خلال العنف.

## ٦-دعم الإصلاح السياسي والاقتصادي:

وهي محاربة الإرهاب ونزع سلاح العراق والتوصل إلى السلام العربي الإسرائيلي، لكنها رغم ذلك ليست التحديات الوحيدة التي تواجهها شعوب المنطقة وقياداتها ذلك أنهم يواجهون أيضاً عوائق اقتصادية وسياسية كبرى على الطريق نحو الغد المؤمل به.

وترى التقارير الأمريكية أن الحقائق بذاتها مثيرة للقلق فالدخل الفردي في عموم الشرق الأوسط يعاني من الركود أو التراجع ويتأخر النمو حتى مع تزايد القوة العاملة ويشكل الأطفال تحت ١٤ سنة ٤٥% من سكان العالم العربي فيما سيتضاعف عدد السكان في عموم المنطقة خلال الربع الأول من القرن.

بالمقابل فإن اقتصاديات الشرق الأوسط غير مؤهلة للتعامل مع تدفق الشبيبة على سوق العمل فيما تستمر في التراجع حصة المنطقة من مجمل الإنتاج العالمي ومن التجارة العالمية والاستثمارات وتعاني غالبية اقتصاديات المنطقة من الافتقار إلى الشفافية وضعف أسواق رؤوس المال والقيود على التجارة وقوة العمل المفتقرة إلى المهارات الحديثة. وبلغ مجموع الاستثمارات التي نقلها المستثمرون المحليون إلى خارج الشرق الأوسط أكثر من تريليون دولار.

وإذا أخذنا في الاعتبار المصالح الكبرى المتوقفة على كل هذا علينا بذل كل ما لدينا (أي أمريكا) من جهد لدعم أولئك الذين يعملون لفتح اقتصادياتهم

وتوسيع الفرص أمام مواطنيهم. إن هناك أكثر من نموذج واحد للتغيير لكننا ندعو بقوة إلى تعزيز دور القطاع الخاص وتنويع الاقتصاد وتعليم الأطفال لكي يستطيعوا التنافس في الاقتصاد العالمي الحديث.

كما نساند في الوقت نفسه مساعي تعزيز المشاركة السياسية خصوصاً للنساء، والواقع أن وزير الخارجية باول اجتمع مع وفد من القيادات النسائية من أنحاء العالم العربي زار الولايات المتحدة الأمريكية لتعلم المهارات اللازمة للحملات الانتخابية والاطلاع على عمليات الانتخاب وقد أثارت حماسة وجدية القيادات النسائية الإعجاب وأعطت مثالاً حياً على ما يمكن إنجازه عند إطلاق القدرات الإنسانية الكامنة في المنطقة.

كما سنعمل مع المربين والآباء للمساعدة على تهيئة الأحداث لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين إننا ندرك الحاجة إلى إبقاء الباب مفتوحاً أمام الطلبة العرب والمسلمين بالتوافق مع متطلبات أمننا الداخلي إننا لا نستطيع ولا ننوي الاستغناء عن التعامل مع جيل بأكمله من الشباب العربي لسنة (٢٠٠٢) على مدى انشغال شعوب الشرق الأوسط نفسها بهذه القضايا.

وللولايات المتحدة من جهتها مصلحة عميقة في تشجيع هذه التغيرات البنيوية البعيدة المدى. إن غالبية هذه التحديات خارج دائرة سيطرتنا لكنها ليست خارج قدرتنا على التأثير وهنا أيضاً تبدو أهمية تقرير التنمية الإنسانية في العالم العربي لأنه يغطي المخطط العام لجدول أعمال العالم العربي إذ يحاول استعادة الأمل وبمقدورنا دعمه ونحن مصممون على ذلك.

## ٧- إعادة تشكيل العالم على الطريقة الأمريكية:

ركزت أطراف فاعلة منذ الساعات الأولى لأحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١) الاتهام نحو العرب والمسلمين حيث تركزت الاتهامات على كل من أفغانستان والعراق، وانقسام الإدارة الأمريكية ما بين من يؤيد ضرب الدولتين مرة واحدة والفريق الآخر الذي فضل تأجيل العراق والبدء بأفغانستان.

ويتضح ذلك من صقور الإدارة الأمريكية وعلى رأسهم "ديك تشيني" نائب الرئيس الأمريكي الذي عين في مقدمة مستشاريه في تلك المرحلة "برنارد لويس" المعروف بأفكاره المعادية ضد كل ما هو عربي وإسلامي وجعله عضواً دائماً في كل اجتماعاته.

أما "كوندا ليزا رايس" مستشارة الرئيس الأمريكي للأمن القومي فقد ركزت في تصريحاتها ومناقشاتها منذ إبريل (٢٠٠٢) على أن النظام الدولي أصبح في حالة سيولة منذ انهيار القوة السوفيتية، والآن من وجهة نظرها فترة من الفرصة الضخمة فترة قريبة الشبه بما جرى عالمياً بين سنتي ١٩٤٥ و١٩٤٧ طبقاً لوجهة نظرها عندما وسعت القيادة الأمريكية قاعدة الدول الحرة والديمقراطية واعتبرت اليابان وألمانيا هنا نموذجا لخلق توازن جديد للقوى لصالح الحرية، أي بمعنى أنها فرصة أمام الولايات المتحدة الأمريكية لإعادة تشكيل العالم على هواها ولحسابها وهو ما ورد تفصيلاً بعد ذلك في استراتيجية الولايات المتحدة للأمن القومي والذي جرى نشرها في العشرين من سبتمبر (٢٠٠٢).

وفي الحقيقة فإن الإدارة الأمريكية الجديدة منذ وصولها إلى السلطة في يناير (٢٠٠١) وهي تتحرك منهجياً لتغيير الهيكل العام لكل السياسات الدولية فمنذ البداية:-

- قطعت المفاوضات التي أجرتها إدارة بيل كلينتون السابقة بنجاح مع كوريا الشمالية.
- جمدت دورها في المفاوضات المتعثرة بين إسرائيل وسلطات الحكم الذاتي الفلسطيني.
- اتجهت إلى الانسحاب من طرف واحد من معاهدة ١٩٧٢ مع موسكو لتثبيت التوازن الصاروخي الإستراتيجي.
- رفضت بروتوكول كيوتو للبيئة.
- أوقفت سلسلة من المعاهدات الدولية للحد من التسليح.

- دعت إلى إقامة نظام جديد للدفاعات الصاروخية في الفضاء.

وباختصـــار فإن الرئيس بوش والإدارة الأمريكية الحالية سعت منذ البداية إلى قلب القواعد التي حكمت الحياة طوال الأعوام الخمسين الماضية.

لم يأت كل هذا من فراغ فقبل عشر سنوات حينما كان تشيني وزيرا للدفاع وبـــول وولفويـــتز مساعدا له في عهد الرئيس جورج بوش الأب حاول الاثنان وضـــع عناصـــر عقيدة أمريكية جديدة لعالم جديد تكون واشنطن مركز قيادته والســـيطرة عليه وعندما جاء جورج بوش الابن إلى السلطة ومعه "ديك تشيني" نائبا له و"ولفويتز" نائباً لوزير الدفاع بدأ استكمال عناصر العقيدة المؤجلة، دخل جورج بوش الابن إلى البيت الأبيض بشرعية سياسية ناقصة ومثيرة للجدل وهو ما جعله رهينة في يد أكبر مجموعتين من أقوى المصالح النافذة في الصناعات العســـكرية وهذه المجموعة الأخيرة هي نفسها التي كان الرئيس الراحل "دوايت إيـــزنهاور" حذر في خطابه الرئاسي الأخير من خطورة سيطرتها على السياسة الأمريكية قبل ٤٠ عاماً.

وبعد أحداث ١١ سبتمبر كانت هناك فرصة كبرى للتعجيل بصهر العناصر المـــتفرقة الســـابقة فـــي عقيدة واحدة شاملة خصوصاً أن مواجهه تلك الأحداث وعواقـــبها تعطى للرئيس بوش شرعية كاملة بديلاً من الشرعية الناقصة سياسياً وحتى صباح ١١ سبتمبر كانت هناك ملفات جاهزة منفصلة عن بعضها بعضاً. ولكـــل ملـــف دواعيه وملابساته وعوامله الحاكمة ملف لأسامة بن لادن وتنظيم القـــاعدة وملـــف لأفغانســـتان وثالـــث للعراق ورابع لكوريا الشمالية وخامس لإيـــران... إلخ فقط بعد الساعات الأولى لأحداث ١١ سبتمبر أصبح ممكناً دمج كـــل تلك الملفات معاً والانطلاق منها إلى صياغة العقيدة الجديدة الشاملة تحت عـــنوان حـــرب عالمـــية ضد الإرهاب مع إصرار أمريكي على ترك تعريف الإرهاب مطاطاً بما يسمح للإدارة بإضافة أهداف جديدة وتشكيل تحالفات جديدة في كل مرحلة.

روسيا مثلاً كانت مهمة في تسهيل غزو أفغانستان لكن لمجرد انتهاء الحملة العسكرية الأمريكية لم يجد الرئيس الأمريكي بوش كلمة شكر واحدة يوجهها لروسيا في خطابه عن (حالة الاتحاد) ولم يشكر أيضاً دولاً أخرى بخلاف باكستان (باكستان نفسها مؤجلة لمرحلة تالية) وإيران التي كانت مساعدتها حيوية لتشكيل الحكومة الجديدة في أفغانستان أصبحت مستبعدة بالكامل في المرحلة التالية بل وجزءاً من (محور الشر) المعلن أمريكياً، السعودية التي جرى الإلحاح عليها للمساهمة مالياً في تعمير ما خربته ودمرته أمريكا في أفغانستان أصبحت مستهدفة إعلامياً وسياسياً حتى تذعن للمرحلة التالية من (عقيدة بوش)، مصر التي تعاونت مع أمريكا لمكافحة الإرهاب قبل ١١ سبتمبر وأثناءه وبعده أصبح أقل كاتب أمريكي يهددها بين صباح وآخر بقطع المعونة الأمريكية عنها إذا لم تصبح جزءاً من الحلف الجديد، العراق الذي كان ملفه مؤجلاً في الصباح التالي لأحداث ١١ سبتمبر جرى الالتفات إليه بتركيز شديد باعتباره الهدف المُلح التالي مباشرة.

جرى مبكراً في الإعداد لتلك المرحلة تسريب معلومات لربط العراق بتنظيم القاعدة وأسامه بن لادن بدءا بمقابلة قيل إنها جرت بين مسؤول في السفارة العراقية في براج وأحد المنسوب إليهم إرهاب ١١ سبتمبر وهكذا توالت الاستعدادات والتخطيط لتنفيذ الحملة العسكرية المقررة على العراق.

لم تكن الإدارة الحالية تتعامل برعونة مع معارضيها فقط وإنما تتعامل بخشونة غير مسبوقة مع الكونجرس أيضاً. في البداية قالت إنها ليست محتاجة إلى تفويض جديد من الكونجرس بشن الحرب على العراق وبعدها بدأت بوضع الشرط تلو الآخر لتذهب إلى الكونجرس.وفي ذهابها رفضت حتى في الاجتماعات المغلقة إعطاء أي معلومات أو أسباب حقيقية تفسر لماذا يصبح العراق الآن – وهو تحت الحصار الصارم منذ ١٢ سنة – خطراً لم يكن عليه أبداً قبل سنوات.

اتبعت الإدارة الأمريكية نفس الأسلوب في التعامل مع مجلس الأمن والأمم المتحدة وبعد شهرين من المساومات الدولية نجحت الإدارة فعلاً في استخراج القرار ١٤٤١ تريد أن تحصر صدام حسين بين خيارين:

**الأول:** إما أن يقر بأنه مذنب فيحق عليه الهجوم وعلى بلده الدمار.

**الثاني:** أن يرفض تقديم الأدلة على أنه مذنب فيحق عليه أيضاً وعلى بلده الدمار لأنه غير متعاون مع الأمم المتحدة.

وبينما كانت تدق أمريكا طبول الحرب ضد العراق فإنها أنذرت العالم كله بملفاتها التالية الجاهزة مسبقاً هناك إيران وكوريا الشمالية وليبيا والسودان ولبنان، كل من مدخل مختلف. هناك بالموازاة سباق جديد للتسلح تفرضه واشنطن في الفضاء بحجة أن هذا يجعل أمريكا أكثر أمناً.

## رابعاً: أهداف ومواقف الأطراف المؤيدة والمعارضة للحرب:

يمكن الوقوف على حقيقة الأهداف الأمريكية من حربها على العراق من مراجعة السياسة الأمريكية خلال الفترة الماضية للوصول إلى أهداف الحملة والتي يعتقد أنها تهدف إلى:-

١-التطلع إلى احتلال منابع النفط الذي دخل طوراً نوعياً عام ١٩٧٤ عندما بدأ النقاش لتعديل مبدأ نيكسون الذي يقضي بعد حرب فيتنام بعدم إرسال القوات الأمريكية إلى المناطق المتفجرة في العالم، والعمل على إحداث استثناء لهذا المبدأ يتعلق بمنطقة الخليج حيث تجسد هذا الاستثناء بمبدأ كارتر عام ١٩٧٧ ، ووضع آلية تتمثل بقوات التدخل السريع للسيطرة على تأمين منابع البترول.

٢-مخطط استراتيجي للشرق الأوسط من ثلاثة أهداف هي:

- قوة وأمن وتفوق إسرائيل.

- السيطرة على منابع النفط وطرق إمداده ووصوله.

- إقامة نظام إقليمي جديد.

٣-تأميـــن القـــيادة المـــنفردة للولايـــات المتحدة سياسياً وعسكرياً وتكنولوجيا واقتصـــادياً للعالم وفرض سياسة العولمة التي تصب في اتجاه هذا التأمين، وفـــي اتجـــاه استثمار التفرد الدولي لتحقيق مصالحها الخاصة والمستقبلية، عولمـــة تقـــوم علـــى أحادية القيادة أو القطبية الأمريكية وعلى الفوارق بين الشمال والجنوب والتغاضي عن القيم والتحديات الإنسانية على أساس أولوية المصالح الأمريكية وطبقا لسياسة تهدف إلى:-

- عـــدم الســـماح لأي طرف أو قوة في العالم باللحاق بالولايات المتحدة الأمريكية عسكرياً أو تكنولوجياً.

- إعطاء الولايات المتحدة الأمريكية نفسها حقا بالدور العالمي.

- للولايات المتحدة الحق في توجيه الضربات الاستباقية.

- فرض القيم الأمريكية عالمياً.

من الواضح أن العمل بهذه الأسس يعنى الشيء الكثير، حصر الموقف من الحلفاء وإضعافهم وإضعاف ميثاق الأمم المتحدة بصورته الحالية، وفرض الدور العالمـــي مباشـــرة وباســـتخدام الأمـــم المتحدة بصورة جديدة والقيام بضربات مســـتقبلية، وفقـــاً للرؤيا الخاصة وخياراتها وفرض القيم السياسية والاقتصادية والثقافية والنظرة للقضايا الإنسانية ارتباطاً بالمعنى الذي تقرره الولايات المتحدة الأمريكية

## الأهداف الأمريكية:

في إطار هذا التقديم المختصر نأتي إلى حقيقة أهداف الولايات المتحدة من حربها على العراق وهي:-

## ١ – الأهداف العالمية

الهـــدف الجيواستراتيجي ويتضمن تأمين منظومات سياسية إقليمية مختلفة مرتبطة بالسياسة الأمريكية وتواجداً عسكرياً وأمنياً وتأمين مصالحها بما يحقق الأغراض الأساسية التالية.

- تفوق الولايات المتحدة المطلق.
- قيادتها المنفردة للعالم سياسياً وعسكرياً وتكنولوجياً واقتصادياً.
- قطـــع الطـــريق علـــى القوى المؤهلة لتشكيل قوة عالمية عظمى وعلى تحالفاتها

والقـــوى المؤهلـــة من منظور أمريكي هي ((أوروبا –روسيا– الصين – اليابان – الهند))

- تشكيل منظومات سياسية إقليمية موالية وهي:–
- جنوب المحيط الهادي ووسط آسيا.
- الشرق الأوسط.
- منظومة داخل أوروبا.
- أمريكا اللاتينية.
- أفريقيا.

## ٢ –الهدف الإقليمي الخاص بالشرق الأوسط

– **تشـــكيل نظـــام إقليمـــي جديد** من المغرب إلى الباكستان ينطوي على مـــنظومة سياسية جديدة بكل محتوياتها مع نظام أمنى يضمن وجودا أمريكيا في مواقع محددة كما يضمن المصالح الأمريكية السياسية والاقتصادية والأمنية مع العمل على حل قضية الشرق الأوسط.

### ٣- هدف نفطي

الرغبة في الانفراد بالسيطرة على بترول الشرق الأوسط الذي يشكل أكبر احتياطي استراتيجي للنفط في العالم وبالقطع يصبح البترول العراقي هدفاً هاماً حيث إنه يشكل ثاني احتياطي للنفط في المنطقة بعد السعودية في العالم. بل لا يقتصر الهدف الأمريكي على السيطرة على بترول الشرق الأوسط بل وبترول الدول الإسلامية الآسيوية التي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي السابق أو التي ما زالت تحت ظله لتحقيق بذلك السيطرة على أركان الاقتصاد العالمي لأهداف اقتصادية وسياسية واستراتيجية وفي مقدمة هذه الأركان الطاقة ومصادرها والنفط على وجه الخصوص.

### ٤- هدف مالي

تعد الولايات المتحدة برنامجا ضخما لتطوير إمكاناتها الاستراتيجية في ظل أهدافها للسيطرة على العالم والتفوق وهذا البرنامج يحتاج ما لا يقل عن ٥٠٠ مليار دولار إضافية حيث تضاعفت الحاجات الأمريكية نتيجة للإخفاقات والتعثر والفساد من الاقتصاد الأمريكي ونتيجة أيضا للبرامج الطموحة للتطوير الاستراتيجي والأمني من أجل تحقيق التفوق والسيطرة. وهذا الأمر يعنى أن العالم معرض إلى مزيد من عمليات الابتزاز.

## -المجتمع الدولي ومرحلة التصعيد السياسي الأمريكي

شهدت هذه الفترة حشداً عالمياً على المستوى الشعبي والرسمي الدوليين معارضاً لشن حرب ضد العراق فعلى المستوى الشعبي تزايدت المظاهرات يوماً بعد الآخر في كافة عواصم العالم منددة بالخطة الأمريكية والحشد العسكري تمهيداً للغزو هذا على المستوى الشعبي العالمي أما على المستوى الرسمي الدولي فلكل دولة أسبابها الخاصة للمعارضة.

فألمانـــيا وفرنســـا الدولتان المهمتان في الاتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي على سبيل المثال، تعارضان حرباً تخوضها الولايات المتحدة من دون التشاور معهـــا لخشيتهما انفراد واشنطن بقيادة العالم وتشعران بأنهما منذ انهيار الاتحاد الســـوفيتي وانـــتهاء الحرب الباردة اضمحلت أهميتهما الاستراتيجية بعدما كانتا (الـــبوابة الشـــرقية) لحلـــف الأطلسي، كما أن موقف ألمانيا وفرنسا المعارض للحـــرب علـــى العـــراق تشـــكله عوامل اقتصادية فهاتان الدولتان تدركان أن شـــركاتهما لـــن تحظـــى بعقـــود مماثلـــة لما ستحظى به الشركات الأمريكية والإنجلـــيزية في العراق ما بعد صدام، بل إن كثيرا من الشركات الفرنسية مثل "توتـــال" والتـــي تعاقدت على تنفيذ مشاريع نفطية كبيرة في العراق خلال العقد الأخـــير تـــتوقع أن تخســـر هـــذه العقود لشركات أمريكية إضافة إلى الخسائر الاقتصادية والاستراتيجية كما تخشى الدولتان أن يكون السلوك الأمريكي بتغيير نظام بالقوة نمطاً لتغييرات مقبلة أخرى بالقوة من دون اعتبار لمرجعية شرعية دولية وذلك خدمة لمصالح استراتيجية أمريكية.

أمـــا روسيا فتعتبر من أكثر الدول المتضررة من التغيير في حكم العراق فالعـــراق مديـــن للاتحاد السوفيتي بحوالي ٨ بلايين دولار معظمها قيمة أسلحة دمـــرت أثناء حرب تحرير الكويت وللنظام العراقي علاقات اقتصادية وسياسية مـــع روســـيا خاصـــة فـــي مجال النفط ممتدة من القيادة الروسية الحاكمة إلى معارضـــيها، كمـــا أن للـــتقارب الروســـي – العراقـــي فوائده المادية للطرف الأول.فالشركات الروسية تحصل على بليون دولار على دورها كوسيط في بيع الـــنفط العراقـــي ضـــمن برنامج النفط مقابل الغذاء، هذا عدا مبالغ أكبر تحققها الشـــركات الروســـية من مبيعاتها لمواد ومعدات للعراق ولابد أن تكون خشية روســـيا أكبر من ألمانيا وفرنسا من أن تخسر السوق العراقية عند تغيير النظام العراقي فالأخيرتان يمكن أن تنافسا الشركات الأمريكية على المدى الطويل في هـــذه الســـوق لجـــودة منتجاتهما، لكن الأمل ضعيف بأن يتحقق ذلك للشركات الروسية.

أمـــا بالنسبة إلى الصين فهي تعارض أيضاً السياسة الأمريكية التي تهدف للهيمـــنة علـــى العـــالم وعلى الطاقة وبحكم علاقاتها السياسية والاقتصادية مع العراق ولكن في نفس الوقت هناك بعض الدول وعلى رأسها بريطانيا تؤيد هذا التصـــعيد الأمريكـــي تجـــاه العراق وذلك لأهداف ومصالح تخص هذه الدول. وخاصـــة بريطانيا التي ما زالت تتأرجح بين اندماجها في الاتحاد الأوروبي أو الســـير في ركاب الولايات المتحدة واحتفاظها بهذه العلاقة الخاصة التي تجعل مـــنها الكثير. وهناك أيضا تلك الدول المستقلة حديثا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي ورغبتها في الاندماج في المجتمع الغربي والاستفادة من الإمكانيات الاقتصادية والسياســـية لتحســـين وتطوير إمكاناتها والسعي لمستقبل أفضل. وسيقتصر هذا التحليل على بعض الدول والقوى المؤثرة على سير ونتائج هذه الأزمة الخطيرة التي قد تعيد تشكيل النظام الدولي في المستقبل القريب.

## - قوى التحالف والدول المؤيدة للحرب ضد العراق:

### الولايات المتحدة الأمريكية:

هـــذا ومـــع أن الرئيس بوش قد حصل على تفويض من الكونجرس بشن الحـــرب علـــى العـــراق، سبقه تجانس أكبر في رؤى حكومته ومستشاريه فإن الأعـــلام الأمريكي والصحافة بالذات أظهرت موقفاً معارضاً قوياً للحرب حتى أنـــه بـــدا أن الصـــحافة الأمريكـــية أخذت دور ممثلي الشعب غير الرسميين المعارضين للحرب بعدما أعطى ممثلو الشعب الرسميون (الكونجرس) تفويضاً للرئـــيس بشن الحرب، فقد شهدت الأسابيع الأخيرة في الصحافة الأمريكية سيلاً من التحليلات المناهضة للحرب وأرسلت معظم الصحف الأمريكية مراسلين إلى بغداد وأرسل هؤلاء تقارير تصور بالتفصيل الحالة الصعبة التي يعيشها الشعب العراقـــي، ومدى قسوة النظام الذي يرزح تحته إلا أن معظم التحليلات انصبت على مدى جسامة الخسائر في الأرواح التي ستصيب الأمريكيين في حال نشوب حرب وتأثير ذلك في الرأي العام الأمريكي.

**الموقف البريطاني:**

عـندما يناقش المحللون السياسيون أزمة العراق فإن مناقشتهم تتركز على الـدور الأمريكـي في الدعوة إلى الحرب وعلى الدور الفرنسي والروسي في معارضـتها ولكـن بالنسبة للدور البريطاني فإن غالبية التحاليل السياسية تدرج الموقـف البريطاني ضمن مناقشتها للموقف الأمريكي وتقوم بتهميشه وبعضها يتجاهله بشكل نهائي ويتعامل مع الموقف الأمريكي وحده.

وتتضـح هذه المسألة سواء تأملنا في التحليلات البريطانية التي تتعامل مع الأزمة والمشكلة العراقية وكأنها أزمة تعنى القيادة الأمريكية وحدها وفيما يتعلق بصـدام فيمكن القول بأن بريطانيا تبدو أحياناأكثر حماسا وحرصا من واشنطن علـى مواجهة النظام العراقي ومحاربته. فأثناء الحرب العراقية الإيرانية وبينما كانـت واشـنطن تقوم بدعم صدام فإن لندن رفضت دعم العراق أو على الأقل كانـت أقـل حرصاً على دعمه من واشنطن ولقد شهدت الثمانينات من القرن الماضـي بعـض مظاهـر الـتوتر بين بغداد ولندن بسبب لجوء بعض فئات المعارضـة العراقـية إلـى لندن وانتقاد وسائل الإعلام البريطانية لنظام صدام وتوجـيه تهمـة التجسـس من قبل العراق لمراسلي بعض الصحف البريطانية إضـافة إلـى قضـية المدفع العملاق حيث أفادت المصادر الرسمية البريطانية بإحباطها محاولة العراق الحصول على فوهة فولاذية طويلة لمدفع عملاق يصل مـداه إلـى أضعاف مسافة المدفع العادي، وفي أعقاب احتلال العراق للكويت كانـت رئيسة الوزراء البريطانية "مارجريت تاتشر" أول من سارع إلى رفض الاحـتلال وكان لاجتماعها التاريخي بالرئيس جورج بوش الأب تأثير كبير في اتخاذ واشنطن قرار الحرب ضد صدام، والذي ساهمت به بريطانيا بشكل فعال ومنذ ذلك التاريخ والقوات البريطانية تعمل جنباً إلى جنب مع القوات الأمريكية فـي الخلـيج لفـرض العقوبـات الدولية على العراق.ولقد قدم رئيس الوزراء البريطانـي في أكثر من مناسبة معلومات دقيقة عن أسلحة الدمار الشامل التي يملكهـا العراق وعن الأخطار التي يمكن أن تنجم عن استخدامه لها ولقد ازداد

الموقـف البريطاني قوة وحماساً في دعمه للسياسة الأمريكية في أعقاب أحداث ١١ سبتمبر خاصة فيما يتعلق بمحاربة الإرهاب والدعوة للحرب ضد العراق.

ولتدعـيم الموقـف الأمريكـي ضد العراق قدم توني بلير في أواخر شهر سبتمبر (٢٠٠٢) الماضي إلى مجلس العموم البريطاني أدلته الشهيرة ضد صدام حسين والتي أوضح فيها أن العراق سيكون قادراً على إنتاج سلاح نووي خلال عـام أو عامين وأنه حصل على كمية كبيرة من اليورانيوم من أفريقيا وغيرها، وان الرئـيس العراقـي لا يزال حريصاً على تطوير أسلحة الدمار الشامل وأن بإمكانـه الآن نشر أسلحته البيولوجية والكيماوية في مدة تقل عن الساعة ومنذ صدور ذلك التقرير بدأت طبول الحرب ضد العراق تقرع من جديد في واشنطن وارتفعـت أصـوات المعارضة الفرنسية والروسية والصينية وهددت واشنطن عندئذ بالقيام بنزع أسلحة العراق سواء قبلت الأمم المتحدة بالشروط الأمريكية أم لم تقبل، ولكن بريطانيا سارعت إلى تهدئة واشنطن وسعت إلى تقريب وجهات الـنظر المتبايـنة ونتج عن ذلك صدور قرار مجلس الأمن الأخير الذي وضع الـنظام العراقـي أمام تحديات فعلية لأول مرة منذ تحرير الكويت، ومن خلال الـتأمل فـي هذا الموقف البريطاني تجاه العراق يرتبط بسياسة بريطانية وهو بالتأكـيد موقف لم يتخذ فقط لمجرد إرضاء واشنطن وكذلك تؤيد وتدعم أمريكا موقفهـا الرسـمي لقولهـا أن العـراق يمتلك أسلحة الدمار الشامل وأنه يسعى لتطويرها وأن لديه القدرة والرغبة في استخدامها. كما تدعم لندن رؤية واشنطن الخاصة ببناء علاقة فرضية وفعلية بين القاعدة والعراق.

وفـي حيـن أن بعض الدول الأوروبية التي تدعم الموقف الأمريكي ضد العراق مثل إيطاليا وأسبانيا تعتمد على المعلومات والوثائق الأمريكية التي تدين العـراق، فـإن بريطانـيا تعـتمد فـي بناء موقفها ضد العراق على معلومات الاسـتخبارات البريطانية دون الاكتفاء بمعلومات CIA وإضافة إلى ذلك، فإن واشـنطن نفسها تعتمد على تقارير الاستخبارات البريطانية عن العراق لتدعيم موقفها ضد صدام سواء بداخل أمريكا أم على الصعيد الدولي، وقد يكون تحالف

بريطانـيا الاستراتيجي الطويل مع أمريكا إضافة إلى قناعة لندن بخطر امتلاك صـدام لأسـلحة الدمار الشامل هو السبب الفعلي وراء الموقف البريطاني في العراق.

لقد اقترحت لندن ستة شروط لإدراجها كتعديل للاقتراح الثلاثي الذي قدمته كل من أمريكا وإنجلترا وأسبانيا والذي لم يكن من الممكن أن يحصل على عدد الأصوات الكافي لتمريره وذلك التعديل يهدف استصدار قرار ثان يسمح باللجوء للقـوة الشيء الذي كانت تحتاجه بريطانيا لإرضاء البريطانيين وموافقتهم على الاشتراك في الحرب كما أعلنت أنها ستشارك في الحرب ردا على الملاحظات التـي أبداهـا وزيـر الدفاع الأمريكي بخصوص احتمال عدم اشتراك إنجلترا ودخول أمريكا الحرب منفردة.

وأبدت بريطانيا عزمها على التوصل إلى قرار ثان، ودعت في الوقت ذاته كـلا من روسيا وفرنسا إلى ((إعادة النظر)) في قرارهما استخدام حق النقض (الفيتو) داخل مجلس الأمن. وأصرت على أنها مستعدة لشن حرب على العراق.

**والشروط الستة هي:-**

١- أن يعلن الرئيس العراقي أن في حوزته أسلحة دمار شامل مخبأة وأن يتعهد بتدميرها.

٢- السماح لـ ٣٠ من كبار علماء الأسلحة العراقيين بالتوجه إلى قبرص لكي يقابلوا مفتشي الأسلحة الدوليين.

٣- إعطاء توضيحات لمخزون عصيات الجمرة الخبيثة (إنثراكس) الذي يعتقد أنه في حوزته والتدمير الفوري لعشرة آلاف لتر من الإنثراكس وغير ذلك من المواد الكيماوية والبيولوجية التي يعتقد أن العراق لا يزال يمتلكها.

٤- التعهد بتدمير الصواريخ المحظورة.

٥- تقديـم معلومات وتوضيحات عن طائرة من دون طيار بنى العراق نموذجا لها واكتشفها المفتشون الدوليون. وتشتبه لندن وواشنطن في أن هذه الطائرة قادرة على نشر مواد كيماوية وبيولوجية.

٦- تسليم المفتشين المختبرات النقالة لإنتاج مواد بيولوجية لتدميرها.

**الموقف الأسباني:**

قـدم السـيد "خوسيه ماريا أثنار" رؤيته عن الأزمة العراقية الأمريكية من خلال ما كتبه في جريدة الحياة ٢٠٠٣/٣/١٥ التي توضح وجهة النظر الأسبانية من تأييدها للولايات المتحدة وأهم ما تضمنته:

- أن مـرور أكثر من ثلاثة أشهر على مصادقة مجلس الأمن على القرار ١٤٤١، وهـو القرار الذي يتيح أمام نظام صدام حسين الفرصة الأخيرة لنزع أسـلحته كمـا يطالـبه بذلك المجتمع الدولي منذ حوالي ١٢ عاماً، فإن النظام العراقـي يواصل نهجه القاضي بعدم القيام بواجباته المتعلقة بنزع أسلحته وأن الرئيس صدام حسين لا يزال يتلاعب تلاعباً متزايد القسوة بالمفتشين وبالمجتمع الدولي.

- أن القرار ١٤٤١ يشكل مطالبة المجتمع الدولي صدام حسين بالتخلي عن أسـلحة الدمار الشامل الحالية والمستقبلية، كما أن القرار نفسه يشير إلى أن هذه الفرصـة هي الفرصة الأخيرة أمام العراق للقيام بعملية نزع أسلحته لو كان نفذ ما طلب منه وقام بواجباته لكان بإمكان المفتشين ملاحظة ذلك والإشارة إليه في فـترة قصـيرة من الوقت. وهذا ما حدث في عمليات نزع الأسلحة التي تمت طواعية في كل من أوكرانيا وروسيا البيضاء وكازاخستان وفي جنوب أفريقيا. كان أمام العراق حوالي ١٢ سنة للقيام بهذا الإجراء إلا أنه اختار نهج مواصلة بـرامجه الخاصـة بتطوير أسلحة الدمار الشامل عن طريق التهديدات والتستر والكذب.

- أن نـــزع أسلحة الدمار العراقية والتوصل إلى إحراز تقدم في الصراع العربي – الإسرائيلي هما أهم التحديات التي يواجهها المجتمع الدولي وأكد على مشـــاركة أسبانيا وكما شاركت في قضية الشرق الأوسط في مؤتمر مدريد فلن تدخر جهدا في تحقيق هذين المقصدين.

## القوى المعارضة للتوجهات الأمريكية في استخدام القوة:

### الموقف الفرنسي:

تعلقـــت آمـــال الكثيرين في مطلع الأزمة العراقية بمواقف روسيا والصين وفرنســـا ومعارضـــتها للسياسة الأمريكية ومشروع الحرب، وكان ذلك طبيعياً فالدول الثلاث هي قوى عالمية رئيسية تتمتع بالعضوية الدائمة في مجلس الأمن وبحـــق الفيـــتو، ولكن ما أن تصاعدت الأزمة حتى فقد معظم العرب ومعسكر مناهضة الحرب الكثير من الاطمئنان للموقفين الروسي والصيني وبرزت فرنسا وألمانـــيا باعتـــبارهما القوى الأكثر جدية وتماسكاً في وقوفهما في وجه الهيمنة والابتزاز الأمريكيين فبالرغم من أنه لم تزل المواقف المعلنة في موسكو وبكين صـــريحة فـــي معارضة الحرب على العراق ولكن الواضح أن مواقف الروس والصـــينيين تستند إلى المواقف الفرنسية والألمانية أكثر مما هي مواقف مستقلة وثابـــتة، ما فاجأ العالم وليس العرب فقط كان المحور الفرنسي – الألماني الذي تقوده فرنسا أساساً ويصطف خلفه عدد من الدول الأوروبية الأصغر وتستظل به روســـيا والصـــين وكذلك لقد لعب الفرنسيون دوراً هاماً، دوراً بالغ الأهمية في الحقيقة في تعديل مشروع قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ بحيث أصبح للمراقبين ولمجلس الأمن الحق في تقدير الموقف العراقي ومدى تعاونه واستعداده للتخلص من أسلحة الدمار الشامل وليس لدولة ما أو مجموعة دول خارج نطاق المؤسسة الدولـــية، وبالـــرغم من الضغوط الأمريكية الهائلة وقيام بريطانيا بمناورة شق الصـــف الأوروبـــي وقـــيادة معسكر موال لواشنطن فقد استمرت فرنسا تقاوم التحركات الأمريكية المتسارعة نحو الحرب. تدرك فرنسا أن الأهداف الأمريكية

من الحرب تتجاوز هدف نزع أسلحة الدمار الشامل إلى الإطاحة بالنظام العراقي واحـــتلال العراق والسيطرة على مقدراته بل وتتجاوز العراق لتطال كل منطقة الشرق الأوسط.

خشـــية فرنسا من الهيمنة والسيطرة الأمريكية على الشرق الأوسط والشأن العالمي هي خشية حقيقية ورغبة فرنسا في كبح جماح الهجوم الأمريكي وتعزيز الموقف الأوروبي المستقل عن واشنطن هي أيضاً رغبة حقيقية ولكن فرنسا لا تستطيع أن تقول لا مطلقة ونهائية لواشنطن فمثل هذا الموقف يعنى الذهاب إلى صـــراع طويل المدى مع السياسة الأمريكية صراع لا تريده باريس ولا تسعى إلـــيه بل إن توازنات القوى العالمية الراهنة لا تسمح به ولذا فقد تبلور الموقف الفرنســـي مـــن خـــلال تأييد المطالب الأمريكية في نزع سلاح الدمار الشامل العراقـــي والتأكـــيد على أن يتم هذا من خلال قرار دولي وإطار مجلس الأمن والأمـــم المتحدة ويضيف الفرنسيون (وهذا ما عملوا على إبرازه في القرار رقم ١٤٤١) أن المراقبين هم قضاة المحفل الدولي، أي هم من يقدر مدى الاستجابة العراقية وليس واشنطن. إن جاءت تقارير المراقبين لتعكس موقفاً عراقياً سلبياً، يـــؤدى إلـــى اعتبار العراق في وضع انتهاك مادي لقرار مجلس الأمن، فعندها يمكـــن للمجلـــس إصـــدار قرار جديد يشرع لاستخدام القوة. وهنا تنبع مخاطر الموقف الفرنسي.

وعلى هذا يمكن القول إن مساندة الموقف الفرنسي في رفضه لنزع أسلحة التدمـــير الشـــامل المـــزعومة تعـــتمد في الأساس على مدى تعاون العراق مع المفتشين وحتى لا تقر تقارير رؤساء لجان التفتيش بعدم تعاون العراق أو إخفائه معلومـــات عن فرق التفتيش أو تقاعسه في مطالب فرق التفتيش كما ساعد في قـــوة الموقف الفرنسي كونها من الدول الخمس دائمة العضوية ولها حق الفيتو وقـــد اتخذت موقفا فاعلا إزاء المناورات الأمريكية البريطانية لاستصدار قرار ثـــان يسمح بالحرب وكان للموقف الفرنسي الشجاع أثره في جذب التأييد وعدم نجاح أمريكا في تمرير المشروع الثلاثي حتى بعد التعديل البريطاني في الدرجة

التي قرروا فيها سحب المشروع. وقد أعلنت فرنسا أنه في حالة نشوب الحرب واستخدام العراق لأسلحة التدمير الشامل ستغير فرنسا موقفها بل ستشارك في هذه الحرب كما أعلنت أنها ستشارك في المساعدات الإنسانية فقط.

## الموقف الألماني:

لم يختلف الموقف الألماني كثيراً عن الموقف الفرنسي في معارضة الهيمنة الأمريكية على الأحداث في العالم وإخضاعها دول العالم المختلفة لسيطرتها ولتحقيق مطامعها ومصالحها في آن واحد، فألمانيا دولة أوروبية لها ماضيها التوسعي ولها تطلعاتها هي الأخرى لولا هزيمتها في الحرب العالمية الثانية والتكتل الدولي لحصارها وتحجيم دورها، إلا أنه ومع المتغيرات العالمية التي حدثت عام ١٩٩٠ وإزالة سور برلين وتوحيد شطري ألمانيا تتطلع ألمانيا إلى إعادة أمجاد أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ووجدت في فرنسا حليفا لها لزعامة أوروبا الموحدة واتفقا منذ حوالي عشر سنوات على إقامة قوة انتشار سريع أوروبية خاصة بعيدة عن حلف شمال الأطلسي وبهدف عودة المكانة والدور الأوروبي إلى سابق عهده، ويمكن القول أنه لولا الانحياز البريطاني لجانب الولايات المتحدة الأمريكية لعادت لأوروبا مكانتها السابقة صاحبة الإمبراطوريات والتوسعات في كافة أنحاء العالم.

من هذا المنطلق يمكن القول إن الموقف الألماني يعتمد بالأساس على إعطاء مهلة كافية للمفتشين لنزع أسلحة التدمير الشامل إن وجدت، والحل السلمي للمشكلة، وتعارض ألمانيا أيضاً الولايات المتحدة الأمريكية خاصة فيما يلي:-

١-الهيمنة الأمريكية على مسار الأحداث العالمية وتحقيق حلول تتفق مع مصالحها فقط وليس طبقاً لمصالح شعوب العالم المختلفة.

٢-تخوف ألماني وهي من أكبر ثلاث أو أربع دول صناعية في العالم من إحكام سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على منابع البترول في أرجاء العالم

المختلفة مما قد يضعف القدرات الاقتصادية لكل من ألمانيا وفرنسا ووضعهما تحت رحمة الولايات المتحدة الأمريكية وما تسمح به.

٣-تطلعات ألمانيا للعائدات الاقتصادية من استمرار تعاونها مع العراق في إطار تخوفها من الهيمنة الأمريكية على منطقة الخليج وحرمان الدول الأوربية التي لا ترضخ للولايات المتحدة الأمريكية لسيطرتها.

٤- تحقيق المكانة الأوروبية المناسبة كقوة عظمى تقف على قدم المساواة والمنافسة مع الولايات المتحدة الأمريكية وربما تكون أزمة العراق بداية لتحقيق هذا الهدف المنشود

## روسيا والأزمة العراقية الأمريكية:

تعتبر روسيا من الدول ذات العلاقات الوطيدة مع العراق ضمن الدول العربية التي كانت ذات علاقة مع الاتحاد السوفيتي السابق، وروسيا كانت من أكبر الدول المصدرة للسلاح للعراق، بل وكان للحزب الشيوعي العراقي دور كبير في توطيد هذه العلاقة.ويعود ذلك بالأساس لأن العراق كانت البوابة للاتحاد السوفيتي السابق والإطلالة على دول الخليج العربي خاصة، حتى الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ حيث لم يكن للاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت أي علاقات بدول الخليج سوى مع العراق.

واستمرت هذه العلاقة في إطار تسلسل الأحداث التي مرت بها دول المنطقة، منذ ذلك الوقت عبر حربي الخليج الأولى والثانية وعقب ذلك كانت روسيا تحاول جاهدة مساعدة العراق لتجنب الأزمات الدولية التي كان يمر بها مع التحالف الدولي أو مع الأمم المتحدة.

وتجدر الإشارة في هذا الخصوص إلى أن الدبلوماسية الروسية حذرت العراقيين مراراً وعلى مختلف الأصعدة من خطورة السياسة التي ينتهجونها باتجاه المماطلة بعملية التطبيق الكامل لقرارات مجلس الأمن الدولي ومن أن الولايات المتحدة يمكن أن تقوم حقاً بعملية عسكرية ضد بغداد. وإجمالا فإننا إذا

ما انتقلنا إلى موضوع دور روسيا في الأزمة العراقية توجب علينا التأكيد على أنـــه خـــلال مختلف مراحل هذا الدور وحتى خلال المرحلة الصعبة من ترميم الدبلوماسية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ظلت سياسة روسيا إزاء بغداد متينة ومتزنة ترمي إلى الحفاظ على العلاقات مع العراق وتقديم الدعم المعنوي والسياسي له بما في ذلك في إطار الأمم المتحدة أيضاً. وما من شك في أن هذا الدعـــم كـــان خلال مختلف مراحل الأزمة العراقية يتنوع محكوما في كثير من الأحوال بعوامل السياسة الداخلية الروسية وكذلك بمجمل ما لروسيا من علاقات دولية ومع ذلك فإن الجانب الرئيسي من هذا الدعم ظل يتمثل في رفض روسيا الـــتوجه نحـــو اســـتخدام القـــوة العسكرية كأداة تكاد تكون الوحيدة التي يمكن بواســـطتها إرغـــام بغـــداد على تطبيق قرار هيئة الأمم المتحدة ومعروف أن الديبلوماســـية الروســـية وبمفـــردها عملياً استطاعت تفادي انفجار الوضع عام ١٩٩٨ عـــندما أقنعـــت القيادة العراقية بفتح الأبواب مجدداً أمام عودة المفتشين الدوليـــن إلى العراق، وإرجاع النزاع إلى قنوات هيئة الأمم المتحدة وليس من بـــاب المصـــادفة إطلاقـــاً أن تـــبدأ مـــنذ النصف الثاني من التسعينات تحديداً الاتصالات الروسية العراقية المكثفة في المجال التجاري الاقتصادي، وأن يوقع الطـــرفان عدداً من العقود الضخمة ولاسيما في القطاع النفطي لتصبح الشركات والمؤسســـات الروســـية صاحبة أكبر حصص لتصدير النفط العراقي في إطار برنامج الأمم المتحدة (النفط مقابل الغذاء) وعلى هذا النحو غدت روسيا الشريك السياســـي والتجاري الاقتصادي الأول للعراق واحتلت مواقع بالغة الأهمية في السوق العراقية خاصة في مجال النفط علماً أنها كانت بحكم خصوصية الوضع تتصـــرف في إطار نظام العقوبات الأمر الذي قيد إلى حد كبير إمكانيات تنفيذ العقود الضخمة علاوة على خشية روسيا الاتحادية من ضياع ديون العراق لها والتي تصل إلى حوالي ثمانية مليارات دولار.

وحاولت روسيا جاهدة عدم انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بغزو العراق دون غطـــاء دولـــي وقرار الأمم المتحدة في إطار سعيها لتحقيق الحل السلمي للأزمة العراقية الأمريكية.

كمـــا ســـعت روسيا من خلال تحالفها مع ألمانيا وفرنسا من خلال مجلس الأمن عدم استصدار قرار جديد منذ صدور القرار رقم ١٤٤١ والذي يدعو إلى قـــيام المفتشين الدوليين بنزع أسلحة التدمير الشامل إن وجدت بالطرق السلمية دون استخدام القوة العسكرية.

هـــذا ولقـــد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية الضغط على روسيا بكافة الوســـائل لموافقتها على تمرير قرار جديد من مجلس الأمن يخول لها استخدام القـــوة ضد العراق تارة بالوسائل الدبلوماسية وتارة بالوسائل الاقتصادية سواء عن طريق مساعداتها الاقتصادية لها ومنها تقديم تكنولوجيا استخراج النفط من حقول سيبيريا وهو ما أتفق عليه منذ أوائل فبراير عن مد خط أنابيب للغاز من غرب روسيا إلى الجزر اليابانية ومنها إلى غرب الولايات المتحدة الأمريكية في إطـــار الحملـــة الأمريكية لتقليل اعتمادها على بترول الشرق الأوسط واستخدام روسيا كمنافس للبترول السعودي في منظمة أوبك وبهدف إضعاف منظمة أوبك المصدرة للبترول.

والمعـــتقد أن الـــروس سيقبلون في النهاية صفقة روسية أمريكية تتضمن بعض المصالح في العراق وإعطاء روسيا حرية أكثر في استخدام العنف لسحق المقاومـــة الشيشـــانية مقابل دعم الموقف الأمريكي أو على الأقل السكوت عليه وذلـــك بـــأن تلعـــب لعبة مزدوجة تسعى فيها إلى الحفاظ على الحد الأدنى بين التفاهم مع الولايات المتحدة والعمل على حماية مصالحها في العراق وفي منطقة الشرق الأوسط.

## موقف بعض الدول في النطاق الإقليمي للشرق الأوسط:

اختلاف توجهات ومواقف هذه الدول بين المعارضة أو التأييد في المراحل المختلفة للأزمة بل لقد اتصفت بعض مواقف لهذه الدول بالغموض والتردد.

## تركيا وحرب الخليج:

برغم موافقة الحكومة على انتشار القوات الأمريكية في الأراضي التركية إلا أن مجلس الأمة التركي لم يوافق على ذلك عندما عرض الأمر عليه وإن كان يعتقد أن الهدف التركي المعارض للغزو وبرغم أطماعها وتطلعاتها في شمال العراق هو تخوف تركيا من تقسيم العراق وإقامة دولة كردية في شمال العراق مما يعنى مطالبة باقي الأكراد في الدول الأخرى المحيطة لإقامة دولة كردية كبرى ولكن الموقف التركي يعتبر من المواقف المعقدة حيث يتأرجح بين ولائه لحلف الأطلنطي كأحد أعضائه بجانب رغبته الشديدة لدخوله الاتحاد الأوروبي كأكبر دولة وهذه الرغبة حلم يراود تركيا من فترة ليست بالبعيدة وفي نفس الوقت لا تستطيع الاستغناء عن علاقتها القوية بالولايات المتحدة ورغبتها في معاونتها لإنقاذ اقتصادها من الأزمة الحالية علاوة على المعونات العسكرية التي تقدمها لأمريكا وتركز الخلاف أساسا مع الولايات المتحدة على موضوعية حجم وشكل المساعدات التي تحتاجها تركيا منها والثاني عن السماح للقوات التركية بدخول الأراضي العراقية.

وقد أجمع الكثير من المحللين على أن تركيا كانت ستوافق في النهاية على منح القوات الأمريكية والمتحالفة تسهيلات لضرب العراق نتيجة للعلاقة التي تربط تركيا بالولايات المتحدة الأمريكية من جانب ولعضوية تركيا في حلف شمال الأطلسي والذي دعم تركيا بالمعدات منها الصواريخ الباتريوت المضادة للصواريخ وطائرات الاستطلاع والإنذار الأواكس التابعة للحلف بهدف الدفاع عن تركيا وأراضيها.

## وبالنسبة للدول العربية:

عارضـــت جميع الدول العربية بصفة عامة الهجمة الأمريكية المبيتة ضد العـــراق وذلـــك خـــلال مؤتمرات القمة سواء القمة العربية أو الإسلامية والتي انعقـــدت في أوائل شهر مارس (٢٠٠٣)، كما اتفقت على عدم المشاركة في أي عـــدوان أمريكي على العراق. ولكن بعض الدول العربية وهي الدول الخليجية كانـــت لهـــا بعـــض التحفظات بسبب وجود القوات الأمريكية والبريطانية على أراضـــيهم وذلـــك وفـــق اتفاقات ومعاهدات تعاون عسكري معه وذلك من قبل الأزمـــة العراقية الأخيرة بل منذ حدوث حرب الخليج الثانية بل إن هذا التواجد العسكري كان أحد تداعيات ونتائج غزو العراق للكويت.

ولكـــن كانـــت وما زالت هناك معارضة شعبية من شعوب هذه الدول منذ العـــدوان على شعب العراق مطالبة بتدمير أسلحة الدمار الشامل إن وجدت عن طريق مفتشي الأمم المتحدة وبالطرق السلمية دون استخدام القوة.

## الدور الإيراني ومدى مصداقيته:

إيران تدرك أن الغزو الأمريكي للعراق سيكون مقدمة للاعتداء على إيران كمـــا أن هذا الغزو سيؤمن وجوداً عسكرياً أمريكياً في العراق، وسيكون مقدمة لترتيبات إقليمية جديدة لإسرائيل أن تتواجد في العراق بالقرب من إيران، ومن ثـــم فإن معادلة العلاقات الإقليمية في الخليج سوف تشهد اختراقا إسرائيليا غير مسبوق في ظل حماية ورعاية أمريكية لهذا الاختراق.

ويمكـــن تحديد ثلاثة منافذ للخطر على الأمن القومي والمصالح والأهداف القومـــية الإيرانـــية وبالذات في إقليم الخليج بعد العدوان الأمريكي على العراق وهي:-

١- خطـــر الوجود العسكري الأمريكي والنفوذ الإسرائيلي في الخليج في ظل اختلال موازين القوى الإقليمية بفرض نظام عميل في بغداد.

٢- خطر العدوان المباشر على العراق سواء كان العدوان أمريكياً – إسرائيلياً، أم كـــان أمريكـــياً فقط أو إسرائيلياً فقط في ظل الجنوح الإسرائيلي لتدمير المنشآت النووية الإيرانية على غرار تدمير المنشآت النووية العراقية.

خطـــر شـــن عـــدوان أمريكي – إسرائيلي ضد حزب الله وسوريا وتدمير قـــدرات المقاومـــة الفلسطينية باعتبار أن حزب الله تم إدراجه ضمن المنظمات الإرهابية، وأن سوريا تقف حجر عثرة أمام تصفية حزب الله ومنظمات المقاومة الفلسطينية.

جاء هذا الرفض المطلق والسعي إلى تجنب حدوثه، مع حرص شديد على عـــدم الـــتورط في أي صراع عسكري مع الولايات المتحدة، هذا الموقف جاء شديد الغموض وأوقع المسؤولين الإيرانيين في كثير من التناقض الظاهري لكن التدقـــيق فيه، وفهم خلفياته، يوضح قدراً كبيراً من الاتساق والتوازن بين ما هو عسكري وما هو سياسي من التزامات.

فـــالموقف الإيرانـــي، من حيث المبدأ، عبر عنه الرئيس محمد خاتمي من خـــلال تجديـــد التأكيد على موقفه الرافض لضرب العراق أو التدخل في شئونه الداخلـــية، أما الموقف الإيراني من الناحية العملية فقد شهد تداخلاً بين وزارتي الخارجـــية والدفاع، ومن هنا هذا الفهم نظر إلى تصريحات على شمخاني على أنها تعبر عن الموقف العسكري باعتباره وزيراً للدفاع، والتركيز على قوله إن موقف الجمهورية الإسلامية إزاء العراق في الظروف الراهنة هو: لا للمواكبة، ولا للمغامـــرة، وفهم هذا القول على إنه يعني إنه عندما تندلع الحرب فعليا، فإن إيـــران "لن تواكب" أي تحرك عسكري أمريكي تشارك فيه المعارضة العراقية، وبالتالـــي فإنهـــا لـــن تقدم أية تسهيلات أو قواعد لجماعات المعارضة العراقية المقـــيمة على الأراضي الإيرانية، وزاد البعض على ذلك بالقول إن إيران وفق هـــذا الفهم، (أي عدم المواكبة) لن تسمح لقوات بدر التي تتواجد على أراضيها، وتمـــثل الذراع المسلحة للمعارضة العراقية في إيران، بالقيام بأي دور في هذه الحرب.

وهذه رسالة موجهة لكل من الحكومة العراقية والولايات المتحدة بأن إيران لا تملك نوايا انتهازية فيما يخص العراق، وأنها من الناحية العسكرية ستختار الوقوف على التل، وقد تحمل – كما رأى بعض المحللين – تحذيراً للمعارضة العراقية في إيران بضرورة عدم التعويل كثيراً على قواتها العسكرية المتمثلة في قوات بدر.

وهنا نلاحظ حرص الإيرانيين على توضيح أن موقف "الحياد" الإيراني يتعلق أساساً وفقط بالإطار العسكري وليس بالجانب السياسي والدبلوماسي والإعلامي وملحقاته، ومن ثم فإن "الحياد" الإيراني ليس حياداً سلبياً بل هو "حياد إيجابي" فهو يتمثل في بذل كل الجهود الممكنة للحيلولة دون حدوث الغزو الأمريكي للعراق، لكن الحياد العسكري ليس التزاماً مطلقاً خصوصاً إذا تعرضت إيران لعدوان عسكري، وسوف ترد في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، وجاءت تصريحات الجنرال محمد سليمي قائد الجيش الإيراني توضح جدية هذا الموقف. فقد أعلن أن القوات المسلحة الإيرانية اتخذت عدداً من الخطط تقضي بإجراء مناورات وتحركات لوحدات السلاح الجوى والبحري لإفشال التهديدات الأمريكية ضد إيران.

وعندما أبدى الرئيس الأمريكي تفهماً ظاهرياً أو تكتيكياً للموقف الدولي الرافض لشن أي ضربة وقائية أمريكية منفردة دون قرار من الأمم المتحدة دعت طهران بغداد للموافقة على العودة السريعة للمفتشين الدوليين على الأسلحة للحيلولة دون تعرضها لضربة عسكرية أمريكية، كما دعت الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة للقيام بدور أكثر فاعلية لتفادى الحرب، ودعت وزارة الخارجية الإيرانية أن تتعاون الحكومة العراقية مع الأمم المتحدة للعودة السريعة لمفتشي الأسلحة.

حرص الإيرانيون على التمسك بدرجة عالية من ضبط النفس للحيلولة دون التورط في أي مواجهة مع العراق في هذه الظروف حتى لو كانت إعلامية وسياسية، لإدراكهم أن مثل هذه المواجهة سوف تؤول على أنها انحياز للموقف

الأمريكـــي بكـــل مـــا قد يحدثه ذلك من تشويه غير مرغوب للسياسة الإيرانية وللعلاقات الإيرانية – العربية بصفة خاصة.

## التنسيق في المواقف مع دول مجلس التعاون الخليجي:

أظهـــرت إيـــران حرصاً واضحاً على التنسيق في المواقف مع السعودية ودول مجلـــس الـــتعاون الأخرى، سواء بالنسبة للجهود المشتركة لمنع عدوان أمريكي على العراق أو بالنسبة لمرحلة ما بعد سقوط النظام العراقي الحاكم في حالة وقوع العدوان في إسقاط النظام (وقد احتلت العراق فعلاً وسقط النظام).

وللحقـــيقة يمكـــن القـــول إن الحـــرص كان متبادلا بين الجانبين الإيراني والســـعودي، وأيضـــا بعـــض دول مجلس التعاون وخاصة البحرين، فإذا كان الرئـــيس الإيرانـــي محمد خاتمي قد زار السعودية زيارة خاصة أجرى خلالها محادثات مهمة مع ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، فإن ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسي زار طهران في زيارة هي الأولى من نوعها منذ اســـتقلال البحرين عام ١٩٧١، كما زار الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية الســـعودي طهـــران والـــتقى بنظيره الإيراني كمال خرازي في ١٨ أغسطس (٢٠٠٢)، حيث أكد الوزيران موقف بلديهما المعارض لأي عمل عسكري ضد العراق.

أما زيارة ملك البحرين لطهران فقد عبر البيان الصادر في ختامها عن قدر أكبر من الوضوح في الموقف، فإلى جانب التأكيد على المعارضة "الحازمة" لأي عمل عسكري أحادي الجانب "ضد العراق" أوضح البيان أن الدولتين تعبران عن تضـــامنهما مع الشعب العراقي، وتطالبان حكومة العراق باحترام قرارات الأمم المـــتحدة كما أكدتا احترامها لوحدة الأراضي العراقية وسيادته الوطنية، وحذرتا مـــن الـــتهديدات التي تواجه المنطقة، وأكدتا معارضتهما لأي عمل يهدف إلى تعريض الأمن والاستقرار في الخليج للخطر.

وهنا نلحظ ثلاث مسائل مهمة:-

**الأولى:** هي الإشارة إلى رفض أي عمل عسكري "منفرد" ضد العراق بما يعـنى أنـه لو صدر قرار من الأمم المتحدة يسمح بتوجيه هجوم عسكري ضد العراق فإنه لن يلقى معارضة.

**الثانـية:** هي إعطاء أولوية الاهتمام للشعب العراقي بما يكشف عن وجود موقف رافض للنظام العراقي الحاكم.

**الثالـثة:** الحرص على تنسيق مواقف إيران مع دول الخليج المجاورة عبر عنه المرشد السيد على خامنئي في لقائه بملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى في طهـران الـذي طالب بضرورة إقامة علاقات أوثق بين الدول المجاورة للخليج "الفارسي" وإيران، وقال إنه نظراً إلى الطابع بالغ الحساسية للخليج، ونظراً إلى حقوله الهامة والطاقة التي ينتجها فإن أي حدث في المنطقة سيعود بالوبال على من يتسبب فيه.

## الحرص على تجنب المواجهة مع الولايات المتحدة:

يعكس هذا الحرص حقيقة الموقف الداخلي في إيران أو فلنقل هو محصلة تفاعلات تيار التشدد المحافظ والإصلاحي خصوصاً وأن الموقف الإيراني يقف بيـن خيارين أحدهما أن الولايات المتحدة والعراق كلاً منهما له دين هائل عند طهران كما أن هناك إدراكا شبه عام لدى الإيرانيين (محافظين وإصلاحيين) بأن كـلا من الولايات المتحدة والعراق يسعى لاستمالة إيران إلى جانبه، مما جعل الموقـف الإيرانـي يتأرجح بين عدم مواكبة واشنطن في ضرب العراق وعدم خوض مغامرة غير محسوبة النتائج في دعم بغداد لوعى الإيرانيين بأن واشنطن تعمـل لاسـتمالة طهـران عبر التحذير من الخطر العراقي على دول الجوار، والاستمرار في استخدام لهجة التصعيد لدفع طهران إلى الابتعاد عن أي تقارب مـع بغـداد، ولوعـى الإيرانيين بأن العراق هو الآخر يسعى لاستمالة إيران بالتركيز على أنها ودول جوار أخرى ستكون الهدف المقبل للحملة الأمريكية.

وإلى جانب خطوات التهدئة هذه حرصت إيران على إظهار أعلى قدر من الجدية في التصدي لأي نوايا عدوانية أمريكية، فقد صرح الأميرال علي شمخاني وزير الدفاع الإيراني بأن على الولايات المتحدة أن لا تتجاوز الخطوط الحمراء في حال شن هجوم على العراق مؤكداً في الوقت نفسه أن بلاده "لا ترغب بمواجهة" مشيراً إلى أن القوات المسلحة الإيرانية على أتم الاستعداد لمواجهة أي احتمال، وقال إن عواقب هجوم أمريكي على إيران ستخلق ظروفاً غير متوقعة للولايات المتحدة وأمن المنطقة، لكنه أشار إلى أن إدانة محتملة لعملية عسكرية أمريكية لا تعني مواجهة مع الولايات المتحدة، لقد بذلنا كل جهودنا السياسية لتخفيف حجم المخاطر العسكرية وإبعاد احتمال عملية عسكرية أمريكية، وخلص إلى القول وهذا هو المهم أن مستوى التناقضات والعداوة في الوقت الحالي بين طهران والولايات المتحدة ليس مرتفعاً إلى الحد الذي يدفع هذه الأخيرة إلى شن عملية عسكرية على بعد عشرة آلاف كم من حدودها.

## إسرائيل الرابح الوحيد في هذه الأزمة:

إن إسرائيل هي الرابح الوحيد في هذه الأزمة ومن الحرب ضد العراق. بل ليس من الغريب أن تكون هذه الأزمة وهذا الموقف الأمريكي المتعنت إحدى نتائج سعيها وتشجيع يهود أمريكا وكل قوى الضغط لإقناع الولايات المتحدة بخطورة العراق على الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط أو على الولايات المتحدة بشكل أو بآخر. ليس هذا فقط بل سارعت إسرائيل بتقديم الكثير من جانبها لخدمة الولايات المتحدة حيث زودتها بخبرات كثيرة في مجال الحرب ضد الإرهاب ولقد ركبت إسرائيل موجة رد فعل أحداث ١١ سبتمبر لإثارة أمريكا ضد العراق. وتحاول إسرائيل بقيام الحرب أن تأخذ مكانا فيها حتى ولو لم يتم قصفها من قبل العراق.

ومن المعروف أن إسرائيل قدمت معلومات خاصة بها عن العراق للإدارة الأمريكية حول العديد من المجالات والقضايا والصور الفضائية. كما قدمت خبرتها في الحرب في المدن. بل من المعتقد أن إسرائيل لم تترك هذه الفرصة

للعرض بالقيام بالأعمال الاستخبارية والتجسس كما تعد إسرائيل أن الحرب ضد العراق هي بداية الحرب ضد الإرهاب والدول المؤيدة له وتقصد في ذلك سوريا ولبنان وإيران. ولهذا فمن الطبيعي أن تطالب إسرائيل بنصيبها من العائد ومن المكاسب الأمريكية من هذه الحرب. وعلى الأقل التأييد المطلق في التسوية السلمية من المنظور الإسرائيلي بجانب المساعدات الاقتصادية من منح ومساعدات وقروض وضمانات بحجة تعويض الاقتصاد الإسرائيلي المنهار حاليا.

وسنأتي بشرح الموقف الإسرائيلي بشيء من التفصيل في الفصول التالية حيث إنها إحدى الدول المؤثرة بحكم علاقاتها وتأثيرها على السلطة الحاكمة في الولايات المتحدة والتي لها دور هام سواء أثناء الحرب أو المرحلة التالية له.

## فكر الاتحاد الأوروبي والحرب العراقية:

دول الاتحاد الأوروبي "القديم" بشكل عام تتخوف من نتائج تطبيق "عقيدة بوش" في العراق بعد أفغانستان، لأن الانتصارات العسكرية تجعل من الولايات المتحدة إمبراطورية مستبدة لا تراعي قوانين الأمم المتحدة ولا تعترف بمصالح حلفائها. ويرى "جاك شيراك" أن أمريكا ستصبح دولة إمبريالية بفضل القوة التي تملكها لا بفضل الشعارات التي تطرحها. وهو يعارض عدم تقيدها بالاتفاقات الملزمة كأنها وريثة المهمات التي تخلت عنها الإمبراطوريات المنهارة في القرن العشرين، كالإمبراطوريات العثمانية والبريطانية والسوفيتية وتقول الصحف الألمانية إن "مؤتمر فرساي" لم يحقق السلام والحرية لدول أوروبا كما تصورت "عقيدة ويلسون" بل أنتج النظام النازي الذي فرض الحرب العالمية الثانية. وهي ترى أن السيناريوهات التي يعرضها صقور الإدارة مثل "ديك تشيني" و"دونالد رامسفيلد" لن تفضي إلى الاستقرار والسلام المنشودين، ذلك أن تداعيات التغيير في العراق لا يمكن أن تعطي بوش العصا المطلوبة لفرض تغيير موقف إسرائيل ما دامت طموحاته في التجديد تخضع لإرادة نتانياهو وشارون وموفاز. وعندما يتحدث المسؤولون الأمريكيون عن تشكيل

شرق أوسط جديد إثر انهيار صدام حسين، إنما يتوقعون حدوث سلسلة متغيرات علـــى صعيد المنطقة كلها. أي إنهم يراهنون على انتصار تيار الإصلاحيين في إيران، الأمر الذي يؤمن التقارب مع واشنطن، ويوفر أجواء جديدة تسمح برفع الحظر والمقاطعة وتأمين تدفق النفط والغاز.

كمـــا يخشـــى الاتحاد الأوروبي من أي محاولات أمريكية لإيجاد حكومة معـــتمدة على الدول الحديثة وخاصة تلك التي خرجت من العباءة السوفيتية مما يـــؤدى إلى إضعافه أو تفككه خاصة وأن الموقف الأوروبي الذي ظهر معارضا الولايـــات المتحدة في حربها وكذلك المعارضة في حلف الناتو سيجعل الولايات المتحدة أكثر حذرا وقلقا من أوروبا كمنافس لها في المستقبل وأمريكا تخشى ذلك بـــل ترفضـــه كمـــا أن الكثير من الدول الأوروبية بل جميع هذه الدول – ولو بدرجـــات متفاوتة – تشعر بأهمية العلاقات الأوروبية – الأمريكية وترغب في المحافظة عليها.

## أوروبا وخيار القوة الأمريكي:

لقد عارضت القمة الأوربية في بروكسل الحرب ضد العراق وطالبت القمة الأوروبـــية، أوائل مارس (٢٠٠٣) في أن العراق يجب عليه أن يدرك بجد أنه مطالـــب بإثـــبات تخلصه من أسلحة الدمار الشامل وأن الضغوط عليه ستستمر قائمة علماً بأن الوصول إلى ذلك لا يكون حتما بالخيار العسكري المكلف والذي ستتلوه عواقب يجب تجنبها.

ولعـــل المواقف المعبرة عنها من خلال أصوات "سولانا" و"سترو" و"فيشر" فقد قال المتحدث باسم السياسة الخارجية الأوروبية إن الكل متفق على أن تكون الحرب هي الخيار الأخير وقد تكون الحرب هذه ضرورية في لحظة ما ولكن لم نصل إلى هذا الحد ولقد قال وزير الخارجية البريطاني من الصعب شن الحرب في هذه الظروف ويجب أن نأخذ الرأي العام في الاعتبار وقال وزير الخارجية الألمانـــي إن مبادرة الثمانية (الذين أيدوا بوش في خطاب جماعي) كان مخالفاً

للـــروح التـــي كانـــت تسود في السابق والتي كانت تسهل الوصول إلى مواقف مشتركة وكان من الممكن التوصل هذه المرة إلى مواقف مشتركة.

معـــنى ذلـــك كله أن أوروبا أرادت أن تسجل موقفاً متميزاً في اتجاه خدمة نفـــس الأهداف وإذا كان توجيه ضربة عسكرية للعراق هدفا تقود إليه حسابات أمريكـــية فـــإن الحسابات الأوروبية تقود إلى سياسة مستقلة ستكون في الغالب منســـجمة مـــع السياسة الأمريكية ولكن بدون إملاء، ربما كانت تجربة العراق ميلادا لسياسة أوروبية مشتركة. قد يجوز لنا أن نتحسس في الموقف الأوروبي بدايـــة تعددية قطبية وإذا حدث هذا سيكون الوضع مفيداً للتوازن العالمي وهي فرصة متاحة للمجموعة العربية تضاف إلى ذلك الانتفاضة العالمية ضد الحرب وهـــو معطـــى يملى على المجتمعات المدنية في العالم العربي أن تقرأ الموقف بشكل صحيح.

إن الولايات المتحدة مدعوة إلى مراجعة مواقفها وقد بدأت تصنع ذلك، لأن العـــالم لا يمكـــن أن تقـــوده قوة واحدة مهما كانت القوة العسكرية والاقتصادية والثقافية الأمريكية.

## الأهمية الاستراتيجية للخلاف الأوروبي الأمريكي على العراق

إن الموقـــف الأوروبـــي المعارض للسياسة الأمريكية التي ترمى إلى شن الحـــرب علـــى العـــراق والتـــي تقوم على الهيمنة وعدم احترام الغير وإهمال مصـــالحهم وإغفـــال الـــتطورات المهمة والعميقة التي يعيشها العالم منذ انتهاء الحـــرب الـــباردة وتفكـــيك الاتحاد السوفيتي وبالتحديد يمكن القول بأن الموقف الأوروبي يعود إلى القضايا المهمة الآتية:-

١- رفـــض إدارة الرئـــيس بـــوش ما أصاب العالم من تغير بعد انتهاء الحرب الـــباردة وأن شعوبه التي عانت الكثير من الحروب أصبحت تعادى الحروب وتنادى بالسلام

٢- استخفاف إدارة الرئيس بوش بأوروبا عموماً والاتجاه إلى التعامل مع دولها وحكامها كعملاء تابعين وليس كشركاء استراتيجيين والتصرف بالتالي وكأن الحرب الباردة لا تزال قائمة وأن الغرب الذي تقوده الولايات المتحدة لا يزال يخوض غمار حرب مع الآخر وأن حاجة أوروبا للحماية العسكرية الأمريكية لا تزال حقيقة ملحة تفرض على الأوروبيين الطاعة وتوجيه الشكر لأمريكا.

٣- عدم استيعاب أمريكا لمدى التعاطف الذي حصلت عليه عالمياً بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١) الإرهابية ومسؤولية بوش الشخصية ووزير دفاعه عن سرعة تلاشي ذلك التعاطف خصوصاً عندما قالا إن العالم ينقسم إلى معسكرين معسكر خير تقوده أمريكا ويخضع لإرادتها ومعسكر شر يضم كل من لا يقبل بالقيادة الأمريكية ولا يخضع لإرادتها.

٤- بعد تبلور الخطر النووي الذي تجسده كوريا الشمالية واتجاه أمريكا إلى مهادنتها والتعامل مع الأزمة التي أثارتها بالطرق الدبلوماسية أدرك الأوروبيون أن الهدف الأمريكي في العراق يتجاوز بكثير تجريد العراق من أسلحته النووية ويرمي إلى السيطرة على المنطقة العربية والتحكم بإمدادات النفط العربية وهو هدف يتعارض مع المصالح الأوربية في المدى الطويل إذ أن المشاركة الأوروبية في الحرب على العراق لا تعني فقط مساعدة أمريكا على السيطرة على النفط بل أيضاً السماح لأمريكا بالسيطرة على النفط واستخدامه سلاحاً ضد أوروبا نفسها إذا رغبت ومتى رغبت.

- بعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١) رأت إدارة بوش والفريق الحاكم في واشنطن أن الفرصة مواتية لفرض هيمنة أمريكا على العالم إذ رأى بوش التعاطف العالمي مع الشعب الأمريكي في محنته رضوخاً للهيمنة الأمريكية وقبولاً بسياسة أمريكية عدوانية وعقلية استعلائية، وكان مفروض وأمريكا في قمة قوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية أن تنجح في فرض هيمنتها على العالم خصوصاً في غياب الاتحاد السوفيتي وضعف روسيا وانشغال الصين

وتـــراجع اليابان ومرور أوروبا في مرحلة انتقالية صعبة إلا أن أوروبا فاجأت العالم حيث أصرت على اتخاذ موقف أخلاقي حيادي مخالف للموقف الأمريكي، ولقد تقدمت أوروبا بقيادة فرنسا وألمانيا وبلجيكا خطوة كبيرة وجريئة إلى الأمام عندما استخدمت الفيتو لتعطيل القرار الأمريكي في مجلس حلف الناتو.

وهذا يعنى أن أمريكا خسرت قوتها وتأثيرها كدولة رائدة لدى شعوب العالم بمـــا فـــي ذلـــك شعوب أوروبا وليس أدل على ذلك من خروج الملايين للتنديد بالحرب والسياسة الأمريكية في مختلف دول العالم يوم ٢٠ مارس (٢٠٠٣) إلى ذلك خسرت أمريكا قيادتها المطلقة لأوروبا ولحلف الناتو وهذه تطورات إيجابية تخدم قضية السلام العالمي وتحد من قدرة أمريكا على بسط هيمنتها على العالم.

إن العـــالم الذي برز بعد الحرب الباردة والذي يقوم على أحادية القطب لا يخـــدم مصـــلحة السلام أو النمو أو العدل وأن نظاما يقوم على تعدد القوى هو الـــبديل لـــيكون للعدل والسلام والنمو فرصة ليزدهر الموقف الأوروبي خطوة تجعـــل عالم تعدد القوى أقرب من أي وقت مضى وهي خطوة بحاجة إلى تأييد ودعم كل الأطراف المعنية بالسلام والأمن واحترام الآخر.

## ظهور قوة عظمى منافسة:

علـــى أنـــه يجدر بنا أن نتذكر بأن الشاغل الاستراتيجي لأمريكا قبل ١١ ســـبتمبر لـــم يكن العراق أو الإرهاب أو الأصولية الإسلامية بل انهيار الاتحاد السوفيتي وما تبعه من تصدع الإمبراطورية السوفيتية في أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى تصور خبراء الاستراتيجية الأمريكية بأن الصين هي على المدى البعيد (العـــدو) الوحيد المحتمل وهي القوة الوحيدة التي يمكنها أن تتحدى يوماً الهيمنة الأمريكية وعليه فيجب اعتبارها(الخصم الاستراتيجي) لأمريكا واعتبار مضائق تايوان من دون كل بقاع العالم سبيلاً لتوفير شرارة الحرب العالمية الثالثة.

غـــير أن الأمـــور تغيرت كثيراً خلال السنتين الأخيرتين فقد بذلت أمريكا والصين جهوداً محسوسة لتحسين العلاقات بينهما إذ انضمت الصين عام ٢٠٠١

إلـــى مـــنظمة التجارة العالمية بمباركة أمريكية وقام جيان زيمين زعيم الحزب الشيوعي الصيني بزيارة جورج بوش في مزرعته في تكساس وبلغت المبادلات الـــتجارية بيـــن البلديـــن أكثر من مائة مليار دولار امتصت الولايات المتحدة الأمريكية من خلالها ربع الصادرات الصينية المزدهرة.

– لكـــن التـــنافس الكامن مازال قائماً ولا يحتمل أن يزول فقد وجهت إلى الصين انتقادات شديدة في استراتيجية الأمن القومي الأمريكي أي البيان الأساسي لإدارة بـــوش فـــي تحديـــد سياســـتها الخارجية الذي أذيع في سبتمبر (٢٠٠٢) الماضي. إذ يقول البيان بأن زعماء الصين لم يحددوا بعد خياراتهم الأساسية في نوعية دولتهم ويسوق بعد ذلك ملاحظات استنكارية حول تزايد إمكانات الصين العسكرية وحول حكم الحزب الواحد وسجلها في موضوع حقوق الإنسان وحول عـــدم انفتاحها وإهمالها لحكم القانون. وطبعاً حول تهديدها بابتلاع تايوان بالقوة ولقد كان الطابع الملفت في مبدأ بوش تصميم أمريكا على مقاومة كل خصومها ومنافسيها بحيث تبقى وحدها القوة العظمى الوحيدة في العالم.

فأمريكا تحتاج لكي تحتوى الصين أن تنفرد في السيطرة على منطقة الخليج الاستراتيجية التي تحتوى على أكثر من ربع الاحتياطي النفطي في العالم والنفط هـــو المـــادة التـــي تسعى الصين حثيثاً إليها لكي تدعم وتنمى قوتها الاقتصادية الهائلة، حيث إن الصين تستورد حوالي ٧٥ – ٨٠% من احتياجاتها من البترول من الخارج فلا شك بأن الصين هي القوة العظمى الناهضة إذ يعتقد الخبراء بأنها ستسبق اليابان حليف أمريكا الأول في آسيا خلال اقل من عشر سنوات فتصبح بذلك القوة الاقتصادية الثانية في العالم وقد بلغت رؤوس الأموال المستثمرة في بورصة الصين ٥٤٠ مليار دولار تعود إلى ١٢١٢ شركة وهو أكبر حجم تبلغه فـــي آســـيا بعـــد اليابان والنبوءة الثانية تقول إن الصين ستبلغ مستوى أمريكا الاقتصادي خلال خمسة عشرة عاماً أي ما بين سنه ٢٠١٥ و٢٠٢٠ .

ولعـــل العـــامل الأساســـي فـــي نهضة الصين الحديثة هو أن عقدين من الإصـــلاحات الاقتصادية في عهد (دنج زياوي بينج) التي تابعها من بعده جيان

زيمبـــن أدخلـــت ما يعادل ٤٥٠ بليون من العملات الأجنبية وأدت إلى إحداث تغيـــير محسوس على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي؛ وستبلغ الاستثمارات الأجنبية في الصين في هذا العام ٥٠ بليون دولار، وهو مجموع لم يبلغه أي بلد فـــي العـــالم بما في ذلك الولايات المتحدة ذلك أن متوسط أجور العامل حوالي ١٥٠ دولار شهرياً يجعل من الصين قاعدة للإنتاج المنخفض الكلفة بالنسبة إلى مـــئات الشركات الأجنبية وبذلك تتحول الصين بسرعة فائقة إلى منصة ضخمة للإنتاج في العالم.

وســـيبلغ اســـتهلاك الصـــين من الفولاذ في العام المقبل ٢٥% من الإنتاج العالمـــي كما أن صادراتها السنوية التي تبلغ حالياً ما يعادل ٢٥٠ بليون دولار ســـتزداد بنسبة ١٥% هذا العام في حين ينتظر أن يزداد إجمالي الإنتاج المحلي بنسبة ٨%.

هـــذا بخلاف قدرات اقتصادية أخرى ليس مجال الحديث، إلا أنه لم تترك الولايـــات المتحدة الأمريكية الصين أيضاً في مجال معارضتها استصدار قرار دولـــي جديـــد يخولهـــا غزو العراق وتحاول أيضاً الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطها على الصين أسوة بباقي دول العالم المعارضة محاولة استخدام الورقة الاقتصـــادية وعـــدم إثـــارة الملفات المجمدة حالياً خاصة ملف حقوق الإنسان والديمقراطية وغيره.

## بالنسبة لباقي دول العالم

كمـــا لـــم تـــتوقف الجهود والضغوط الأمريكية على دول العالم سواء في مـــراحل الحشـــد أو بغرض تقديم التسهيلات أو في أي صورة أخرى منذ بداية التخطـــيط لنزع أسلحة التدمير الشامل المزعومة أو حتى انتظار التصويت إلى قرار جديد يخول للولايات المتحدة الأمريكية بغزو العراق حتى منتصف مارس ٢٠٠٣ ووسائل الإعلام تذكر بين الحين والآخر عن اعتكاف الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش بالاتصال سواء بالدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن مثل

روسيا والصين أو بالاتصالات والتهديد للدول العشر الأخرى الأعضاء غير الدائمين في مجلس الأمن مثل باكستان والدول الأفريقية الثلاث غينيا وأنجولا والكاميرون حتى أن وزير الخارجية الفرنسي توجه بزيارة في التاسع من شهر مارس ٢٠٠٣ في جولة لهذه الدول بغرض التأكيد على قرارات القمة الفرنسية الأفريقية والتي عارضت استخدام القوة ضد العراق في الوقت الذي كثفت فيه الولايات المتحدة الأمريكية اتصالاتها لكسب تأييد هذه الدول في الحملة الأمريكية المزعومة.

وهكذا ظهرت الجهود الأمريكية المكثفة على كافة دول العالم المختلفة شرقها وغربها بهدف كسب التأييد الدولي والأممي لتنفيذ نزع أسلحة التدمير الشامل العراقية المزعومة باستخدام القوة العسكرية سواء مع الدول الكبرى وحتى الدول الصغيرة والمعارضة ولم تسلم كل من روسيا والصين وفرنسا وألمانيا وغيرهم العديد من الدول والتي لمحت الولايات المتحدة الأمريكية مراراً بالإدانة ووصف استخدام حق الفيتو والذي لمحت به كل من فرنسا وروسيا بأنه عمل غير مسبوق في السياسة الدولية إلى حد اتهام الدول المعارضة بأنها تحرض على الإرهاب في دفاعهم عن عدم العدوان على العراق وتتناسى الولايات المتحدة الأمريكية أنها لم تستطع أن تقدم البراهين على امتلاك العراق أسلحة التدمير الشامل كذلك للاتهامات المقدمة إلى النظام العراقي بعلاقته بتنظيم القاعدة والتنظيمات الإرهابية وأحياناً بإيوائه عناصر من هذا التنظيم وغيرها من الاتهامات العديدة والتي ليس لها أي أساس من الصحة وذلك بهدف الحصول على تأييد دولي يخول لها استخدام القوة العسكرية لنزع أسلحة التدمير الشامل المزعومة.

ولقد حاولت الولايات المتحدة في سعيها لإقناع العالم بأن هناك دولا تؤيدها وأن هناك تحالفاً دولياً للحرب ضد العراق بإعلان وزير خارجيتها أن هناك عدداً من الدول (مرة ٣٥ – ومرة ٤٠ دولة) وافقت وأيدت أمريكا في موقفها

ولكـــن معظم هذه الدول طلب عدم الإعلان عن أسمائها خوفا من النتائج. وهذه أيضا إحدى الشطوحات للحكومة الأمريكية لإقناع العالم بشيء غير مقنع.

## خامساً: الأسلوب الجاكسوني في إدارة الأزمة:

– عالجـــت الإدارة الأمريكـــية الأزمة العراقية في إطار آلياتها العسكرية والسياسية في آن واحد.

فعلـــى الجانـــب العسكري اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية أساساً على التفوق الأمريكي الهائل على العراق.

– أمـــا علـــى القوة السياسية فإن القوة العظمى تحتاج الكثير من الأصدقاء والحلفاء للحفاظ على تأثيرها الكوني نجح الدور الأمريكي في إنجاز قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ وأصر رئيس الوزراء البريطاني "توني بلير" على اتخاذ قرار آخـــر مخصـــص لاستعمال القوة.كان ذلك مهماً سياسياً "لتوني بلير" وتجاوبت واشنطن مع طلب حليفها القوي في لندن.

ولكـــن كان القرار الثاني المطلوب يبدو عصياً كون فرنسا وألمانيا (وربما روســـيا) يقـــودون المعارضـــة وتكون النتيجة أن التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة قد يكون عليه التنازل عن نصره في إحراز القرار رقم ١٤٤١ في مقابل هزيمة فشل الحصول على القرار الثاني الذي لم يكن مطلوباً.هذا الحال سيترك الانطباع بأن أي عمل عسكري لاحق سيبدو وكأنه معارض لإرادة مجلس الأمن بدلا من أن يكون ذلك العمل العسكري نتيجة منطقية لجرجرة العراق لتردده في تنفيذ القرارات.

هـــذا الأمـــر التقني يحمل في طياته مغامرة أخرى يمكن أن تلاحق صناع السياسة الأمريكية والبريطانية إلا إذا نجحوا في انتزاع معجزة من هذه الفوضى قـــد يمكن التوصل للقرار الثاني ولكن إذا تقدم "هانس بليكس" بتقرير أكثر سلبية مما فعل للآن هذا الشيء ممكن بالطبع لكن الولايات المتحدة يجب عليها أبداً ألا

تضـــع نفسها في موقف يكون بوسع موظفين مدنيين دوليين أو حكومات أجنبية أن يتحكموا في قرارات تؤثر على مصالحها القومية.

فـــي موقـــف مشـــابه لهذا أثناء عام ١٩٩٩ قررت إدارة الرئيس كلينتون وحلفاؤهـــا في الناتو مهاجمة صربيا بالقنابل (طوال ٧٧ يوما) بدون البحث عن موافقـــة دولـــية وذلك بعد اتضاح أن روسيا سوف تستخدم الفيتو ضد أي قرار بـــالهجوم هذه المقارنة مع حالة إدارة بوش الحالية قد تبدو غريبة خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار أن صدام حسين تعتبره أسوأ بكثير من "سلوبودان ميلوسيفتش" وأن العراق يخلف وراءه تجاوزات لقرارات مجلس الأمن بينما لم تكن هناك أي قرارات في "كوسوفو".

فـــي الـــنهاية القوة العسكرية البحتة سوف تتفوق على الأرجح ضد العملية الدبلوماسية غير المضمونة والتي أوصلت الإدارة إلى حافة خوض الحرب بينما المعارضـــة العالمـــية لهـــا تعيق لا تسهل الأمر على الذين كانوا يؤيدون تدعيم القرار الدولي القائم لشن الحرب.

وكانـــت الولايـــات المـــتحدة الأمريكية قد تقدمت هي وبريطانيا وأسبانيا بمشروعها إلى مجلس الأمن في الخامس من مارس للتصويت عليه لمنحها حق استخدام القوة لنزع أسلحة التدمير الشامل من العراق إلا أنه ومع شعورها بعدم إمكانـــية تمريـــر القرار سحبت المشروع من جدول أعمال المجلس في الحادي عشر من شهر مارس ٢٠٠٣.

ومـــع تخـــوف الرئـــيس الأمريكي من استخدام فرنسا حق الفيتو ضد أي مشروع يتيح استخدام القوة لنزع أسلحة الدمار الشامل في العراق وجه الرئيس الأمريكـــي خطابـــه إلـــى الشعب الأمريكي مساء الاثنين ٢٠٠٣/٣/١٧ منذرا الرئـــيس العراقـــي بتنحيه ومغادرة البلاد خلال ٤٨ ساعة ومصرا على نزول القوات الأمريكية للأراضي العراقية لإيجاد حكومة ديمقراطية في العراق.

## إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على خيار القوة:

الولايـــات المتحدة الأمريكية وبريطانيا كانتا تصران على غزو العراق منذ مـــدة ولـــيس منذ إبعاد المفتشين الدوليين عام ١٩٩٨ كما أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تقوم بقصف شبه يومي للعراق منذ أحداث حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ وإن كان معدل القصف اليومي تزايد منذ وصول جورج دبليو بوش إلـــى منصـــة الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية في يناير عام ٢٠٠١، كما تضـــاعفت عملـــيات القصف منذ بداية النصف الثاني من عام ٢٠٠٢ وتكثيفها اعتـــباراً مـــن بداية عام ٢٠٠٣ واستهدفت ليس فقط المواقع العسكرية المضادة للطائـــرات وأجهزة الكشف والرادارات التي كانت تتحجج بها الولايات المتحدة الأمريكـــية إنما استهدفت مؤخراً مراكز اتصالات ومواقع عسكرية أخرى مثل مواقع وحدات الصواريخ أرض أرض وغيرها من الأهداف المؤثرة على القوة العسكرية وإن كان عدداً كبيراً من المحللين يرى أن هدف عمليات التفتيش هي نـــزع الســـلاح العراقي بهدف إتمام عملية الغزو والاجتياح وتغيير نظام الحكم العراقي دون أي عائق.

فالحرب على العراق ليست حرباً من أجل العراق وإنما هي من أجل الهيبة الأمريكية عبر نافذة العراق التي أتاحت فرصة وجدها صقور الإدارة الأمريكية ذهبـــية ولو كان بناء عظمة أمريكا عبر العراق من أجل قيادة إلى عالم أفضل لكـــن صـــقور إدارة " جورج دبليو بوش " يريدون حرباً على العراق من أجل (عقـــيدة) صـــنعوها منذ سنوات ووضعوا عليها اسم "جورج دبليو بوش" أخيراً عقيدة فحواها استباحة أي شيء من أجل الحفاظ على تفوق الهيبة الأمريكية.

معـــركة هؤلاء مع فرنسا وألمانيا تدخل في الحسابات ذاتها التي وضعتها عقـــيدة الدفـــاع الاستراتيجى التي صنعوها وليس أمراً عابراً أو زلة لسان في اندفـــاع وزيـــر الدفاع الأمريكي إلى تقزيم فرنسا وألمانيا في جهد متعمد لخلق الانقسام في صفوف حلف شمال الأطلسى (الناتو) فهذا جزء مما تقتضية العقيدة ودونالد رامسفيلد يضع تلك العقيدة في أعلى قائمة الأولويات الأمريكية.

قد يكون أحد أعمق تفسيرات تحول وزير الخارجية كولن باول من معسكر الحمائم إلى معسكر الصقور عائد إلى العقيدة التي كانت في الأساس ومنذ سنوات عدة جزءاً من تطويرها فهو جندى يتصرف على أساس الولاء التام للقائد صاحب القرار الأخير وهو أيضاً عسكرى أساسا قبل أن يمارس الدبلوماسية كوزير خارجية. وكعسكرى ساهم "كولن باول " منذ البداية في صنع العقيدة التي تواجه على صعيد الصداقات والتحالفات تحديات خصوصاً من جانب ألمانيا وفرنسا اللتين دخلتا في معركة مع أمريكا معركة عنوانها العراق وحقيقتها العقيدة.

ثم هناك روسيا التي تتحايل على العقيدة باسترضائها حيناً ووضع العصا في عجلتها حيناً آخر وهناك الصين التي تتظاهر بأنها لا ترى عقيدة فيما تعمل بهدوء وتماسك على نصب شراك لها.

الحرب ضد العراق ساحة اختبار للعقيدة، كذلك الرأى العام الأمريكي يفهم العقيدة من قشورها يفهم أنه ينتمى إلى دولة عظيمة ويريد التفوق الدائم للاحتفاظ بمرتبة العظمة لكنه غير راغب في فهم إفرازات أسلوب العقيدة عليه، فسياسات إدارة بوش ستحول أمريكا إلى عظمى في الكراهية لها واختفاء الثقة بها ستحول الفرد الأمريكي إلى أسير للعظمة سُحبت منه لذة العيش والحرية التي وعده بها إعلان الاستقلال الذي أصر على ذكر الحق بالسعى وراء السعادة والأسوأ أن هذه ليست سياسات عشوائية إنها سياسات مدروسة أطلقتها حفنة يمينية متطرفة أحسنت استخدام استراتيجية وقطع الطريق على الاعتراض وحشد الرأى العام من خلال اللعب على خوفه والتلاعب بمبادئه.

## قرار الحرب والسياسة الأمريكية

لقد كان خطاب الرئيس "جورج دبليو بوش" في الحفل السنوى "لمعهد أميركان إنتر برايز" يوم ٢٦ فبراير ٢٠٠٣ كان بمثابة إعلان الحرب ضد

العـــراق. وقد كان للمكان والزمان اللذين ألقى فيهما الخطاب ذلك المغزى وهو المعهد المتشدد ضد العرب.

ومـــن هـــنا فـــإن اختيار بوش لمعهد (أميركان إنتربرايز) لإلقاء (إعلان الحرب) وفي يوم ٢٦ فبراير ٢٠٠٣ الذي كان قد تحددت صبيحته لبدء الحرب " قـــبل مظاهرات أوروبا " معناه أن بوش قد انحاز لرؤية الصقور والمحافظين الجدد للشرق الأوسط التي تحددت في تغيير النظام في العراق كمقدمة لتغييرات فـــي الشرق الأوسط وحل النزاع العربي – الإسرائيلي وكما يبدو سيناريو بوش (تصـــور الصـــقور والمحافظين الجدد) فإنه يقلب المعادلة بالتركيز على تغيير الـــنظام العراقـــي بدلا من التركيز على تسوية النزاع الفلسطيني – الإسرائيلي (والصراع العربي الإسرائيلي عموماً) وبالمخالفة لما سارت عليه إدارة كلينتون.

وبالنســـبة لمؤيـــدى سيناريو العراق سيحدث تغييرات في الشرق الأوسط تؤدى إلى حل الصراع العربي – الإسرائيلي في النهاية وذلك ما عبر عنه بوش صـــراحة فـــي خطابـــه في معهد أميركان إنتربرايز بقوله إن تغيير النظام في العراق سيفسح المجال أمام تغييرات إيجابية في كامل منطقة الشرق الأوسط كما أنـــه سيساعد في السير قدما نحو تنفيذ (رؤية بوش) الخاصة بالنزاع الفلسطيني الإسرائيلي.

ويوضـــح بوش ذلك في الخطاب نفسه بقوله إن قيام نظام جديد في العراق ســـيقدم كمثال مهم جدا للحرية ويفهم البلدان الأخرى فى المنطقة وسيشكل بداية مـــرحلة جديـــدة للســـلام في الشرق الأوسط ويحرك التقدم نحو دولة فلسطينية ديمقراطية حقاً.

وفـــي تحلـــيله لرؤية الصقور والمحافظين الجدد للشرق الأوسط (سيناريو بـــوش) توصل الباحث فيليب جوردون من معهد بروكنجز إلى أن هناك أربعة افتراضات تقوم عليها هذه الرؤية هى:

الافـــتراض الرئيسى هو أن الوضع الراهن STATUS QUO في الشرق الأوسط لم يعد مقبولا بعد الهجمات الانتحارية على واشنطن ونيويورك في ١١ ســـبتمبر فالذيـــن فجروا الطائرات الانتحارية في برجى مركز التجارة العالمي ومقر البنتاجون جاءوا من العالم العربي مدفوعين بكراهية للولايات المتحدة.

والافـــتراض الـــثانى أن بقاء نظام صدام حسين فضلاً عن أنه يعنى بقاء المثال المجسد للديكتاتورية في المنطقة فإنه يمثل تهديداً سواء استمرت العقوبات ضده أو رفعت مع احتمال تطويره لأسلحة دمار شامل وربما لسلاح نووى بما يجعل تحقيق الاستقرار والسلام في المنطقة مستحيلاً.

والافـــتراض الثالـــث الذي يبنى عليه سيناريو بوش يتعلق بإسرائيل فإدارة بوش قد استخلصت من تجربة إدارة كلينتون (فشل مباحثات كامب ديفيد- ٢) أن الولايات المتحدة مهما فعلت لن تستطيع تحقيق السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل طالما أن هناك دولا فى الشرق الأوسط تدعم بالتدريب والمال ما تسميه الإدارة الأمريكية (الإرهاب الفلسطيني) وطالما لم تتغير القيادة الفلسطينية.

أما الافتراض الرابع فهو أن تحقيق السلام على المدى الطويل والاستقرار وإنهاء الإرهاب المعادى لأمريكا لن يكون ممكناً إلا إذا أصبحت نظم الحكم في المنطقة أكثر ديمقراطية.

وبناء على الافتراضات السابقة جاء سيناريو بوش للشرق الأوسط كما ورد فـــي خطابـــه أمام (أميركان إنتربرايز) وبدأ السيناريو بتغيير النظام في العراق وليس بحل النزاع الفلسطيني – الإسرائيلي.

يـــرى بعض الخبراء أن هذا الوعد يأتى في إطار حملة تهدئة الرأى العام العربي وأنه من الصعب الوصول إلى تسوية في ظل سيطرة اللوبى الصهيوني على الإدارة الأمريكية.

ففكـــرة الـــبدء بالإطاحـــة بنظام صدام حسين كما يتضمن سيناريو بوش افتراض تحقيق مزايا عديدة:-

١- يعـنى خلـع ديكتاتور يحكم بعرف التعذيب ومعامل السموم حسب وصف بوش.

٢- إسـقاط نظـام صدام يعنى رفع العقوبات عن العراقيين وإعادة بناء العراق بأموال البترول العراقي.

٣- إن زوال الـتهديد الـذي يفرضه استمرار نظام صدام يعنى تقليص الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة.

٤- يترتـب على رفع الحظر والعقوبات وتقليص الوجود العسكري تخفيف حدة الكراهية ضد أمريكا في المنطقة.

٥- قيام نظام ديمقراطى في العراق يعتبر مثالاً مهماً في المنطقة.

٦- إن زوال نظـام صـدام حسين سوف يحرم شبكات الإرهاب من راع ثرى يدفع الأموال لتدريب الإرهابيين ولأسرهم ويعنى أن الأنظمة الأخرى ستتلقى تحذيراً واضحاً بأن دعم الإرهاب لن يكون مقبولاً.

٧- فإنـه بعد زوال التهديد الإرهابى وتحسن الوضع الأمني يتوقع من حكومة إسرائيل الجديدة أن تساند إنشاء دولة فلسطينية قابلة للحياة، كما يتوقع من الدول العربية أن تساند قيام دولة فلسطينية مسالمة وديمقراطية وأن تعلن بوضوح أنها ستعيش في سلام مع إسرائيل.

إن العيـب الرئيسـى في سيناريو بوش أنه يقوم على افتراضات تبسيطية ومـتفائلة جداً وإذا سلمنا بافتراض أن إزاحة النظام العراقي ستكون سهلة دون حـرب أهلـية ودون إحراق آبار البترول ودون تقسيم العراق فإن الافتراضات التـي يقـوم عليها سيناريو بوش لا يقبلها العرب بل إن بعضها خداعى لتحقيق الأهداف الأمريكية.

فالسيناريو يفترض أن العراق هو التهديد الرئيسى لاستقرار المنطقة وليس التهديد الإسرائيلي كما يرى العرب وكما يبين واقع الحال كما يفترض السيناريو

أن هزيمة صدام حسين ستعنى نهاية المقاومة الفلسطينية أو ستعنى تخلى العرب عن حقوقهم وهذا افتراض غير صحيح.

والأغـــرب أن افتراضـــات بـــوش تتناقض حين تفترض أن النظم العربية الحاكمـــة ستتحالف معه لمكافحة الإرهاب وإسقاط نظام صدام حسين والضغط علـــى الفلسطينيين للتسوية مع إسرائيل وذلك في الوقت الذي يطالب فية بتغيير تلك الأنظمة.

## الرأى العام العالمي والحرب

كلمـــا ازدادت العوامـــل التي تحول دون اندلاع الحرب يزداد توتر فريق إدارة جـــورج دبلـــيو بوش، والإلحاح أكثر على الحرب بتحد غير عقلانى لتلك العوامل وقد يسجل التاريخ إذا شنت الحرب (العدوان) ضمن هذه الظروف بأنها الحـــرب الأولى في تاريخ أمريكا يؤخذ فيها بناء على الرغبات فقط وليس على الوقـــائع التـــي لابد منها إلى جانب الرغبات لشن حرب مقنعة وناجحة ويمكن الدفاع عنها، وضمن استراتيجية متوازنة.

فـــي الرابع عشر من فبراير ٢٠٠٣ واجهت الإدارة الأمريكية في مجلس الأمـــن نكســـة خطيرة وبعضهم أسماها صفعة وذلك عندما سقطت حججها أمام تقارير رئيس لجنه التفتيش (أنموفيك) " هانس بليكس " وتقرير محمد البرادعى مديـــر الوكالة الدولية للطاقة النووية إذ ذهب التقريران باتجاه أضعف رغباتها المحمومـــة في إجبار مجلس الأمن على اتخاذ قرار الحرب وعزز ذلك ما لقيه وزير خارجية فرنسا دومينيك دوفيلبان من ترحيب وهو يتحدى أمريكا أن تثبت بدلـــيل واحـــد علاقة العراق بتنظيم القاعدة مؤكداً على ضرورة إعطاء فرصة أطول للمفتشين.

وفـــي الخامس عشر من فبراير ٢٠٠٣ امتلأت مئات العواصم والمدن في العـــالم بعشـــرات الملايين من المتظاهرين غرباً وشرقاً ضد اندلاع الحرب ولم تكن المدن الأمريكية من نيويورك إلى بنسلفانيا إلى لوس أنجلوس بعيدة عن تلك

الموجـــة العالمية التي أضافت عاملاً كبيراً جديداً يفترض أن يسهم في محاصرة فريق إدارة بوش.

ولكـــن في المقابل استجد عاملان يمكن وضعهما في حساب الحرب الأول انضـــمام أســـبانيا وإيطاليا والبرتغال مع أربع دول أوروبية أخرى من معسكر وارسو سابقاً إلى بريطانيا في دعم الموقف الأمريكي وإحداث تصدع في الصف الأوروبي لإضعاف الموقفين الفرنسي والألماني ولكن قبل أن يجف الحبر على بـــيان الثمانـــية المذكورين وإذا بتظاهرات ١٥ فبراير ٢٠٠٣ في لندن ومدريد ورومـــا ولشبونة توقف ذلك التأييد دخلت حكومات تلك البلدان في مأزق بسبب تعارض تأييدها للحرب الأمريكية مع شعوبها، فاستطلاعات الرأى العام في تلك البلدان أشد بلاغة حتى من التظاهرات.

– العامل الثانى جاء من حكومة حزب العدالة والتنمية بزعامة رجب طيب أردوغـــان عندما سمحت تركيا بقدوم آلاف الفنيين والخبراء الأمريكيين لتوسيع القواعـــد وصـــيانتها. ثم دخلت في مفاوضات أشبه بالفضيحة لمقايضة الموقف الـــتركى مـــن الحرب مقابل تعويضات ومشاركة في الغنائم وفي إعادة تشكيل عـــراق ما بعد الحرب ولكن ماظهر من تعثر ولو مؤقت في المفاوضات كشف ضـــعف حكومة حزب العدالة والتنمية أمام قواعدها والرأى العام التركى الذي مـــنحها من الثقة (فتبين أنها في غير محلها) ما لم يمنحه لحزب تركى من قبل فالحكومة التركية كانت في مأزق داخل حزبها الحاكم ومع الرأى العام فقد أثبتت بأنهـــا انتهازية ولامبدئية وبأنها ضعيفة في فهم السياسة وإدارتها وتتحمل بعض مسؤولية في تشجيع الحرب.

ولكن في المحصلة أصبح قرار أمريكا المنفرد بالحرب أشد عزلة من ذى قـــبل وأحق بالمراجعة حتى من جانب إدارة بوش أكثر من أي يوم مضى ولكنه غـــدا لاعتـــبارات (الهيـــبة الأمريكية) والمستقبل الانتخابى لجورج دبليو بوش وفريقه المتطرف أشد إلحاحًا وضرورة وإن كانت هذه الاعتبارات هي أضعف الأســـباب التي تسمح بقرار الحرب بعيداً عن مجلس الأمن فنقطة الضعف هذه

واكبت الإدارة الأمريكية الحالية منذ أن ذهبت إلى الكونجرس ومنه إلى مجلس الأمـــن وقبلت أن تعمل ضمن جدرانه حتى الآن على رغم التهديدات المتواصلة بعدم الحاجة إليه في اتخاذ قرار الحرب.

وأمـــا الســـبب الـــثاني في ضعف تلك الحجة فتعكسه تجربة المفاوضات العسيرة من أجل التوصل إلى القرر ١٤٤١ ثم الإصرار أكثر من أي يوم مضى على الخروج بقرار غالبية تسعه أصوات ولو كان مجهضاً بالفيتو ولايحقق فعلاً اتفاقاً عالمياً من خلال مجلس الأمن على الحرب مما اضطرهم إلى سحب القرار الثاني بعد تأكدهم من عدم حصوله على الأصوات اللازمة لتمريره أو باستخدام حق الاعتراض من فرنسا.

## غزو العراق والقانون الدولي

مـــن المعتقد أن إصرار الولايات المتحدة الأمريكية على شن الحرب على العـــراق لـــم يكن لها من الأسباب المقنعة بل كانت غير منطقية وغير صحيحة والواقـــع أنهـــا تخفي وراءها أسباباً أخرى لا تتفق وصحيح القانون والشرعية الدولية.

والمـــرجح أن أزمة العراق أكبر من تغيير نظام صدام حسين وأخطر من اتهامـــه بامـــتلاك أسلحة التدمير الشامل بل أن الحملة تحمل في طياتها مستقبل النظام العالمي ودور القانون الدولي ومكانته فيه.

إن قيام الولايات المتحدة بحشد جيوشها في الخليج دون تفويض مسبق من الأمم المتحدة وإصرارها على ضرب العراق سواء حدث أو لم يحدث وحصلت علـــى موافقـــة مجلس الأمن يطلق جرس إنذار قوى أيقظ الرأى العالمي وجعله يدرك أن القضية الأهم لم تعد تتعلق ما إذا كان صدام حسين قد قام بخرق مادى لقـــرارات مجلـــس الأمن وارتكب بالتالى عملاً مخالفاً للقانون الدولي وللشرعية الدولـــية يســـتوجب توقـــيع العقاب عليه بمقدار ما أصبحت تتعلق بمدى سلامة الإجـــراءات القانونـــية المطبقة دولياً وبماهية الجهة التي تملك صلاحية تحديد

الخارجيـــن على الشرعية الدولية وتقرير طبيعة ونوعية العقوبات والإجراءات التي يتعين اتخاذها ضدهم.

كما أن هناك إحساساً قوياً بأن الإجراءات القانونية الخاصة بمحاكمة العراق والتي تجرى أمام مسمع من الرأى العام الذي لا تتوافر فيه أبسط قواعد العدالة فمجلـــس الأمـــن الذي يفترض أن يكون بمثابة هيئة المحكمة في قضية العراق أجبر تحت تهديد السلاح الأمريكي على إصدار قرار يقوم على قاعدة أن (عراق صدام) مذنب حتى تثبت براءته القرار رقم ١٤٤١.

والولايـــات المـــتحدة الأمريكية أصرت على أن يتنحى صدام ويقبل النفي طواعية وحكومات العالم تراقب ما يجرى في صمت ينم عن الخوف حينا وعن التواطؤ أحيانا أو في همس باحث عن الثمن.

كمـــا أن المحاكمة كانت تجرى في ظروف يعانى فيها الشعب العراقي من آثـــار حصار ظالم فرض عليه منذ أكثر من اثنى عشر عاماً أوقع في صفوف نســـائه وأطفالـــه ومرضاه من الضحايا ما يمكن اعتباره مذابح جماعية وجرائم ضد الإنسانية.

كذلـــك راهنـــت الولايات المتحدة على سوء سمعة النظام العراقي وعناده المستمر وعلى عجز النظام العربي وانقسامه وعلى حرص الدول الكبرى على عـــدم الدخول في صدام أو احتكاك مباشر معها وبدت واثقة من نجاح مخططها تجاه العراق غير أن قبول النظام العراقي للقرار ١٤٤١ وذهابه في التعاون مع المفتشـــين الدوليين إلى مدى بعيد ساعد ضمن عوامل أخرى كثيرة على إبراز مـــدى التعنت الأمريكي في معالجة الأزمة مما أثار شكوكاً حقيقية حول صحة الاتهامـــات الأمريكية والبريطانية بوجود أسلحة دمار شامل في العراق وبدأت الشكوك تتجه نحو حقيقة النية الأمريكية خصوصاً أن الولايات المتحدة الأمريكية تركـــت حكومـــة إســـرائيل المـــتطرفة تعربد كما تشاء وتسد الطريق على كل محاولات التسوية السلمية.

- لقد بدأ سلوك الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً خلال الشهور الأخيرة أقرب ما يكون إلى سلوك رجل الشرطة الذي يحاول إثبات كفاءته بممارسة شتى أنواع التعذيب والابتزاز للحصول من المعتقل على ما يحتاجه من أدلة أما سلوك الحكومة البريطانية فقد تفوق على الجميع في ولائه وانخراطه تحت ولاء الولايات المتحدة وذهب إلى حد القيام بتزوير الأدلة والقرائن نفسها.

وهكذا تتجلى المفارقة الكبرى في الأزمة الدولية الحالية فقد تبين للرأى العام العالمي بوضوح أن النظام الأمريكي أصبح بالفعل أخطر بكثير على النظام الدولي والشرعية الدولية.

إن النظام الأمريكي الذي لا يشك أحد في أنه نظام مؤسسى وما قد يقدم عليه من تصرفات غير شرعية وهو أمر وارد وليس مستبعدًا خصوصاً من جانب إدارة يمينية متطرفة كالإدارة الحالية قد يتسبب في إحداث أضرار يستحيل علاجها أو يتسبب في خسائر يستحيل تعويضها.

لقد تقدم ستة عشر باحثاً وأستاذ قانون بارزون برسالة إلى رئيس الوزراء البريطاني "تونى بلير" قالوا فيها "إن مبدأ الرئيس بوش والتحرك الوقائى للدفاع عن النفس ليس له أساس في القانون الدولي". وقال الباحثون القانونيون الذين يمثلون جامعات بريطانية عريقة مثل أوكسفورد وكامبريدج إن "التحرك العسكري ضد العراق سيضر بصلاحيات القانون الدولي" وأكدت الرسالة التي حصلت "الجارديان" على نسخة منها أن القرارات الحالية الصادرة عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن بما فيها القرار الذي صدر بالإجماع في شهر نوفمبر الماضى، ١٤٤١ لا تتضمن تفويضا للحرب. كما أكدت الرسالة على أن التحركات الدبلوماسية الحالية التي حاولت إصدار قرار ثان يبرر الحرب لا تستند لتشريعات القانون الدولي العسكري ضد العراق.

وأى قرار تم استخدام حق النقض ضده لا يمكن أن يستخدم كأرضية للعمل العسكري. وتصريحات رئيس الوزراء من أنه في ظروف خاصة يتم فيها تجاوز الفيتو "إذا لم يكن منطقيا" لا أساس له في القانون الدولي. فقد استخدمت

المملكـــة المـتحدة (بريطانـــيا) حق النقض (الفيتو) في ٣٣ مناسبة منذ الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥. وأي محاولة لتجاوز هذه المناسبات على أرضية أنها لم تكـــن منطقـــية يجب شجبها وعدم قبولها لأنها تعتبر تدخلا بحق بريطانيا الذي يمنحه لها ميثاق الأمم المتحدة في بنده رقم ٢٧.

كمـــا عبر مسؤول أمريكي عن قوله إن أمريكا ليست بحاجة إلى قرار ثان لمهاجمة العراق وكان ستيفن ريدميكر صرح في موسكو " نحن لا نعتبر عملية الحصول على قرار جديد أمرا ضروريا في نظر القانون الدولي.

# الإعداد السياسي للحرب ضد العراق

## تمهيد:

- أولا: النشاط السياسي الأمريكي لشن الحرب ضد العراق
- ثانيا: المنظور السياسي الأمريكي لحدود استخدام القوة ضد العراق
- ثالثا: قدرة الولايات على شن الحرب في إطار تحالف دولي أو منفرد
- رابعا: البعد السياسي لتخطيط الحرب ضد العراق
- خامسا: تأثيرات المعارضة الدولية على الحرب ضد العراق

---

• أعد هذا الفصل : لواء أ ح / عثمان كامل حسين الخبير الاستراتيجي.
لواء أ ح بحري / محمد يسري قنديل الخبير الاستراتيجي.
لواء أ ح طيار د/ مصطفي إبراهيم الشرقاوى الخبير الاستراتيجي.

## تمهيد:

لقد جاء حدث ١١ سبتمبر مفاجئاً تماماً لكل التوقعات، أدى إلى حدوث شرخ عميق فى منظومة الأمن القومى الأمريكى، التى وجدت موقفاً لم تشهده من قبل يهدد بصورة مباشرة ولأول مرة تلك المنظومة التى كانت وظلت تستبعد إمكانية حدوث مثل هذه الضربة الجوية باستخدام وسائل مدنية[1] ويخترق الجدار الأمنى بأسلحته المتطورة، ويعرى تماماً أوجه القصور فى الأجهزة الأمنية والاستخبارية الأمريكية بالرغم مما تملكه من قدرات تكنولوجية تستطيع أن تسمع دبة النمل وترصد حركتها، هذه القدرات التى تمثل ما تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية من "قدرة معرفية" عالية المستوى فى إطار ثورة الاتصالات والمواصلات والمعرفة الواسعة لكل ما يدور فى جميع أنحاء العالم مع قدرة عالية فى سرعة تحليل المعلومات الغزيرة المتدفقة سواء من الأقمار الصناعية أو طائرات التجسس ووسائل كشف متحركه فى البحار والفضاء وعلى الأرض، ومنظومة لها مجالات التعاون المخابراتى مع دول صديقة، بما يحقق وجود عيون ساهرة يقظة تبلغ عما تراه فى وقته، كل هذا أثبت إمكانية تخطى الجدار الأمنى واختراق سريع وصولاً إلى أهداف منها وزارتين سياديتين (الخارجية والدفاع) ومركز التجارة الخارجية الذى يمثل قاعدة اقتصادية وصرحاً اقتصادياً مما ترتب عليه أزمة قومية كبرى أنعش لوبى الحرب ودفع الأمريكيين كرأى عام يطالب بالحرب تسيطر عليه النزعة العسكرية وغطرسة القوة، وليس هذا بغريب على المجتمع الأمريكى حيث إن العقلية فى الثقافة القومية الأمريكية تتمثل فى ازدهار وانتعاش لوبى الحرب فى أوقات حدوث أزمات قومية ليكون هذا اللوبى بمثابة قوة سياسية تتحرك نحو الحرب، وتؤيد بل وتطالب بالاستخدام الحاسم للقوة وتمارس ضغوطاً شديدة على القيادات السياسية حتى لا تضيع

الوقـت فى مفاوضات وحوارات من أجل فرض العقوبات الصارمة ولا تضيع الوقـت فى عقد جلسات المداولات بمجلس الأمن، بل اختيار التوجه السريع إلى مهاجمة العدو بكل ما تملكه من وسائل القوة المتاحة والممكنة ولو تطلب الأمر الاسـتخدام النووى فليكن، هذا التوجه يمثل الأصولية الثقافية الحالية لجماعات اليميـن فـى الحزب الجمهورى والذين أطلقوا على أنفسهم "المحافظون الجدد" وكأن هذه الجماعات التى تدير السياسة الخارجية فى حكومة الرئيس بوش كانت علـى موعـد مع الذين نفذوا الهجوم، ولو أنهم ليسوا بالقطع على موعد متفق عليه، ولكن هذا الحدث الإرهابى أتاح لهم فرصة تاريخية لامتلاك مقاليد الأمور فـى قبضـتهم وممارسـة نفوذهم وضغطهم المستمر لفرض آرائهم وأفكارهم وثقافتهم كبرنامج لاستراتيجية أمريكية عالمية ولمدة عشر سنوات قادمة..

يجـدر الإشارة إلى أن المحافظين الجدد من اليمين الجمهورى تشكلوا فى عهـد الرئـيس ريجان، وبدأت تتبلور إستراتيجيتهم فى مسارين أولهما "الهيمنة على العالم" والثانى" التأييد المطلق لإسرائيل" وتأسست لهذا الاتجاه الفكرى قاعدة سياسـية ائتلافية تضم أقطاب حركة المحافظين الجدد وائتلاف اليمين المسيحى ودخـول الائتلافيين فى علاقة تحالف منظم مع الليكود الإسرائيلي، وقد تحركت هـذه الجماعـة لـتحقق توليها قيادات ومراكز الفكر لحركة المحافظين الجدد ووصلوا إلى أهم المراكز فى الحكومة الأمريكية فى عهد بوش خاصة فى البيت الأبيض ووزارة الدفاع وهذا ما يفسر أن مستشارة الأمن القومى ووزير الدفاع والعسـكريين أصبحوا مقربين من الرئيس بوش وتراجع دور وزارة الخارجية مما جعل السياسيون يصفون هذا التحول بأنه عسكرة السياسة الأمريكية، إن هذا التحول يمثل إمدادا لجذور الأصولية الأولى من التاريخ الأمريكى والمتمثل فيما يطلـق علـيه "ثقافـة الجاكسونية.." وهى منسوبة إلى الرئيس جاكسون، وهو الرئيس الأمريكى الذى كان له نفوذ وتأثير فى فترة الحرب الأهلية عام ١٨١٢. وهذه هى مبادئ الجاكسونية القديمة[٢] والتى فى تصورى هى "النظرية السياسية للحرب" The Polotical Theory of War:.

* دور رئيسى للمؤسسة العسكرية.
* الحروب الوقائية مطلوبة أحياناً.
* اغتيال الزعماء ليس خطأ.
* عدم الاكتراث بالقانون الدولى والمؤسسات الدولية.
* العالم سيظل أسير الفوضى والعنف.

لقد عصفت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بفكرة أن القرن الواحد والعشرين قرن سلام واستقرار ليحل مناخ من العنف والفوضى ويعيش العالم أسيراً لهذا المناخ، الذى يجعل الولايات المتحدة الأمريكية - وقد تبوأت كرسى الزعامة على العالم - لديها قوات مسلحة تسليحاً قوياً وأن تكون دبلوماسيتها قاطعة وحاسمة، وفى أوقات معينة يجب أن تقاتل فى حروب وقائية، ولا يعتبر من قبيل الخطأ القيام بعمليات تخريب لحكومات أجنبية أو اغتيال زعمائها وعلى الجاكسونيين أن يلقوا على الزعماء السياسيين مسئولية الفشل فى اتخاذ إجراءات مشددة حيث يشغلون وقتهم بالتوجه إلى محاولة تطبيق القانون الدولى، ومن معتقدات هذه الجماعات الجاكسونية عدم الالتزام بالقانون بل الأخذ بالعرف ولا يهمهم الالتزام بالأخلاق فهم يفصلون بين المشاكل الأخلاقية وبين الحرب ولا يقيمون وزناً للأخلاقيات فى إدارة السياسة الخارجية، ولكن قد تهدأ هذه المبادئ عندما يكون هناك غياب للتهديد الأمنى للولايات المتحدة فيكونون أقل عدوانية، وللجاكسونيين أفكاراً واضحة حول كيفية خوض الحروب وكيفية التعامل مع الأعداء، لهذا فهم يحددون نوعين من الأعداء وبالتالى نوعين من الحروب العدو الأول "شريف" يقاتل قتالاً نظيفاً ويجب مواجهته بنفس طريقته والثانى عدو "غير شريف" يقاتل فى حرب غير شريفة وفى تلك الحالة فلا مراعاة لأى قواعد.

لقد أصبح واضحاً أن هذه المبادئ محل تطبيق فى الإدارة الأمريكية لبوش، وعندما حدثت "الصدمة" القوية فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ اندفع الفكر الجاكسونى بقوة طاغية للتحرك وساعده على ذلك تشكيل الإدارة الأمريكية الحالية من هذه

الجماعـــة الجاكســـونية، وقـــد أصبح واضحاً أن واضعى الوثيقة الإستراتيجية الجديـــدة للأمـــن القومى الأمريكى التى أعلنت فى ٢٠ سبتمبر ٢٠٠١ وتضمنت الأفكـــار الجاكســـونية التى ظهرت منذ ١٩٠ عاماً والتى تتناول تحديداً واضحاً للأفكار عن الحروب الوقائية، وعسكرة السياسة الخارجية ولتكون الحروب هى روح السياسة الخارجية، لمواجهة الشر ومبعوثى الشيطان، وسيظل العالم أسيرا للفوضى والعنف واغتيال الزعماء وتخريب الحكومات الأجنبية وعدم الاكتراث بالقانون الدولى والمؤسسات الدولية.

ولقـــد أصـــبح واضحاً أن واضعى الإستراتيجية الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية حرصوا على وضع الهدف الإستراتيجي" أن تحافظ الولايات المتحدة الأمريكية على كرسى زعامة العالم والقطبية الأحادية بأى ثمن".

مـــن هذا المفهوم انطلق فكر مجموعة المحافظين الجدد الذى تتكون منهم الإدارة الأمريكية لحشد الرأى العام الأمريكى فى تيار جارف تغلب عليه النزعة العســـكرية وطلـــب الحرب وانطلقت تغذى مشاعر الحرب أو مثلما قال خبراء السياسة الأمريكية أن مجموعة "الصقور" فى حكومة بوش أعلنت حرباً لا تهدف إلىحـــل ســـلمى للمشكلة التى يقاتلون بسببها بل الغرض هو إقحام أنفسهم من حـــرب إلـــى حـــرب أخرى لها جوانبها النفسية وبذلك يضمنون تحول السياسة الخارجـــية الأمريكـــية إلى استخدام القوة العسكرية كأولوية أولى دون انتظار، وشن حروب متتالية دون توقف لما تحمله من أفكار الشر والمؤامرة العالمية[٣]. وانطلاقـــاً من الوضع الجديد الذى وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها فيه. وخوفاً من العودة إلى "العزلة"، كان لابد لها أن تحتفظ بسيطرتها السياسية على ثروات العالم الطبيعية، مما يجعلها تسعى إلى إيجاد مناخ عام متوتر بحيث يظل العـــالم بحاجـــة إلـــيها وتظل هى ضرورية بالنسبة للعالم، وحانت الفرصة مع الهجـــوم الذى تعرضت له نيويورك وواشنطن فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ومنذ هذا الـــيوم قامـــت الولايـــات المـــتحدة الأمريكية بتحويل "القاعدة" إلى قوة راسخة وشـــيطانية ليصـــبح "الإرهاب" موجوداً فى كل مكان، وتتعمد الولايات المتحدة

الأمريكـية أن تعطى "الإرهاب" وضع القوة العظمى، نتيجة لذلك تأسست حالة حـرب مستمرة على العالم فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية، وتتدد الولايات المتحدة الأمريكية بوجود "الشر" فى العالم مما يستوجب استخدام القوة فى فرض الـنظام، ومـن هذا الحين ومع تزايد الضعف الاقتصادي والعسكرى أصبحت أمـريكا أقـل تسامحاً، وأصبحت تعمل على تأكيد هيمنتها على العالم ولكن هذا الواقـع لن يستمر طويلاً ففى المستقبل القريب ستفقد الولايات المتحدة الأمريكية فرصتها الأخيرة للسيطرة على العالم وتتحول إلى قوة كبرى مثل القوى الأخرى بعـد أن تخرج من دائرة هيمنة أوروبا وروسيا والصين واليابان[٤] وذلك نتيجة طبيعـية فالواقع يؤكد على أن الحرب ضد الإرهاب هى ضد العالم، ثم الحرب ضـد العراق وشعار قطب الشر الذى يضم العراق وكوريا الشمالية وإيران إنما هو فى الحقيقة مسببات قد تفقدها قوتها.

لقـد أصـبح مـنطق الحرب يفرض نفسه بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فالحـرب ضـرورة حتمية والتدخل ضد السيادة فى إطار العولمة والمشكلات الأمنـية للقـرن الواحد والعشرين لن يكون من السهل حلها، نحن ندخل عصراً تنقلب فيه كل القواعد التقليدية رأساً على عقب وأخطر ما فى هذا العصر زوال الفوارق بين العمل العسكرى والقانون الدولى وضياع الشرعية والعدالة الدولية، لذلك كان لابد أن يبقى العالم فى حالة توتر بإشعال حروب محدودة والتى جاءت فرصـتها مع الهجوم الإرهابى الذى تعرضت له مدينتا نيويورك وواشنطن فى ١١ سـبتمبر ٢٠٠١، وقـد قامـت الولايات المتحدة بتحويل "القاعدة" إلى قوة راسخة وشيطانية ليصبح الإرهاب موجوداً فى كل مكان من البوسنة حتى الفلبين ومـن الشيشان إلى باكستان ومن لبنان إلى اليمن وهو ما يعطى "الشرعية" على أى عملـية "عقابـية" تقـوم بها، فى أى مكان وفى أى زمان، وعليه فقد قامت بتأسـيس "حالة حرب مستمرة" على مستوى العالم اعتبرها المحللون السياسيون أنهـا بمثابة حرب رابعة عالمية وقد نجحت الولايات المتحدة بما تملكه من قوة سياسية واقتصادية وعسكرية وتكنولوجية فى تشكيل تحالف دولى وتضامنت كل

دول العالم معها ونددوا جميعهم بالهجوم الذى تعرضت له نيويورك، وقد أقامت الولايات المتحدة الأمريكية مسرحية سياسية تضم ثلاثة فصول[٥]. الأول: ألا تقدم حلولا نهائية لأى مشكلة ليظل هناك مبررات لعمل عسكرى مستمر للقوة الوحيدة فى العالم، والثانى: التركيز على القوى الصغرى مثل العراق وإيران وكوريا الشمالية الذى من شأنه إعطاء القوة الأمريكية قيمة، مع تأجيل دور القوى الكبرى مثل أوروبا واليابان وروسيا وعلى المدى الطويل الصين الشعبية فى مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية فى السيطرة على العالم، حيث تتهيأ الفرصة السانحة لأن تكون قادرة على تطوير أسلحتها الحديثة بحيث تكون أمريكا فى مقدمة الدول فى سباقها للتسلح وفكرة الإرهاب تخدمها وتساعدها على أن تبقى العالم فى حالة حرب وأن تظل هي القوة الضرورية فى العالم، وتبرز حقيقة هي أن الولايات المتحدة الأمريكية اختارت الإسلام عدوا بعد الشيوعية ومن أجل شن حرب صليبية عالمية.

يأتى التصور أن العالم مقبل على أن تكون تهديداته من خصوم تشبه تنظيم القاعدة وذلك نتيجة لانعكاس حالة الخوف والرعب التى دخلت قلب المجتمع الأمريكى بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ واقتناعه بأن أجهزة المخابرات خذلته حيث فشلت في التنبؤ بما حدث، وهذا ما فرض على الولايات المتحدة الأمريكية أن تهب لتدافع عن نفسها وعن العالم ضد هذا النوع من التهديدات، كما أنه يرى أن الأمم المتحدة كيان ميت وأن الحقوق العالمية للمجتمع الدولي قد تجاوزت حق الدول في تقرير مصيرها، وأن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تزيد ولا تقلل من حالة تأهبها ويقظتها كقوة عالمية مع الوضع فى الاعتبار أن هذا الشكل من الحروب لن يكون فيه نصراً محققاً، حيث ستتعرض الدول إلى هجمات وتهديدات لجماعات ومنظمات شبيهة بتنظيم القاعدة مع احتمال تعرض الدول لهجوم بأسلحة دمار شامل وعلى تلك الدول أن ترد بالانتقام من دول تراها مسئولة عن هذه المنظمات. بما يعنى تجاهل السيادة ودور الأمم المتحدة وانتهاك القانون الدولى وهذا في مواجهة الإرهاب بالحرب وهذا ما يجعل منطقة

الشرق الأوسط مسرحاً لعمليات مقاومة الإرهاب حيث اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية أن المنظمات الإرهابية لها قواعدها فى دول منطقة الشرق الأوسط[٦].

## أولاً : مراحل النشاط السياسي الأمريكي لشن الحرب ضد العراق

اتسم الإعداد السياسى للحرب من خلال سياق إدارة أمريكية يمينية متطرفة وهو سياق عالم ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وعليه فإدارة بوش تفضل العمل المنفرد وترفض أى قيود لحرية الولايات المتحدة الأمريكية فى استخدام قواتها مع الاستهانة بقواعد القانون الدولى وتحرص على أن لا يكون هناك أى شكل من الانعزالية الأمريكية فهذا لايتفق مع حياة هذا العصر الذى يتسم بالانفتاح إمكانية تجاوز الحدود للدول وبالتالى التدخل دون مبالاة بالسيادة فالعولمة تبيح ما كان ممنوعاً والولايات المتحدة الأمريكية بحكم موقعها الريادى وزعامتها على العالم فليست هناك دعوة للانعزالية أو البقاء داخل حدوده ولكنه يدعو إلى أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على "إدارة الأزمات والحروب من منطلق القوة" بكل صورها وأشكالها بما يجعلها تتمتع بالأمن والرفاهية والديمقراطية فى ظل الحرص على المصالح القومية بمعنى أنها لا تحرص على أى ارتباط مع العالم فيما عدا ما يتعلق باستخدام القوات المسلحة.

فاليمين المتطرف يرى أن العالم مصدر التهديد للولايات المتحدة الأمريكية وعليه فإن موقع العراق يجعلها مصدرًا للتهديد وبالتالى فكونها هدفاً محتملاً لعمل عسكرى أمر منطقي ونظرتها إلى أمنها في أنه تحقيق الأمن المطلق ولهذا فهمها الأول أمنياً وهو القضاء على الإرهاب، هذا فقد رفعت إدارة بوش شعار "لا حياة مع الإرهاب"[٨] ولكن حدث تغيير بدخول عناصر جديدة فى مرحلة تالية ظهرت فى خطاب الرئيس الأمريكى أمام الكونجرس فى ٢٩ يناير ٢٠٠٣ والتى تمثل وجهة النظر فى مرحلة تالية للفصل الأمريكى ضد الإرهاب، وكان أهمها إضفاء الطابع "الأيديولوجي" على الحرب ضد الإرهاب وهذا ما قاد إلى ضرورة أن يجرى إصلاح سياسى فى بلاد عربية وإسلامية (تغيير بعض النظم السياسية

العربـــية ومـــنها النظام العراقى والليبى والإيرانى والسورى وآخرين) على أن تكـــون إحدى المهام التى تقع على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية عند إدارة الحرب.

## الإعداد لتحالف دولي ضد الإرهاب

فـــى إطـــار أن العالم منقسم إلى قسمين واحد "للأخيار" (المؤيدين للولايات المـــتحدة الأمريكـــية) ويشـــكلون تحالفاً دولياً والآخر "الأشرار" (غير مؤيدين للولايـــات المـــتحدة الأمريكـــية ويشـــكلون محـــور الشر **بجميع** الدول المارقة ويســـتحقون العقـــاب الأمريكى) ووصفهم الرئيس الأمريكى فى حديثه بأن لهم تـــبعات سياسية لها عمق أيديولوجى، تجعلهم يتدخلون فى الشئون الداخلية لدول أخرى يصل إلى مستوى تغيير النظام الحاكم، ويحق القول أن الشخصيات التى اعتـــبرت إرهابية وضعت فى قائمة تمهيداً لتصفيتها بجانب قائمة أخرى للدول المارقة (محور الشر) يجب التدخل لوقف نشاطها باستخدام القوة العسكرية مثل حالـــة أفغانســـتان والعـــراق وإيران وكوريا الشمالية وليبيا والسودان وسوريا، ويجب تأديبهم، وعليه فإن هذا التقسيم للعالم وفقاً للرؤية الأمريكية يجعل الدول المؤيدة للقطب الأمريكى تدخل فى إطار التحالف الدولى لمواجهة الإرهاب بينما الدول غير المؤيدة تكون مضادة وتنقسم إلى نوعين

إمـــا أنهـــا مجـــرد دول معارضة للحرب أو أخرى مارقة وعلى استعداد لممارسة معارضتهم باستخدام القوة والتى قد تلجأ إلى أسلوب "إرهاب الدولة".

وعلـــيه فالـــرؤيا الأمريكـــية لتكوين تحالف دولى أول خطوة نحو الإعداد السياسى لضرب العراق وتعنى جهودا دولية مشتركة لتحقيق الأهداف الأمريكية للحرب ضد العراق، وفى سبيل تليين إرادات الدول غير المؤيدة تمارس أمريكا ضـــغوطاً شديدة على هذه الدول إما لضمها إلى التحالف أو لردعها عن التوجه نحـــو أعمـــال تـــتعارض مع الخط السياسى الأمريكى، كما أن الدول الموالية والمؤيـــدة سيكون لها دور مؤيد للطرف الأمريكى فى تحقيق فرض إرادته على

المجتمع الدولى وإصدار قرارات إدانة أو قرارات بإرسال قوات تحت علم الأمم المتحدة أو تأييد دولى واسع النطاق يعزز من شرعية وعدالة العمل المشترك الأمريكى، وعليه فقد كان الهدف الرئيسي من الإعداد السياسى هو كسب التأييد الدولى للدول الأعضاء فى الأمم المتحدة وكسب مصداقية وشرعية للعمل المشترك سواء باستخدام القوة أو استخدام ملفات العمل السياسى والدبلوماسى، مع شل القدرات للعمل المضاد للدول التى تعارض الانضمام للتحالف الدولى، حتى لو أدى الأمر إلى تنفيذ الحرب خارج الإرادة الدولية، بإعلان عدم القناعة بما يفعله النظام العراقى من إخفائه للأسلحة ومراوغات بهدف إضاعة الوقت دون طائل أو فائدة وعليه فكان يجب عدم الانتظار والبدء فى الحرب بقرار من الأمم المتحدة أو بدونه، واستمرار الحشد العسكرى.

## معالجة سلوك الدول المعارضة (المارقة)

تلجأ الولايات المتحدة إلى منطلق القوة والمرونة فى معالجة موقف المعارضة الدولية بالتركيز على الديمقراطية وحقوق الإنسان لبناء مجتمع ونظام دولى جديد لتحقيق السلام والأمن الدوليين والقضاء على ظاهرة الإرهاب، وذلك عن قناعة بأن الإدارة الأمريكية أكثر إدراكاً بأن ارتباط المصالح الأمريكية مع مصالح دولية أخرى تتطلب تنشيط الدور الدبلوماسى الأمريكى بما يحسن فى العلاقات الأمريكية مع دول العالم ويظهرها بأنها تسعى إلى المثالية والديمقراطية والشرعية، وأن حربها ضد الإرهاب لصالح المجتمع الدولى ولكن بما لا يخل بمبادئ اليمين المتطرف ودون تعارض مع المصالح الأمنية والاستراتيجية باعتبارها قيمة غير قابلة للتفاوض، ويظل اليمين المتطرف يسعى إلى استخدام القوة العسكرية باعتبارها قوة متفوقة متاحة يجب وضعها كآلية رئيسية فى أى نزاع مقبل، وعليه فإن الولايات المتحدة الأمريكية تؤكد فى كل مناسبة الإعلان بأنها تسعى إلى تهيئة الديمقراطية بنجاح وإلى إرساء قواعد الاستقرار واحترام السياسة والقانون وحقوق الإنسان.

## فى مجال الإعداد السياسى للحرب ضد العراق

لقد حرصت الولايات المتحدة الأمريكية فى إطار الإعداد السياسى لاستخدام القوة العسكرية الأمريكية على حسم الموقف بأن تتصل مع وسائل الإعلام، وذلك بما يحقق تقديم المشورة للجانب العربى الخليجى المؤيد للولايات المتحدة الأمريكية، وقد حرصت الولايات المتحدة الأمريكية فى صمت وهدوء على تحقيق رغبات الأفراد حيث تميل فى أن يكون التعاون الاستراتيجي سمة رئيسية فى الإعداد السياسى وبما يمكن من عقد تحالفات عسكرية يكون لها دور رئيسي فى تحديث بناء المجتمع الكويتى كما تحرص الإدارة الأمريكية على أن تفرق بين النظام والفرد فى دائرة المجتمع السعودى، وتفضل الولايات المتحدة الأمريكية أن يكون طابع التحالفات متغيراً مع الوضع فى الحسبان أن الناتو لا يمتلك القدرات الكافية لتحقيق فاعلية التعاون فى الحرب ضد العراق وبالشكل الذى لا يعقد عليها الأمور وبالأخص تلك المتعلقه بالمهمة الجديدة للناتو "الحرب ضد الإرهاب".

إن المعارضة الفرنسية الألمانية لاشك فى أن لها انعكاس واضح على رفض فكرة التعاون فى مواجهة العراق باعتبارهما من الدول الأعضاء فى حلف الناتو وفضلت الإدارة الأمريكية أن يكون تحالفها مع المملكة المتحدة وإستراليا وأسبانيا كرغبة جاءت تلقائية من هذه الدول وألا تتشدد فى مواجهة دول الحلفاء التي تعارض الحل العسكرى حتى لا يحدث انقسام وشرخ لا يمكن إصلاحه داخل الناتو بل استمعت إليهم واحتوت الموقف وسمحت لمسافة من التفاهم وفتح الطريق إلى طرح طريق للعمل السلمى، بما يحقق المرونة الفكرية، ولكن ظل الحل العسكرى له وجود فى داخل القيادة السياسية الأمريكية تستخدمه وقت اللزوم، وهذا يتفق مع فكر اليمين المتطرف الذى لايفضل التعامل مع الأزمات فى إطار تحالفات متعددة الأطراف إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية حافظت على مبادرة التعاون الاستراتيجي مع دول الحلف والدول الخليجية بما حقق إجراء حشود عسكرية أمريكية وبريطانية وإستراليا وأسبانية تتفق مع

الخطه العملياتية للحرب ضد العراق، كما فضلت الإدارة الأمريكية إعطاء دور لتركـيا كدولة جوار جغرافى للمسرح وذلك فى إطار الإعداد السياسى للمسرح، وعلـيه فإن الإعداد السياسى هدف إلى تحقيق الشراكة لمجموعة من الدول فى حملة سياسية أمريكية ضد الإرهاب فى العراق.

## تحجيم دور أسلحة الدمار الشامل فى النظام العالمى الجديد.

تغـيرت الـرؤيا الأمريكـية لليميـن المتطرف نحو حيازة بعض الدول وبـالأخص المارقة إلى أسلحة الدمار الشامل مما تطلب اعتبار وجودها خطراً وتهديـداً أمنـياً لا يمكـن السكوت عنه، حيث تخشي الإدارة الأمريكية الحالية إمكانـية إحراز جماعات متطرفة فى دول مارقة هذه النوعية من الأسلحة التى لهـا قدرات دمار هائلة بما يهدد الأمن الأمريكى والدولي وضرورة العمل على معالجة انتشار أسلحة الدمار الشامل ولهذا فأحد أهداف الحرب ضد العراق كان تجـريد العراق من أسلحة الدمار الشامل ووسائل حملها حتى لا يتعرض الأمن والسلام الدوليان للتهديد من تلك الفئات الإرهابية.

وعليه فقد أضافت الرؤيا الأمريكية مفهومين استراتيجيين جديدين

المفهوم الأول: أن التهديد الأهم للأمن القومى الأمريكى هو نقطة التقاطع بيـن الراديكالـية والتقدم التكنولوجى سواء كانت لدى جماعة سياسية أو دولة معينة.

المفهـوم الثانى: أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تقف مكتوفة اليدين أو فى حالة انتظار لحدوث التهديد بل ستكون سباقة للهجوم بمجرد اكتشاف الخطر، وهذا المفهوم يقلل من أهمية الردع.

ولهـذا فان العراق واجه ضغوطاً سياسية مستمرة باتهامه بحيازته لأسلحة الدمار الشامل وهذا يعنى أنه لم يتعاون بصورة كافية مع لجنة المفتشين ويخالف القرار ١٤٤١ مما استوجب توجيه الضربة العسكرية له.

## الموقف السياسي الأمريكى وتشدده

لقـد أصـبحت الولايات المتحدة الأمريكية فى عهد إدارة بوش الذى يمثل اليمين المتطرف أو المحافظون الجدد أكثر استعدادا لاتباع سياسة خارجية نشطة وأكثر استعدادا للتو ـط فى صراعات في أماكن متفرقة من العالم ولديها الجرأة علـى التدخل فى شئون الغير مع قدرة مكتسبة على صياغة عالم ونظام عالمى جديدين ولو بالقوة يكونان تحت هيمنتها.

ومـنذ بـدأ المنحنى البيانى للتصعيد ضد العراق فى الارتفاع وتأكيد أمريكا على ضرورة القيام بعمل عسكرى ضد العراق فى المقابل بدأ الرأى العام يوجـه انـتقاداته لإصـرار الولايات المتحدة الأمريكية على الضربة العسكرية للعراق مع تحرك أوروبي وعربى وإسلامى ولدول عدم الانحياز وإعلان رفض الضـربة العسكرية للعراق وبالأخص أن الجانب الأمريكى لم يستطع تقديم أدلة كافية تدين العراق بامتلاك أسلحة دمار شامل.

## ورأى الإدارة الأمريكية :

* أن اتخـاذ قرار بتوجيه الضربة العسكرية سيؤدى إلى بناء تحالفات ليس بالضـرورة عبر قدرتها على الإقناع ولكن يجب الحزم مع ضعف حالة الدول الأخـرى مما يشجع على القيام بعمل عسكرى أمريكى، وعليه فإن دول الاتحاد الأوروبى سوف تلحق بها وبدرجات مختلفة، ويعتقد الأمريكيون أن قدرتهم على دفع الدول الأوروبية للالتحاق ستوفق ولكن بدرجات متفاوتة.

* أن الأمريكيين مقتنعون بأن الدول العربية لن تكون فى الدفعة الأولى من الملتحقين بالحملة العسكرية ولكنهم لن يعارضوا استخدام قواعدهم العسكرية فى الحملة العسكرية الأمريكية.

* أن الإعداد السياسى للحرب يغطى فترة من الوقت تسمح ببناء التجمعات الاستراتيجية لشن هجوم على العراق.

فـــى الوقت الذى أصبح فيه النظام الأمنى الإقليمى العربى للمنطقة يتطلب بالضـــرورة وجـــود أرضـــية سياسية مختلفة تماماً عما هى عليه بحيث تكون أولويات العمل العربى المشترك قادرة على تحقيق السلام الذى تدعمه الشرعية والعدالـــة الدوليتيـــن محققاً للحقوق المشروعة لشعوب المنطقة دون استثناء مع قبول إسرائيل على أن لا يكون لها وضعاً متميزاً على حساب الحقوق العربية، وأن تتضـــافر الجهود العربية لتحقق نمواً اقتصاديا فى إطار تعاون تظلله الثقة المتـــبادلة حتى يصل الجميع إلى مستوى حياة أفضل تتمتع به فى حرية أفضل يكون بمثابة الدعامة الأمنية لاستقرار المنطقة، جاءت أحداث الحادى عشر من ســـبتمبر لتصبح القضية المحورية "الحرب العالمية ضد الإرهاب" التى أدت إلى أن يتولى القطب الأوحد الأمريكى كافة القضايا والمشكلات من منظور التصدى لظاهـــرة الإرهاب ومجابهة الإرهاب المضاد، وإذا كانت الحملة الأمريكية ضد الإرهـــاب لاقت استجابة فورية من المجتمع الدولى فإن الدول العربية كان لها وقفـــة قويـــة لمؤازرة الولايات المتحدة الأمريكية فى حربها ضد الإرهاب على أرض أفغانســـتان، ولكـــن الأصـــابع الخفية لإسرائيل استطاعت أن تؤثر على القضية الأمريكية واقتناعها بأن مصدر الإرهاب الدول العربية والإسلامية التى لديهـــا منظمات إرهابية تستطيع أن تهدد أمن العالم، وتعمدت إسرائيل أن تخلط الأوراق فـــي يد الولايات المتحدة الأمريكية لوصم الكفاح الوطنى بأنه إرهاب وأن كافـــة المنظمات الشعبية والإسلامية منظومات تمارس الإرهاب، مما جعل الـــدول العربـــية فـــى موقف لا تحسد عليه بعد أن انتفت صفة منظمات الكفاح الوطـــنى، لتصبح منظمات إرهابية أرغمت الدول العربية من أن توقف دعمها وإمكانية تقديم المساعدات لهذه المنظمات فى كفاحها الوطنى، وحدث شلل داخل القيادات العربية أدى إلى عزل قيادات المنظمات الفلسطينية عن مصادر دعمها، وعجـــزت الـــدول العربية عن المساس بأى ادخارات عربية وإسلامية جمعت لمعاونـــة هـــذه المـــنظمات الوطنـــية فى كفاحها وإلا اعتبرت مخالفه للشرعية وخارجة عنها إذا ما قدمت أى أموال لمساندة أفراد هذه المنظمات الذين يعانون من البطالة، وتعزز السلوك الأمريكى المنفرد فى التعامل مع الإرهاب، وقد أثار

الرئـــيس الأمريكى فى أحد خطبه أن على إيران أن تكف عن مساندة الإرهاب بالمال وكذلك سوريا بينما اتهم العراق بإيواء عناصر إرهابية من "القاعدة" رغماً عن عدم وجود أدلة جديدة.

مـــن هذا المنطلق يصبح من الأهمية تحديد مفهوم الإرهاب وتبرئة الدول العربية من هذه التهمة وذلك :

* أن الإرهـــاب ظاهرة دولية يزعج العرب أن يكونوا محل اتهام بها، كما يجـــب الـــتعامل معهـــا بـــدون تمييز أو معايير مزدوجة، وقد تميزت الجهود والإجراءات لمواجهة تغليب الحل العسكرى على الحل السياسى.

* أن الفكـــر الأمريكى يسيطر عليه تقسيم العالم إلى معسكرين متصارعين، معســـكر الولايـــات المتحدة الأمريكية الذى يتصدى ليواجه الدول التى لا تقف بجانـــبه والـــتى اعتـــبرها بوش دولاً تمارس إرهاب الدولة، أو محور الشر أو المارقة.

* إذا كـــان المجتمع الدولى قد وقف بكامله لمواجهة الإرهاب فى أفغانستان إلا أن هذا الوقوف لن يكون بنفس الصورة مع العراق أو أى دولة عربية أخرى وذلـــك لاخـــتلاف الموقف.. هناك اعتراض متزايد على الهجوم العسكرى على العـــراق لـــيس قاصـــراً على الدول العربية بل من دول كبرى حيث تتعرض مصـــالحها للضرر، ولكن تظل الحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية لها قوات موجـــودة فعلا في قواعد عسكرية بدول الخليج لم يكن ممكناً منعها من استخدام تلـــك القواعد ولكن هناك امتناع عن اشتراك قوات عسكرية عربية فى الهجوم على العراق، وبينما تدعى الولايات المتحدة أن هناك صلة بين العراق والقاعدة فإن الدول العربية ترى عدم وجود أى دليل على ذلك، ولو كان هناك أدلة فكان يجب عرضها على مجلس الأمن للبت فى القضية: كما أن التفتيش الصارم على إمكانـــات العـــراق مـــن أسلحة الدمار الشامل لم يثبت وجود مخزون من هذه

الأسلحة حتى الآن، وهذا هو نفس الموقف الأوروبى الرافض للهجوم العسكرى طالما أن الأدلة غير كافية، والفرصة لحل سياسى وليس عسكرياً قائمة.

* إن الاعـــتراض علـــى الموقف الأمريكى من المسألة العراقية فى أنه كان يجب أن يعطى له مساحة من الوقت كافية ليسمع الجانب الأمريكى لوجهة النظر العربية فلا يجب أن تكون وجهة النظر قاصرة على الرؤيا الإسرائيلية.

* كمـــا يجـــب ألا تكون هناك معايير مزدوجة فإسرائيل ترتكب كافة صور الإرهاب التى تدعى زيفاً أنها حق الدفاع عن النفس، ولا يمكن قبول هذا التفسير فالاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية حقيقة والكفاح الوطنى للشعب الفلسطينى ضد هذا الاستعمار حق مكفول له شرعيته وقانونيته.

ومن هذا المنطلق فإن الحرب تعتبر انتهاكا للقانون الدولى وتضر بالمصالح العربـــية والدولية ولأن أى تقسيم للأراضى العراقية يعد انتهاكا فى حق السيادة العراقـــية على أرضها، وأن الهجمات العسكرية تسفر عن خسائر بشرية باهظة وخســـائر فى الممتلكات كما تؤدى إلى عدم استقرار وفوضى فى المنطقة، وأن إصـــرار الولايات المتحدة الأمريكية على هذه الحرب له انعكاسات سلبية على الموقف الأمنى بالمنطقة، وسوف يفسر الغزو الأمريكى للعراق فى العالم العربى على أنه موقف وتوجه سياسى أمريكى للهيمنة على المنطقة وأن تضع الولايات المـــتحدة الأمريكـــية يدهـــا علـــى البـــترول وأن هذا الهجوم يتفق مع السياسة الإســـرائيلية الرامـــية إلى تفتيت الصف العربى بما يضر بالمصالح المشتركة الأمريكـــية – العربـــية، وأن مثل هذه التفسيرات تسئ إلى العلاقة المتبادلة بين الـــدول العربـــية والإسلامية والولايات المتحدة الأمريكية وتؤدى إلى تداعيات خطـــيرة فـــلا يمكـــن قـــبول تغيير النظم العربية بالقوة أو استخدام "الضربات الوقائـــية"، إن هـــذا يعنى فتح الباب إلى تجاوزات فى القانون الدولى بما يعنى نكسة للشرعية والعدالة.

## مؤتمر القمة العربي فى مواجهة الحرب :

كانت الدعوة إلى مؤتمر القمة العربى وقفة لمواجهة المخاطر والتحديات الموجهة إلى الأمن القومى العربى، تمثلت فى الرفض العربى للاتهامات التى تلقى جزافاً على الدول العربية، فالدول العربية ليست دول الشر أو المارقة والدول العربية ليست خارجة على الشرعية الدولية، بل تطالب بتطبيقها الدول العربية ليست قواعد للإرهاب الدولى، الدول العربية ليست متهاونة فى حق شعوبها أو فى سيادتها على ثرواتها القومية، فالبترول سلعة استراتيجية يحرسها أبناؤها، الدول العربية ليست دعاة حرب بل سلام، الإسلام دين التسامح لا يقبل نزعة الشر والإرهاب بل يدعو إلى السلام، وتبقى الحقيقة التى تعرفها الولايات المتحدة الأمريكية والمجتمع الدولى أن إسرائيل ومن ورائها الصهيونية العالمية محور الشر الذى يهدد السلام والأمن وليست الدول العربية المسالمة، ويظل السؤال الملح أليس الأجدر أن توجه تكاليف الحرب وما يعقبها من إعادة إعمار التى قد تتجاوز ٦٥٠ مليار دولار على شعوب فقيرة تعانى من قلة الغذاء وعدم وفرة الكساء وتفشى الأمراض التى تفتك بالأطفال؟!.

ليست الأمر قاصر على خسائر مادية بل الخسائر البشرية بجانب تدمير القيادات العسكرية العراقية والقوات ومؤسسات الدولة الاقتصادية والصناعية والبنية الأساسية العراقية والجسور وأنظمة المياه والكهرباء والصرف الصحى والملاجئ والمستشفيات، وتعطيل وسائل الاتصال والنقل ولم يستبعد انقسام العراق إلى شمال كردى وجنوب شيعى ووسط سنى، وهناك يأتى دور المقاومة العراقية الذى يبدأ بعد انتهاء الحرب بالقوات النظامية.

كان انعقاد مؤتمر القمة العربى في أول مارس يأتى فى وقت لا يتجاوز عشرة أيام قبل قيام الحرب، وعليه فالعد التنازلى كان قد بدأ وعلى المجتمع الدولى أن يقول كلمته لحسم الموقف السياسى، والحقيقة لم تكن هناك أى مبادرة سياسية من الدول المعارضة كما أن الأمم المتحدة كانت فى حالة انتظار، ومؤتمر القمة العربى رفض الحرب وضرورة حل الأزمة العراقية فى إطار

حـــوار منســـق مع الأمم المتحدة. ولكن كل التقديرات أشارت أن بوش لم يكن ليـــتخلى عـــن قـــرار الحرب، وظل هناك تساؤل حول أين ستتجه هذه الحشود العسكرية الأمريكية فى حالة قبول حل سياسى؟، هل تكون فى حالة انتظار لحين الانتهاء من الأزمة الكورية؟ وهو الأرجح فى حالة قيام أزمة مع إيران.

عقـدت القمـــة العربية لإعلان موقفها الرافض لمنطق الحرب مقررة عدم مشـــاركة أى قـــوات عربـــية فـــى العملية العسكرية حفاظاً على أمنها القومى فاستخدام القوة له مخاطر أمنية متزايدة، لايمكن السكوت عليها، وقد أكد العرب علـــى أن شـــئون العـــالم العربى شأن عربى داخلى، لا يجوز التدخل فيه، وأن الطـــريق الأمـــثل للتعامل مع القضية العراقية والقضية الفلسطينية الاحتكام إلى الشرعية الدولية فى إطار منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وأن تحترم السيادة الوطنية، إن العمل العربى المشترك يخدم قضاياه بروح الفريق الواحد فالخلافات تضعف موقف الصمود العربى وأن طريق الحرب محفوف بالمخاطر وبالخسائر البشرية والمادية الفادحة لجميع الأطراف دون استثناء.

جـــاءت محاولات تجنب الحرب من منطلق إعطاء الفرصة الكافية للعراق لكـــى يعلـــن عمـــا لديه من أسلحة دمار شامل، وأن تحقيق الشرعية ومصداقية الـــتحرك النشط لتدمير ما لدى العراق من أسلحة دمار يكون التحرك جزءاً من توجـــه دولى مع قيام العراق بتقديم كل تعاون ممكن وتوفر الحرص على تنفيذ جمـــيع القـــرارات بهـــذا الخصـــوص ( طبقاً لقرار ١٤٤١ ). وأن يكون من الضرورى ربط أمن العراق مع أمن فلسطين فكلاهما يحتاج إلى اهتمام بالغ .

وتجـــئ هـــذه التحديات لعرقلة مسيرة التنمية لشعوب المنطقة، الأمر الذى يتطلـــب سرعة اتخاذ القرارات الدولية الكفيلة بحماية البشر والبيئة فإن العرب ليســـوا دعاة عدوان وحرب ولا يضمرون شراً لأحد ولكنهم يطالبون بحقهم فى العـــيش فـــى سلام وطمأنينة وأن يكون إسهامهم من أجل رفعة الحق ومحاربة التعصب والإرهاب والتطرف. ولن تتحقق جهود السلام إلا بالتعاون فى تحقيق

هذا الهدف النبيل، وكلهم أولاد آدم وعلى الأسرة الدولية أن تشارك فى مواجهة الحظر المشترك.

لقد جاء عقد المؤتمر بما يؤكد على ضرورة العمل من أجل مصالح الأمة العربـــية، ويكون تكليف اللجنة برئاسة أمير البحرين للاتصال مع المسئولين فى مناطق التأثير فى العالم ( الأمم المتحدة - أمريكا - أوروبا - العراق ) ولابد من خطة إعلامية لمخاطبة العالم بلغة مناسبة تحرك مشاعرهم ولكن للأسف الشديد رفضت العراق مقابلة هذه اللجنة بحجة أن الظروف غير مهيأة لذلك.

وهـــناك مـــن يجهز لمؤتمر قمة تونس المقبل الذى من أهم قضاياه ضمان ســـيادة الـــدول وسلامتها ووحدة أراضيها وتحريم استخدام القوة والعنف وحل جمـــيع الخلافات العربية بالطرق السلمية وانسحاب إسرائيل إلى حدود ٤ يونية ١٩٦٧ وإقامـــة الدولـــة الفلسطينية، وحتى يتحقق هذا فالمطلوب اليقظة العربية والسعى إلى حشد الطاقات نحو تحقيق سلام عادل خال من أسلحة الدمار الشامل فى المنطقة بالكامل.

اتفاق السلام يؤدى إلى تجنب ويلات حرب جديدة بالمنطقة كما أن مؤتمر القمـــة ومؤتمـــر عـــدم الانحياز والمؤتمر الإسلامى قوة معارضة للحرب يبقى الســـؤال الملح هل يمكن تحقيق السلام والأمن الدوليين والإقليميين؟ وهل أمكن فعـــلاً تغيير مسار الاتجاه نحو الحرب بعد أن أصبح هناك تكتل سياسى عربى/ إسلامى/ دولى ينادى بضرورة تفادى الحرب؟ (الشيء الذى لم يتحقق).

## ثانياً :المنظور السياسى الأمريكى لحدود استخدام القوة

حاولـــت الإدارة الأمريكـــية لبوش أن تبرر استخدامها للقوة من حيث أن الـــنظام العـــراقى لـــه أخطاء تصنف على أنها جرائم ضد البشرية وانتهاكات صـــارخة لحقـــوق الإنسان الأساسية. وهذه الانتهاكات الصارخة تشكل تهديداً متواصلاً لدول المنطقة وخرقاً واضحاً للشرعية والعدالة الدوليتين وتعارضا مع حقـــوق الإنســـان بما اتسمت به من قسوة شديدة لممارسة النظام لأعمال اغتيال

وتعذيب، وقد ارتكب النظام جرائم حرب ضد المدنيين وأسرى الحرب خلال حرب الخليج الأولى ضد إيران (١٩٨١ – ١٩٨٨) وحرب الخليج الثانية (١٩٩٠ – ١٩٩١) واستخدم الأسلحة الكيماوية المحرمة دولياً كما وجه هجمات صاروخية عشوائية إلى مدنيين إسرائيليين خلال عام ١٩٩١، ويُعد استمرار إنتاج العراق لهذه النوعية من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية انتهاكا صريحاً للقانون الدولى.

لقد استطاعت الولايات المتحدة خلال السنوات الإحدى عشرة الماضية احتواء العراق، فلم يشكل تهديداً للسلام والأمن، وبالرغم من ذلك، فقد قررت إدارة الرئيس جورج بوش أن تكون الأهداف الرئيسية لسياستها الخارجية إزاحة النظام العراقى بالقوة، بوصفه يشكل تهديداً محتملاً، ولكن لم تحدد الإدارة نوع التهديد الذى تشير إليه، وقد اختارت إدارة بوش أولاً تحقيق هذا الهدف من خلال عمل عسكرى "وقائى" منفرد ضد العراق، كما وصفه الرئيس بوش فى كلمته فى " وست بوينت" أو يونيو٢٠٠٢، وهو إجراء ليس له سند قانوني قوى.

ثم تبع ذلك تحول فى السياسة الأمريكية، حيث سعت للحصول على موافقة مجلس الأمن الدولي على قرار باستخدام القوة إذا فشلت العراق فى الالتزام بنظام التفتيش الجديد على الأسلحة، وقد صوت مجلس الأمن بالإجماع على هذا القرار، رقم ١٤٤١ فى ٨ نوفمبر ٢٠٠٢ الملحق (١) المرفق، وتم بذلك وضع أساس جديد لاستخدام القوة ضد العراق بغرض نزع السلاح دون التعرض إلى إحداث تغيير فى النظام، القرار ١٤٤١ لا يتطرق إلى مسألة تغيير النظام، أو إلى ممارسات صدام سواء ضد شعبه أو ضد الكويت أو إيران وإنما يتعرض إلى مخالفات ملموسة قد يرتكبها صدام فى التعامل مع عمليات التفتيش ونزع أسلحة الدمار الشامل.

وقد أظهرت بدايات السياسات الأمريكية غير السليمة تجاه العراق أثناء الحرب الإيرانية العراقية (١٩٨١ – ١٩٨٣)، حيث ساعدت العراق ولكن بدرجة لا تحقق له النصر العسكرى الحاسم على إيران. وكان ذلك انعكاسا

لسياسة هنرى كيسنجر التى تقوم على ضرب كل خصم بالآخر، من خلال استنزاف كل دولة للأخرى اقتصادياً وعسكرياً ومن ثم فقدان الاثنتين لقدرتهما على أي عمل فى أماكن أخرى، كما أن الولايات المتحدة قدمت إلى صدام معلومات سرية مخابراتية حصلت عليها بالأقمار الصناعية عن مواقع القوات الإيرانية، إلى جانب أشكال أخرى من الدعم المخابراتى والتخطيط العسكرى، وبالإضافة إلى ما تقدم، شجعت الولايات المتحدة دول الخليج العربية على تقديم دعم مالى لجهود الحرب العراقية ولكن الأسوأ من ذلك أن الولايات المتحدة تعامت عن استخدام العراق لأسلحة كيماوية ضد المدنيين الإيرانيين فى منطقتين حدوديتين فى عام ١٩٨٣، بما فى ذلك أسلحة محظورة دولياً مثل غاز الخردل والسارين والمواد السامة، VX وكان هذا بمثابة تشجيع وسكوت غير أخلاقى على ارتكاب النظام العراقي لجرائم حرب لم يتحمل تبعاتها.

وخلال هذه الفترة، كانت دول الخليج العربية تؤيد السياسة الأمريكية للحد من طموحات إيران السياسية والإقليمية، ومما عزز تصور وجود هذا التهديد استيلاء إيران فى عام ١٩٨٠ على جزر صغيرة تابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة، ولكن أهم سبب على الإطلاق تمثل فى تأثير إيران على الأقلية الشيعية الكبيرة فى الدول المذكورة وكانت لدى الولايات المتحدة نفس الهواجس أيضاً.

كما أن مصالح اقتصادية معينة كانت مهددة بالنسبة للولايات المتحدة، تمثلت فى مبيعات الحبوب والسلع إلى العراق وعقود النفط مع شركات أمريكية، وبالنسبة لأوروبا الغربية، كان العراق مصدراً للنفط وشريكاً تجارياً كبيراً، وكان الأهم من ذلك علاقة العراق الطويلة الأمد باتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية الذى كان ولسنوات يمون الجيش العراقى، وبالإضافة إلى ذلك وخلال الفترة ١٩٨٠ – ١٩٩٠ كان العراق قد شرع فى تنفيذ برنامج سرى لصنع أسلحة الدمار الشامل وتطوير قدرات التصنيع التى كانت مكوناتها وتقنياتها تشترى من أوروبا فى المقام الأول، وهكذا كانت أوروبا والاتحاد السوفيتى (روسيا فيما بعد) يقفان فى صف العراق ويؤيدان نظامه كلما تحولت

السياسة الأمريكية إلى السلبية وقد أسهم ذلك أيضاً فى تقلب السياسة الأمريكية / العراقية...

لقد أدى الفهم الخاطئ لدى صدام حسين من هدف إعطاء الولايات المتحدة الأمريكـية إشارة السماح له بغزو الكويت إلى غزوها فعلاً، وقد ظن صدام أن طلب الإدارة الأمريكية لبوش الأب الانسحاب الفورى والكامل من الكويت دون أى شـرط أن الرئيس الأمريكى يعطيه الوقت لكى يستغله فى مناورة دبلوماسية إلـى أن شـعر بجديـة الطلب الأمريكى بانسحابه وقد تجمعت حشود عسكرية ضـخمة متعددة الجنسيات لطرد العراق من الكويت وقد حاول من جانبه إرجاء انسـحابه حـتى يـناير ١٩٩١ ممـا أعطى الفرصة السانحة للولايات المتحدة الأمريكية لبدء حملتها العسكرية فى ١٧ يناير ١٩٩١.

اعتمدت إدارة بوش الحالية على سجل صدام الحافل بما تسميه بلعبة "الغش والـتراجع" كـى تنفذ مخططاتها الخاصة بالحملة العسكرية فى العراق و"تغيير النظام" من خلال الاحتلال العسكرى ولكن حملة ٢٠٠٣ كانت مختلفة كثيراً عن حـرب الخليج لعام ١٩٩٠ – ١٩٩١، ففى عام ١٩٩٠ نجحت الولايات المتحدة فـى تكوين تحالف عسكرى دولى قوى (ضم المملكة العربية السعودية ومصر وسوريا والكويت وكذلك المملكة المتحدة وفرنسا) يكون فيه للحلفاء صوت ولكن لـيس حـق الاعـتراض وقد تحقق ذلك من خلال إظهار تصميم سياسى قوى والقدرة على زرع قوة عسكرية ضخمة فى المنطقة قادرة على التصرف وحدها عند الضرورة.

هـذا الدرس أيضاً لم يفت على الإدارة الجديدة وأدى بها إلى التهديد بعمل عسـكرى "وقائى من طرف واحد"، وذلك ما أدى إلى تصميم مجلس الأمن على صـياغة القرار ١٤٤١ الصادر فى ٨ نوفمبر ٢٠٠٢ ويرجع تبنى ذلك القرار بالإجمـاع إلى قول الرئيس بوش بوضوح فى كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٢ إن الولايات المتحدة سوف تتصرف منفردة ما لم تتصـرف الأمـم المتحدة جماعياً مما يلغى دور المنظمة وهو الموقف الذى لم

يرغب أعضاؤها فى مواجهته، ولم تحصل الولايات المتحدة على إشارة بدء تلقائية من المجلس تسمح لها باستخدام القوة من طرف واحد كلما ارتأت ذلك ملائماً، كما سيتضح فيما يلى.

من خلال العمل الدبلوماسى الفعال والمنسق فى عام ١٩٩٠، حصلت الولايات المتحدة على تفويض قانونى من مجلس الأمن فى شكل القرار ٦٧٨ باستخدام كافة الوسائل المتاحة لضمان انسحاب غير مشروط من الكويت، ومن خلال هذا التفويض غير المسبوق لحق استخدام القوة والذى منحته الأمم المتحدة، أصبحت الولايات المتحدة حرة التصرف فى ظل شرعية دولية كاملة، ومع ذلك فإنها شعرت بأن هذا التفويض القانونى محدود واعتبرت أن إبعاد نظام صدام والقضاء على إمكاناته العسكرية واحتلال لأراضى العراق، كل ذلك يخرج عن نطاق هذا التفويض.

وبصرف النظر عن التفاصيل القانونية، استقرت السياسة الأمريكية على هذا الموقف لعدة أسباب تشمل ما يلى: الحيلولة دون تجزئة العراق وتقسيمه المحتمل إلى دولة كردية فى الشمال وأخرى شيعية فى الجنوب، والمحافظة على قدرة العراق على العمل كعازل ضد إيران، وتلبية متطلبات دول الخليج التى تفضل الحفاظ على وحدة العراق وسيطرة السنة على حكمه، ومراعاة هواجس تركيا، أحد الحلفاء فى الناتو، والتى لا تريد رؤية الأقلية الكردية التركية تزداد جرأة على القتال من أجل الانفصال أو الانضمام إلى دولة كردستانية عراقية جديدة محتملة.

وبعد عام ١٩٩١، كان الأمر بالنسبة لصدام متعلقاً فقط بإحباط جهود الأمم المتحدة للتفتيش والقضاء على أسلحة الدمار الشامل والقدرات الإنتاجية العراقية، والبقاء حتى تغيير الإدارة الأمريكية المتوقع، وقد نجح فى ذلك فى عام ١٩٩٨، متحدياً العالم، إلى أن ذكر الرئيس جورج بوش فى كلمته فى وست بوينت فى أول يونيو ٢٠٠٢ أن الولايات المتحدة سوف تهاجم العراق " وقائيا" لنزع أسلحته وتغيير نظامه، وكان هذا التغيير الجذرى فى السياسة مفاجأة للرأى العام

الأمـــريكى لأن الولايـــات المتحدة كانت بين عامى ١٩٩١ و٢٠٠٢ قد احتوت فعلياً ذلك النظام الذى حرص بدوره على تجنب إعطاء أى تبرير لعمل جماعى من جانب الأمم المتحدة أو فردى من جانب الولايات المتحدة ضده.

وبمـــا أن معظم الذين شاركوا فى قرارات عام ١٩٩٠ – ١٩٩١ يخدمون أيضـــاً فى الإدارة الحالية، ليس مستغرباً أن تكون لديهم أيضاً مصلحة شخصية فى تصحيح الأخطاء التى ارتكبوها فى الماضى.

وعلـــى الـــرغم من نجاح سياسة الاحتواء الأمريكية فى الفترة ١٩٩١ إلى ٢٠٠٢، فإن الإدارة الحالية شعرت بالإحباط إزاء ألاعيب صدام، وبالضيق إزاء غطرسته وبالقلق إزاء قدرته على خلق متاعب فى المنطقة، وهكذا قررت إدارة بـــوش الحالـــية فى عام ٢٠٠٢ سلوك مسار عمل آخر، ولهذا السبب، كان لابد لـــنظام التفتيش الجديد بموجب القرار ١٤٤١ أن يكون غير مشروط، ولعواقب المخالفة المادية له أن تكون حتمية.

ولذلـــك، ركزت الخطط الأمريكية على إزاحة النظام العراقى وإقامة نظام آخر من اختيارها، ومحاكمة زعماء النظام السابق، وحرمان حزب البعث الحاكم من أية فرصة لأن يكون جزءاً من مستقبل العراق السياسى ونزع سلاح العراق كلية للقضاء على أى تهديد قد يشكله فى المنطقة، سواء بالنسبة لدول الخليج أم بالنســـبة لإسرائيل، أما تكلفة هذه العملية الواسعة النطاق، فسوف يتم دفعها من بـــيع النفط العراقى والذى سوف تتحكم فيه الولايات المتحدة من خلال حكومتها الانتقالية المختارة حيث لا تريد الإدارة الأمريكية الحالية أن ترتكب خطأ ارتكبته الإدارة السابقة.

بعـــد هـــزيمة العراق فى الكويت فى عام ١٩٩١ على أيدى التحالف الذى تزعمـــته الولايات المتحدة سمحت القوات الأمريكية للحرس الجمهورى العراقى بالـــنجاة من الدمار والعودة إلى الوطن بمعداته العسكرية، بما فى ذلك الدبابات وقطـــع المدفعـــية، وكان عدم تدمير هذه المعدات العسكرية فى الميدان، ومنح

بعض الامتيازات للعسكريين العراقيين إنقاذاً لماء الوجه تعبيراً آخر عن مدى تضارب السياسة الأمريكية، وربما كان ذلك عائداً لتوقع الإدارة قيام بعض ضباط الجيش العراقي بانقلاب عسكرى وقتل صدام.. وتعزيزاً لهذا التوقع حثت الإدارة الأكراد في الشمال والشيعة في الجنوب على التمرد على صدام وبعثت بإشارات إلى هذه الجماعات مفادها أنه لو حدث مثل هذا التمرد فسوف توفر الولايات المتحدة الدعم العسكرى ومع ذلك فحينما حدث التمرد فعلاً قمعته القوات العراقية بقسوة في حين وقفت الولايات المتحدة موقف المتفرج.

## هل كان فرض العقوبات على العراق خطأ أمريكياً

في أعقاب حرب ١٩٩١، فرضت الولايات المتحدة وحلفاؤها في مجلس الأمن عقوبات اقتصادية كانت وبالاً على العراق إذ تسببت في وفاة ما يقدر بنصف مليون طفل نتيجة لنقص الدواء والغذاء والتدمير شبه الكامل لاقتصاده نتيجة لذلك، تحولت ميزة العلاقات العامة لصالح صدام وظهر العراق بمظهر الضحية وتحول النظام العراقى إلى مستفيد من التعاطف المتنامى فى جميع أنحاء العالم وهو ما جعل الولايات المتحدة تبدو كجبار متجرد من الشعور طالت حربه الأطفال الأبرياء.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن نظام العقوبات الذى طبقته" اللجنة ٦٦٦" التابعة للأمم المتحدة والتى اكتسبت هذا الاسم من قرار مجلس الأمن رقم ٦٦٦ الصادر فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٠، تحول إلى كارثة إنسانية لم تحقق الأهداف الاستراتيجية المقصودة منها، فقد سمح للولايات المتحدة والمملكة المتحدة بإساءة استغلال امتياز تعليق بيع النفط مقابل الغذاء والسلع الضرورية الأخرى، كما سمح لها باستنزاف موارد العراق بشكل فعال لمصلحة الشركات الأجنبية والشركات التابعة للدول الصديقة الأخرى، وكانت النتيجة كارثة للاقتصاد العراقى ولكنها مكنت صدام من إحكام قبضته على الدولة، يمكن القول إذن بأن نظام العقوبات لم يؤثر على سياسات صدام.

وبغـــير نظـــام التفتـــيش الدولى الذى أنهاه صدام من طرف واحد فى عام ١٩٩٨، لم يعد لدى الولايات المتحدة سبيل إلى تقييم قدرات العراق العسكرية.

لقـــد ســـمح نظام العقوبات بوجود برنامج " النفط مقابل الغذاء" تحت إدارة الأمـــم المـــتحدة حوالى أربعة مليارات دولار سنويا، وقد منح البرنامج لصدام الفرصة للحصول على عمولات خفية ذهب جزء منها ثمناً لولاء مؤيدى النظام وأيضـــاً لتمويل مشروعاته السرية، وهكذا تمكن صدام مرة أخرى من الالتفاف على نظام العقوبات ومن تحدى الأمم المتحدة مؤكداً بذلك للولايات المتحدة أنه لا يمكـــن الوثوق بصدام، ولكن الرسالة المضادة لصدام كانت أنه لا يمكن الوثوق بالولايات المتحدة بما فعلته بالعراق وما تسمح لإسرائيل بفعله بفلسطين.

كـــان كـــل من الولايات المتحدة والعراق يمارسان لعبة الشطرنج السياسى مستخدمين الرأى العام العالمى للتأثير على حكومات معينة، وحتى عام ٢٠٠٢، كانـــت الولايـــات المـــتحدة خاسرة لتلك اللعبة وكان العراق فائزاً فيها للأسباب التالية، أولاً: لم تلجأ الولايات المتحدة على الإطلاق إلى استخدام الورقة الرابحة التى فى حوزتها بالإعلان عن جرائم النظام العراقى وانتهاكاته لحقوق الإنسان، وثانـــيا: أن الآثـــار الاجتماعية والاقتصادية المدمرة للعقوبات أظهرت العراق بمظهـــر الضحية وأظهرت الولايات المتحدة بمظهر المعتدى، وثالثاً: أن صدام كـــان دبلوماسياً وسياسياً أذكى من الولايات المتحدة، ورابعا: أن روسيا وفرنسا قدمـــتا دعمـــاً متزايداً للعراق، وخامساً: أن العالم العربى والإسلامى زاد دعمه لصدام أثناء العقد التالي لحرب الخليج وهى فترة تصرف العراق أثناءها بشكل مســـئول ولـــم يعـــد يـــنظر إلـــيه على أنه تهديد لجيرانه، وسادسا: أن معاملة الفلســـطينيين مـــن قـــبل الإسرائيليين كانت تتم بأسلحة أمريكية، وبدعم سياسى أمريكى، وهو ما أثر على مصداقيتها، وسابعاً: أن الكيل بمكيالين الذى استخدمته الولايات المتحدة فى تعاملاتها مع الدول العربية والإسلامية جعل الكفة المضادة لكفة الولايات المتحدة ترجح.

كـــل هذه الاعتبارات قادت ببساطة الشعوب العربية والإسلامية وحكوماتها إلـــى نتـــيجة مفادها أن العراق كان ويحتمل أن يصبح مرة أخرى ضحية، وأن الولايات المتحدة هى المعتدى.

وفـــى كلمته عن حالة الاتحاد فى ٢٩ يناير ٢٠٠٢، أعلن الرئيس جورج دبليو بوش أن العراق وإيران وكوريا الشمالية تمثل "محور شر" هذا الوصف لم يقـــابل بصـــدى جيد فى أى مكان من العالم وإنما أظهر تأثير "اليمين المسيحى" الـــذى بـــدأ صـــوته فى البيت الأبيض يزداد وضوحاً، وبالإضافة إلى ذلك فإن معارضة الاتجاهات الإسلامية من أجل تلك الدائرة أصبح واضحاً للغاية بعد ١١ ســـبتمبر وأخـــذت الـــدول العربية والإسلامية تنظر إلى دق طبول الحرب ضد العراق على أنه علامة على حرب دينية جديدة ضد المسلمين.

وقـــد ازداد هـــذا التصـــور رســـوخاً بعد ١١ أكتوبر ٢٠٠١ عندما غزت الولايـــات المـــتحدة أفغانستان واحتلتها كجزء من عملية "الحرية الدائمة" ولكن هـــدف الرئـــيس بوش المتمثل فى إثارة حماس الحكومات والرأى العام العالمى فشل وكان مقياس هذا الفشل واضحاً فى أغسطس ٢٠٠٢ عندما أعلنت المملكة العربـــية الســـعودية – الـــتى كانـــت تعـــارض نظام بغداد وأيضاً وعلى وجه الخصوص إيران التى كانت طرفاً فى حرب مع العراق استمرت أكثر من سبع ســـنوات – معارضـــتهما لهجوم عسكرى أمريكى على العراق، فى هذه المرة أيضاً، شعر صدام بأنه حقق فوزاً سياسياً آخر ولكن ذلك لم يفد سوى فى زيادة تصميم إدارة بوش تجاه صدام.

وقد تعقد الخيار العسكرى الأمريكى بفعل المآسى الحادثة فى فلسطين ولكن هجمات ١١ سبتمبر عززته، وعلى الرغم من عدم وجود صلة بين العراق وبين هـــذه الهجمـــات، فقد سعت بعض العناصر فى الإدارة إلى عقد صلة بين نظام صـــدام وبين شبكة القاعدة، وعلى الرغم من أن هذه الصلة واهية ومشكوك فى أمـــرها فإنهـــا أحدثت رد فعل نفسي لدى الرأى العام الأمريكى قوى بفعل كلمة الرئـــيس بوش فى موقع مركز التجارة العالمى فى ١١ سبتمبر ٢٠٠٢ وكلمته

أمـــام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٢، وهكذا نجد أن أحد الآثـــار المترتبة على خداع البصر تمثل فى أن الجمهور الأمريكى أصبح ينظر إلى الهجوم العسكرى على العراق على أنه ثأر مبرر لأحداث ١١ سبتمبر.

أدى فشـــل جهود الأمم المتحدة فى إعادة إيفاد مفتشى الأسلحة إلى العراق فـــى عـــام ٢٠٠١ ومطلـــع عـــام ٢٠٠٢ إلى تشجيع رسائل وتصرفات صدام المتضـــاربة، والتى تراوحت بين القبول وفرض الشروط، ثم فى النهاية رفض مفتشـــى الأمـــم المتحدة إلى الشعور بالضيق فقد أضعفت هذه التكتيكات جهود الأميـــن العـــام لأمم المتحدة كوفى أنان، ووزير الخارجية الأمريكى كولن باول الـــذى أيـــد منذ البداية سياسة احتواء العراق من خلال "العقوبات الذكية" ونظام تفتـــيش فعـــال، وبحلول أغسطس ٢٠٠٢ كانت تصرفات صدام هى التى أدت بـــالإدارة إلـــى إعلان عن أن الولايات المتحدة لم تعد تؤمن بجدوى نظام فعال للتفتيش رغم تأكيد الرئيس الأمريكى فى كلمته أمام الأمم المتحدة فى ١٢ سبتمبر مطالبة الولايات المتحدة بنظام تفتيش للقضاء على أسلحة الدمار الشامل.

أما بالنسبة لعقوبات الأمم المتحدة، فقد أصبح واضحاً أن تطبيقها على وجه غـــير صـــحيح يلقى معارضة متزايدة فى أنحاء العالم ونتيجة لذلك أخذت دول عديـــدة تـــتعامل مع العراق تجارياً خارج هذا الإطار. كان كلا الجانبين يغش وكلاهمـــا كان قد سئم نظام العقوبات كما أن خطط "العقوبات الذكية كانت تلقى معارضـــة فـــى البيـــت الأبـــيض وفـــى وزارة الدفـــاع لجملة أسباب سياسية وأيديولوجية، ومن ثم ظهرت المبادرة العسكرية كبديل للاحتواء.

فـــى أبريل ٢٠٠٢ استقرت الإدارة على اتخاذ مبادرة دبلوماسية، تزعمها نائـــب الرئيس تشينى الذى سافر إلى عدد من الدول العربية لقياس مدى قابليتها لتقـــبل مـــبادرة عســـكرية محتملة ولم تكن لديه خطة محددة يقترحها على تلك الحكومـــات العربـــية التى كان يسعى لكسب تأييدها ولكنه أثار احتمالات تمرد الأكـــراد فى الشمال، مقترناً بتوقع تمرد داخلى من قبل بعض القادة العسكريين ضـــد الـــنظام العـــراقى، ولكن الزعماء العرب الذين عرض عليهم هذه الرؤى

نظـــروا إلـــيها علـــى أنها غير واضحة المعالم وغير مقنعة والأهم من ذلك أن توقيـــت الزيارة كان سيئاً فقد تمت فى وقت كانت إسرائيل تقوم فيه وبدعم من الولايـــات المتحدة بتصعيد عنفها الساحق ضد الفلسطينيين، فتأييد قمع إسرائيل للفلسطينيين فى نفس الوقت الذى تسعى إلى كسب تأييد العرب ضد العراق كان استراتيجية لا أمل لها فى النجاح.

وفى نفس الوقت كشفت التقارير التى نشرها ضباط سابقون فى المخابرات الأمريكـــية عـــن العديد من الاضطرابات والخطط الانقلابية التى دبرتها إدارة كلينتون وفشلت وقد كشف ذلك للعراقيين مرة أخرى سواء داخل أم خارج النظام مدى تردد الولايات المتحدة وعدم إمكانية الاعتماد عليها.

ويؤمـــن كـــل من الرئيس بوش ونائبه تشينى بشدة أن هذا العمل الذى بقى غـــير منجز طوال العقد الماضى يحتاج إلى إنهائه تحت إدارتهما فكلا الرجلين يتمتع بالإرادة القوية والعناد، وكذلك وزير الدفاع رامسفيلد، ويدعمهم مسئولون كـــبار مقـــربون مثل نائب وزير الدفاع بول وولفويتز، ومطلعون على بواطن الأمـــور، مثل رئيس المجلس الاستشاري لسياسة الدفاع ريتشارد بيرل، هؤلاء ومسئولون حكوميون سابقون آخرون، وكذلك اللوبى الموالى لإسرائيل، رأوا فى ذلـــك فرصة ليست فقط لربط العرب والمسلمين بالإرهاب، وإنما أيضاً للتقريب بين الولايات المتحدة وإسرائيل ولتغيير التكوين الاستراتيجي للشرق الأوسط.

وكـــان القرار الأمريكى تشكيل سياسة أمريكية جديدة وكان هذا يعنى القيام بضـــربة أولى وقائية حيث بلغت الحاجة إلى تدخل خارجى وبالتأكيد يكون هذا الـــتدخل مشـــروعا، ولكـــن إذا كـــان المجتمع الدولى قد تمكن من التعايش مع تهديـــدات صـــدام طوال هذه السنوات فى حين أن شيئاً لم يحدث، فلم يعد هناك تـــبرير يذكر لإحياء الهواجس السابقة فى عام ٢٠٠٢ بغير تقديم أسباب جديدة ومقـــنعة، والواقـــع أن كـــل شـــئ منذ عام ١٩٩١ كان يشير إلى نجاح سياسة الاحتواء.

وبعد ١١ سبتمبر، قيل إن هناك ارتباطاً بين هذه الأحداث وبين النظام العراقى ولكن الواقع أن ذلك لم يكن له أساس، خلافاً لابتهاج صدام الذى لا يبعث على الدهشة بما حدث فى نيويورك وواشنطن ورد فعل صدام المؤيد لما حدث فى ١١ سبتمبر يصعب اتخاذه تبريراً قانونياً لكى يعتبر مجلس الأمن الحكومة العراقية تهديداً للسلام والأمن العالميين، كما أن حلفاء الناتو وآخرين كانوا يعارضون الجهود التى تبذل فى مجلس الأمن لفرض عقوبات جديدة أو القيام بعمل عسكرى بغير دليل ملموس يربط النظام العراقى بالإرهاب الدولى، أما فبركة مثل هذه الصلة فسوف تقلص مصداقية الولايات المتحدة وسوف يثبت عدم جدواها، ومع ذلك، نجحت الإدارة فى خلق ارتباط لاشعورى بين ١١ سبتمبر وبين العراق فى أذهان أفراد الشعب الأمريكى، وهذا على الأرجح ما أدى بالكونجرس إلى التصويت والموافقة على قرار يؤيد تدخلاً فردياً من جانب الولايات المتحدة الأمريكية.

ويـنظر بعض كبار المسئولين فى الإدارة وبالتحديد فى وزارة الدفاع من أمثال الوزير بول وولفويتز، وريتشارد بيرل رئيس المجلس الاستشاري لسياسة الدفاع، إلى الغزو العسكرى للعراق على أنه سوف يؤثر على العلاقات الاستراتيجية فى الشرق الأوسط لمصلحة إسرائيل الواضحة، ويأمل هؤلاء أن تؤدى مثل هذه الحرب فى النهاية إلى ربط الولايات المتحدة وإسرائيل بتحالف عسكرى يقضى وإلى الأبد على أية آمال للعرب للسيادة على إسرائيل عسكرياً وعلى وجه التحديد سوف يؤسس هذا التحالف مستوى أعلى من التعاون السياسى والعسكرى بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ويحدث انتكاسة للبحث عن حل عادل للمشكلة الإسرائيلية الفلسطينية. هذا الجدول للأعمال تثيره دوائر اليمين المسيحى المحافظة فى الحزب الجمهورى الذين يشاركون بعض الإسرائيليين وبعض الدوائر اليهودية فى الولايات المتحدة وأماكن أخرى الاعتقاد أن فلسطين جزء من دولة إسرائيل وأن على الفلسطينيين الخضوع لإسرائيل أو يجب إخضاعهم عسكرياً وحتى إبعادهم من فلسطين بالقوة إذا لزم الأمر، ويرجع

جزء من الباعث على هذه النزعة إلى معتقدات "اليمين المسيحى" المحافظ بشأن نـــبوءات الإنجـــيل والعداء المستشعر مؤخراً تجاه الإسلام، والرئيس يهتم بهذه المصالح الخالصة وهو بصدق لا يشاطرهم وجهات نظرهم ولكن تأثير مؤيدى وجهات النظر هذه لا يزال قوياً فى الإدارة كما أن التأثير السلبى لوجهات النظر هذه فى العالم العربى يضر بالمصالح الأمريكية ولكن يبدو أن المؤسسة السياسية الأمريكـــية لا تقيم وزناً كبيراً للرأى العام فى الدول العربية والإسلامية، وكان هـــناك تصـــور فى الولايات المتحدة الأمريكية بأن آثار غزو واحتلال العراق سوف تقتصر على بضع مظاهرات فى مدن عربية وإسلامية وأن حكومات هذه الـــدول لـــن يكون أمامها سوى خيار كبت رأيها ومشاعرها إذا أرادت أن تبقى على علاقة طيبة بالولايات المتحدة الأمريكية.

أمـــا بالنســـبة لمخاطر الإرهاب المتزايدة، فإن الولايات المتحدة الأمريكية على استعداد لمواجهتها وسوف تمنع – عند الضرورة – أي شخص ينتمي لدولة عربية وإسلامية من الدخول إليها وسوف ترحل المشتبه فيهم الموجودين داخلها.

وفى مواجهة رأى عام عالمى معارض وأحداث مؤسفة فى الداخل تحولت سياســـة الإدارة الخاصة بالضربة الأولى الوقائية إلى نهج أكثر تعددية وهو ما أدى إلـــى تبنى القرار ١٤٤١ الصادر فى ٨ نوفمبر وقد تقابل مجلس الأمن مع الإدارة فـــي منتصـــف الطريق وأصبح لديها الآن عذرا قانونيا لما قد يكون فى حقيقته نهجاً منفرداً يرتدى مسوح التعددية.

لقـــد تمخضـــت المفاوضـــات حـــول صيغة قرار مجلس الأمن للتصريح بالاســـتخدام الشامل للقوة إذا لم يلتزم العراق بشروط التفتيش على الأسلحة عن التوصل إلى حل وسط فالولايات المتحدة الأمريكية وبتأييد من المملكة المتحدة لم تتمكـــن من التغلب على معارضة فرنسا وروسيا والصين المتضمنة عدم إعطاء تصـــريح شامل باستخدام القوة بغير التوصل إلى وجود مخالفة مادية من جانب العـــراق فـــى ظل نظام التفتيش الجديد فلو حدث ذلك فستكون هذه نهاية النظام الأمـــنى الجماعى للأمم المتحدة كما يجسده ميثاقها، وكانت فرنسا تتزعم مسألة

الدور الشرعى للمجلس وكانت تحظى بتأييد واسع فى المجلس والجمعية العامة للأمم المتحدة.

لقد حاولت الولايات المتحدة تغيير القواعد التى ساعدت على تأسيسها استنادا إلى ما قالته من حاجتها إلى تجنب تكتيكات صدام التسويفية وإعادة المفاوضات فى مجلس الأمن من جديد حول استخدام القوة فى حالة انتهاك العراق المادى لنظام التفتيش وجادلت الولايات المتحدة بأن العراق خالف مادياً عدة قرارات لمجلس الأمن الدولى وأنه لا حاجة هناك لمزيد من المخالفات لتبرير تنفيذ استخدام القوة ولكن مثل هذه الحجة تفتقر إلى أساس قانونى عندما يتعلق الأمر بالاستخدام المنفرد للقوة، أو استخدامها جماعياً بغير قرار محدد من من مجلس الأمن للتصريح باستخدام القوة.

ولكن الجدل الذى لم يدر فى الأمم المتحدة كان ذلك الخاص بمشروعية عدم استخدام القوة فى العلاقات الدولية.

وعلى افتراض أن الولايات المتحدة ليس لديها أساس مشروع بموجب القانون الدولى لمهاجمة العراق فى الوقت الحاضر، كيف يمكن للكونجرس التصريح للرئيس باستخدام القوة حسبما يرى ذلك ملائماً؟ وإذا وضعنا جانباً الدستورية المشكوك فيها لتفويض الكونجرس لسلطة الحرب للرئيس، هل يمكن للكونجرس إضفاء مشروعية على استخدام القوة بما يخالف القانون الدولى؟ الجواب بالنفى، ولكن هذا حدث فعلا إذا أخذنا فى الاعتبار أن الكونجرس وافق على القرار فى ١١ أكتوبر ٢٠٠٢ مانحاً الرئيس سلطة استخدام القوة فى العراق.

وخلافاً لإدارة بوش الأب والتى كان فيها الرئيس ونائبه ووزير الخارجية جميعهم محامين مدربين مدركين لأهمية القيم القانونية، فإن الرئيس الحالي ونائبه ووزير الدفاع ومستشارة الأمن القومى ليسوا محامين ولا حتى مدركين

لأهمية القانون وربما يكون ذلك بعينه سبب انجذابهم إلى نظرية القوة التى تعبر عن السياسة الواقعية للقرن الماضى.

سعت الولايات المتحدة إلى إعطاء انطباع بأن المشاركة المتعددة الأطراف فى استخدام القوة ضد العراق مساوية للشرعية القانونية الدولية ولكنها ليست كذلك، ومن نفس المنطلق سعت الولايات المتحدة إلى إعطاء انطباع بأن قرار مجلس الأمن ١٤٤١ يسمح لها ضمنياً باستخدام القوة ضد العراق كلما ارتكب – طبقاً لتقديرها – مخالفة مادية وسعت الإدارة إلى الجمع بين الاثنين فى نظر الرأى العام، وتجرى الآن حملة علاقات عامة ضخمة وطنياً ودولياً وتصاعدت إلى أن أصبحت الإدارة مستعدة لتسريع وتيرة الأحداث وهو ما يحدث عندما يكتشف المفتشون مخالفة ما من قبل العراق يمكن تضخيمها إلى أكبر من حجمها الطبيعى وجعلها تبدو "القشة التى تقصم ظهر البعير" وبعبارة أخرى، آخر انتهاك عراقى لقرار من مجلس الأمن قبل اللجوء إلى الحرب.

وفى اجتماع قمة الناتو الذى عقد فى براج فى ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٢ تمكن الرئيس بوش من الحصول على قرار يؤيد عملاً عسكرياً متعدد الأطراف يتم اتخاذه فى النهاية فى حالة "المخالفة المادية" من جانب العراق بشرط أن يتوصل مجلس الأمن على مثل هذه النتيجة وأن يصرح باستخدام القوة.

وبصرف النظر عن مصير التفتيش على الأسلحة، وعن كيفية تفسير الولايات المتحدة لقرار مجلس الأمن ١٤٤١، قبل اللجوء إلى القوة لابد من أن يتوصل مجلس الأمن أولاً إلى أن العراق خالف مادياً تلك الأجزاء من قرارات مجلس الأمن التى تتعلق بحفظ أو صيانة السلام والأمن العالميين، هذه النتيجة وحدها يمكن أن تضفى شرعية على الاستخدام المتعدد الأطراف للقوة.

وفى القرار الأول هذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد التأكيد من أنه لا جدال هناك فى حالة مخالفة العراق المادية لعمليات التفتيش، بأن ذلك يؤدى

إلى استخدام القوة، وبالنظر لعلمنا بسوابق هذا النظام، هذا الموقف لا يفتقر إلى المعقولية ولكن الحكم النهائى كان يقع على عاتق مجلس الأمن.

وفـــى أثـــناء ذلك، إذا قام مفتشو الأسلحة بتدمير أية أسلحة للدمار الشامل يعـــثرون علـــيها فـــى العـــراق، واستمرت الولايات المتحدة فى انتهاج سياسة الاحتواء بشكل فعال، سوف تحقق أهداف نزع السلاح بغير إراقة للدماء.

أمـــا مـــن حيث تغيير النظام بالقوة، فذلك ليس شيئاً يمكن للأمم المتحدة أو لأيـــة دولة أخرى منفردة القيام به فى ضوء المادة الثانية من الميثاق ولكن ليس معنى ذلك أن دور المجتمع الدولى أصبح مقتصراً على التفرج على التصرفات الخاطئة للنظام العراقى، فهناك سبل للتعامل مع هذا الوضع بخلاف الحرب.

يمكـــن القـــول أن الملامـــح الرئيســـية للحـــرب ضد العراق تندرج تحت الاعتبارات العسكرية الآتية:

- يـــتعاطف الكثـــيرون فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى الخارج مع هدف "تغيير النظام " فى العراق ولكنهم يعارضون عملاً عسكرياً متعدد الأطراف ضد العراق من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ما لم يصرح مجلس الأمن باستخدام القوة.
- كما عبر الخبراء الأمريكيون عن هواجس إزاء مجموعة واسعة من القضايا الدبلوماســـية والقانونية والعسكرية، رغم عدم وجود شك فى قدرة الولايات المتحدة على هزيمة العراق عسكرياً واحتلال هذه الدولة.
- أن التـــبعات العســـكرية لمواجهة جيش عراقى يتألف من حوالى ٤٠٠,٠٠٠ جـــندى أكـــبر مـــن أن تخطئها التقديرات، فحتى على افتراض فرار معظم المجندييـــن الإلزاميين العراقيين بمجرد ظهور أول علامات الغزو، كما فعلوا فـــى حرب الخليج، فهذا الأمر ليس مؤكدا بما أنهم سوف يقاتلون فى وطنهم وأنـــه سوف يتبقى هناك ١٠٠,٠٠٠ من الحرس الجمهورى ينبغى مقاتلتهم، وبالإضـــافة إلـــى ذلك فإن القتال على أرض العراق سوف يعنى أن النظام

الحـــالى لن يكون أمامه خيار سوى القتال حتى النهاية وهو شئ سيفعله على الأرجـــح ومن شأن مثل هذه المقاومة العنيدة أن ترفع الخسائر الأمريكية فى الأرواح، خاصة فى المناطق الحضرية.

- وبصـــرف الـــنظر عـــن مشـــروعيتها أو عن التأييد الدولى لها، فإن عملية عسكرية من هذا النوع تتطلب قوات برية ضخمة وقصفاً جوياً واسع النطاق ولكن القصف الجوى سوف يؤدى على قتل وجرح أعداد كبيرة من المدنيين الأبرياء وإلى تدمير البنية الأساسية المدنية وكلا الأمرين، إذا أردنا تسميتهما بشـــكل صريح، قد يشكل جرائم حرب كما أن مثل هذه الأعمال سوف يكون لها تأثيرات سلبية ضخمة على مستوى العالم.

- وهـــنا تـــثارت مسائل عديدة: أولاً: ما هو حجم القوات التى سوف تتطلبها العملـــية العسكرية؟ ثانياً: من أين سوف تنطلق القوات؟ ثالثاً: ما الذى سوف يفعلـــه العراق أثناء الإعداد لهجوم برى؟ وهل سوف يستخدم العراق أسلحة كيماوية وبيولووجية ضد القوات الأمريكية؟ رابعاً: ما هو حجم الخسائر التى ســـوف تلحق بالشعب العراقى والقوات الأمريكية؟ خامساً: ما هى التأثيرات علـــى البنـــية الأساسية العراقية؟ سادساً: ما هو تأثير الحرب على الاقتصاد العالمى وعلى الأخص على البلدان النامية؟ سابعاً: ما هو تأثير الحرب على الـــرأى العام العربى والإسلامى بما فىذلك القضاء على مصداقية الحكومات المؤيدة للولايات المتحدة وزعزعة الاستقرار فى بعض الدول؟ ثامناً: ما حجم رد الفعـــل الانتقامي الإرهابى( بما أنه لاشك هناك فى أن الحرب فى العراق ســـوف تزيد الإرهاب ضد الولايات المتحدة والحكومات المؤيدة لها، ويتبقى تقدير حجمه) تاسعاً: هل سوف تتمكن الولايات المتحدة من حكم العراق من خـــلال حكومة انتقالية تضم عراقيين من اختيارها؟ عاشراً: هل سوف يكون لـــدى الولايـــات المتحدة قوة البقاء حتى الإشراف على تغيير فعلى للنظام، وتحقيق العدالة الانتقالية، وبناء دولة ديمقراطية جديدة على أساس ذلك الحكم للقانون.

إن الإجابـــات على هذه الأسئلة سوف تكون جزئية بالضرورة وتخضع فى مجملها للتكهنات ولكن الإدارة تتبنى منهجاً متفائلاً وترى بأن مشاكلها والمشاكل الأخرى بالإمكان التغلب عليها كما سوف ترد مناقشتها أدناه.

هـــناك احتمال كبير لأن يسير الاحتلال العسكرى للعراق وفقاً لتوقع الحالة الأفضل المتضمن لخسائر أمريكية وعراقية محدودة فى الأرواح واحتلال سريع لتلك الدولة سوف تكون ردود الفعل المتوقعة فى أنحاء العالم العربى والإسلامى محدودة، وكذلك التهديد المستمر للإرهاب (وهو ما حدث..!!).

فى حين أنه لم يكن فى قدرة أحد التنبؤ بالأحداث التى سوف تقع أثناء هذه الحملة العسكرية، ولكن يصبح شئ واحد مؤكداً وهو أن خطط الولايات المتحدة كانت تفصيلية ودقيقة وتأخذ فى الاعتبار مجموعة من الاحتمالات التى تتوفر لها ردود أفعـــال حاضـــرة ويتمـــثل أحد أمثلة هذا التخطيط فى وضع برنامج تمت محاكاته على الكمبيوتر يوضح كل المبانى والشوارع فى بغداد ويمكن استخدامه بالارتـــباط مـــع التخطيط الجوى وكذلك استعدادات وتدريب القوات الأرضية، ولذلـــك مـــن غير المحتمل أن تتمكن القوات العراقية الموالية الإتيان بمفاجآت رئيسية للقوات الأمريكية المهاجمة.

ارتكـــب العراقـــيون نفـــس الخطأ الذى ارتكبوه فى حرب الخليج فى عام ١٩٩١، وينـــتظرون استكمال الاستعدادات العسكرية وبداية الحرب الجوية قبل التصرف وعند أول بوادر للهجوم قد تدخل هذه القوات فى عمل عسكرى لخلق أزمـــة سياســـية عالمـــية علـــى أمل أن تؤدى هذه الأزمة إلى استباق الهجوم العســـكرى، ولتحقـــيق ذلـــك وكـــان المعتقد أن العراق سوف يهاجم إسرائيل بصواريخ "سكود" وربما هذه المرة بأسلحة كيماوية وبيولوجية، وهو ما لم يحدث مما زاد من المعارضة للولايات المتحدة من جانب العرب والمسلمين.

لـــم يعـــرف أحـــد ما لدى العراق من أسلحة كيماوية وبيولوجية ولا عدد صواريخ "سكود" النشطة وما إذا كان يمكن أن تحمل رؤوساً حربية كيماوية أو

بيولوجـــية، وقد أطلقت هذه الصواريخ على إسرائيل والمملكة العربية السعودية أثناء حرب الخليج فى عام ١٩٩١.

وظلـــت فكرة استخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية من جانب العراقيين أحد أمرين غير قابلين للتكهن، أما الأمر الأول هو هل سوف يستخدم العراق ما تبقى من صواريخ سكود المخبوءة ضد القوات الأمريكية وإسرائيل وما إذا كانت هذه الصواريخ سوف تحمل أسلحة كيماوية أو بيولوجية؟ ولكن بما أن إسرائيل لديهـــا دفاعـــات صـــواريخ باتريوت وصواريخ آرو المضادة للصواريخ، فإن الهجوم بصواريخ سكاد لن ينجح على الأرجح، أما الأمر الثاني فهو ما إذا كانت قـــوات العملـــيات الخاصـــة ســـوف تنجح فى التحكم فى حقول النفط الرئيسية والمنتجة قبل أن تفجرها القوات العراقية فإذا نجحت فى ذلك سوف تبقى حقول النفط منتجة ولن تتحقق الآثار الاقتصادية المترتبة على تفجيرها.

وخلاصـــة القول: أنه كان هناك سيناريو لأفضل وأسوأ حالة وأن الإدارة علـــى ثقـــة من أن سيناريو الحالة الأفضل هو الذى سوف يتحقق وأن العمليات العســـكرية ســـوف تستمر بين أسبوع وثلاثة أسابيع، محدثة خسائر محدودة فى الأرواح بيـــن الأمريكييـــن والعراقييـــن، وتداعيات سلبية محدودة فى العالمين العربى والإسلامى وقد وقع السيناريو الأفضل للولايات المتحدة من خلال الأمر الثاني.

## الولايات المتحدة ورؤيتها لتحقيق العدالة والشرعية فى العراق

بغض النظر عن قضية الشرعية القانونية، هناك عدة هواجس كبيرة أخرى تتعلق بافتراضات الإدارة بشأن جدوى وفعالية تغيير النظام فى العراق ومن ذلك ما إذا كانت الحركات المعارضة العراقية قادرة على تكوين قوة سياسية فعالة فى العـــراق، ومـــا إذا كانـــت هـــذه الحركات قادرة على تكوين الزعامة الحقيقية المســـتقبلية فى البلاد، وما إذا كانت بمفردها أو مع المساندة قادرة على إرساء

الديمقراطـــية وســـيادة القانون فى العراق وما إذا كانت إقامة العدالة بعد النزاع بغير تحيز ممكنة.

وبغـض الـــنظر عـــن الانقسامات والمنافسات داخل منظمات المعارضة العراقـــية، لا يظهر أن هناك تخطيطاً سياسياً من أجل مستقبل العراق أبعد من حدود العموميات الغامضة وما يدل على ذلك غياب حكومة ظل مؤقتة يمكن أن يلـــتف حولهـــا العراقيون وعدم التحضير لنظام قانونى جديد يمكن تطبيقه عقب "تغيـــير الـــنظام" وعـــدم الاكتراث بما سيحدث فى الأيام والأسابيع التى تعقب الـــنزاع، وبالنسبة للنقطة الأخيرة فإن الشعب العراقى المقهور الذى عانى كثيراً وطويـــلاً سينزل على الأرجح إلى الشوارع لينتقم لنفسه من أولئك الذين خدموا الـــنظام العراقى وستسيء أعمال الغوغاء وعمليات القتل العلنية وحالة الفوضى علـــى الأرجـــح إلـــى سمعة الولايات المتحدة وكذلك المعارضة العراقية التى تســـاندها، وتبحـــث الولايـــات المتحدة بالاشتراك مع حلفاء الناتو (حلف شمال الأطلنطى) وربما تحت غطاء الأمم المتحدة إدارة العراق عسكرياً كما حدث فى أفغانستان وهو ما يتطلب وجود عدد ضخم من الضباط والجنود لتولى "الشئون المدنـــية" ومنصب " قائد الشرطة العسكرية" والقضاء العام لفترة مبدئية على أن يحـــل محلهـــم لاحقاً موظفون متطوعون من دول أخرى تحت إشراف من دول أخـــرى وتحـــت رعاية الأمم المتحدة وسوف يطلب إلى هذه القوى التى سوف يتعيـــن عليها فى البداية إدارة البلاد بالاستعانة بمعارضين عراقيين كمستشارين للقـــيام بكل ما على الحكومة من مسئولية إلى القيام به، بدءاً من توفير الخدمات العامة وحتى تأمين سلامة الشعب، ويصعب تصور كيف يمكن لقوات الولايات المـــتحدة والـــناتو، والـــتى لا تتكلم اللغة العربية ولا تعرف تقاليد هذا البلد ولا ثقافـــته، القيام بهذه المهام المتنوعة ولكن كان مجلس الدفاع القومى والبنتاجون متفائلين.

إن الولايات المتحدة الأمريكية ترغب فى رؤية عدالة ما بعد النزاع تتحقق فـــى عراق ما بعد صدام، بما فى ذلك تقديم أولئك الذين ارتكبوا جرائم للعدالة،

وكذلك الشروع فى عملية بناء الأمة لتاسيس نظام ديمقراطى و " سيادة القانون" وهـــى مهمة شاقة لم تقدر الولايات المتحدة حجمها الحقيقى، حتى لو كانت ألقت بثقلها على الأمم المتحدة.

وشـــعرت الإدارة أن فـــى إمكانها السيطرة على الوضع الداخلى لتأسيس حكومة عراقية انتقالية تتكون من عناصر معارضة لحكم صدام حسين، وبمساندة العـــراق عسكرياً وهى تفترض أيضاً بقدر كبير من التفاؤل أن مثل هذا الترتيب سيكون ناجحاً وأنه يمكن على الأقل تحقيق الأمن العام، وكذلك تلبية الاحتياجات الإنســـانية وفـــى وضع ما بعد الحرب الذى سيشهد أضراراً كثيرة تلحق بالبنية الأساسية ضعيفة أصلا، يصعب تصور كيف يمكن أن يكون هذا التفاؤل واقعياً.

إن تكالـــيف مـــثل هـــذه العملـــية لا تقلق الولايات المتحدة بما أن العراق سيتحملها طالما أن الولايات المتحدة ستسيطر على موارد العراق النفطية الهائلة من خلال الحكومة الانتقالية وبالتأكيد ليست هناك شرعية قانونية دولية تؤيد مثل هذه الخطة ولكن الإدارة لا يهمها ذلك.

وثمـــة احـــتمال آخر، وهو توقع أن يهرب بعض الجنرالات العراقيين فى مـــرحلة مـــبكرة من العملية العسكرية الأمريكية، وأن يكلف هؤلاء الجنرالات بـــتولى الحكومة الانتقالية تحت إشراف الولايات المتحدة، وهذا أيضاً جزء من ســـيناريو أفضـــل الأحوال سيجعل مهمة الولايات المتحدة فى نظام ما بعد عهد صدام حسين أقل صعوبة بكثير مما لو كان الأمر فى ظل ظروف أخرى.

وتثـــير عدالـــة ما بعد النزاع قضايا كثيرة لم تتناولها الإدارة سوى بشكل ســـطحى ويشـــمل ذلـــك، أى الجرائم يمكن أن يؤخذ فى الاعتبار، وأى قانون ســـيطبق (الدولـــى أم الداخلـــى)، وأى بنية قانونية يمكن اللجوء إليها (المحاكم الجنائية العراقية أم محكمة جنائية عراقية خاصة أم محكمة جنائية دولية يشكلها مجلـــس الأمـــن خصيصاً كما فى حالة يوغوسلافيا عندما شكلت محكمة جنائية دولـــية خصيصاً من أجلها ورواندا عندما شكلت أيضاً محكمة جنائية دولية من

أجلهـــا أم محكمة دولية/ داخلية مختلطة مثل تلك التى تم تشكيلها فى سيراليون، أم المحكمـــة الدولية، ومن الذى سيقدم لمثل هذه المحاكمات هل كبار المسئولين فقـــط؟ وأية آليات للعدالة ما بعد النزاع ستطبق على المسئولين من مرتبة أقل، وهـــل ســـتجرى عملية لتنحية أعضاء حزب البعث عن مناصبهم الرسمية؟ إنها مجـــرد أســـئلة قليلة تطرح بادئ ذى بدء ويجب أخذها فى الاعتبار، وقد أولتها الإدارة الأمريكية بعض الاهتمام بالتشاور مع منظمات المعارضة العراقية خارج العراق.

## تطبيق العدالة وجرائم الحرب

ولتقييم نطاق المهمة ينبغى مراجعة الحقائق التى ستكون أساساً للعدالة بعد الـــنزاع. والجـــرائم الـــتى ارتكبها نظام صدام حسين تعد تبريراً أخلاقياً لتغيير النظام فى العراق ولكن وحتى الآن لم تتبين إدارة أمريكية واحدة منذ بوش الأب وحـــتى بوش الابن هذا النهج، وقد يكون سبب ذلك الحظر الواضح الذى تنص عليه المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة التى تحظر التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأعضاء، وربما يرجع ذلك على الأرجح إلى أسباب سياسية أخرى.

ظـــل الـــنظام الديكتاتورى لصدام حسين فى العراق الذى استمر ٢٣ سنة (تولـــى الرئاسة سنة ١٩٧٩ ولكنه كان نائباً للرئيس بين ١٩٦٨ و ١٩٧٩) من بين أشد أنظمة العالم قمعاً، ويقدر عدد العراقيين الذين قتلوا بمائة ألف، وتعرض عـــدد لا حصر له من العراقيين للتعذيب، فى حين عاش معظم الشعب عهداً من الترويع الذى مارسه ضدهم المسئولون فى حزب البعث وبعض وحدات الجيش والشرطة وعانى الشعب العراقى أيضاً العواقب المروعة لسياسات تلك الحكومة التى أدت إلى فرض عقوبات دولية عليها نتج عنها وفاة عدد يقدر بنصف مليون طفل بسبب نقص الدواء والغذاء.

شن نظام صدام حربين عدوانيتين ضد جارتيه إيران والكويت سنة ١٩٨٣ وســـنة ١٩٩٠، ممـــا أســـفر عن مقتل مائتى ألف عسكرى إجمالاً، واستخدمت

الأسلحة الكيماوية المحظورة ضد المدنيين الإيرانيين ١٩٨٣ كما استخدمت ضد سكان مدنيين عراقيين هم الأكراد سنة ١٩٨٨.

وخلال السنوات العشرين الماضية قتل عدد يقدر بمائة ألف كردى، وعلى الأخص خلال حملة الأنفال سنتى ١٩٨٧ و ١٩٨٨ عندما أفادت الأنباء الواردة مهاجمة ألفى قرية كردية.

كما أوقع فى صفوف الشيعة الذين يعيشون جنوبى العراق عدداً يتراوح بين ٣٠ ألف و٦٠ ألف ضحية واضطر عشرات الآلاف منهم للنزوح من ديارهم عن طريق استخدام القوة.

وقد نزح بين ١٩٩٢ و ١٩٩٨ حوالي مائتى ألف عراقى بصورة مكثفة وهم يعيشون فى المستنقعات الواقعة بين العراق وإيران، وكذلك أكثر من مائة ألف كردى نزحوا من منطقة شمال العراق الغنية بالبترول إلى ما يسمى الآن بكردستان العراقية.

وجميع أولئك الذين نزحوا أو تم تهجيرهم – ومنهم من أرغموا على مغادرة ديارهم من السنة والشيعة والأكراد – فقدوا ممتلكاتهم وكل حقوقهم المدنية فى بلادهم.

هذه التصرفات تعد "جرائم ضد البشرية" و"جرائم حرب" ويدخل فى عدادها أيضاً جريمة التعذيب الدولية والانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان، ولاشك فى أن مثل هذه الجرائم يجب أن تؤدى إلى المساءلة الجنائية لمرتكبيها الذين لا ينبغى السماح لهم بالإفلات من العقاب، وللأسف لم يحدث حصر واف لهذه الجرائم، وهذه مهمة تقع على عاتق الأمم المتحدة.

وفى سنة ١٩٩٢، شكل مجلس الأمن طبقاً لقراره رقم ٧٨٠ لجنة من الخبراء للتحقيق فى انتهاكات القانون الإنسانى فى يوغوسلافيا السابقة، وأدى حصر اللجنة لهذه الانتهاكات إلى أن يؤسس مجلس الأمن المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة التى يمثل أمامها حالياً رئيس الدولة السابق

سلوبودان ميلوسيفيتش كمتهم مدعى عليه، وحدد تقرير لجنة الخبراء الذى يشتمل على ٣٥٠ صفحة والذى نشره مجلس الأمن أنماط وأنواع هذه الجرائم، بما فى ذلك سياسة "التطهير العرقى" البغيضة واغتصاب النساء الذى كان يحدث باستمرار كجزء من هذه السياسات.

وهناك أدلة ومستندات كثيرة تؤكد جرائم النظام العراقى ولكن هذه الجرائم لم تحصر بعد بشكل منظم ولم تنشر ولم تبث ومثل هذا العمل مدعماً بقرار من مجلس الأمن سيكون عنصراً حيوياً فى استراتيجية تغيير النظام فى العراق وهذا العنصر الذى يتعلق بالعدالة سيمنح الولايات المتحدة حجة أخلاقية أقوى بكثير من المخاوف من أسلحة الدمار، وعلاوة على ذلك عندما يتم حصر الجرائم التى ارتكبها هذا النظام ربما يؤسس مجلس الأمن محكمة دولية مختصة تماثل المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة والمحكمة الجنائية الدولية لرواندا، وبذلك، حتى لو كان صدام قد استجاب لنظام التفتيشات فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل، فإنه لم يكن ليفلت هو وآخرون فى نظامه من العقاب على جرائمهم الدولية، إن عاجلاً أم آجلا، وسيكون تغيير النظام والأدلة التى ستجمعها مثل هذه اللجنة ضده أساساً لعدالة داخلية ما بعد النزاع أو لمحاكمات جنائية دولية.

## البترول هدف من أهداف الحرب

إن قضية البترول محل جدل واختلاف فى الرأى، كما أنها فى الوقت نفسه غير متفق عليها ويرى البعض أنها إحدى الدوافع السياسية للإدارة الأمريكية لاحتلال العراق ليس فقط لأن العراق هو ثانى دولة فى العالم تملك احتياطي بترول معلن بعد المملكة العربية السعودية ولكن أيضاً لأن وجوداً عسكرياً أمريكياً فى العراق للسيطرة على إنتاج العراق من البترول سيمنح الولايات المتحدة نفوذاً كبيراً على إنتاج المملكة العربية السعودية ودول الخليج من البترول وكذلك على تحديد أسعار البترول فى الأسواق العالمية.

وسيتطلب من الحكومة العراقية الانتقالية إعادة النظر فى عقود الامتياز مع الشـــركات الأجنبـــية وإعادة تحديد الإنتاج اليومى الذى يبلغ حالياً ثلاثة ملايين برميل يومياً بحيث يرجع إلى خمسة ملايين برميل يومياً وربما أكثر، سيتطلب ذلـــك من حكومة انتقالية موالية للولايات المتحدة ستتعرض بالضرورة لاحتمال اعتبارها غير ذات صفة شرعية فى نظر الشعب العراقى والشعوب القريبة وإذا تعيـــن بالضرورة زيادة الإنتاج لتعويض الولايات المتحدة عن تكاليف عملياتها العســـكرية، لـــن يتمكن العراق من الاستمرار فى دفع تعويضات عن لأضرار للكويت (تلك التى فرضتها الولايات المتحدة سنة ١٩٩١) ولكن إذا لم يحدث ذلك وتعين على الحكومة الانتقالية أن تسدد مبالغ للكويت والولايات المتحدة سيعجز العراق عن الوفاء بتكاليف هذين الالتزامين اللذين فرضا عليه من الخارج، وفى هـــذه الحالـــة، ستتعطل التنمية الاقتصادية فى العراق بصورة خطيرة وستعتبر الحكومة الانتقالية غير ذات صفة شرعية على الإطلاق.

## التأثيرات على السياسة الأمريكية:

لعبـــت جامعـــة الدول العربية، والتى عملت من خلال أمينها العام عمرو موسى وتؤيدها حكومات المملكة العربية السعودية ومصر والأردن دوراً رئيسياً لمـــنع وقـــوع عمل عسكرى أمريكى من طرف واحد وقد تحقق ذلك من خلال إقناع صدام بقبول نظام التفتيش الخاص بالأمم المتحدة بغير مواربة ولا تحفظات إلا أنها لم تستطع أن تحول دون وقوع الحرب.

كمـــا لعب السكرتير العام للأمم المتحدة دوراً محورياً فى المفاوضات مع العراق ومع أعضاء مجلس الأمن لتحقيق تلك النتيجة.

ولكن ذلك ليس سوى الجزء الأول، أما الجزء الثانى فلا يزال ذلك الخاص ببعثة الأمم المتحدة للتفتيش والمراقبة والتحقق والوكالة الدولية للطاقة الذرية، إذ حـــاول صـــدام الالتزام بشروط القرار ١٤٤١ الصادر عن مجلس الأمن فى ٨ نوفمـــبر، ولكـــن هـــذا لـــم يمنع تجنب الحرب حيث استمر بوش باتهامه القيام

بألاعيبه المعتادة الخاصة بالغش والانسحاب، كما كان يسميها، وأنه لا مناص من الحرب.

لقد تم شرح تبعات الحرب بوضوح لصدام من قبل السكرتير العام كوفى أنان، والأمين العام عمرو موسى، وولى العهد السعودى الأمير عبد الله ووزير الخارجية السعودى سعود الفيصل ووزير الخارجية المصرى أحمد ماهر، والعديد من رؤساء الدول وعلى رأسهم الملك عبد الله، عاهل الأردن، والرئيس مبارك والرئيس شيراك والرئيس الروسي فلاديمير بوتن، كل هؤلاء الزعماء لعبوا دوراً رئيسياً فى إثناء الولايات المتحدة أو عودتها للأمم المتحدة وعدم استخدام القوة من طرف واحد وقد أدت هذه الجهود مجتمعة بالولايات المتحدة على قبول القرار الصادر فى ٨ نوفمبر بغير أن يتضمن نص الاستخدام التلقائى للقوة ولكن تغير الموقف الأمريكى يرجع بقدر ليس باليسير على الجهود الدبلوماسية الدؤوبة التى ينتهجها وزير الخارجية الأمريكى كولن باول.

## الحرب ضد العراق من المنظور الإنسانى (احتمالات لم تتحقق).

من المنظور الإنسانى فإن نهاية نظام صدام كانت لابد وأن تكون قريبة أكثر منها بعيدة ولكن الحرب ليست أفضل الخيارات أو خياراً مشروعاً لتحقيق ذلك، فهناك الشرعية والحكم السليم على الأمور وهما مضادان لعمل عسكرى من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وحدها أو بتحالف متعدد الأطراف تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية، ما لم تقر الأمم المتحدة ذلك على وجه التحديد.

ومن الواضح أنه وبعد تقديم العراق لتقريره المتضمن فى اثني عشر ألف صفحة بتاريخ ٨ ديسمبر ٢٠٠٢ كانت الولايات المتحدة ستتخذ من بعض الثغرات الواردة فى هذا التقرير ذريعة لتبرير الضربة العسكرية المصمم عليها مسبقاً للعراق بهدف تغيير نظامها الحاكم والسيطرة على منتجاتها النفطية وبالتالي تغيير الطبيعة الاستراتيجية للمنطقة.

ودون أدنى شك أن توقعات الولايات المتحدة حول النتائج السياسية العسكرية لتلك الضربة قد تكون السيناريو الأفضل من وجهة نظرهم إلا أنه صعب المنال.

وفى هذا السياق كان من المتوقع حصول رد فعل غاضب من جماهير الشارع العربى قد يضطر بعض الحكومات إلى التدخل لقمعه تحملاً للعبء السياسى الذى ألقى على عاتقها فى هذا الموقف المعقد، ومن ناحية أخرى، ولو أن هذا الانعكاس كان محدود المدى من الناحية الواقعية إلا أنه وكلما قلت مظاهر الاحتجاج كلما دل ذلك على مدى وعمق الإحباط الذى منيت به الشعوب العربية من جراء ذلك ويعد مؤشراً لقياس مدى فقدانهم للثقة فى قدرة حكوماتهم على معارضة السياسة الأمريكية السائدة وهو ما يهيئ الفرصة الذهبية للجماعات الإرهابية لجذب عدد غير قليل من تلك الفئة المحيطة وهو ما نستطيع معه توقع ازدياد عدد المتطوعين لارتكاب الأعمال الإرهابية مستقبلاً ضد المصالح الأمريكية فى أنحاء العالم تعبيراً عما يعتمل فى نفوسهم من غضب.

وكان البديل الأمريكى للحرب هو سياسة منسقة للاحتواء والضغط على ما ينادى به وزير الخارجية باول وآخرون خارج الإدارة، وأيضاً العديد من زعماء العالم كما أشرنا عاليه، وانتهاج أسلوب أكثر تدرجاً لابد بالضرورة أن يتضمن إشراك الأمم المتحدة وحكومات عديدة فى جمع ونشر أدلة على جرائم نظام صدام، والإمكانيات التى لديه لاستخدام أسلحة الدمار الشامل، وعلى الولايات المتحدة أولاً نزع مصداقية النظام والحصول على شرعية قانونية دولية قبل الاضطلاع بعملية عسكرية، إذا ثبت ضرورة ذلك.

احتلال العراق عسكرياً وإدارته من قبل الولايات المتحدة الأمريكية مع الاعتماد على نفط العراق فى تمويل عملياته وتغطية نفقاته شئ لا يمكن للرأى العام العالمى القبول به، ومع ذلك، يبدو أن الرأى العام الأمريكى قد قبل بهذا الاحتمال، فى ضوء نتائج انتخابات ٥ نوفمبر فى الولايات المتحدة الأمريكية، والتى منحت الجمهوريين أغلبية فى مجلس الشيوخ ومجلس النواب، وأصبحت

الإدارة علـــى ثقـــة من أنها سوف تفعل ما يحلو لها، بصرف النظر عن النتائج الســـلبية، ولكـــن بما أن حملة العلاقات العامة التى قامت بها الإدارة الأمريكية كانت بمثل هذه الفعالية الكبيرة، فإن التصور العام أن الآثار السلبية للحرب فى العـــراق ســـوف تكون محدودة كما أن الإدارة الأمريكية أصبحت تصدق حملة العلاقات العامة التي صممتها وأنها يمكن أن تحقق أهدافها العسكرية والسياسية بأدنى حد من الضرر والخسائر والتكاليف، مسترشدة فى ذلك بقناعتها من تحقق سيناريو الحالة الأفضل العسكرى.

إن الحـــرب فى العراق غيرت العلاقات الاستراتيجية فى الشرق الأوسط، وســـوف تقـــوى شوكة إسرائيل فى المنطقة بعد أن أصبحت تربطها بالولايات المتحدة علاقة استراتيجية أكثر حسماً، ومن شأن هذا الأمر أيضاً أن يؤدى إلى ظهـــور صـــراع عربي إسرائيلى ديناميكى جديد يفرض على الفلسطينيين حلاً لصـــالح إســـرائيل تدعمـــه الولايـــات المتحدة كما أن الأنظمة العربية الموالية للولايات المتحدة سوف تفقد مصداقيتها.

وبالإضـــافة إلـــى ذلك، فإن تغير التوازن الاستراتيجى فى الشرق الأوسط سوف يعطى إيران مركزا أقوى فى المنطقة ولكنه سوف يضع الولايات المتحدة فى موقف المواجهة العسكرية المباشرة مع تلك الدولة، وبالنظر لإمكانيات إيران العســـكرية ســـوف يـــزداد الوضـــع فى المنطقة توتراً وسوف تقوى الأصولية الإسلامية.

## ثالثاً : قدرة الولايات المتحدة على شن الحرب فى إطار تحالف دولى أو منفرد

ظـــل الموقـــف الأمـــريكى متمسكاً بمنطق القوة واستخدام أسلحة القوات المســـلحة الأمريكية فى شن الحرب منفردة أو فى إطار تحالف دولى، وقد أكد الرئيس الأمريكى جورج بوش أن الحرب ستظل هى خياره الأخير فى التعامل مع العراق وستكون من أجل حماية الشعب الأمريكي.

جـــاءت هذه التصريحات خلال مراسم أداء ويليام دونالدسون رئيس لجنة الأســـهم والأوراق المالية بالبورصة لليمين الدستورية فى قاعة روزفلت بالبيت الأبيض أمام بوش ونقلته شبكة / سى. إن. إن الإخبارية الأمريكية.

وقـــد أشار بوش إلى أنه لايتفق مع البعض الذين لا يرون أن صداماً خطر علـــى الســـلام لأنه يحصل على أسلحة دمار شامل ويتحدى الأمم المتحدة ويقيم علاقـــات مع الإرهابيين وهو تهديد للولايات المتحدة التى ستتعامل معه، مطالباً الشـــعب الأمـــريكى بالحفاظ على أمن البلاد، وحول ما إذا كان قد اتخذ قراره بالحرب قال بوش إنه يأمل أن ينزع صدام حسين أسلحته، وإذا اختار عكس ذلك فإن الولايات المتحدة ستقود تحالفاً لنزع أسلحة الدمار الشامل لديه بالقوة.

وأوضـــح بوش أن صدور قرار ثان من مجلس الأمن الدولى بشأن العراق سيكون مفيداً. خاصة بعد أن ثبت عدم اهتمام العراق بالقرار الأول ١٤٤١ وأنه يعمل حالياً مع الأصدقاء والحلفاء من أجل إصدار قرار آخر فى الأمم المتحدة.

وأعرب بوش عن رغبة بلاده فى مساعدة تركيا وعن ترحيبه بقرار منظمة حلف شمال الأطلنطى بضرورة مساعدة تركيا، كما أعرب عن ترحيبه ببيان قمة الاتحاد الأوروبى الذى يطالب بضرورة نزع أسلحة صدام حسين بصورة كاملة.

وصرح بوش أن الولايات المتحدة تعمل عن قرب من الأتراك، فى الوقت الذى تحمل كل الاحترام للحكومة التركية الصديقة، معرباً عن أمله فى التوصل لاتفاق مرض للطرفين وهو ما يجرى إعداده حالياً. وحول إمكانية توجيه إنذار الفرصة الأخيرة لصدام، تساءل بوش فيما إذا كان ذلك يعنى منحه فرصة أخرى وأخـــرى وقال إن الرئيس العراقي يدرك تماماً ما نريد بنزع الأسلحة تماماً لكنه يراوغ ويخادع ويستهلك الوقت ويؤجل ويعتقد أن الوقت لصالحه.

وأكـــد بوش تصميمه على" الاستمرار فى طريق السلام، على أن يدفع هذا الـــرجل الثمـــن" مشـــيراً إلى أن لدى الإدارة الأمريكية التزاماً ببذل أقصى ما بوســـعها لحماية الشعب الأمريكى.. وقال إنه من المهم أن تصبح الأمم المتحدة

جهـــازاً مفـــيداً مـــع الدخـــول إلى المستقبل وعدم تحدى أو إبطال أى شخص لقراراتها.

أما بلير فمن ضمن ما قاله :" إن مسألة الوقت (المعطى للمفتشين) لا تطرح إلا إذا كـــان هـــناك تعاون تام من جانب الرئيس العراقى وحذر مرة أخرى" إذا رفـــض نزع أسلحته بطريقة سلمية، عندئذ سيكون عليه أن يقوم به بالقوة". ولقد تقدمـــت بريطانـــيا بمقـــترح قرار ثان يتضمن ستة شروط على العراق تنفيذها لتجنـــب الحـــرب وقـــد رفضته العراق باعتباره طلبا باعتراف العراق امتلاكها لأسلحة تدمير شامل ولقد واجه المشروع البريطاني / الإسباني مصيرا غامضا لاســـتمرار المعارضـــة أو باســـتخدام الفيتو من قبل فرنسا وروسيا واعتراض الصـــين. ولهـــذا قامـــت بريطانيا بسحبه يوم ١٧ مارس وفى الوقت نفسه فإن العـــراق وعدت بتقديم تقريرا للأمم المتحدة عن الجمرة الخبيثة التى كانت لديها منذ ١٢ عاما لتثبت أنها لم تعد مالكة لهذا السلاح البيولوجي، وتقريرا آخر عن غاز الأعصاب (V X).

لقد اتخذت الأزمة العراقية مساراً جديداً بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بعد تولـــى الإدارة الأمريكـــية الرئيس بوش وشكل إدارة تولى فيها وزارتى للدفاع وأعضـــاء فـــى مجلس النواب والشيوخ يهود ويتمتعون بالجنسية الأمريكية، لذا اتجهت الإدارة الأمريكية إلى توجيه تهديد بتوجيه ضربة عسكرية أمريكية بدلاً مـــن انتهاج سياسة سابقة تحاول احتواء العراق لإرغامها على إحداث متغيرات فـــى سياستها تتفق مع السياسة الأمريكية التى تسعى إلى السيطرة على البترول العـــراقى باعتـــباره أنه المنبع مع ضرورة إسقاط النظام السياسى العراقى الذى اعتـــبر أنه يشكل تهديداً أمنياً لمنطقة الخليج وللولايات المتحدة الأمريكية وإلى إســـرائيل وأصـــبح من الضرورى فرض حالة التغيير باستخدام القوة العسكرية الأمريكـــية، وتوالـــت التهديدات الأمريكية للعراق والتى جوبهت برفض عربى وللـــدول الأعضـــاء دائمى العضوية فى الأمم المتحدة الأمريكية فلا يقبل توجيه الضربة العسكرية دون أدلة على أن العراق لديه أسلحة دمار شامل تشكل تهديداً

إقليمـــياً ودولياً، وتحاول الإدارة الأمريكية أن تحتوى المعارضة الدولية وتكسب الجمـــيع فـــى صفها ولكن هذا لم يهدئ من الانتقادات فى حتمية توجيه الضربة العســـكرية ولم يمنع ذلك من استمرار حشد القوات الأمريكية ليصل إلى تجمع ضخم قد وصل إلى ١٠٠ ألف أو أكثر، وفى نفس الوقت قامت الولايات المتحدة الأمريكـــية بحملـــة إعلامية لجذب التأييد الدولى والتأييد الداخلى حيث وصلت المعارضة من الجمهوريين إلى نسبة ٦٠% وهى نسبة عالية، وأيضاً مع إعلانها مـــن وقـــت لآخر توقيتات محتمله لشن هذه الضربة منها ما يحدد قرب توجيه الضربة العسكرية الأمريكية وآخر يمهد لها فى الصيف القادم، وهذا أمر طبيعى حـــتى لا يتعرف المجتمع الدولى على التوقيت الحقيقى المحدد للضربة، وظلت بريطانيا ترسل قواتها لدعم القرار السياسى بشن الضربة العسكرية على العراق، ولاشـــك أن الحشـــد الضـــخم للقوات الأمريكية كان خير دليل على أن الإدارة الأمريكـــية اتخـــذت قـــرارا باستخدام القوة العسكرية ولكنها فى انتظار الأمر. والأمر الآخر هو تحقيق الردع النفسى على العراق بما يخفض المعنويات داخل العـــراق قـــيادة وشعباً وقوات مسلحة، واستغلت هذه الفترة فى تنشيط الطلعات الجويـــة للقـــوات الجوية الأمريكية والبريطانية ومهاجمة مواقع لأسلحة الدفاع الجـــوى العراقية بحيث لاتشكل قيوداً على حرية استخدام القوات العسكرية عند صـــدور القـــرار السياســـى بـــتحرك القوات وما يعتبر القيام "بعمليات متدنية المستوى" تحقق إضعاف نظام الدفاع الجوى العراقى بحيث لا يحدث خسائر عند شـــن الضربات الجوية فى إطار حملة جدية مكثفة تهدف إلى التأثير القوى فى القـــدرات العســـكرية العراقية وفى القيادة السياسية لتتهيأ لمغادرة البلاد وقبول التغيـــير تحـــت زعم التوجه نحو إقامة نظام ديمقراطى عراقى موال للولايات المـــتحدة الأمريكية ومحقق لأهداف أمنية إقليمية ودولية، ولكن لاشك أن توجيه الضـــربة العسكرية الأمريكية كان يواجه مشكلات لابد من وضعها فى الاعتبار عند اتخاذ قرار بدء الحرب.

## مشكلات استخدام القوة العسكرية الأمريكية لشن ضربة عسكرية على العراق:

لـــن يكون توجيه الضربة العسكرية الأمريكية فى ظروف غير مشابهة لما حـــدث فـــى يوغوسلافيا وتحديداً استخدام الناتو ضد القيادة الصربية فى حرب كوســـوفو عـــام ١٩٩١، لكنها تأتى فى إطار نموذج الحرب ضد الإرهاب فى أفغانســـتان فـــالموقف مختلف وأن هذا يثير مشكلة أنه لن يعتمد فى هذه الحرب علـــى توجـــيه ضربات صاروخية ولكن الهجمات الجوية لا غنى عنها لتحقيق الهـــدف الرئيســـى مـــن إسقاط النظام الصدامى العراقى والهيمنة على البترول العـــراقى والأهـــم تغيير النظام السياسى العراقى تحت زعم إقامة نظام سياسى ديمقـــراطى، وأشـــارت الـــتقديرات أن منطقة تكريت العراقية هدف هام لمنع الالـــتجاء إليها وسرعة توجيه ضربة وقائية (مسبقة) للمنطقة قبل أن تحتشد فيها المقاومـــة، ومـــع وجود المقاومة العراقية داخل العراق ومدى إمكانية الاستفادة منها بما يعنى أن تدخل فى صراع مسلح ضد القوات العراقية النظامية لا يعرف مـــدى مـــا يحققه من نتائج مؤكدة، حيث تتحول مهام القوات النظامية إلى مهام الدفاع عن كيانها.

## رابعاً : البعد السياسى لتخطيط الحرب ضد العراق

قامت الإدارة الأمريكية بعمل تقدير موقف سياسى لوضع حلول وتوصيات نحو التساؤلات التى أثيرت عند التخطيط للحرب ضد العراق حيث لم يكن هناك اتفاق حول شكل الضربة العسكرية التى يمكن من خلالها تحقيق الهدف السياسى للحرب، على نحو ما أوضحه التباين الشديد بين خطط الهجوم التى تتسرب من داخـــل البنتاجون من حين إلى آخر، فيما يتصل بحجم القوات البرية المشاركة، وتقدير الخسائر الناجمة عن العمليات وقد أدت المناقشات خلال الشهور الثلاث الأخيرة قبل الحرب إلى اتجاهين.

الأول : اتساع نطاق المشكلات العسكرية المحددة على نحو طرح قضايا تتصل بمسألة "الحرب" عموماً، وليس مجرد خطة عملياتها، فقد أثيرت أسئلة حول رد الفعل العسكرى المتوقع للحكومة العراقية، خاصة فيما يتعلق باستخدام أسلحة تدمير شامل كيماوية وبيولوجية، والسلوك المحتمل للقوات المسلحة العراقية، والذى سيتحدد بناءً عليه أمد الحرب وحجم الخسائر الأمريكية، وهو ما كان يتطلب تعديلات معقدة فى الخطط العسكرية، وأفرز بدوره تباينات إضافية فى التقديرات بين أفرع وزارة الدفاع الأمريكية.

الثانى : امتداد نطاق المشكلات المتعلقة بالحرب عموماً ليشمل إشكاليات ذات طابع استراتيجي كمستقبل التشكيلات العسكرية والسياسية العراقية فى حالة انهيار النظام السياسى القائم وطبيعة النظام السياسى البديل. وتكلفة إعادة بناء العراق بعد الحرب، إضافة إلى المشكلة التقليدية الخاصة بيواجس الفوضى داخل العراق، فى ظل خبرة النموذج الأفغانى الحالي، فالمسألة فى واقع الأمر ليست ضرب العراق أو غزو العراق وإنما تدخل عسكرى بكل أبعاده، وهو ما كان يتطلب إعداد ترتيبات واسعة مسبقة لساحة الحرب.

فى هذا الإطار يمكن رصد أهم العوامل المؤثرة على استخدام القوة العسكرية ضد العراق وانعكاساتها.

## طبيعة التهديد العراقى:

لم تطرح داخل الولايات المتحدة أية قضايا جذرية بشأن ما يعتبر – من وجهة النظر الأمريكية – مصدر التهديد العراقى، فلم تكن هناك خلافات أساسية داخل الإدارات التى تعاقبت منذ نهاية حرب الخليج الثانية (١٩٩١) على أن ثمة تهديداً عراقياً لمصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وأن إسقاط نظام الرئيس صدام حسين يمثل الأساس فى إنهاء هذا التهديد، لذا كان العراق أحد الأطراف الدائمة فى قوائم الدول التى تعتبرها الولايات المتحدة " مارقة"، أو – كما تطورت فيما بعد – "شريرة"، ولم تحدث أية مراجعة لهذا الوضع على

غـــرار مـــا حدث لكل الدول الأخرى، وأدى إلى بدء اتصالات أمريكية مع هذه الدول، كليبيا وسوريا، وكوريا الشمالية، وحتى إيران.

مـــن ناحية أخرى، كان الاتجاه السائد داخل الإدارات الأمريكية، باستثناء فـــترة قصـــيرة مـــن حكـــم إدارة الرئيس كلينتون، هو أن الأساليب الإكراهية الضاغطة تمثل أساس الاستراتيجية الأمريكية تجاه العراق، يتضمن ذلك أساليب الاحـــتواء المختلفة كالضغط السياسى والحصار الاقتصادي والعزلة الدبلوماسية والدعاية المركزة والعمل السرى، مع استخدام مكثف للأدوات العسكرية أو ذات الطـــابع العسكرى، كالحظر الجوى والحظر التسليحى والتفتيش الدولى والرقابة اللصيقة، مع استخدام أسلوب العمليات العسكرية الانتقامية أو ضربات الإزعاج بشـــكل متكرر، فالعراق من وجهة نظر الولايات المتحدة – تبعاً لقاموس اليمين المحافظ – عدو.

واتخـــذت مســـألة الـــتهديد العراقى أبعاداً جديدة مع وصول إدارة الرئيس جـــورج بوش الابن إلى الحكم عام ٢٠٠١، إذ بدأت التيارات المتشددة فى تلك الإدارة بـــتحريك الملـــف العـــراقى ليصـــبح التعامل مع ذلك "التهديد" أحد أهم أولوياتهـــا الخارجية، لذا لم يكن مفاجئاً لبعض الدول العربية فى النصف الثانى مـــن عام ٢٠٠١، قبل أحداث ١١ سبتمبر بعدة شهور أن يكون الملف الرئيسى الذى يحمله كولين باول (رغم أنه ليس من المتشددين) فى جولته الأولى بالشرق الأوســـط هو "المسألة العراقية" على الرغم من اشتعال المنطقة من جراء العنف الدموى بين إسرائيل والفلسطينيين.

تطـــور موقع العراق على خريطة التهديدات الأمريكية فى أعقاب هجمات ١١ ســـبتمبر، فعلـــى الرغم من أن تلك الأحداث قد مست معظم الدول العربية بصـــورة أو بأخرى، إلا أن العراق الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى تمت الإشارة "بالاسم" إلى احتمالات تورطها فى تلك الهجمات، فى ظل ما أثير حول لقاء براغ بين محمد عطا قائد المجموعة المنفذة للهجمات والدبلوماسى العراقى التابع للاستخبارات أحمد العانى، أو احتمالات ارتباط الحكومة العراقية بهجمات

الجمـــرة الخبيثة التى كانت بعض المؤسسات الأمريكية قد تعرضت لها فى ذلك الوقت، إضافة إلى ما قيل حول علاقات قوية تربط العراق بعدد من العناصر أو المنظمات الإرهابية، وهو ما وضح على كل المستويات، أنه كان بدون أساس.

فـــى الواقـــع، فإن تلك " الروايات" لم تكن هى العامل الأساسى الذى أعاد احتمالات ضرب العراق عسكرياً إلى واجهة الأحداث منذ ذلك الحين، فقد كانت هناك تحفظات واضحة أبديت من جانب مؤسسات أمريكية رسمية تجاه مصداقية الوقـــائع الـــواردة فيها، وعندما بدا أن هناك مناخاً عاماً يتيح التحرك فى اتجاه إنهـــاء مهمة كانت قد بدأت قبل عشر سنوات، وليس التوقف عند حدود مكافحة الإرهاب، خاصة مع وجود شخصيات مؤثرة فى الإدارة (مثل ديك تشينى نائب الرئيس، ودونالد رامفسيلد وزير الدفاع، وبول وولفوتيز نائب وزير الدفاع تعتقد أن هـــناك حملـــة واحـــدة يجب أن تتحرك للتعامل مع كل التهديدات لكن ظلت المشكلة التقليدية قائمة، وهى كيف يتم ذلك؟.

تـــم تقييم مشكلة العراق مع الولايات المتحدة فى ظل هاجس الأمن المطلق الذى يسيطر على الإدارة الأمريكية الحالية، على الرغم من أن العامل الرئيسى الذى تستند إليه إدارة الرئيس بوش فى تبريرها لاتجاهها الخاص بضرب العراق فـــى الوقـــت الراهـــن هو قيام الحكومة العراقية بتنشيط برنامجها النووى مرة أخـــرى، فـــى غـــياب عملـــية التفتيش الدولية استناداً على روايات مماثلة لتلك الروايات القديمة حول علاقة الحكومة العراقية بأحداث ١١ سبتمبر.

ودلـــت الصورة العامة لما هو قائم فى واشنطن إزاء العراق من أن إدارة الـــتوجهات الأمريكـــية بهـــذا الشـــأن فى إطار احتمالين أحدهما يتفق مع الحل العســـكرى والآخر مع طبيعة الحل السياسى، فلا توجد احتمالات لحل الصراع القائم سلمياً بين الولايات المتحدة والعراق، إذ لا تطرح إمكانية "التعايش السلمى" على غرار ما يتم مع كوريا الشمالية، كما لايطرح التيار الرئيسى داخل الإدارة الأمريكـــية احتمالات لتسوية المشكلة القائمة بين الجانبين إلا فى إطار سيناريو واحـــد أشار إليه دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى وهو أن يتخلى الرئيس

العـــراقى صـــدام حسين عن السلطة، وأن ينفى نفسه اختيارياً مع عائلته خارج العـــراق (١٩ سبتمبر ٢٠٠٢)، وقد أثيرت بهذا الشأن إمكانية أن تؤدى تحولات داخلـــية فى العراق باتجاه نوع من "الديمقراطية" إلى عكس اتجاه الريح كما هو مطروح بالنسبة لإيران، وقد بدأت "سياسة الاحتواء" المطبقة ضد العراق منذ ما يـــزيد علـــى عشر سنوات تفقد مصداقيتها أيضاً فى أوساط الإدارة الأمريكية، فرغم أنها تبدو أحياناً وكأنها "المخرج المناسب" لجميع الأطراف، إلا أنها لم تؤد – وفق التقييم الأمريكى – إلى التأثير على استقرار النظام السياسى العراقى، أو طرح احتمالات انهياره من الداخل، بل أن ثمة اتجاه داخل المؤسسات الأمريكية يـــرى أنها أدت إلى تعزيز قوة الرئيس العراقى أكثر من ذى قبل، ولم يعد هناك اســـتعداد كبـــير للمراهنة عليها لوقت طويل، إلا فيما يتصل ببعض مستوياتها، كالتفتـــيش الدولى على نشاطات العراق التسليحية، لاعتبارات عملية، والمشكلة أنه ليس لدى العراق خيار حقيقى لرفض "التفتيش الدولى"، رغم إدراكه أن قبوله لـــه لن يؤدى إلى تحول جوهرى فى الموقف الأمريكى بشأن إسقاط النظام، وقد جـــرى بـــالفعل محاولة غير ناجحة لعقد "صفقة فى هذا الاتجاه" قبل أن تضطر بغداد إلى قبول التفتيش غير المشروط فى النهاية، لأسباب عملية أيضاً.

## التوجهات المتاحة للسياسات العسكرية الأمريكية.

كان التوجه المسيطر على أمريكا هو اتباع اللجوء إلى الأداة العسكرية فى الـــتعامل مـــع الـــنظام العـــراقى، ويتمثل الفارق الجوهرى بين ما اعتمد خلال الســـنوات العشر الماضية بهذا الشأن، وما اتجه إليه التفكير الأمريكى حالياً، هو أن إدارة بوش قد اتخذت قراراً يتصل بشن "حرب شاملة" ضد العراق، فقد كانت السياســـة العسكرية الأمريكية فى الفترة السابقة تركز على الاستخدام الروتينى للقوة المسلحة ضد العراق لفرض الحظر الجوى فى شمال العراق وجنوبه، مع توجـــيه ضـــربات محدودة أشبه بعمليات خاصة جراحية لوسائل الدفاع الجوى العراقـــية فـــى حـــالات تحـــريكها أو تنشيطها، كما كانت هناك أشكال مختلفة لضـــربات عقابية تم اعتمادها لإسناد عمليات التفتيش الدولية، بقصف المنشآت

التى تقوم الحكومة العراقية بعرقلة دخول المفتشين إليها، وذلك قبل توقف أعمال التفتيش، أو فى حالة اتباع العراق لسلوكيات تعتبرها الإدارة الأمريكية "خارجة" أو "مهـددة" كما أثير بشأن التخطيط لاغتيال الرئيس جورج بوش (الأب) خلال زيـارة قـام بها للكويت، أو قيامه بتطوير قدرات صناعية مزدوجة الاستخدام، وفى تلك الحالات، يتم قصف وتدمير المنشآت ذات العلاقة باحتمالات أن تصبح تهديداً من وجهة النظر الأمريكية.

تطـورت بعـض تلك الأعمال العسكرية إلى ما يشبه" حرب محدودة" فى أحـيان مخـتلفة على غرار ما حدث فى نهاية عام ١٩٩٤، عندما شنت إدارة الرئيس كلينتون عملية عسكرية واسعة النطاق ضد المرافق والمنشآت العسكرية العراقـية، اسـتمرت عدة أيام تحت اسم "ثعلب الصحراء"، لكنها لم تكن تطرح احتمالات التطور فى اتجاه مجرد التفكير فى غزو عسكرى شامل.

ولقـد بـرزت أفكار "الحرب المحدودة" فى ظل الإدارة الحالية، فى إطار اتهاماتهـا للعـراق بتطوير أسلحة تدمير شامل (نووية)، إذ تمت الإشارة على نطاق واسع لإمكانية شن ضربة عسكرية وقائية/ إجهاضية بهدف تحييد قدرات تطويـر تلك الأسلحة، وأورد الرئيس بوش فى كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المـتحدة (١٩ سبتمبر ٢٠٠٢) خمسة شروط للعراق لتحاشى مثل هذه الضربة، كالتوقف عن مساندة الإرهاب، واضطهاد المواطنين، والإفراج عن المحتجزين، ووقف التجارة السرية خارج برنامج النفط مقابل الغذاء، لكن الضربات الوقائية لم تكن تمثل استراتيجية أمريكية رئيسية تجاه العراق، إلا كأداة ضغط مؤقتة، أو سيناريو طوارئ، فسياسة الإدارة الحالية تتبنى استراتيجية الحرب الشاملة.

لقد تبلورت الفكرة "الاستراتيجية" بفعل حرب أفغانستان، حيث أدى الانهيار السـريع لحركة طالبان، وفرار الملا عمر تحت وطأة الضربات الأمريكية، إلى ظهـور تصور داخل بعض مؤسسات صنع القرار الأمريكية، يشير إلى إمكانية تكرار السيناريو الأفغانى فى العراق ويعتمد هذا السيناريو – بعيداً عن تعقيداته اللاحقـة – على تشكيل حلف عسكرى محدود يتم فى إطاره إرسال قوات برية

أمريكـــية إلى المنطقة، تقوم بالتعاون مع قوات عراقية معارضة (وسط العراق) لإســقاط نظـــام الرئـــيس صدام حسين، تحت مظلة الضربات الجوية التمهيدية المركـــزة ضد أهداف استراتيجية عراقية تتصل بعناصر سيطرة الحكومة على السلطة.

وبدأت أسس ذلك السيناريو تتشكل مع الوقت فى خطوطها العامة، فى ظل تجـــاوز أمـــريكى لـــبعض العقد العسكرية السابقة كعقدة فيتنام، وإدراك واضح لتعقـــيداته الأساسية، فقد وضح أن وزارة الدفاع الأمريكية على استعداد للتفكير فى إرسال أعداد كبيرة من القوات البرية للقيام بتلك العملية، فى ظل تصريحات مـــن جانـــب مسئولين أمريكيين بأن الولايات المتحدة سوف تتقبل مستوى من الخســـائر البشـــرية، كمـــا بدأت تحركات مكثفة للتفاهم حول صيغة تمنع تقسيم العراق، وتتيح حدا من الاستقرار السياسى المتصور، عبر نظام سياسى تعددى، يؤمـــن تواجـــد ذى ثقل للسنة العرب فى النظام الجديد، لكن ظلت عملية تحويل السيناريو الأفغانى إلى خطة عمليات عسكرية محددة تتفاعل مع تعقيدات الحالة العراقية.

## الرؤية الأمريكية لأبعاد التدخل العسكرى.

من المؤكد، فإن الإدارة الأمريكية أملت فى أن يؤدى تدخلها العسكرى فى العراق إلى تحقيق النتائج التى أسفر عنها تدخل الناتو ضد "القيادة الصربية" فى حـــرب كوســـوفو عام ١٩٩٩، أو ما شهده "النموذج الأفغانى" من سقوط لنظام طالـــبان فـــى حرب أفغانستان، لكن هناك عدة نقاط تلقى بظلالها على إمكانية تحقيق ذلك، أهمها:

- لا يوجد يقين بشأن إمكانية تكرار ما حدث من قبل فى حالة العراق، فحرب كوسوفو تماثل فى الأساس حرب تحرير الكويت(١٩٩١)، وقد أدت تداعيات تلـــك الحـــرب إلى سقوط الرئيس اليوجوسلافى الأسبق"ميلوسوفيتش"، على خلفية تعرض جيشه وبنية الدولة الاستراتيجية لتصدعات عميقة، وهو ما لم

يحـدث عام ١٩٩١ لنظام الرئيس العراقى صدام حسين رغم تعرض الجيش وبنية الدولة فى العراق لما يشبه التدمير الكامل بفعل وجود اختلافات ملموسة بيـن طبـيعة النظاميـن السياسيين وآليات السيطرة على السلطة، وأوضاع المعارضة السياسية.

- تمثل حل هذه المشكلة من وجهة النظر الأمريكية فى أن يتم التخطيط بالنسبة للعـراق هـذه المرة بشكل مختلف تماماً عن نمط عمليات حرب الخليج أو حرب كوسوفو، فما سيتم ليس "حرباً" صاروخية، مع حد أدنى من الهجمات الـبرية، وإنمـا عملية تدخل عسكرية شبه تقليدية، تعتمد على توغل القوات لتحقـيق هدف رئيسى هو إسقاط النظام وتصفية أو اعتقال قيادته، إلا أن ما حـدث فى أفغانستان يشير إلى أن الحرب قد لا تحقق أهدافها كاملة حتى فى ظـل ذلك السيناريو، فقد يسقط النظام، لكن قد تتمكن القيادات وفلول القوات مـن الهـرب أو الاختفاء لتتسبب فى زعزعة استقرار النظام الجديد أو عدم سيطرته الكاملة على أراضي الدولة بعد ذلك.

- أشـارت بعـض السـيناريوهات التى تسربت من " البنتاجون" إلى عدد من الصحف الأمريكية على وجود وعى بتلك الاحتمالات أيضاً، فبعض الخطط العسكرية تركز على أن تكون" منطقة تكريت" أحد الأهداف (المهام) المباشرة لأحـد محاور الهجوم البرى، لمنع الالتجاء إليها وضرب المقاومة المحتملة لهـا، كمـا تـتم المراهنة على قدرة بعض فصائل المعارضة المنتمية للسنة العـرب وسط العراق على طمأنة قيادات الجيش بشأن عدم المساس بهم أو الانـتقام منهم حتى لا تتحول مهام وحداتهم من الدفاع عن النظام إلى الدفاع عن نفسها، لكن قد لا تسير التطورات بهذه الصورة أيضاً، لذا كان رأى تيار مؤثـر بيـن المحللين أن فكرة العمل العسكرى الخارجى برمتها تحتاج إلى إعـادة نظـر، وأنه على الأرجح يصعب إسقاط النظام إلا من خلال انقلاب عسكرى من داخل وسط العراق.

- أشارت الجوانب غير العسكرية للتدخل العسكرى إشكاليات تصعب الإحاطة بكـــل أبعادها، بدرجة تضمن إحداث تغيير نهائى فى النظام على نحو يضمن استقرار النظام البديل واستمرار تماسك الدولة، قد تم التفكير فيه بشأن العراق لا يختلف كثيراً عما حدث فى النموذجين اليابانى والألمانى عام ١٩٤٥، من إزاحة للنظام القديم وتصفية أو محاكمة قيادلته، مع إحلال نظام جديد مختلف.
- كما كان هناك محاذير عديدة تحيط بالكيفية التى سيتم التعامل بها مع مؤسسة عسكرية ضخمة سوف تتفكك، وحزب واحد مسيطر (البعث) لن يجد له مكاناً أوســع ممــا أتيح فى روسيا الاتحادية للحزب الشيوعتى السوفيتى، وفصائل معارضـــة متـــناحرة قـــد تتسبب فى حالة عدم استقرار أو عودة الانقلابات العســـكرية، مـــع احـــتمالات تصـــاعد الميول الانفصالية لدى الأكراد الذين يمارســـون الحكـــم الذاتى فى مناطقهم عبر عقد من الزمان، أو تنامى نفوذ الـــدول المجـــاورة، كإيـــران وتركيا وبعض الدول العربية، داخل العراق، والكيفية التى سيتم بها توفير التمويل الكافى لإعادة تأهيل الاقتصاد والمجتمع والبنية الأساسية فى العراق.

كمـــا أشـــارت الدراسات والاتصالات التى تجرى بين الولايات المتحدة ومخـــتلف الأطـــراف الإقليمية و"العراقية" بهذا الشأن إلى بدايات لاستقرار بعض التصورات الخاصة بعراق ما بعد الحرب التالية، على نحو يتصور أنه قـــد يحـــافظ على استقرار النظام وتكامل الدولة، ويوفر تمويلاً كافياً لإعادة تأهيل العراق، لكن الواقع هو أن المحدد الرئيسى لما قد يتم فعلياً هو رد فعل الشـــعب العراقى إزاء التدخل العسكرى، وسقوط النظام، وعلى أى حال يبدو أن هذه الإشكاليات برمتها لم تشكل عائقاً أمام التدخل العسكرى الأمريكى إذا مـــا تم التوصل إلى صيغة ملائمة للعمليات العسكرية الميدانية، فما حدث فى أفغانستان يشير إلى أن الولايات المتحدة قد تتقدم نحو حروب ليس لديها يقين حول نتائجها.

## خامساً : تأثيرات المعارضة الدولية على الحرب ضد العراق

فبرغم أن التصعيد الأمريكى إزاء العراق كاد يتجه إلى حافة الهاوية، فإن الولايـــات المتحدة قد جوبهت فى الأيام القلائل قبل الحرب بحزمة من المواقف المـــناوئة، أو علـــى الأقل فى إحباط سياستها تجاه المنطقة، واتضح هذا بعد أن اســـتعاد مجلـــس الأمن المبادرة استناداً إلى تقرير لجنة المفتشين برئاسة هانز بلـــيكس وبيان محمد البرادعى رئيس الوكالة الدولية للطاقة الذرية الذى ألقاه فى المجلس والذى يكاد يثبت خلو ساحة العراق من أسلحة الدمار الشامل فضلاً عن الإقرار بتعاون العراق التام مع لجان التفتيش طبقاً للقرار ١٤٤١[٩].

**بالطـــبع لايمكـــن أن نتجاهل أو نحدد الدور الألمانى الفرنسى فى مجلس الأمن والدور الألمانى الفرنسى البلجيكى فى حلف الناتو**، والذى يمكن أن ننظر إلـــيه علـــى أنـــه المطـــرقة الأولى التى تم بها تكييل الضربات لحائط الحرب الأمريكى، ولعل معظمنا قد لمس وشاهد جلسة البوندستاج الألمانى، والذى دافع خلالـــه المستشـــار الألمـــانى جـــيرهارد شرودر ووزير خارجيته يوشكا فيشر بإصـــرار عن موقفهما المناوئ للمخططات الأمريكية، ضاربين عرض الحائط بالمســـاومات والاســـتفزازات الأمريكية التى تراوحت بين التهديد بعدم إشراك ألمانـــيا فى خطة إعمار العراق ما بعد الحرب إلى وضع ألمانيا فى خانة الدول المـــناوئة للولايـــات المـــتحدة مثلها مثل كوبا وليبيا على حد تصريحات وزير الخارجية الأمريكية كولن باول.

**فقـــد مهـــدت الجلسة الأخيرة لمجلس الأمن لفتح عدة ثقوب وثغرات فى جـــدار الهيمـــنة الأمريكية**، وتمثل ذلك فى موقف كل من روسيا والصين الذى أشـــاد بـــتعاون العراق وطالب باستمرار عمل ووجود المفتشين الذي من شأن وجودهم داخل الأراضى العراقية أن يقلل من احتمالات الحرب ولو على المدى القريب.

أمـــا علـــى ســـاحة الحليف البريطانى فقد واجه رئيس الوزراء تونى بلير عاصـــفة من الاحتجاجات تمثلت فى أكبر مظاهرة شهدتها بريطانيا فى تاريخها حيـــث تظاهر مليون بريطانى منددين بالحرب وبسياسة بلير، وهو الأمر الذى ســـيكون له أثـــر كبير فى تهديد مستقبل بلير السياسى إذا مضى فيما هو عازم علـــيه، بـــل إن أثر هذه المظاهرات قد أتت ثمارها فى الحال، ففى الوقت الذى تظاهر فيه البريطانيون كان بلير يلقى كلمته فى مؤتمر الربيع لحزب العمال فى مديـــنة جلاســـجو البريطانـــية ويلمح فيه بأنه سيتحرك فى إطار الأمم المتحدة محـــاولاً تهدئـــة الشارع البريطانى على عكس النبرة التى كان يتحدث بها فى الســـابق وقد وصلت المعارضة إلى قلب الحكومة البريطانية نفسها بالاستقالة أو التهديد بها من بعض الوزراء بجانب المعارضة الشديدة فى البرلمان علاوة على نتائج الاستفتاء للرأى العام التى تشير إلى انخفاض شعبية بلير إلى درجة كبيرة.

**ممـــا لاشـــك فيه أن الإدارة الأمريكية الحالية فى إطار سياسة التخبط قد فتحـــت على نفسها بابا يصعب إغلاقه إلا عن طريق تقديم تنازلات** من طرفها للتخفيف من حدة الأزمة فى شبه الجزيرة الكورية خاصة بعد إعلان كوريا عن أحقيـــتها فـــى توجـــيه ضربات نووية ضد الأهداف والمدن الأمريكية رداً على الـــتهديد الأمـــريكى بتوجيه ضربات وقائية ضد كوريا الشمالية، مما حدا بدول الجوار الإقليمى مثل كوريا الجنوبية. واليابان والصين إلى التدخل بالضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لصالح كوريا الشمالية بالرغم من بعض التصرفات الاستفزازية الكورية كإجراء تجارب لصواريخ بعيدة المدى تؤكد أنها قادرة على تهديـــد الساحل الغربي الأمريكي فى الوقت الذي ترفض فيه عودة المفتشين أو إيقـــاف نشـــاطها الـــنووى وهذا زاد من حرج وضعف الموقف الأمريكي إزاء العراق.

**إن التصـــعيد الأمـــريكى تجاه كوريا مثل إرباكاً وتشتيتاً للجهود الأمريكية تجـــاه العراق والشرق الأوسط**، وأضاف إلى ذلك هذا الانفراج الأوروبى تجاه العراق المتمثل فى زيارة المبعوثين الأوروبيين إلى بغداد وزيارة طارق عزيز

نائب رئيس الوزراء العراقى ولقائه مع بابا الفاتيكان فضلاً عن لقائه بوزير الخارجية الإيطالى والمسئولين الإيطاليين فى روما، وهى تعد أول زيارة لمسئول عراقى لدولة أوروبية منذ نهاية حرب الخليج الثانية، وقد تحمل هذه الزيارة بعداً إضافياً خاصة إذا نظرنا إلى إيطاليا على أنها من ضمن الدول الحليفة للولايات المتحدة فى حملتها على العراق.

على مستوى رد الفعل الأمريكى تجاه الموقف الدولى المناوئ لمخططاتها وأهدافها جاء تصريح كولن باول الأخير فى تعقيبه على تقرير لجان المفتشين بأن الولايات المتحدة ستنتظر إلى أيام أو أسابيع لترى ما يمكن أن تحرزه لجان التفتيش من تقدم، وبالطبع لم تكن الولايات المتحدة لتعلن مثل ذلك دون وجود الضغوط والعوامل السابقة التى أشرنا إليها، خاصة أن تصريح باول قد جاء بعد يومين من تصريح وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد الذى هدد فيه باستخدام الأسلحة النووية ضد العراق مما شكل تغييراً نسبياً فى التفاؤل الأمريكى للأزمة رغم أن تهديد رامسفيلد باستخدام الأسلحة النووية ضد العراق هو دليل ضعف أكثر من كونه دليل قوة.

بقى أن نشير إلى استطلاع للرأى أجرته مجلة التايم الأمريكية أخذت فيه آراء ٣٢٠ ألف شخص رأى ٧% منهم أن كوريا الشمالية هى الخطر الذى يهدد حالة السلم الدولى، و٨% رأوا أن العراق هو الذى يهدد السلم والأمن الدوليين إلا أن المفاجأة تمثلت فى أن ٨٤% ممن أجرى استطلاع آرائهم يرون أن الولايات المتحدة هى التى تهدد السلم والأمن الدوليين، وقد جاء تقرير بليكس والبرادعى ليعززا هذا الاتجاه، فالمفتشون كما أورد التقرير يذهبون ويعملون بحرية ويقابلون من يشاؤون، ومجلس الأمن لايرى ضرورة لإصدار قرار جديد وبالتالى فإن أمريكا وفقاً لهذا المعيار هى الخارج عن القانون وعن الشرعية الدولية.

إن المجتمع الدولى قد بدأ يتحرك تحركاً إيجابياً فى وجه آلة الحرب الأمريكية، والحائط الأمريكى قد ينتهى إلى التصدع بعد مزيد من الثقوب

والثغرات سواء على المستوى الرسمى أو المستوى الشعبى، وهنا يجب التنويه أخـيراً إلى الحملة الشعبية الأوروبية الأمريكية لتكوين حائط مضاد من الدروع البشـرية، التى بدأت تتوافد على بغداد يوماً بعد يوم، ناهيك عن معارضة قطاع كبـير من الشعب الأمريكى لسياسة بوش الابن كل هذه المؤشرات قد تدعو إلى التفاؤل وتشير إلى أن الأمور لم تفلت بعد.

وقد يكون التراجع الأمريكى من قبيل المناورة بما جعله تراجعا تكتيكياً لا يؤثـر على إصرار الإدارة الأمريكية عن شن الضربة العسكرية ضد العراق، ولكن هناك ردود فعل لكلمة كولين باول فى مجلس الأمن هامة حيث تشير ردود الفعـل هـذه فـى مجلس الأمن إلى وجود معارضة للموقف الأمريكى الداعى للحرب ضد العراق وهى دلالة صحية على أن المجتمع الدولى استيقظ وسيكون له دور فاعل فى الأزمة.

فقـد شـاهد الملايين وزير خارجية أمريكا كولين باول وهو يطوى بيانه المكتوب فى جلسة مجلس الأمن التاريخية يوم الجمعة ١٤ فبراير ٢٠٠٣ وينحيه جانـباً ويـرتجل كلمة أخرى أكثر اعتدالاً مما كان فى الكلمة المعدة سلفاً والتى كان محتواها معروفاً للجميع من خلال التصريح العلنى الواضح والصريح[١٠].

لقـد كانـت لحظة فارقة فى التاريخ.. فهى تعنى أن وزير خارجية القطب العـالمى الواحـد، عندما أخذ معه بيانه المكتوب وهو يدخل مجلس الأمن، كان يظـن حـتى اللحظة الأخيرة أن المواقف ستتغير، وهى تعنى أن التنسيق داخل الـتحالف الغـربى ونتيجـته ظلت خافية على "زعيمة" هذا التحالف حتى بدء الجلسة.. لقد بدت الولايات المتحدة وحيدة وهى فى أوج قوتها، فلأول مرة تجد الولايات المتحدة نفسها فى جانب بينما غالبية الدول الدائمة فى مجلس الأمن فى الجانـب الآخر، كثيراً ما حدث هذا الموقف للسوفيت إلا أنها المرة الأولى التى تواجه الولايات المتحدة هذا الموقف.

ولأول مـــرة يشـــيح وزيـــر خارجـــية ألمانيا فيشر فى وجه وزير الدفاع الأمـــريكى، أثـــناء الاجـــتماع الأمـــنى فـــى برلين، ويصيح علنا أمام عدسات التلـــيفزيون قائلاً: " آسف فلم أقتنع.. آسف فهذه مشكلتى أننى لم أقتنع بأن هناك مـــا يـــبرر الحرب".. ولأول مرة تلمح فرنسا بالفيتو فى مجلس الأمن وتهدد به روسيا وتستخدمه كل من ألمانيا وفرنسا وبلجيكا فى إطار حلف الأطلنطى.

لقد وصف فلاديمير بوتين الموقف العالمى بأنه بداية بزوغ النظام العالمى الجديد المتعدد الأقطاب.. وأضاف، وما كان لهذا النظام أن يبزغ إلا من باريس، فلو خرج هذا التحرك من موسكو لاتهمنا بأننا نعيد سيناريوهات الحرب الباردة القديمة، وفى اعتقادي بأننا نشهد بداية انحسار الروابط الأطلسية وأن التردد بين أوروبـــا الأطلســـية وأوروبا الأوروبية قد حسم لصالح أوروبا الأوروبية ولكن ليســـت أوروبا القديمة كما يعنيها وزير دفاع أمريكا ولكن أوروبا الحكيمة التى تعـــى أبعـــاد مصـــالحها الحقيقية وتعلم أن شظايا الشرق الأوسط التى ستخلفها الحـــرب لن تعبر الأطلنطى غرباً ولكنها، تسقط فوق رؤوسها، ستخبو الأطلسية ولكن إلى حين، وهذا الحين هو عندما يكتمل نمو المارد الصينى، فعندئذ ستعود أوروبا أطلسية مرة أخرى.. أما على المدى المنظور فسنشهد مزيداً من استقلال القرار الأوروبى عن أمريكا ومزيداً من التقارب الروسى – الأوروبى، لقد دقت أوروبـــا نـــاقوس الاستيقاظ أو "نوبة صحيان" بلغة الجيش.. وانتبه العالم وأخذ يراجع نفسه.. لقد كان الظن أن الميدان خلا لأمريكا تفعل به ما تشاء وما لم تشأ لا تفعل، ولكن هذه الأزمة أوضحت الكثير لقد وضعت الإدارة الأمريكية نفسها فـــى مـــأزق خطير، لعل أخطر ما فيه أنها سدت أبواب التراجع أمامها، وهناك العـــبارات المشـــهورة للرئـــيس بوش مثل لقد انتهت اللعبة ومثل عبارة Zero TolerQnce والـــتى يمكن ترجمتها بأنها " درجة تحملنا لصدام حسين قد بلغت الصفر"..

وواضـــح أن تونى بلير فى ورطة لا يعرف كيف سيخرج منها فهو يمثل الأقلـــية بيـــن شعبه وفى حزبه بل وفى مجلس وزرائه.. لذلك فإن الخطر يأتى

حالـــياً من هذه الورطة التى أحاطت بحلف بوش/ بلير والتى لن يجدوا مخرجاً منها إلا بالحرب ليس دفاعاً عن المبادئ أو إنقاذاً للعالم من الإرهاب ولكن دفاعاً عن المصداقية.

إن الأمـــم المـــتحدة ومنظمات الإغاثة الإنسانية استعدت لنشر الخيام ودفن الجثث وإيواء الفارين من المدنيين من جحيم الحرب التكنولوجية الحديثة وإطعام الجائعيـــن وعلاج المصابين.. مع استعدادها لمد يدها للمانحين استجداء لتمويل هذه العمليات، كل ذلك من أجل الحفاظ على مصداقية السيدين بوش وبلير.

لقـــد أقامت الأمم المتحدة فى العراق نظاماً للتفتيش والرقابة الدائمة لانظير لـــه فـــى التاريخ وأصبحت أرض العراق وسماؤه ومياهه مفتوحة أمام التفتيش الدولى فى أى لحظة ودون إعلام السلطات العراقية مسبقاً بما فى ذلك القصور الرئاســـية كما وافق العراق على فتح سمائه بأكملها لطائرات التجسس الأمريكى وأضـــفت الأمم المتحدة الشرعية الدولية على ذلك. فأى مصداقية ستبقى للرئيس بوش فى حربه بعد كل ذلك. فى الاعتقاد أن طارق عزيز كان محقاً عندما قال إن الولايات المتحدة تخشى من إعطاء مزيد من الوقت للمفتشين خشية أن يعلنوا خلو العراق من أسلحة الدمار الشامل...

وأخـــيراً ويـــبقى القـــول بأن قرار مجلس الأمن بنزع أسلحة العراق كان يتضمن فقرة تشير إلى أن تلك ستكون الخطوة الأولى نحو إخلاء منطقة الشرق الأوســـط بأكملها من أسلحة الدمار الشامل، فهل ترى لهذه الفقرة أثراً؟. لقد بدا واضـــحاً أن مؤتمر القمة العربى والإسلامى قد أخذ الخط وأصدر قراراته التى تمثل مبادئ أخلاقية لإدارة الأزمة والتوجه نحو العقلانية والمنطقية من أن خلو مـــنطقة الشـــرق الأوســـط هـــدف ومطلب استراتيجي يستثنى منه إسرائيل مع ضرورة نزع فتيل الحرب والأخذ بحل سياسى سلمى لتحقيق الاستقرار والأمن ولـــيس الحرب التى تؤدى إلى فوضى وعدم استقرار أمنى للمنطقة، إن التقارب العـــربى الأوروبـــى مثل ركيزة أساسية فى وجود معارضة قوية لقرار الحرب الأمـــريكى/ الـــبريطانى، ولازالت فى حقيبة السياسيين الكثير لإخراجه من هذه

المعـــركة السياســـية المحتدمة بين مدرسة مؤيدة للحرب ومدرسة مؤيدة للسلام حتى بعد غزو العراق.

إن الولايـــات المتحدة الأمريكية أثناء التمهيد السياسي للحرب نهجت منهجا له تداعياته على الموقف الدولي ينحصر فى الآتي :-

- لو فقدت المنظمة الدولية أهميتها ربما يقودها إلى مصير لا يختلف عما حدث لعصـــبة الأمم. وهذا سيكون له آثاره على تفكك المجتمع الدولي الذي كانت تحمـــيه الأمـــم المتحدة وتحدث انقسامات فى المجتمع الدولي تهدد باشتعال حروب أخرى حيث سيزداد التنافس على المصالح دون قيود لاستخدام القوة.
- إن الانقســـام العـــالمى يـــأتى متزامنا مع ضياع حدود الأمن الذى كان يمنع استخدام الأسلحة النووية وما يترتب عليها من انتشار الدمار فى العالم ولن يكون هناك من يستطيع إيقاف نزعة الشر فى استخدام الأسلحة ذات الدمار الشامل.
- إن اختلاف المعايير فى الأزمات يؤدى إلى ضياع الحقوق والشرعية وتطلق الرغـــبة فى استخدام القوة على أقصى حدود بما لا يمكن من السيطرة على الأزمات. فالعراق وما يتهم به من امتلاك أسلحة الدمار الشامل يأخذ أولوية عـــن مصـــير القضية الفلسطينية ويلقى بها فى ظلال قاتمة مما يؤدى إلى عواقـــب وخيمة تتمثل فى استمرار إبادة شعب ومساندة المعتدى الذى يملك أسلحة دمار شامل ويهدد باستخدامها ويمتلئ غطرسة بقوة تفجر أي محاذير وقيود أمنية على المنطقة.
- إن النوايا الأمريكية من نشر قواتها بهذا الحجم الضخم فى منطقة الخليج ذات الـــثروة البترولـــية ومســـرح العمليات المستقبلية ما بين الولايات المتحدة الأمريكـــية والصـــين ممـــا يعنى دمار المنطقة التى تحوى الطاقة اللازمة للصـــناعات بما يؤدى إلى خلل فى توازنات القوى فى ظل ضياع الاحتكام إلى القانون الدولى.

- إن السلوك الأمريكي من منطق غطرسة القوة لم يعد يبالي بما لأوروبا من أهمية بالغة مستخدما سياسة سلطوية على حلف الناتو ليكون آخر آليات السياسة الأمريكية فى مجابهة الصين ومن أنه لا يعير التفاتا لمصالح أوروبا الغربية وهى الدول المؤسسة لحلف الناتو. وما قد يترتب عليه انقسام ما بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الأوربيين. وقد يؤدى إلى إشعال حرب اقتصادية تؤدى إلى تداعيات متزايدة للأمن والاستقرار العالميين.

- ان السلوك الأمريكي ونواياه سيفقد مساندة من دول وإن كان ظاهرها أنها ضعيفة وخاصة الدول العربية بمنطقة الشرق الأوسط – وأنها قد تقبل السياسة الأمريكية للتحكم فى المنطقة وجعلها مسرحا للعمليات – إلا أن هذا الضعف قد يتحول إلى يأس يؤدى إلى انفجارات لحركات مقاومة للوجود الأمريكي يعرض الأهداف الأمريكية لعمليات تدمير أو تهديد ناجمة عن كراهية شديدة للولايات المتحدة الأمريكية ويتحول الضعيف إلى قوة باطشة. وإذا تنامت المعارضة الأوروبية والعربية واتحدتا فى مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية وقد يحدث تعاونا مع الصين وروسيا وهذا يعنى تغير القطبية الأمريكية وتغير فى النظام الدولي إلى تعددية قطبية لن تسمح للولايات المتحدة الأمريكية بأن تكون القوة الوحيدة الفاعلة فى النظام الدولي بما قد يؤدى إلى عزلتها وانهيار اقتصادها المبني على الجات وفى ذيل هذا الانهيار الأمريكي ستنهار الأمم المتحدة. إن السياسة الأمريكية التى كانت مطبقة فى عهد دلاس وزير خارجيتها فى الخمسينيات: وهل هى سياسة تصلح فى هذا العصر الذى قد يقود إلى فترة جديدة صاعدة آسيوية ممثلة فى الصين واليابان؟.

## العمل العسكرى وتحديات المواجهة

إن خطة العمليات التى يمكن أن تحقق الهدف الرئيسى للهجوم، والأوضاع السياسية المترتبة عليها، قد شكلت دائماً عقدة استهداف العراق من جانب

الولايـــات المـــتحدة فالعملية كانت تهدف إلى إسقاط نظام سياسى، وعادة ما لا توجـــد خطـــة يمكـــن التيقن من أنها ستحقق هذا الهدف، أو من حجم الخسائر العســـكرية والسياسية التى قد تسفر عنها، خاصة وأنه لا يمكن التراجع عن هذا الهـــدف إذا مـــا بـــدأت الحرب وإلا اعتبر ذلك هزيمة وهو ما لم تتراجع عنه الولايات المتحدة.

ولا توجـــد جـــدوى حقيقية من محاولة استكشاف ملامح الخطة التى ستنفذ فعـــلاً مـــن بيـــن سيل الخطط التى يتم نشرها، أحياناً فى إطار سياسة مقصودة تهدف إلى الخداع أو إرباك الطرف الآخر أو أمن العملية، ليس فقط لاعتبارات السرية المعتادة، لكن لأن مثل هذه المعارك قد لا تسير أبداً وفق ما يتم التخطيط لهـــا، ســـواء فى بدايتها، فسوف تفرض المواقف الطارئة تعديلات جوهرية فى مســـار الحرب، لكن يمكن الإشارة على بعض الإشكاليات التى سيكون على أى خطة عسكرية أن تتعامل معها:

١ -صعوبة تنفيذ المهمة فالمهمة الأساسية تتمثل فى إسقاط النظام السياسى فى العـــراق، وتتمـــثل المشكلة الأولى فى أنه لا توجد "مفاهيم عملياتية" محددة يمكن من خلالها استهداف النظام السياسى دون تدمير بنية الدولة، وقد تمت الإشارة بالفعل إلى خطة تركز على ضرب قصور الرئاسة ومراكز القيادة، مع تجنب استهداف البنية التحتية، والوحدات العسكرية إذا لزمت مواقعها، لكن لا يوجد ما يضمن عدم اتساع العمليات لتشمل قائمة أهداف إضافية مع الوقـــت والواقـــع أن أساس تلك الخطة هو أن النظام العراقى يشبه "هرماً مقلوبـــاً" إذا تخلخلـــت القمة سوف ينهار، وبالتالي تمت المراهنة على أن مؤسسات النظام (بما فيها القوات المسلحة) قد تغير ولاءها بشكل سريع إذا وضح أن الرئيس العراقى ودائرة القيادة الضيقة حوله قد أصيبت بالشلل، أو تمت تصفيتها.

٢ –مشـــكلة المواجهـــة مـــع الجيش العراقى، فحسب تقديرات تقرير الميزان العسكرى السنوى (٢٠٠١ – ٢٠٠٢) للمعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن، تتمثل عناصر القوة العسكرية الرئيسية الحالية.

إنـــه بالـــرغم من أن الجيش العراقى لا يتجاوز نصف حجمه خلال حرب الخليج ١٩٩١، كما أن أغلب وحداته تفتقر إلى المعدات المتطورة وقطع الغيار وبـــرامج الصيانة، إلا أن انتشار وحداته فى أنحاء الدولة، والتسليح الجيد لقوات الحرس الجمهورى فى ظل حرب تعتمد فى الأساس على تدخل عسكرى برى، يمكن أن يحدث خسائر واسعة فى صفوف القوات المهاجمة، ويطيل أمد الحرب خاصة إذا تم استدراج القوات الأمريكية إلى حرب مدن.

وأشارت الخطط العسكرية المنشورة على أنه سيتم التعامل مع هذه المشكلة بأسلوبين: أولهما، عسكرى يرتبط بتوجيه ضربات جوية وصاروخية مكثفة إلى مـــناطق حشـــد وتمركز قوات الحرس الجمهورى لتكبيدها خسائر تخرجها من المعركة مبكراً، أو تؤدى إلى إرهاقها، وثانيها محاولة استمالة تلك القوات، بعدم مهاجمـــة التشكيلات العسكرية التى لا تقوم بنشر وحداتها أو تحريكها، مع قيام "المعارضـــة العراقية" بإجراء اتصالات مع قياداتها لدفعها نحو "تحويل الولاء" والانضـــمام إلـــى المعارضة، أو التمرد ضد النظام، فهناك تصور بأن الجيش العـــراقى لـــن يخـــوض معركة حقيقية (وسوف تحتاج معركة سقوط بغداد إلى دراسة خاصة!!).

كـــان مـــن المحـــتمل أن ردود الأفعال العسكرية للحكومة العراقية سوف تخـــتلف عمـــا قامـــت بـــه خلال حرب الخليج ١٩٩١، إذ أن الحرب المحتملة تهـــدد"حـــياة" القـــيادات العراقية ذاتها، وليس فقط قوات تأمين العناصر القيادية العراقـــية وبالتالي صورت الحملة الإعلامية والنفسية أن القيادات سوف تستخدم كـــل مـــا لديها من قدرات عسكرية بعيداً عن تلك الحسابات التى منعت تحميل الصـــواريخ أرض – أرض بذخائر كيماوية فى الحرب الماضية، فتدفع القيادات السياســـية نحـــو خـــيار الاستسلام أو الموت، وأشارت خطط عمليات الحرب

المحـــتملة إلى أن وزارة الدفاع الأمريكية كانت تتحسب فى الأساس لاحتمالات اســـتخدام العـــراق أسلحة تدمير شامل كيماوية وبيولوجية، وفى هذا الإطار تم تـــزويد القوات بمعدات الوقاية من تأثيراتها، والتخطيط لشن العملية فى توقيتات زمنية لا تؤدى إلى إرهاق تلك "القوات الثقيلة"، مع ضم القوات الخاصة" إلى قوة عملـــيات الاستخبارات المركزية للقيام بعمليات استطلاع وتدمير سريعة لوسائل إطلاق ومخازن تلك الأسلحة، ووضع أولوية قصوى عند بداية العمليات لقصف أى هـــدف يشـــتبه أنه يرتبط بأسلحة التدمير الشامل، مع تكثيف الحملة الجوية بصورة لاتتيح للقوات العراقية توجيه ضربات مكثفة بتلك الأسلحة.

هكذا، يبدو فى النهاية أن "خطة العمليات" للحرب ضد العراق كان عليها أن تتســـم بدرجة من التعقيد الذى يصعب معه اتخاذ قرار بتنفيذها، لكنها بدت أيضاً وكأنهـــا الحل الوحيد لمعضلات الموقف الراهن، فإذا ما تم التأكد بدرجة مقبولة مـــن أنها يمكن أن تحقق الهدف السياسى للحرب، لن يتم الانتظار طويلاً بعدها، وعلى الأرجح سوف تتغير مواقف كثير من الحلفاء الذين يتصورون أن العملية كلهـــا لن تسفر إلا عن ضربة كبيرة أخرى ضد العراق، دون أن تحقق نتائجها، أو أن ثمن تحقيق تلك النتائج سيكون أكبر مما يمكن احتماله فعلى الرغم من أن الحرب أوسع من أن تترك للجنرالات، إلا أن الجنرالات هم الذين يتحكمون هذه المـــرة – فـــيما يبدو – فى المسارات المحتملة للعبة الخطرة التى مورست بين واشـــنطن وبغـــداد، والتى كان لنجاحها أو فشلها على السواء نتائج ذات طابع استراتيجي على الأوضاع القائمة فى الشرق الأوسط.

# الإعداد العسكري للحرب ضد العراق

## تمهيد:

- أولا : القدرات العسكرية الأمريكية فى مسرح العمليات .
- ثانيا : الإعداد العسكري العراقي .
- ثالثا : دور بعض القوى الإقليمية المؤثرة .
  (دول مجلس التعاون الخليجي / تركيا / إسرائيل)
- رابعا : الإعلام والحرب النفسية وهوس الحرب .

---

* أعد هذا الفصل: لواء أ ح / عثمان كامل حسين الخبير الاستراتيجي.
لواء أ ح بحري / محمد يسري قنديل الخبير الاستراتيجي.
لواء أ ح طيار د/ مصطفى إبراهيم الشرقاوى الخبير الاستراتيجي.

## تمهيد:

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن أهدافها الاستراتيجية للحرب ضد العراق وتتمثل فى ثلاثة أهداف "معلنة" وأربعة أهداف "غير معلنة" (حقيقية).

### الأهداف المعلنة:

- امتلاك العراق أسلحة دمار شامل بما يهدد الأمن وما يتطلبه ذلك من تفتيش وتدمير ما يكتشف.
- الصلة بشبكات الإرهاب الدولى وتنظيم القاعدة مما يتطلب التدخل العسكرى للقبض على أعضاء الشبكة الإرهابية الدولية.
- انتهاك حقوق الإنسان.

### الأهداف الحقيقية:

- السيطرة الكاملة على بترول العراق والخليج.
- تغيير السلطة الحاكمة فى العراق وتعيين حكومة موالية للولايات المتحدة.
- ترتيب الأوضاع فى المنطقة بما يخدم الهيمنة الأمريكية على المقدرات فى ظل النظام العالمى الجديد.
- تهدئة الهواجس الأمنية لدى إسرائيل وإزالة أى مصدر لتهديدها، بما يحقق أمنها وضمان تفوقها عسكرياً على جميع جيرانها.

وهذه الأهداف تتناسب مع الأهداف الأمريكية لزعامة عالم يتحرك لإرساء تشكيل نظام عالمى جديد تكون فيه الولايات المتحدة الأمريكية القطب الأوحد بينما يعمل المجتمع الدولى على أن يكون نظاماً متعدد القطبية وهذا ما يفسر ظهور المعارضة الدولية من قبل الدول الكبرى دائمة العضوية فى الأمم المتحدة

حـــتى يـــتحقق إعـــادة تشكيل النظام إلى نظام متعدد القطبية ولكن هناك بعض المحـــددات حيث إنه بالرغم من أن الكثيرين فى الولايات المتحدة وفى الخارج يتعاطفون مع هدف تغيير النظام الحاكم فى العراق ولكنهم يعارضون أن يتم ذلك خلال عمل عسكري متعدد الأطراف ضد العراق أو من جانب الولايات المتحدة فقط ما لم يكن ذلك بموافقة من مجلس الأمن باستخدام القوة.

ولقد ألقى ذلك بظلاله على الإعداد والتخطيط العسكرى للعمليات العسكرية ضـــد العـــراق علـــى القيادة الأمريكية وأبرز عدة مبادئ وخطوط عامة يجب الالتزام بها عند وضع خطط الهجوم وأهمها:

أ- يجـــب أن تكون مدة الحرب أقصر ما يمكن للتخفيف من تأثيرها على الرأى العام العالمي وعلى الدول المعارضة كالدول العربية وبعض الدول الأوروبية وغيرها.

ب- الإقلال ما أمكن من الخسائر البشرية فى قوات التحالف وكذلك فى السكان المدنيين العراقيين.

جـــ- سرعة احتلال الأهداف الحيوية الاستراتيجية وخاصة مناطق آبار البترول ومناطق إنتاجه وكذلك الموانى والمطارات قبل تدميرها.

د- سرعة حصار بغداد وإسقاط النظام العراقي الحاكم والقبض على زعمائه.

هـــ- الاستفادة من العناصر المناوئة للنظام الحاكم فى تسهيل أعمال القتال.

## محددات استخدام أمريكا للقوة العسكرية

مـــا سبق ينقلنا إلى موقف آخر يتعلق بمحددات القوة الأمريكية واستخدامها ضد العراق والقيود التى واجهتها

**القـــيد الأول:** أحـــداث ١١ ســـبتمبر التـــي كانت فرصة للولايات المتحدة الأمريكـــية علـــى أن تقوم بنفسها لتجمع الدول على أنها القوة العظمى الوحيدة والتى لا يستغنى عنها العالم فى حربه ضد الإرهاب، فكان التحالف الدولى خلف

الولايـــات المـــتحدة الأمريكية مؤيداً على أن تكون أفغانستان بداية الحملة على الإرهـــاب، وجـــاءت نـــتائج الحرب فى أفغانستان محدودة لا تتناسب مع حجم الجهود العسكرية والدبلوماسية التى بذلت ولازالت تحت الدراسة، الساحة الثانية فهـــى الســـاحة الفلســـطينية حيث ساندت الولايات المتحدة بشكل مطلق الجهود الإســـرائيلية الهادفـــة إلـــى إرغام الفلسطينيين على قبول التسوية التى ترفضها وبالرغم من كل الإمكانات الأمريكية والإسرائيلية فى مقابل الإمكانات الفلسطينية الضعيفة فقد فشلت إسرائيل فى حملتها. وتعتبر العراق الحالة الثالثة التى فشلت فـــيها الجهود الدبلوماسية والاقتصادية فى تهيئة المناخ المناسب لاستخدام القوة العسكرية حيث إنها تضع استخدام قوتها العسكرية فى مقدمة الأزمة، فأصبحت قيداً على استخدام هذه القوة.

<u>القـــيد الـــثانى</u>، فشـــل الولايات المتحدة الأمريكية فى إقناع النظام العالمي بمـــبررات الحـــرب ضـــد العراق دون الإخلال بالقانون الدولى، وهذا ما جعل حلفاؤهـــا ومعارضـــوها يســـعون إلى عدم استخدام القوة العسكرية، وواجهت المعارضـــة من دولتين: فرنسا وألمانيا، وقد كان تأثير المعارضة قويا وشاملا بحيث تعدى حدود المسألة العراقية ليكون تحدياً للسلوك الأمريكى الإمبراطورى العـــالمى بدءا فى مفهومه أو فى أهدافه حيث أعلن أن هناك رغبة دولية فى أن الهدف إقامة نظام عالمى جديد متعدد القطبية، وعليه فالولايات المتحدة الأمريكية تواجـــه معارضـــة قويـــة تصل إلى أن يشارك فيها كل المعارضة لهذه الحملة الأمريكـــية من منطلق مناهضة للعولمة من خلال العمليات العسكرية المباشرة بدلاً من الهيمنة التكنولوجية والسيطرة التجارية والاقتصادية.

<u>القـــيد الثالث</u>: الذى واجه الولايات المتحدة هو الأمم المتحدة، وتجلى ذلك واضحاً فى أن المفتشين الدوليين جعلوا موقفهم السياسى واضحاً كما أن الموقف الأمـــنى أصبح واضحاً ومعارضا لاستخدام القوة لأنه ضد ميثاق الأمم المتحدة. وقد واجهت الولايات المتحدة الأمريكية موقفاً متشدداً يثبت أن مجلس الأمن ليس أداة طيعة خاضعة للولايات المتحدة الأمريكية وفقدت الولايات المتحدة الأمريكية

المســاندة الدولــية للمســألة العراقية وحرصت المعارضة الدولية على تحقيق مطالبها حتى لا تدخل فى صراع مع القوة العظمى الوحيدة.

القــيد الــرابع: هــناك نقطة هامة أخرى، فقد لاحظت الدول أن الولايات المــتحدة الأمريكية دخلت بقوتها فى أفغانستان وأباحت استخدام أحدث ما لديها من أسلحة لهذا سيكون التدخل مذبحة جديدة للشعب العراقى لا يبررها الأطماع الأمريكــية ولا المصــالح المشروعة، وأصبحت مصدر شك وقلق، كما تلاحظ أيضاً فى تحقيق المصالح الإسرائيلية أمراً قائماً مما يشعر الأمريكيين بالقلق من سياســة حكومــاتهم وبذا فإن المعارضة الأمريكية إنما تهدف إلى منع الحكومة الأمريكية من اتباع سياسة تضر مصالحهم.

من هنا نرى أن الحالة العراقية يجب أن ينظر إليها نظرة أوسع من مجرد أوضاع المنطقة، ليشمل تحليلنا مجمل السلوك الأمريكى وخطر تجاهله المكاسب الإنســانية وعلــى ضــوابط العلاقات الدولية (وقد ثبت أن خريطة العالم يسهل قــراءتها ولكــن يستحيل تغييرها سياسياً ومن رؤيا أمريكية لا تتفق مع الواقع وتــتجاهل الحقــائق، حيــث تسعى القوة العسكرية وحدها إلى اختصار قواعد العلاقات الدولية).

## أولاً: القدرات العسكرية الأمريكية المنتشرة فى مسرح العمليات

أعلنــت الولايات المتحدة الأمريكية عن حشد قواتها استعدادًا للحرب ضد العــراق، وتأتى عملية الحشد والانتشار بصورة علنية على شاشات التليفزيون وعلى صفحات الجرائد والمجلات الأجنبية والعربية فى إطار أكبر حملة دعائية لاســتعراض القــوة وبمــا يمثله ذلك من تأثير نفسى على العراق وعلى الدول الأخــرى وخاصة ما تصفه الولايات المتحدة الأمريكية على أنها دول"مارقة"أو دول تساند الإرهاب، ولزيادة التأثير النفسى تعلن الولايات المتحدة الأمريكية عن تهديداتها إلى دول معينة عربية وغير عربية فتارة تهدد سوريا وتارة تهدد إيران وتارة أخرى تهدد السودان وليبيا، ثم تفتعل أزمة مع كوريا الشمالية وتعلن عن

قدراتها على شن حربين فى وقت واحد كما تعلن عن استخدامها أسلحة متطورة حديـــثة لم يسبق اشتراكها فى حرب سابقة. من هذا المنطلق يمكن القول إن هذه الحرب هي حرب غير متكافئة فى القوى فالعراق ظل فترة ١٣ عاماً يعانى من حصـــار دولى وحظر تسلح مع نقص شديد فى قطع الغيار، مع افتقاره للغطاء الجـــوى، فـــى الوقت الذى تشعر فيه الولايات المتحدة الأمريكية بغطرسة القوة وتعلـــن عن حلفائها وعن قوتها البرية والبحرية والجوية وتسرب سيناريوهات للحرب كلها تؤدى إلى هدف إظهار سلطوية فرض القوة المتفوقة على العراق، كمـــا تعلن الإدارة الأمريكية أنها اتخذت قراراً بإمكانية استخدام الأسلحة النووية إذا ما فكرت العراق في استخدام ما لديها من أسلحة كيماوية وبيولوجية، وحتى تـــتحقق شـــرعية الحـــرب فإنها تتهم العراق بامتلاكه لقدرات نووية وكيماوية وبيولوجـــية وتعلن أنها ستزيل أسلحة الدمار الشامل التى لدى العراق، دون أى إشـــارة إلـــى وجـــوب أن تخفض إسرائيل مما لديها من أسلحة دمار شامل، بل وتهـــدد باستخدامها، كما أن هناك تلميحات وإشارات إلى أن إسرائيل ستستخدم قواتهـــا فى هذه الحرب، وقد قدم العراق أخيرا الكثير من التنازلات مثل تدميره الصـــواريخ "صمود ٢" التكتيكية لكى يتفادى الذرائع الأمريكية التى تؤدي إلى اتخـــاذ قـــرار دولـــى بالموافقة على ضرب العراق، ولم تثن المعارضة الدولية الإدارة الأمريكـــية فـــى الخليج عن الحل العسكرى وإعطاء مهلة أطول لعملية التفتيش على الأسلحة العراقية.

ومن المشاهد أن القيادات العربية الخليجية فى منطقة الخليج قد قدمت تسهيلات عسكرية للقوات الأمريكية قبل أحداث ١١ سبتمبر، وأن الولايات المتحدة تزيد من تعزيزاتها بعد أحداث ١١ سبتمبر واستمرت عملية الانتشار قائمة مستمرة، (الملحق أ يوضح حجم الانتشار لمنطقة الخليج وما جاورها بما يظهر مخاطر أمنية). إن هذا الانتشار له دلالاته الواضحة من أن منطقة الشرق الأوسط قد تصبح مخزنا للسلاح الأمريكي ولا يستبعد أن يكون ضمنه أسلحة نووية، كما يوضح الملحق"ب"قدرات النقل الاستراتيجي الأمريكى إلى منطقة

الحرب. كما يوضح الخطة الزمنية لنقل المعدات، وملاحق أخرى لأبرز الأسلحة التى ستستخدم فى هذه الحرب، وتشير التقديرات الاستراتيجية إلى أن حجم القوات المشتركة فى الحرب ضد العراق سيصل إلى ٣٠٠ ألف جندى، وهذا الحجم لا يتناسب مع القدرات العراقية المحدودة، مع حصول هذه القوات على الكثير من التسهيلات من دول الخليج العربية بحيث تقل فترة استكمال الاستعداد العسكرى والإعداد لهذه الحرب.

كمـــا عـــبر الخـــبراء الأمريكيون عن هواجس إزاء مجموعة واسعة من القضايا الدبلوماسية والقانونية والعسكرية، أهمها:

أن التـــبعات العسكرية لمواجهة جيش عراقي يتألف من حوالي ٤٠٠,٠٠٠ جندي أكبر من أن تخطئها التقديرات، فحتى على افتراض فرار معظم المجندين الإلزاميـــين العراقيـــين بمجرد ظهور أول علامات الغزو، كما فعلوا في حرب الخلـــيج، فهـــذا أمر ليس مؤكداً حيث إنهم سوف يقاتلون فى وطنهم وإنه سوف يتـــبقى هناك ١٠٠,٠٠٠ من الحرس الجمهوري ينبغي مقاتلتهم، وبالإضافة إلى ذلك فان القتال على أرض العراق سوف يعني أن النظام الحالي لن يكون أمامه خيار سوى القتال حتى النهاية وهو شئ سيفعله على الأرجح ومن شأن مثل هذه المقاومـــة العنـــيدة أن ترفع الخسائر الأمريكية في الأرواح خاصة فى المناطق الحضرية.

وبصرف النظر عن مشروعيتها أو عن التأييد الدولى لها، فإن عملية عسكرية من هذا النوع تتطلب قوات برية ضخمة وقصفا جويا واسع النطاق ولكن القصف الجوى سوف يؤدي إلى قتل وجرح أعداد كبيرة من المدنيين الأبرياء وإلى تدمير البنية الأساسية المدنية وكلا الأمرين، إذا أردنا تسميتها بشكل صريح تشكل جرائم حرب كما أن مثل هذه الأعمال سوف يكون لها تأثيرات سلبية ضخمة على مستوى العالم عامة ومنطقة الشرق الأوسط والعالم العربي بشكل خاص.

فـــي وقـــت مـــا في بداية شهر نوفمبر ٢٠٠٢، اعتمد الرئيس بوش خطة الحـــرب أعدهـــا الجنرال تومي فرانكس، قائد القوات الأمريكية في الخليج، تم إعدادهـــا تحـــت إشراف وزير الدفاع دونالد رامسفيلد، وعلى الرغم من اعتماد خطة الحرب، فإنها كانت تخضع لإشارة بدء من جانب الرئيس

تـــتألف الخطة من عدة أجزاء تقضي بالاستخدام التدريجي لقوات تتراوح بين ٢٠٠,٠٠٠ و ٢٥٠,٠٠٠ فرد رغم أنه كان من المتوقع استخدام ١٠٠,٠٠٠ فعليا في القتال، وشمل ذلك العديد من فرق الجيش والبحرية وحاملات للطائرات مـــن الأســـطول الخـــامس والسادس والسابع والعديد من أجنحة القوات الجوية وتتضـــمن الخطة أيضا قوات برية من المملكة المتحدة تقدر بعدة آلاف، بما فى ذلك الدعم الجوي، وقوات أخرى من حلفاء الناتو (حتى لو كانت رمزية)

تكوين قوة عسكرية أمريكية ليس أمراً معقداً أو صعباً كما كان من قبل فى حـــرب الخلـــيج الثانـــية وهناك بالفعل معدات موضوعة مسبقا في مواقعها في المملكـــة العربية السعودية والكويت والبحرين وتركيا منذ حرب الخليج في عام ١٩٩٠-١٩٩١، كما أن تخزين المعدات الاحتياطية تم بشكل متزايد منذ سبتمبر ٢٠٠٢ بما في ذلك معدات عسكرية وأسلحة، تموينات طبية، ووقود، وتموينات غذائـــية. كما أن القوات المتمركزة مسبقا في وحول تلك الدول تقدر بـــ ٥٠٠٠ في الكويت، ٥٠٠٠ في السعودية، ٣٠٠٠ في قطر من أفراد الجيش والبحرية، والقـــوات الجويـــة فـــي البحرين وفي البحر وفي الخليج العربي وما يقدر بـــ ١٥,٠٠٠ من القوات في تركيا (قوات العمليات الخاصة وأفراد القوات الجوية) وقدرت مجموع القوات الأمريكية المتمركزة في شهر نوفمبر ٢٠٠٢ بما يتراوح بين ٥٠,٠٠٠ و ٦٠,٠٠٠.

إن المعلومات التي تسربت عن الخطة الأمريكية للهجوم على العراق أفادت بـــأن الحملة الجوية ستكون لمدة تقل عن شهر (الحملة الجوية في حرب الخليج اســـتمرت ٣٧ يوما) وخلافا لحرب الخليج والتي كان ٩% فقط من الصواريخ والقـــنابل فـــيها ذكـــية نصت الخطط الحالية باستخدام"أسلحة ذكية"بنسبة ٦٠%

وضمن ذلك استخدام طائرات البحرية والقوات الجوية، وقاذفات قنابل بي ١ (كل منها تحمل نفس الأسلحة) وقد تم تحديد الأهداف فعلاً على أساس صور التقطت بالأقمار الصناعية تشمل المقار العسكرية ومواقع الدفاع الجوي والقيادة والمراقبة وأهداف استراتيجية أخرى مثل المرافق الكهربائية والكباري ومنشآت أخرى حيوية لحياة المدنيين، وكان من المتوقع أن يؤدي القصف الأكثر كفاءة من خلال استخدام نسبة أعلى من الأسلحة الموجهة بدقة إلى خفض العدد الإجمالي للطائرات اللازمة وسوف تتم العملية الجوية في المقام الأول من قواعد جوية أنشئت حديثا منها قاعدة العديد بالقرب من العاصمة الدوحة وكذلك من حاملات طائرات في الخليج العربي تستخدم البحرين كقاعدة.

كما كان من المخطط استمرار القصف الجوي حتى يتم تدمير الأهداف الاستراتيجية والتكتيكية، ولكن لا يؤثر على الجدول الزمني للعمليات الأرضية الذي يبدأ بعضها خلال الأيام الأولى من بدء الهجمات الجوية، أو حتى بالتزامن مع بدء العمليات الجوية واستيلاء القوات المظلية وقوات العمليات الخاصة على المطارات الغربية، وحقول النفط، والعمل داخل العراق لقطع الاتصالات وتحقيق أهداف تكتيكية أخرى.

ومن الصعوبات التي واجهت الأعداء عدم تمكن القوات الأرضية من استخدام بعض أراضي دول الجوار الجغرافي للعراق. فلم تستخدم أراضي المملكة العربية السعودية والأردن المجاورين على الرغم من أن إمكانية الضغط على هاتين الدولتين لتغيير موقفهما مفترضة من قبل الإدارة، ولأن هاتين الدولتين كانتا هامتين لاستخدام القوات البرية طبقا للخطط العسكرية التي اعتمدها الرئيس في نوفمبر ٢٠٠٢ لأن تعاون البحرين وقطر والكويت مضمون رغم تعبير الحكومة التركية الجديدة المنتخبة في نوفمبر عن تحفظات. ورفض البرلمان التركي السماح باستخدام القوات الأمريكية القواعد العسكرية التركية ولكن سمح باستخدام الأجواء التركية لعبور الطائرات ثم العبور المحدود إلى الأراضي العراقية لأغراض إدارية وطبية.

تستخدم الكويت كمنطقة تمركز ودعم للقوات البرية، قوات العمليات الخاصة والقوات البرية الأخرى وكذلك القوات الخاصة التى ستعمل في منطقة كردستان العراقية إذا استمر رفض تركيا، حيث إن مثل هذه القوات البرية المحدودة سوف تستخدم على الأرجح كدعم فقط للقوات الكردية في الشمال والتي من المتوقع أن تهاجم القوات العراقية ولكن الأهم من ذلك استخدام قوات العمليات الخاصة في المنطقة الشمالية في مهام تغلغل عميق متسللة في الأراضي الواقعة تحت سيطرة النظام العراقي لجمع معلومات استخبارية وتوجيه الحرب الجوية وقطع الاتصالات وتعزيز التحكم في حقول النفط في المنطقة الشمالية، إضافة إلى مهام أخرى، ويعتقد بأن قوات العمليات الخاصة موجودة بالفعل في تلك المنطقة.

واعتبارا من شهر سبتمبر، تم تحديد حجم القوات الاحتياطية فيما له علاقة بمهام الحكومة المدنية في العراق المحتل، وتشير التقارير إلى تعبئة بعض هذه القوات في شهر نوفمبر كما تشير التقديرات إلى استدعاء ١٠٠,٠٠٠ من القوات الاحتياطية على أساس تطوعي للخدمة في الجيش والقوات الجوية والبحرية وقوات المارينز واحتياطي حرس الحدود الذين من المتوقع إيفادهم إلى العراق في مهام متخصصة، خاصة الشئون المدنية (الحكومة المدنية، قائد الشرطة العسكرية، ممثل النيابة العامة)، أما مجمل الاحتياطيين وأفراد الحرس الوطني، فقد خطط لاستخدامهم في الولايات المتحدة الأمريكية.

بل إن بعض التقارير أشارت إلى وجود قوات عمليات خاصة في جنوب العراق بدعم من الشيعة المحليين المعارضين لنظام صدام تعمل بنفس الكيفية في المنطقة الجنوبية وللحصول على معلومات استخبارية وتقدير الأهداف وتوفير شبكة اتصالات لتوجيه العمليات الجوية.

كان من المتوقع زيادة قوات العمليات الخاصة التي سوف تؤدي مهام استخبارية ومهام التوغل العميق بعد أن تبدأ العمليات رسمياً ويعتبر ذلك أول حملة أمريكية تتضمن مثل هذا الاعتماد الاستراتيجي والتكتيكي الثقيل على قوات

العمليات الخاصة كجزء أساسي من العملية الشاملة وكان من المخطط إنزال القوات البرية برمائية ومن خلال الإسقاط الجوي في المناطق الجنوبية الشرقية من العراق (الفاو وأم القصر)، ومن ناحية الشمال، كان المفروض قدوم قوات العمليات الخاصة وعناصر من الفرقة العاشرة الجبلية وفرقة"رنجرز"عبر تركيا لدعم الأكراد العراقيين المقدر عددهم بحوالي ٤٠,٠٠٠ في إقليم كردستان العراقي، ولكن ذلك لم يتم. واعتمدت الخطة على الاستخدام المكثف لقوات الملشيات الخاصة التي تتألف من دلتا، وسيل، وفرق الباريه الأخضر "رنجرز" فرق نايت ستالكرز هيلو، وكوماندوز القوات الجوية، وتعد هذه الفرق من بين الأفضل في العالم وتم اختبار تدريبها وكفاءتها القتالية في أفغانستان، وقبل ذلك في حرب الخليج وبنما.

وتم التركيز الأساسي في الحرب البرية على تجنب التورط في القتال داخل المدن من مربع سكني إلى آخر وذلك بهدف ضغط الدفاعات العراقية إلى جيوب معينة لإعطاء القادة العسكريين العراقيين الفرصة للانسحاب من القتال والإقلال من مقاومتهم، وضمان عدم استخدامهم لأسلحة كيماوية وبيولوجية، ويتمثل البعد السياسي لهذا المنهج في إعطاء العسكريين العراقيين وقتا محدودا للحد من المقاومة من خلال تثبيط عمليات ثأرية محتملة قد تؤدي إلى وقوع خسائر جسيمة بين صفوف العسكريين والمدنيين، ويتمثل جزء آخر من هذه الاستراتيجية في إعطاء قوات الحرس الجمهوري الفرصة للتخلي عن القتال والانقلاب على صدام وعلى القوات التي لا تزال على ولائها له. ويصف البنتاجون هذا النهج الاستراتيجي بالنهج الانقلابي للسماح للقوات الأرضية بالمناورة السريعة لمحاصرة وتحييد والقضاء على جيوب المقاومة بحد أدنى من الخسائر.

بنيت الاستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة على تحقيق نصر عسكرى مبدئي من حيث إنه من غير المتوقع أن تتمكن القوات العراقية من التصدي بدفاع قوى ضد هذا الهجوم الأرضي المزدوج في الجنوب والشمال فإذا نجح

ذلـــك، وكان من المتوقع أيضا ظهور سلسلة من ردود الأفعال الداخلية التي قد تـــؤدي طـــبقا لسيناريو الحالة الأفضل، إلى قصر العمليات التي سوف تتم في المـــناطق المدنـــية في المرحلة الثانية على ما لا يزيد على أسبوع واحد ويستند ذلـــك إلى توقع هروب العسكريين والأمل في انقلاب بعض الوحدات العسكرية العراقـــية على صدام والقوات الموالية له، خاصة الحرس الجمهوري والتي تم سحبها ونشرها في بغداد وحولها مع أربع فرق في وحول مدينة تكريت -مسقط رأس صـــدام-. كما خططت الولايات المتحدة أيضا لحملة عمليات سيكولوجية قوية موجهة نحو العسكريين العراقيين والسكان المدنيين، تشير التوقعات إلى أن هذه الحملة المذكورة حققت نتائج مهمة حدت من احتمالات القتال الثقيل ومن ثم مستوى الخسائر وتدمير البنية الأساسية المدنية وتخلى بعض الجنود والوحدات عن القتال والتسليم.

اشـــتملت إحدى خطط الحرب المرتبطة بالإعلام التحكم في وصول وسائل الإعلام إلى مناطق القتال في العراق، فالإعلام لم يسمح له بالوصول إلى مواقع تدمير البنية الأساسية المدنية، ولا إلى المناطق التي يمكن فيها رؤية خسائر في الأرواح بيـــن المدنييـــن وقد استمر ذلك لتجنب احتمالات إثارة الرأي العام ضد الولايـــات المـــتحدة، وقـــد طبقـــت وزارة الدفاع هذه السياسة بشكل فعال على أفغانســـتان، وقيل ذلك على بنما وكان ذلك بطبيعة الحال أكبر درس تعلمته في حـــرب فيتـــنام، ويبدو أن حرية الصحافة والتي ضمنها أول تعديل في الدستور الأمريكـــي أصبحت واقعيا خاضعة للرقابة العسكرية والتعتيم الإعلامي ووصل هـــذا الخطـــر والمنع لوسائل الإعلام عن تغطية بعض العمليات لدرجة ضرب مقاراتهم بالدبابات ووقع ذلك أثناء الهجوم البرى على بغداد.

وكـــان من المتوقع أن يسير القتال بشكل يؤدي إلى سرعة احتلال العراق. لأن حدوث ذلك يؤدى إلى أن تكون ردود الفعل المتوقعة في أنحاء العالم العربي والإسلامي محدودة، وكذلك التهديد المستمر للإرهاب في حين ليس في قدرة أحد التـــنبؤ بـــالأحداث التي سوف تقع إذا طالت هذه الحملة العسكرية، ولكن يصبح

شـــيئاً واحداً مؤكداً وهو أن خطط الولايات المتحدة كانت تفصيلية ودقيقة وتأخذ فـــي الاعتبار مجموعة من الاحتمالات التي تتوفر لها ردود أفعال حاضرة أمثلة ذلـــك التخطـــيط لوضع برنامج تمت محاكاته على استعدادات وتدريب القوات الأرضـــية، ولذلـــك كـــان من غير المحتمل أن تتمكن القوات العراقية الموالية الإتيان بمفاجآت رئيسية للقوات الأمريكية المهاجمة وساعد على ذلك نظم القيادة والســـيطرة المتقدمة جدا خاصة فى الحصول على المعلومات الدقيقة وتوصيلها فـــى الوقت الحقيقي لحدوثها وسرعة تحليلها الشيء الذى ساعد فى سرعة اتخاذ القرار.

أما من ناحية احتمال استخدام العراق لأسلحة التدمير الشامل فلم يعرف أحد ما لدى العراق من أسلحة كيماوية وبيولوجية ولا عدد صواريخ السكود النشطة وما إذا كان يمكن أن تحمل رؤوسا حربية كيماوية أو بيولوجية وقد أطلقت هذه الصـــواريخ على إسرائيل والمملكة العربية السعودية أثناء حرب الخليج في عام ١٩٩١ وكان من الممكن استخدامها ضد القوات الأمريكية إذا توفرت، وخاصة أن النظام سوف يكون بصدد خوض المعركة الأخيرة وأكد الأمريكان على ذلك خاصة وأن أهم أسباب الإعداد لهذه الحرب هو تدمير هذه الأسلحة ولكن وحتى الآن لم يكتشف وجود أى أسلحة من هذا النوع.

وظلت فكرة استخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية من العراقيين أحد ثلاثة أمـــور غير قابلة للتكهن، أما الأمر الثاني هو هل سيستخدم العراق ما تبقى من صواريخ سكود المخبأة ضد إسرائيل؟ وما إذا كانت هذه الصواريخ تحمل أسلحة كـــيماوية أو بيولوجـــية، ولكن بما أن إسرائيل لديها دفاعات صواريخ باتريوت وصواريخ آرو المضادة للصواريخ، فإن الهجوم بصواريخ سكود لن ينجح على الأرجح، أما الأمر الثالث فهو ما إذا كانت قوات العمليات الخاصة سوف تنجح في التحكم في حقول النفط الرئيسية والمنتجة قبل أن تفجرها القوات العراقية وقد نجحت في ذلك وبقيت حقول النفط منتجة ولم تتحقق الآثار الاقتصادية المترتبة على تفجيرها.

وخلاصة القول أنه كان هناك سيناريو لأفضل وأسوأ حالة ولو أن الإدارة الأمريكية تتوقع أن الأفضل هو الذى سوف يتحقق وأن العمليات العسكرية سوف تستمر بين أسبوع وثلاثة أسابيع، محدثة خسائر محدودة في الأرواح بين الأمريكيين والعراقيين، وتداعيات سلبية محدودة في العالمين العربي والإسلامي وقد تحقق هذا السيناريو عدا نسبة أكبر في الخسائر البشرية المدنية العراقية علاوة على هدم جزء من البنية الأساسية للعراق.

## استخدام أسلحة وتكنولوجيا جديدة

لقد أظهرت حرب الخليج الثانية أن ظهور أسلحة جديدة بتكنولوجيات جديدة أصبح يعني قدرات وتكتيكات جديدة في ميدان المعركة، وأن دور التكنولوجيا هو توثيق العلاقات بين القدرات النيرانية للسلاح والقدرة على المناورة بالقوات أى الجمع بين حركة النيران وحركة القوات، وتنطلق سرعة القوات بناء على معرفة ورؤيا واضحة تفصيلية عن أوضاع الخصم، فالمعرفة الحقيقية بتفاصيل المسرح توجه حركة القوات نحو أهدافها لتدمر بقوة النيران مع سرعة الوصول إلى الهدف. إن القدرة العالية على الحركة توجهها وتنجحها المعرفة التفصيلية للمسرح وأماكن الأهداف التى يجب تدميرها بحيث توجه إليها النيران بسرعة وبدقة بما سيحقق سيطرة على كل بقعة من المسرح.

وبناء على الخصائص الجديدة للمعركة الحديثة فإن عملية غزو العراق اعتمدت على السرعة الخاطفة وباشتراك سلاح الجو وسلاح البر مع بداية العمليات الهجومية، وكانت هناك أسلحة جديدة تحت الاختبار منها القنابل العنقودية والصواريخ الشبح وقنابل الميكروويف والقنابل الصوتية بحيث يتحقق مزيج من القصف الجوى المركز والكثيف الهجمات ومن البرية بأسلحة متطورة، وأن الكثافة النيرانية فى الساعات الأولى من الهجوم الخاطف حققت إجهاض أي خطة محتملة عراقية قد تعتمد على أسلحة كيماوية وبيولوجية كما أن القصف الجوى المركز قد منع القوات البرية العراقية من التحرك والوصول

إلـــى أهـــداف لحمايـــتها، ويكون القتال البرى بواسطة مشاة البحرية الأمريكية بالـــتعاون الكـــامل والمستمر مع مجموعات الإبرار الجوى من القوات الخاصة المـــنقولة جـــواً مع سرعة تقدم القوات المدرعة إلى أهداف عراقية ذات كثافة سكانية.

وقـــد كانت باكورة استخدام أسلحة الجو الحديثة تحليق طائرات الاستطلاع الأمريكـــية طـــراز يو – ٢ فوق العراق بحجة تدعيم قدرات البحث عن أسلحة الـــدمـــار الشـــامل، وكانت عمليات المسح تتم أثناء قيام جماعات التفتيش بعملهم المعـــتاد، بيـــنما تـــتحرك طائرات أمريكية وبريطانية تقصف مواقع الرادارات العراقـــية باســـتخدام أســـلحة موجهة عن بعد وذلك عندما تتحرك وحدة رادار عراقـــية مـــن موقعها إلى موقع آخر فى المنطقة المحظورة حتى لا يشكل هذا الموقـــع تهديداً لتحليق طائرات الاستطلاع الجوى الأمريكى أثناء الهجوم على العراق.

وبالنســـبة إلى استخدام أسلحة جديدة لم تستخدم من قبل فإن استخدام قنابل خارقـــة حارقـــة لتدمير الأسلحة المحظورة، وذلك بقصف مستودعات الأسلحة الكـــيماوية والبيولوجـــية حيـــث تقوم القذائف بحرق المكونات المحظورة داخل القذائـــف ورؤوس الصواريخ دون أن تسمح بتسرب الجمرة القاتلة إلى الخارج، أمـــا الصواريخ والقنابل (GDIM) فهي تولد موجات كهرومغناطيسية وتستخدم لتدمير شبكات الاتصالات الإلكترونية وكابلات الألياف الصناعية وجميع أجهزة الكمبـــيوتر وبالتالـــي تكون قادرة لشل مراكز القيادة والسيطرة ووسائل الدفاع الجوى ووسائل الاتصال أيضا.

كمـــا تـــم استخدام الصواريخ الشبح وهو نوع جديد من أسلحة الجو يتعذر رصـــده رادارياً ويتم توجيهه نحو أهداف الخصم من خلال الأقمار الصناعية ومـــداه يصـــل إلـــي ٣٢٠ كـــيلو متر ويمكن أن يصيب الهدف بدقة. ويجهز الصـــاروخ بجهاز تعقب حرارى لتمييز الأهداف التى تم التقاط صورها فى ذاكرة إلكترونية،كما تم تطوير الصواريخ بعيدة المدى كروز توماهوك التى استخدمت

فى حرب الخليج ليصل مداها إلى ١٦٠٠ كم مع زيادة دقتها. وقد تم تزويد فرق مشـــاة البحرية الأمريكية بأجهزة من سلاح "عين التنين" وهو عبارة عن طائرة صـــغيرة بـــدون طـــيار بحجم طائر جارح متوسط الجسم ويلتقط صورا ويبثها لاسلكياً إلى أفراد الوحدة على أجهزة كمبيوتر محمولة حيث يمكن رؤية أهداف الخصـــم خلف الجبال والوديان العميقة وبما يمكّن تحديد موقعها وقصفها بدقة، وقد تم لسلاح المشاة البحرية الأمريكية تطوير إنسان آلى مقاتل يمكن دفعه من أحـــد نوافـــذ المـــبانى لينطلق إلى الداخل ويقوم بتصوير الأهداف داخل المدن ورصـــد أى قوات معادية ويمكن تزويده بالسلاح الذى يستطيع أن يقتل الأفراد، وتوجد أيضاً القنابل العنقودية التى تزود بها الطائرات حيث تنتشر على مساحة كبـــيرة ممـــا يـــزيد مـــن الخسائر البشرية، وهناك نوع جديد من قنابل الدشم الحصينة، (أم القنابل) وتزن حوالى ١٠ طن وهى قادرة على اختراق الخرسانة المســـلحة ذات الســـمك الكبـــير لتنفجر بالداخل وتدمر أى أسلحة وهى مجهزة بأجهزة توجيه دقيقة وهى تقذف من ارتفاعات عالية.

أضف إلى ذلك التكنولوجيا المتفوقة المستخدمة فى أجهزة القيادة والسيطرة والمعلومات باستخدام الكمبيوتر.

وهكذا لعبت التكنولوجيا دوراً إيجابياً فى توفير قدرات تدميرية واستطلاعية جديـــدة تحقق التفوق على الخصم، مع القدرة على شل عمليات القوات العراقية قبل تدميرها.

## ثانياً: الإعداد العسكري العراقي

ظلت القدرات العسكرية العراقية الحالية مثار تساؤلات حول ما لدى هذه القـــوات من قدرات دفاعية تواجه احتمالات توجيه ضربة عسكرية أمريكية في إطار تحالف دولي حيث إن العراق يعاني من حالة حصار وعزلة إقليمية ودولية وحظـــر دولي مفروض على العراق بموجب قرارات مجلس الأمن وقرار دول التحالف (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا) منذ يوليو ١٩٩١.

كذلك فرضت عليه مناطق حظر جوي في الشمال والجنوب حيث تحلق الطائرات المقاتلة الأمريكية والبريطانية في سمائه وتقوم بطلعات استطلاعية ودوريات جوية وعندما تتعرض لنيران الدفاع الجوى العراقي فإنها تقوم بقصف هذه المواقع وتدميرها، وقد تقوم بضربات جوية محددة في إطار العمليات المتدنية التي لا ترقى إلى حالة الحرب وقد زاد نشاطها أخيراً لإضعاف قدرات الدفاع الجوي العراقي تدريجيا دون إثارة الانتباه. ولا شك أن العراق حاول بكل جهده أن يحافظ على ما لديه من أسلحة، ولاقى الصعوبات في الحصول عليها وعلى قطع الغيار اللازمة مع الحظر الكلي على استيراد وعقد أي صفقات تسليح بجانب اتهامه بأنه يخفي أسلحة دمار شامل بالرغم من لجان تفتيش تتحرك وتفتش وترفع تقاريرها، بالرغم من أن التقرير العراقي الذي قدم للأمم المتحدة ينفي وجود هذه الأسلحة على أرضه ولكن أظهرت الولايات المتحدة وبريطانيا قلقهما في أن التقرير لا يجيب على نقاط معينة لازال يشملها الغموض، والحشود الأمريكية تتزايد في القواعد العسكرية الخليجية وتركيا والأردن وإسرائيل ودول البحر الأحمر وتحركت حاملات الطائرات لتقترب من منطقة الخليج للمشاركة في أي ضربة عسكرية، وسط هذا الجو المليء بالتوتر والتلويح باتخاذ القرار باستخدام القوات العسكرية تارة أخرى تظهر تصريحات يعتقد أنها من قبل الخداع تقضي أن الضربة العسكرية ستكون الخطيرة والأخيرة بعد استنفاد كل الوسائل المتاحة سلميا. وهناك حالة من المد والجذر، فالولايات المتحدة الأمريكية تبذل جهودها الدبلوماسية والإعلامية لجذب دول نحو التحالف الدولي وقبول توجيه الضربة العسكرية بينما المعارضة الدولية تحاول وقف احتمال التدخل العسكري. وكانت هناك موجة من الاعتراضات لا شك أنها أضعفت وأثرت على القرار بتوجيه ضربة عسكرية بالرغم من محاولات التمويه بإعلان توقيتات محتملة قريبة وبعيدة، وهناك خطوات سابقة من المفروض اتباعها مثل دراسة التقرير العراقى عما لديه من أسلحة دمار شامل وفى حالة اكتشاف أى تضليل فى المعلومات فسيكون العقاب الأمريكي أمرا أكثر احتمالا، علاوة على خطوة أخرى وهي استجواب العلماء العراقيين خارج

العراق وفقا للقرار الدولى حتى يمكن التأكد من صحة التقرير العراقي ومعرفة مـــدى مـــا وصلت إليه الأبحاث العراقية من تقدم في امتلاك أسلحة دمار شامل وتصـــنيعها فى العراق وغير ذلك من الشروط المعجزة للجانب العراقي ووسط الغيوم التى تحيط بمناخ الأزمة، مما يستدعي تقديم شرح وتحليل علمي يوضح مدى فاعلية القدرات العسكرية الحالية التى فى يد العراق.

## العوامل المؤثرة على فاعلية القدرات العسكرية العراقية المتاحة:

أ- لـــم يكـــن باســـتطاعة العـــراق كسر حظر التسلح المفروض عليه دوليا والحصـــول علـــى أي أسلحة أومعدات وذخائر، وأن ما لديه يحتاج إلى صـــيانة وتطويـــر وإمداد مستمر بقطع الغيار للحفاظ على كفاءة الأسلحة وصلاحيتها للخدمة، ولم يمكن للعراق أن يحدثها لرفع قدراتها التي لم تعد مناسبة في مواجهة الأسلحة المتطورة الحديثة التي لدى القوات الأمريكية وقوات التحالف، كما أن حظر التسليح على العراق يقابله سباق تسلح لرفع القـــدرات العســـكرية الخليجية لتحقيق التفوق الأكبر في المقارنة العددية والنوعية وكفاءة المعدات، مع إمكانية استعواض الخسائر، وتصبح الحقيقة المؤكدة أن التوازن العسكري في منطقة الخليج ليس في صالح العراق مع وجـــود الحشـــود العســـكرية الأمريكية ودول التحالف. وعليه فإن العمل العســـكري الأمريكي والدولي لن يقابل بمقاومة لها ثقلها وتأثيرها القوى على الصراع المسلح ومن ثم فإن العمل العسكري سيفرض على العراق فـــي ظـــروف غير ملائمة. لهذا فالعراق كان يحاول أن يتفادى الصدام المســـلح قـــدر استطاعته واستخدام وسائل وتكتيكات أخرى لتعوضه هذا الـــتفاوت الكبـــير فـــي القوى كما أن هناك عوامل لها تأثيرها على مدى فاعلية القوات العسكرية العراقية والانهيار الاقتصادي للعراق.

ب- فـــي نفس الوقت تعرضت قدرات القوات العسكرية العراقية إلى التقلص التدريجي نتيجة توجيه الضربات المتكررة لدول التحالف الدولي مما يزيد من خلل التوازن العسكري لغير صالح العراق

جـــ لا شـــك أن المعارضة العراقية بالخارج المتربصة بالنظام العراقي أدت إلـــى أن تتـــبوأ قضية أمن النظام العراقي أولوية وانعكست بالسلب على القـــدرات العســـكرية العراقية وفرضت قيوداً شديدة على تداول الأسلحة والذخائـــر واختيار القادة الموثوق في ولائهم على حساب الكفاءة مما أثر على معنويات القوات، ولقد امتد ذلك إلى القطاع المدني في تبوأ المناصب الرئيسية في الدولة لفئة تنتمي إلى الولاء للنظام دون مبالاة بالكفاءات مع التوسع في أعمال القمع والاعتقال لمجرد الشبهات في الولاء للنظام. وقد أدى هـــذا إلـــى هروب الكفاءات إلى الخارج وانضمامها إلى المعارضة وبذلـــك فقـــدت العـــراق الكفـــاءات اللازمة للتطوير والإصلاح وإدخال تكنولوجيا في كافة القطاعات بما أثر على الأداء الوظيفي.

د- لقـــد انعكس الوضع الأمني ومزاولة أعمال القهر والإجراءات الصارمة الـــتى تؤثـــر علـــى السماح للقوات بالتدريب والقيود عليه مما أثر على مستوى الكفاءة، مع التشدد في السماح بالطلعات الجوية للتدريب خوفا من حدوث انقلابات وأيضا مع البحرية التي فرض عليها نوعا من الحصار لا يمكنها من تأدية مهامها، وأصبح التقسيم الأيديولوجي في القوات المسلحة شـــديد التأثير على تنظيم القوات المسلحة والتي شكلت تنظيميا في ثلاثة نوعيات وثلاثة مستويات: قوات الحرس الجمهورى الخاص وقوات حرس جمهورى والتشكيلات الميدانية، وتولى القيادات العسكرية شخصيات تدين بـــالولاء الكـــامل للنظام مما ولد كراهية وحقداً له انعكاساته على الكفاءة والـــولاء وروح الـــتعاون وقـــد ظهر هذا جليا فى حرب الخليج الثانية، فالتشـــكيلات الميدانية وضعت على خط الجبهة، ولم تلق الرعاية الكافية من تأمين وإعاشة وانهارت معنوياتهم مما أدى إلى استسلامها بمجرد بدء

الحملـــة الـــبرية دون إبداء أية مقاومة تذكر، بينما احتفظت القيادة بقوات الحـــرس الجمهورى التى سرعان ما انتظمت فى الخطوط الخلفية لحفظ وتأمين النظام. وبعد الحرب أعيد تشكيلها وظلت محل رعاية النظام.

هـــ- أدى الإنفـــاق العســـكرى المرتفع مع محدودية الميزانية العامة للدولة إلى وجـــود أعباء على الاقتصاد القومى العراقي، وأدى إلى مشاكل فى البنية الأساســـية للدولـــة واحتياجات الشعب العراقي الذى يعانى من إجراءات عـــزلة العراق وحصارها. حيث أصبح الإنفاق العسكرى موجها لمطالب تحقـــيق الأمن وليس من أجل تطوير القوات المسلحة وعليه فإن الإنفاق العسكرى العراقى يوضح المعدلات الآتية (٢):

- نصيب الفرد العراقي من الإنفاق العسكرى السنوى حولى ٥٦,١٧ دولار فى المقـــابل فـــإن العـــائد على الفرد فى القوات المسلحة فى الإنفاق العسكرى حوالى ٢٠٠٠ دولار.

- وبالمقارنة مع الإنفاق العسكرى للدول العربية يكون إجمالي الإنفاق العسكرى العراقى نسبته ٣%.

- وما يعادل نسبة ٧,٠٦% من إجمالى الإنفاق العسكرى السعودى.

- وما يعادل نسبة ١٥,٨% من إجمالى الإنفاق العسكرى التركى.

- وما يعادل ٢٢,٤% من إجمالي الإنفاق العسكرى الإيرانى.

وتشـــير التقديرات الأمريكية إلى أن العراق يحتاج إلى ٢٠ مليار دولار لإعادة البنية العسكرية لقواته عند رفع الحظر عن العراق. وأن احتياجات الأفرع الرئيســـية للقـــوات المســـلحة العراقية لتحديث قدراتها ما لا يقل عن ١٠ مليارات دولار لاستعادة الكفاءة.(٣)

و- وكانت مصادر التسلح للقوات العراقية قد اعتمدت على التنوع ولهذا حصلت القـوات المسلحة العراقية قبل حرب الخليج الثانية على صفقات تسلح من الدول الآتية (٤)

- الاتحـاد السـوفيتى: دبابات - طائرات - مدفعيات - صواريخ - ذخائر - قطع بحرية.

- الصين: دبابات - طائرات - قطع مدفعية - حاملات صواريخ - ذخائر لتلك الأسلحة.

- دول أوروبا الشرقية: معدات هندسية - أسلحة خفيفة - معدات إشارة - قطع غـيار - أجـزاء لممرات الطائرات - الذخائر وذلك من بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا الشرقية ويوغوسلافيا

- الدول الغربية:

فرنسا: طائرات - معدات إلكترونية - مدفعية - ذخائر - صواريخ.

إيطاليا: قطع بحرية - معدات إلكترونية - معدات هندسية.

ألمانيا: قطع غيار - معدات هندسية - عربات - مواد كيماوية.

- دول أمريكا اللاتينية:

البرازيل: صواريخ أرض / أرض - عربات مدرعة - تعاون نووى.

شيلى: قنابل طائرات.

الأرجنتين: تعاون فى مجال الصواريخ.

-دول عربية: ذخائر - مدافع - معدات إشارة.

ولكـن مـا كـان لـدى العراق من هذا كله عند الهجوم عليه سوى بقايا الصفقات التى عقدت مع هذه الدول فى فترة الثمانينات، وقد خاضت العراق بها حربين: الأولى مع إيران والثانية ضد التحالف الدولى فى حرب الخليج الثانية.

وحتى ما تبقى فالحظر لم يتح رفع قدراتها وصيانتها أو تحديثها، زاد من ضغط هذه القوات ممارسة رئيس الجمهورية بحكم أنه القائد العام وقائد الجيش الشعبى مسئولياته فى القيادة المباشرة لضمان ولاء القوات، بالرغم من جهله بالقطع بتفاصيل النواحى الفنية والقتالية. علاوة على أن اهتمامه المركز انصب على مسائل أمنية دون اهتمام بالأمور العملياتية.

## القدرات العسكرية العراقية قبل الحرب:

يوضح (الملحق رقم ٣) جدولا بما كان لدى القوات العراقية قبل عاصفة الصحراء وما آلت إليه القدرات عام ٢٠٠٣ (٥) (مع مراعاة أن الموقف الحالي لا يحدد بدقة نسبة الصلاحية لهذه الأسلحة والمعدات).

ويتضح من ذلك

*انخفاض أعداد القوات المسلحة العاملة مع زيادة فى قوات الاحتياط.

*انخفاض أعداد القوات البرية العراقية وإنقاص فيلق فى التنظيم، مع انخفاض فى عدد الفرق إلى ٢٤ فرقة، وانخفاض عدد الدبابات إلى ٢٢٠٠ دبابة منها ٧٠٠ دبابة حديثة (بنسبة ٣١,٨%) والباقى طرازات قديمة، وانخفاض فى أعداد المركبات ٢٩,٠٠٠ مركبة مدرعة فقط وانخفاض فى قطع المدفعية فيصبح ١٩٥٠ قطعة، وانخفضت أعداد القواذف الصاروخية إلى ١٥٠ قطعة ( ١٠٧ مم – ١٣٢ مم – ٢٦٢ مم (أبابيل). الهاونات أعيرة (٨١ مم – ١٢٠ مم –١٦٠ مم – ٢٤٠ مم) – الصواريخ أرض / أرض طراز سكود بى. وقد شمل التنظيم الحالى للقوات البرية أعدادا من قواذف الصواريخ المضادة للدبابات-SS ٣Sagger-A ١٧ ميلان، هوت بعضها مركب على عربات مدرعة وبعضها على طائرات هليكوبتر. أما القواذف المضادة للدبابات فأعيرتها ٧٢مم، ٨٢مم، ١٠٧ مم المجرور منها أعيرة ٨٥مم، ١٠٠مم مجرورة. وتجدر الإشارة إلى قوات الجيش المسلح بطائرات هجومية أنواع ١٠٢-BO مسلحة بالصواريخ , ١٢-AS ٣٢١ SA ونوعيات طائرات النقل والمواصلات من طراز Hughes ٣٠٠, Bell

٦-AS-H1 , ٢١٢ لإدارة النيران، BK-١١٧,SA٣٣٠ وهناك لازال تنويع فى مصادر التسليح للقوات العربية ولكن كفاءتها محدودة.

## القوات الجوية العراقية:

أما المقاتلات القاذفة من طراز Mig٢٣BN (روسية الصنع) ميراج (فرنسية الصنع) ٢٥-SU-٧١,٢٠/- (روسية الصنع) المقاتلات من طراز R-O صيني، ميج ٢٩/٢٥/٢٣/٢١ (روسية الصنع) وميراج ف-١ (فرنسية). بالإضافة إلى عدد من طائرات الاستطلاع طراز ميج ٢٥ (روسية الصنع) طائرات حرب إلكترونية اليوشن ٧٦ روسية الصنع طائرات تزويد بالوقود اليوشن ٧٦ (روسية الصنع) طائرات النقل طراز انترتينوف واليوشن (روسية الصنع) تحتفظ العراق بأعداد من طائرات التدريب طراز ميراج ف-١ (فرنسية) PC-٤/٩ صينية، توكانو غربية ٤-٢٩-٣٨ غربية.

لدى القوات الجوية العراقية طائرات بدون طيار تصنيع عراقي / إيطالى / روسى مشترك. وتشير التقديرات إلى أن لدى القوات العراقية ذخائر بنسبة ٥٠% فأقل. والمعروف أن لديه ذخائر جو / جو AA٦/٧/٦/١٠ ومارتا ٥٣٠/ ٥٥٠ مارتا سوبر ٥٢٠ أما الصواريخ جو /أرض من طراز اكسوسبت، هوت (أمريكية)، سيلك وورم (روسية الصنع) قنابل موجهة منها موجه بالليزر طراز C-٦٠١ بجانب قنابل هجومية. والتطور الوحيد منذ حرب الخليج إدخال صواريخ جو / جو من طراز ماجيك ٢، ودج فايت أمريكية الصنع والتى استولت عليها من الكويت.

## قوات الدفاع الجوي العراقية:

قدرت منصات الصواريخ العاملة بحوالي ٥٧٥ منصة إطلاق منها حوالي ١٠٠-١٢٥ منصة طراز سام ٦(روسية). وحوالي ٢٠-٢٥ منصة سام ٨ (روسية) ٣٠-٤٥ منصة سام ٩ (روسية) وأعداد من منصات سام ١٦/١٤/٣١ (روسية) وحوالي ٣٠ منصة رولاند (غربية) ٥ وحدات صواريخ كروتال

(فرنسية) ٢٠٠ صواريخ سام ٧ محرك على الكتف (روسى). وحوالى ٦٠٠ مدفع مضاد للطائرات روسى الصنع وتشير التقديرات إلى أن وحدات الصواريخ أرض / جو صالحة للعمل وحشدها الرئيس للدفاع عن مدن البصرة وكركوك، ولحماية القوات البرية وتتبع وحدات الدفاع الجوى نظام الكمائن الجوية للتصدى للدوريات الجوية الأمريكية والبريطانية ولكن هذا النظام فشل حتى الآن أمام حداثة الطائرات الأمريكية والبريطانية التى تشتبك مع الأهداف عن بعد والأهم أن نظام القيادة والسيطرة مع القوات الجوية والدفاع الجوى ضعيف ولا يتناسب مع أنظمة القيادة والسيطرة الحديثة. ولكن اعتبر نظام الدفاع الجوى العراقي ما زال نشطا نسبيا من وجهة النظر العملياتية لمواجهة النشاط الجوى الأمريكي والبريطاني الذي يقوم بدوريات جوية تتشكل كل دورية من عدد من الطائرات ف١٥-١٦ ما بين ١٦-٢٤ طائرة وتقوم بقصف الأهداف العراقية.

## القوات البحرية:

قدراتها متواضعة جدا وطرازاتها روسية الصنع.

## *قوات الجيش الشعبى:

وهو التنظيم العسكرى لحزب البعث العراقي والذى تشكل فى عام ١٩٩٠ يتدرب فيه أعضاء الحزب لمدة تتراوح ما بين ١٥-٣٠ يوماً وهو تحت القيادة العراقية ومهمة تأمين النظام العراقي ويبلغ عدد المتطوعين ١٠٠,٠٠٠ فرد ويتكون من"قواطع"(أفواج) عددها من ٢٠ -٢٥ قاطعا، القاطع من ٤-٥ سرايا قوة كل منها ١٠٠ فرد مسلح بأسلحة صغيرة علاوة على سرية معاونة مسلحة ورشاشات ثقيلة وأسلحة مضادة للدبابات. وينتظر أن يكون لها دور فى تأمين الأهداف الاستراتيجية للدولة ضد أى أعمال تخريب بجانب الدفاع عن بعض الأهداف مثل الوزارات لحمايتها.

*** قوات الأمن:**

قوتهـــا حوالـــى ١٥ ألـــف فـــرد وتقوم بمهام الأمن والحفاظ على النظام الداخلى.

*** قوات حرس الحدود:**

قوتهـــا حوالى ٢٠ ألف فرد مسلحين بأسلحة خفيفة وهاونات فقط ومكلفة بحراسة الحدود.

***فدائيو صدام:**

تنظـــيم شبابى قوته من ١٠-١٥ ألف يهتم بتأهيل الشباب العراقي ويمكن اعتـــبار الجـــيش الشعبى العراقي وقوات الأمن وحرس الحدود وفدائيو صدام تنظيمات حماية النظام وأمن البلاد وليس لها دور فى مواجهة الهجوم الأمريكي إلا أثناء القتال داخل المدن الرئيسية.

إن التركيـــبة الديموجرافـــية للشعب العراقي عامل ضعف في بناء القوات المســـلحة العراقـــية، حيث العرب في العراق يمثلون ٧٥%-٨٠% في التعداد السكانى بينما الفئات الأخرى من أكراد وفئات أخرى بنسبة حوالى ٢٠-٢٥% بينما المرأة تعدادها يفوق تعداد الرجل وتصل نسبتها إلى ٤٩-٥١% أما بالنسبة للأديان فيمثل المسلمون فئتين دينيتين السنة والشيعة نسبتهما ٥٥% - ٤٥%.

وبناء على ذلك فإن التعداد السكانى العراقي يصل الي ٢٣,٨٤٦,٠٠٠ نسمة القـــادرون علـــى حمل السلاح لا يتجاوزون ٣,٠٦٥,٠٠٠ فرد فى سن التجنيد ويمـــثل نسبة ١٢,٨٥% من إجمالي تعداد السكان ومثلت القوات المسلحة التى قـــدرت قوتها بـــ ٤٢٩,٠٠٠ مجند (عامل) بنسبة ١٤% من القادرين على حمل السلاح وبعد التعبئة يمكن أن يصل تعداد القوات المسلحة العراقية ١,٧٩,٠٠٠ فـــرد تمـــثل نسبة ٣٥,٢% من القادرين على حمل السلاح ونسبة ٩,٢% من إجمالـــي الذكور. ولكن يعيب ذلك أنه عند التعبئة تتوقف قطاعات العمل داخل

العـــراق حيث تستقطب التعبئة نسبة ٣٥% من القادرين على العمل. وحاولت القـــيادة العراقـــية حل مشكلات بناء قوات مسلحة عراقية فى إطار الخطوات التالية:

* فـــتح أبـــواب العمـــل للأجانب وبالذات من الدول العربية لسد الثغرات بالعمالة الأجنبية:

* إلزام البنات المتعلمات بالعمل.

* استدعاء كبار السن من الفنيين والإداريين للاستفادة من خبراتهم.

ممـــا سبق يتضح أن القوات لم تكن على درجة عالية من الاستعداد القتالي لفـــيود التدريب ونقص قطع الغيار وتدنى نسبة صلاحية المعدات مع انخفاض المعـــنويات حيث إن الاهتمام كله يتجه إلى مهام أمنية بالإضافة إلى أن القوات الجويـــة العراقية لن تستطيع مواجهة القوات الجوية الحديثة التى لدى الولايات المـــتحدة الأمريكية والتحالف الدولى وبالتالي لم يكن هناك حماية جوية للقوات العراقية بحيث لم تستطع التحرك لمسافات وعند اشتباكها مع قوات برية يتدخل الطيران الأمريكي لمعاونة قواته بشكل فعال، بينما القوات الجوية العراقية كانت خارج المعركة بالكامل، لعدم إمكانية إقلاع الطائرات العراقية التى ظلت داخل الدشـــم فـــى مـــنطقة الحظـــر، كما تأثر موقف الدفاع الجوى نتيجة لتواصل الضربات الجوية عليه.

## إدارة فكرة العمليات العراقية:

مـــن هـــذا التحليل العسكرى لموقف القوات العراقية يمكن تصور الخطوط العامة والمبادىء الأساسية التى راعاها المخططون العسكريون العراقيون عند وضع التخطيط الدفاعى عند الحرب ضد الهجوم الأمريكى وقوات التحالف.

- تغيير الأسلوب السلبى الذى اتخذته فى حرب الخليج الثانية ومحاولة التدخل فـــى بعض المراحل المتقدمة فى القتال سواء بالصواريخ أو بعض العمليات الفدائية لتحقيق الخسائر فى القوات المهاجمة.

- إطالـــة مـــدة القـــتال أطول مدة ممكنة لزيادة الخسائر وظهور عدم الرضاء الدولى شعوبا وحكومات.

- تحقيق أكبر خسائر ممكنة بشرية وفى المعدات.

- تجنـــب الدخـــول فـــى معارك مباشرة فى الأراضي المفتوحة ويركز الدفاع الرئيسي حول وداخل المدن الرئيسية وخاصة العاصمة بغداد .

- اســـتدراك قوات التحالف إلى قتالDOG FIGHT داخل المدن الرئيسية حيث يعيق ذلك استخدام قوات التحالف لأسلحتهم الثقيلة أو المعاونة الجوية القريبة وحيـــث يمكـــن إدخـــال قـــوات الملشيات والقبائل فى القتال الدائر والتجهيز الهندسى والقتالي للمناطق الحيوية كمناطق منابع البترول بحيث يعيق احتلالها أو حرمان قوات التحاف منها بتدميرها.

- تحقـــيق بعـــض المفاجـــآت كاستخدام بعض الصواريخ على مناطق التجمع الأمامية لقوات التحالف فى الكويت (لو أنها كانت ذات تأثير محدود).

وهناك ملاحظتان هامتان لا يمكن إغفالهما:

١- أنـــه كان من الصعب على العراق استخدام الأسلحة الكيماوية أو الجرثومية وذلك:

أ. أن التقارير الخاصة بلجان التفتيش الدولية تشير إلى أن العراق خالية من أسلحة نووية وكذلك من الأسلحة الكيماوية والجرثومية.

ب. أن تأثـــير استخدام هذه الأسلحة من قبل العراق سيكون سيئا جدا على موقفها وموقف العالم المعارض لهذه الحرب حيث سيكون شهادة إدانة وفى نفـــس الوقت شهادة تبرير للولايات المتحدة ودول التحالف المؤيدة لدخولها

فـــى هذه الحرب دفاعا عن أمنها ويكون حجم العقاب مدمراً للعراق علاوة على تهديد أمريكا بالرد على ذلك بكل شدة لدرجة احتمال استخدامها أسلحة نووية تكتيكية.

ج. أن تقـــارب القوات المتضادة من الطبيعى أن يجعل التأثير الضار لهذه الأسلحة غير مقتصر على طرف دون آخر أى يهدد أيضا القوات والشعب العراقى.

ولكن لو كانت العراق فعلا تمتلك بعض تلك الأسلحة المخبأة فمن المحتمل استخدامها فى المراحل النهائية للحرب نتيجة يأس القوات العراقية من تحقيق أي نصر أو مقاومة وخاصة وأنهم يعلمون جيدا أنهم لن يفلتوا من المحاكمة والعقاب الشديد.

٢- أملـــت القوات المتحالفة أن تنتهى المقاومة العراقية بأسرع ما يمكن ولذلك حاولوا بشتى الطرق إغراء الشعب العراقى وقواته المسلحة بعدم الاستمرار فى القتال وإغراء الرئيس صدام حسين وعائلته والمقربين إليه بترك البلاد إلـــى مهجر آمن وفى نفس الوقت محاولة إرهاب القوات المسلحة العراقية وقـــوات المقاومـــة وذلـــك بضربهم بالصواريخ وبالطائرات بتركيز شديد باستخدام قنابل شديدة القوة والتأثير.

## دور وتأثير الشيعة والأكراد فى الأزمة:

حاولـــت الإدارة الأمريكـــية أن تستغل المعارضة فى الداخل والخارج فى إطـــار سياســـة أمريكـــية تســـتهدف استخدام الأقليات فى خطتها لتوجه ضربة عســـكرية للعراق، وأن هذا الاستخدام قد يؤدى إلى تقسيم العراق إلى دويلات، وقـــد دفعـــت الإدارة الأمريكية أموالاً للمعارضة بالخارج لكى تقوم بدورها فى إسقاط نظام صدام حسين.

**الحـــركة الشـــيعية:** جديـــر بالذكر أنه منذ بداية العهد الجمهورى بل ومنذ أواخـــر الحكم الملكى حدث تغيير هام فى الحركة الشيعية السياسية إذ أصبحت

تـــتخذ الإسلام كمرجعية وأيديولوجية أساسية لها، وكان طبيعياً كنتيجة لذلك أن تـــتحول مطالبها فى جانب منها إلى مطالب دينية ولم تعد مطالب سياسية فقط، كمـــا ســـبق الذكـــر، غير أن هذا الخلاف الدينى بين السلطة والحركة السياسية الشـــيعية لم يكن حقيقياً وإنما أخفى وراءه الخلاف السياسى الأبدى بينهما والذى تمـــثل فى سعى الشيعة للمشاركة فى السلطة ورفض النظام ذلك، ولكنه فى ظل فشـــل تلـــك الحـــركة فى تحقيق هدفها بدأت تلجأ – كوسيلة لتحقيقه أو كمهرب وملاذ من الواقع – مرة إلى الشيوعية خلال الأربعينات والخمسينات ومرة إلى الإســـلام خـــلال الســـيتينات والسبعينات، ففى مواجهة تبنى البعث لأيديولوجية القومـــية العربية فى معناها الضيق كان من الطبيعى أن يبحث الشيعة عن ملجأ يحمـــون مـــن خلاله هويتهم الذاتية فرأوا هذا الملجأ فى الأيديولوجية الإسلامية الـــتى تؤكـــد هويتهم المستقلة عن السنة لكن فى إطار القومية العراقية، وكانت مظاهـــر ذلك الانبعاث الإسلامى لدى الشيعة. بخلاف النزاع الدينى بين الحركة السياسية الشيعية والسلطة، حاولت الشيعة إقامة العديد من الأحزاب السياسية لهم فـــى العراق تقف فى مواجهة حزب البعث وأيديولوجيته الضيقة الأفق وسيطرة الســـنة عليه، كان أبرز تلك الأحزاب حزب الدعوة الإسلامية الذى تأسس عام ١٩٥٩ كرد فعل على التحدى الشيوعى والبعثي بتشجيع من آية الله السيد محسن الحكيم، ولذلك وجدنا خلافاً دينياً آخر ينفجر بين الشيعة والنظام فى عام ١٩٧٠ بســـبب اكـــتفاء الدستور المؤقت الجديد بالنص على أن"الإسلام دين الدولة"على النقـــيض من دستور ١٩٦٨ المتضمن إشارات عديدة للإسلام، ووجدنا كذلك أن حزب الدعوة تزداد اتجاهاته الثورية أكثر فأكثر فى مواجهة النظام العراقى فى فترة المواجهة بين الشيعة والسلطة فى إيران والتى سبقت قيام الثورة الإسلامية غـــير أن هـــناك نقطة هامة جداً يجب ألا تغيب عن الأذهان لتظهر مرة أخرى حقـــيقة الخلاف الأبدى بين السلطة والشيعة ذلك الخلاف السياسى أولاً وآخراً، فعلى الرغم من قيام الثورة الإسلامية فى إيران وكونها حافزاً أساسياً للمعارضة الشـــيعية العراقية والتى اتخذت من الإسلام مرجعية أساسية لها بالرغم من ذلك فـــإن أعضـــاء حزب الدعوة عبرواعن ولائهم – بالرغم من هذا كله – للهوية

العراقية خلال السبعينات والثمانينات ولم يؤيدوا فكرة الوحدة بين إيران والعراق أو فكرة ولاية الفقيه على النحو الذى طوره الخمينى، ومع تطور حزب الدعوة قبيل الثورة الإيرانية ومشاركته بل وقيادته لانتفاضتي ١٩٧٤، ١٩٧٧ فى النجف وكربلاء وزيادة قوته مع مقدم هذه الثورة عمل حزب البعث على توجيه ضربة عاصفة لهذا الحزب بلغت ذروتها فى أبريل عام ١٩٨٠ عندما قام البعث بتصفية آية الله الصدر وإعدامه وهو الذى مثل رمز المعارضة الشيعية لعراق صدام.

واستمرت حركة الشيعة المعارضة فى مد وجزر خلال عقد الثمانينات، وقام البعث فى عام ١٩٨٣ بتصفية عائلة مجتهد الشيعة السيد الحكيم، واستمرت المعارضة الشيعية فنوعت السلطة أساليبها فى مواجهتها بين العصا والجزرة فوجدنا مثلاً أن صدام حسين قام بزيارة عدد من مدن الشيعة المقدسة وحاول التقرب بالمال والمشاريع بالإضافة إلى ادعاء انحدار نسبه من الشجرة الهاشمية النبوية، واستمر الحال هكذا إلى أن قامت انتفاضة مارس عام ١٩٩١ حيث أتاح تحرير الكويت فرصة ثمينة للتخلص من نظام العدوان فى بغداد فانتفضت مدن الشيعة فى الوسط والجنوب ضد هذا النظام وفشلت الانتفاضة وانتقم صدام ونظامه أبشع انتقام من كربلاء والنجف وبقية المدن الشيعية وذلك تحت شعار لا شيعة بعد اليوم، وعلى الرغم مما أصاب الحركة الشيعية العراقية فإن حزب الدعوة الإسلامية استطاع أن يطور فكره ويصدر برنامجاً سياسياً فى عام ١٩٩٢ يعبر فيه بشكل صادق عن مطالب الشيعة"ذات الطبيعة السياسية"العادلة والمشروعة فى آن واحد وليست ذات الطابع المذهبى المغذى للصراع الطائفى وتمثلت هذه المطالب فى:

١ – مبدأ الشورى والانتخاب حجر الزاوية فى بناء النظام السياسى.

٢ – أن السلطة ونظام الحكم فى العراق يجب ألا يقوما على أساس سلطوى فردى وطبقى أو طائفى أو ممثلاً لمجموعة أو فئة معينة بل يجب أن يكون

الـــنظام تجســـيداً حقيقياً لرؤى وأهداف الشعب العراقى السياسية بقطاعاته كافة.

٣ – إعادة صياغة قانون الجنسية بما يصون حقوق المواطنين ومنع سحب الجنسية.

٤ – ضـــمان مشاركة المرأة فى الحياة السياسية بما فى ذلك حق الترشيح والانتخاب.

إذن فالقضـــية منذ البداية هى قضية سلطوية وليس لها أى علاقة بصراع مذهـــبى أو بـــولاء مذهـــبى من جانب الشيعة العراقيين يرغبهم فى الانتقام من السلطة فى العراق أو الوحدة مع إيران، فطبيعة مطالب الشيعة سواء تحت الحكم الملكـــى أو الجمهـــورى تعكس بحث الشيعة عن التكامل تماماً كما يبحثون عن المشـــاركة فـــى الســـلطة مع السنة من خلال مزيد من المشاركة فى الحكومة والبيروقراطـــية والجـــيش، حيث إن الغالبية العظمى من الشيعة عرب وهويتهم الأولـــية عراقية، ولم يسع الشيعة نحو حكم ذاتى أو اندماج بين العراق وإيران، علـــى العكس من ذلك أكد الشيعة على هويتهم العربية وحاولوا أن يحدثوا توافقاً بين انتمائهم المذهبى وانتمائهم القومى فى إطار الدولة العراقية، ولذلك وجدنا أن حـــزب الدعـــوة يرفض – كما سبق الذكر – توجهات طهران إلى جمع المرشد الـــروحى للثورة بين الولاية السياسية والمرجعية الفقهية لكل الشيعة، وقيل فى تقريـــر نشـــر عـــام ١٩٩٤، إن الحـــزب بدأ يميل إلى أن لكل بلد من البلدان الإســـلامية خصـــائص وطنية تختلف عما هى فى البلدان الأخرى، الأمر الذى يتطلب أن يكون للمسلمين وللحركة الإسلامية فى البلد المعنى"ولى أمر"وطنياً.. وبالتالـــي عدم إمكانية الأخذ بمبدأ أن يكون للمسلمين قاطبة ولى أمر واحد يدين لـــه الجمـــيع بالطاعة، هذا كله والنظام مستمر فى سلطويته وقمعه ضد الشيعة والـــذى تمثلـــت آخـــر مظاهره فى اغتيال آية الله محمد صادق الصدر فى ٢٧ فـــبراير ١٩٩٩ وذلـــك لسعيه لتحرير الشيعة على المستويين السياسى والدينى حيـــث قـــاوم الصـــدر تياراً حكومياً لإلحاق المرجعية الشيعية تدريجياً بالدولة

والإلحـــاق مســـاجد الشيعة بوزارة الأوقاف والتحكم بتعيين أئمتها إضافة إلى أن الصدر ألقى خطبة جاء فيها"لاشك أن افضل ما تفعله دولة لمجتمعها وشعبها هو إعطـــاء الحرية للتصرف والقيام بشعائرها الدينية والتنفيس عن قناعاتها النفسية والعقلـــية بالشكل الذى لا يضر الدولة أصلاً ولا يمت إلى سياستها وكيانها بأية صلة، وقد فرضت عليه الإقامة الجبرية بعد هذه الخطبة وتم اغتياله بعد اختراقه لتلك الإقامة الجبرية.

**الحركة الكردية:** مرت العلاقات العراقية – التركية بتطورات متلاحقة بداية مـــن ثورة ١٩٥٨ وتحولت العراق إلى النظام الجمهورى وأوضحت الثورة فى بداياتهـــا الأولى عن عمق العلاقات العراقية الكردية وأوضح قادة الثورة نظرياً حســـن نوايـــاهم تجاه المنطقة الكردية فى الشمال، وترجم هذا عملياً بالنص فى الدستور المؤقت للبلاد على قيام المجتمع العراقى على التعاون الكلى بين جميع المواطنين ووجوب احترام حرياتهم وحقوقهم، وأن الأكراد والعرب شركاء فى هـــذا الوطن، وتضمن الدستور بنوداً نصت على الحقوق القومية للأكراد ضمن إطار الكيان العراقى، وقامت الثورة بإطلاق سراح المساجين من الأكراد بسبب معارضـــتهم للســـلطة وأصـــدرت عفواً عاماً عن كافة الأكراد الهاربين خارج العـــراق وذهبـــت الـــثورة إلى أبعد من ذلك حين أعلنت أنها أصدرت تعليماتها بإعادة السياسيين الأكراد من المنفى على نفقة الدولة ونتيجة لهذا العفو عاد الملا مصطفى البارزانى إلى العراق، واستمرت المصالحة بين النظام والأكراد حتى عـــام ١٩٦١ عـــندما قـــام التمرد الكردى بسبب عدم استجابة عبد الكريم قاسم للمطالـــب الكردية المتمثلة فى الحكم الذاتى، ثم جاء انقلاب عام ١٩٦٣ والذى أتـــى بعـــبد السلام عارف إلى الحكم الذى بدأ حكمه بتأكيده على اعتراف قيادة الـــثورة بـــالحقوق القومـــية للأكراد فى العراق وبالتفاوض مع الملا مصطفى البارزانى الذى وجه فى عام ١٩٦٤ مذكرة بمطالب مبالغ فيها إلى الرئيس عبد السلام عارف تتضمن:

١ – الاعتراف بالنظام اللامركزى فى المنطقة وتولى الأكراد فقط شئونها.

٢ – تخصيص ثلثى واردات البترول للأكراد.

٣ – تشكيل جيش من الأكراد فى كردستان العراق.

٤ – الاعتراف الرسمى بحدود كردستان العراق.

٥ – تخصيص ميزانية خاصة للأكراد تستوفى من أموال الحكومة العراقية.

٦ – تعيين الموظفين الإداريين من الأكراد فقط فى المنطقة الشمالية.

٧ – إصدار عفو عام عن الأكراد والشيوعيين.

٨ – تعيين نائب لرئيس الجمهورية ونائب رئيس الوزراء ونائب رئيس الأركان وثلث الوزراء من الأكراد.

ولما لم يتم الاتفاق على شئ من هذه المطالب بين الحكومة العراقية والأكراد قرر الملا مصطفى استئناف القتال ضد الدولة فى عام ١٩٦٥، وتوقف القتال عام ١٩٦٦ وتم الوعد بدراسة المشروع المحلى للمنطقة الكردية، ثم جاء انقلاب عام ١٩٦٨، واستئناف الملا مصطفى القتال ضد الحكومة الجديدة وتوقف القتال فى عام ١٩٦٩ وتم إجراء مفاوضات بين النظام والأكراد انتهت بلقاء ما بين صدام حسين والملا مصطفى وفيه تم الاتفاق على إصدار بيان ١١ مارس عام ١٩٧٠ والذى يعتبر أهم تطور سياسى فى سير القضية الكردية واعتراف النظام بالحقوق القومية للأكراد حيث جاء فى هذا البيان ما يلى:

١ – الاعتراف باللغة الكردية باعتبارها لغة رسمية فى المناطق التى يشكل الأكراد غالبيتها كما تم النص على التدريس باللغتين العربية والكردية فى كل المدارس.

٢ – مشاركة الأكراد فى الحكومة بما يشمل تعيينهم فى المواقع الرئيسية فى الدولة.

٣ – التأييد للتعليم والثقافة الكردية.

٤ – الموافقة على تحدث الموظفين فى المناطق الكردية باللغة الكردية.

٥ – الحق فى تأسيس منظمات كردية طلابية، شبابية، ونسائية، تعليمية.

٦ – التنمية الاقتصادية للمنطقة الكردية.

٧ – عودة الأكراد إلى قراهم أو التعويض المالي.

٨ – الإصلاح الزراعى.

٩ – تعديل الدستور العراقى لينص على أن الشعب العراقى يتشكل من قوميتين أساسيتين:"القومية العربية"و"القومية الكردية".

١٠– تعيين نائب لرئيس الجمهورية من الأكراد.

١١– إقامة حكم ذاتى للمنطقة الكردية.

وبناء على ذلك أعلن البارزانى تأييده للإعلان ووعد بتأييد الوحدة القومية وقد اتخذت الحكومة العديد من الخطوات التنفيذية لهذا البيان، وكان أولها التعديل الوزارى الذى بموجبه تم تعيين خمسة من قادة الأكراد البارزين فى مناصب وزارية هامة، وقامت الحكومة وفقاً للمادة الرابعة من البيان بتعيين عدد من الأكراد حكام أقاليم ونائبين لحكام الأقاليم ومديرى أحياء، وقامت الحكومة بتعيين عدد من الأكراد فى السلك الدبلوماسى عام ١٩٧٠، وفى نفس العام قامت وزارة التعليم بإعلان تنفيذها للمادة الأولى من البيان والخاصة باستخدام اللغة الكردية كلغة تعليم فى المدارس الكردية والقيام بتدريس اللغة الكردية والأدب الكردى كموضوعات أساسية فى المدارس الحكومية فى الشمال، وظهرت الصحف والمجلات الكردية والمؤسسات الثقافية واتحادات المعلمين والمرأة والشباب والطلاب، وتم تخصيص المزيد من المبالغ الحكومية لتنمية المناطق الكردية وتعديل الدستور بالاعتراف بالقومية الكردية كقومية أساسية للشعب العراقى، وقد أعلن الأكراد تفاؤلهم بشأن هذا البيان والخطوات التى اتخذتها الحكومة فى اتجاه تنفيذه، فقد صرح البارزانى فى مقابلة معه عام ١٩٧٠ فى هذه اللحظة

نحـن نشـعر بالتفاؤل، فبعد حرب دامت عشر سنوات قامت الحكومة العراقية بـتقديم الاستقلال لنا فى مارس كما أنها تقوم بتنفيذ الاتفاق بشكل جيد". إلا أنه اسـتمرت هناك نقاط خلافية بين الأكراد والحكومة تسببت فى تدهور العلاقات مرة أخرى وانتهاء أيام شهر العسل بين الجانبين.

وتلـك الخلافـات تمثلـت فى تخطيط المناطق الكردية، شريطة مشاركة الحزب الديمقراطى الكردستانى فى الحكومة، واستمرار العلاقات الكردية بإيران والدعم الأمريكى – الإيرانى للبارزانى، فكان أن استؤنف التمرد مرة أخرى فى السـبعينيات، وفى محاولة لاسترضاء الأكراد مرة أخرى قام الرئيس البكر فى عام ١٩٧٤ بإعلان قانون الحكم الذاتى للمنطقة الكردية وتمثلت أهم ملامح هذا القانون فيما يلى:

١ – أقـر القانون فى مادته الأولى بوجوب حصول المنطقة الكردية على الاستقلال، ذلك الاستقلال الذى يكون محدوداً بالوحدة الاقتصادية والقانونية والسياسية للجمهورية العراقية.

٢ – أقـر القانون فى مادته الثانية بأن اللغة الكردية هى اللغة الرسمية فى المـنطقة الكردية إلى جانب اللغة العربية وهى لغة التعليم غير أن تدريس اللغـة العربية إجباري فى جميع المراحل إضافة إلى ذلك أكد القانون على أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية للاتصال بين الحكومة والمنطقة الكردية.

٣ – تحدثـت المادة الثالثة من القانون عن حقوق الأقليات غير الكردية فى المنطقة.

٤ – وأكدت المادة الرابعة ضرورة توافق السلطة القضائية فى المنطقة مع النظام القانونى للعراق.

٥ – وتعاملت المادة الخامسة مع مسألة الاستقلال المالي للمنطقة فى إطار التكامل المالي مع الدولة.

وتعـــامل الجزء الثانى من القانون مع مسألة إقامة سلطة تشريعية وتنفيذية للمـــنطقة، أما الجزء الثالث فقد تعامل مع مسألة العلاقة بين الحكومة المركزية والســـلطات المســـتقلة وفـــيه قيدت السلطات المستقلة بقيود كثيرة فى علاقاتها بالســـلطة المركزية، ومن ثم فإنه على الرغم من أن القانون قد اعترف بالأكراد باعتبارهم قومية لها هوية ذاتية إلا أنه فرض قيوداً عديدة على الحكومة المستقلة وجعـــل الســـلطة النهائية فى يد الحكومة المركزية الأمر الذى جعل البارزانى يـــرفض قـــانون الاســـتقلال المحلى، إضافة إلى النزاع الأساسى بين الحكومة والأكـــراد على منطقة كركوك، ومن ثم شن البارزانى الحرب مرة أخرى على الـــنظام وخاصـــة فـــى ظـــل المساعدات الأمريكية والإيرانية له، واستـــمرت حركـــــة التمرد الكرديـــة حتى جاء التوقيع على الاتفاقية العراقية – الإيرانية عام ١٩٧٥، لتكون بمثابة العامل الأساسى فى انهيار هذه الحركة وانقسامها على نفســـها، فنتـــيجة للتنازلات التى قدمها العراق بشأن شط العرب لإيران، توقفت إيران عن المساعدة التى تقدمها للحركة التمردية الكردية.

بعـــد أن كانت الحركة التمردية الكردية قوية وعنيفة – كما سبق الذكر – جـــاء الاتفـــاق العـــراقى – الإيـــرانى لـــيكون بمثابة بداية الطريق الانهيارى والانقســـامي لتلك الحركة، فقد شجع هذا الضعف الذى أصاب الحركة – نتيجة توقـــف المســـاندة الإيرانية لها – السلطات العراقية على اتخاذ سياسات تهجير قســـرى وانـــتهاك حقوق الإنسان لملايين من الأكراد خلال النصف الثانى من الســـبعينات، انشـــق نتـــيجة لذلك وكذا لموت مصطفى البارزانى انشق الحزب الديمقـــراطى الكردســـتانى وخرج منه عدة مجموعات أبرزها الاتحاد الوطنى الكردســـتانى والذى قاده طالبانى، وفى الوقت الذى تحالف فيه البارزانيون مع غـــيرهم، تحالف الاتحاد الوطنى الكردستانى مع سوريا واشتعلت الخلافات بين الجانبين، وحاول طالبانى أن يقيم علاقة مع السلطة العراقية وبالفعل بدأ الحوار بيـــن السلطة العراقية وبينه عام ١٩٨٤ غير أن المفاوضات فشلت نتيجة تدخل تركـــيا، ومع بدء التوحد مرة أخرى داخل الجبهة الكردية عام ١٩٨٨ وتكثيف

نشاطها وقيامها بتحرير عدد من المدن الكردية التى تم تهجير السكان الأصليين منها ظهرت وحشية وسلطوية النظام حيث إنه أمام الانتصارات الكردية صعدت بغداد من سياسة التهجير إلى أن أصبحت حرب إبادة منظمة (مدينة حلبجة) باستعمال كل أنواع الأسلحة وبالذات الأسلحة الكيماوية واستمرت حرب الإبادة ضد الأكراد فى أعقاب حرب الخليج حيث تم سحق الانتفاضة بكل الوسائل، وبدأت مفاوضات بعد ذلك بين النظام والحركة الكردية المعارضة تركزت حول مطالب سياسية مشروعة – كما سبق وأكدنا– فهى ليست مطالب انفصالية أو مسببة لتغذية الصراع العرقى بين العرب والكرد وتمثلت فى الحكم الذاتى وفق التصور الكردى والممارسة الديمقراطية للنظام فى المستقبل، وجاء تطور مهم جداً فى القضية الكردية أظهر سلطوية وهشاشة النظام فى آن واحد حيث قرر صدام بدون أية مقدمات فصل إقليم كردستان إدارياً عن باقى العراق وسحب جميع الإدارات من مدن أربيل – السليمانية – دهوك والتوقف عن دفع رواتب الموظفين الأكراد وإعلان حصار اقتصادي ضد المنطقة، وكان قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٨ مؤكداً لوجود إقليم كردستان ككيان شبه مستقل الذى بالرغم من عدم الاعتراف الدولى به رسمياً يتعامل مع قادة ومسئولى كثير من الدول وبالذات أوروبا وأمريكا وحتى تركيا والتى لا تعترف أساساً بوجود أكراد لا داخل تركيا ولا خارجها، وهذا يعنى أن المنطقة الكردية الآمنة فى الشمال تحولت إلى منطقة حكم ذاتى تحت سيطرة طالبانى وبارزانى وشكل الحزبان حكومة ائتلافية أجريت انتخاباتها عام ١٩٩٠ ولكن نشب الصراع بين الجانبين فتوقفت الإدارة الكردية المستقلة غير أن بوادر عودتها عادت مرة أخرى للظهور من خلال اتفاق واشنطن الذى حقق التصالح بين الطرفين فى عام ١٩٩٨ وفيه تم الاتفاق على قيام انتخابات جديدة، ولكن بالرغم من ذلك هل ستسمح الظروف الدولية المعاصرة للأكراد بالحصول على حقوقهم السياسية المشروعة؟ (حكم ذاتى) أو بتخطيها على أخرى غير مشروعة (قيام الدولة الكردية فى ظل النظام السلطوى الحالي أو فى ظل نظام جديد؟

وإذا كان هذا الأمر الأخير صحيحاً فما هى صفات هذا النظام الجديد؟ وهل تركيبـــته سوف تتسم بالسلطوية أيضاً؟ وقد أجاب على هذا السؤال مقال تحليلى بعنوان"السياسة الأمريكية فى ميزان الصراع حول العراق"والذى نشر فى الحياة فـــى ٦ مـــارس ١٩٩٩ حيث يقول"إن الإدارة الأمريكية مازالت ترى أن نجاح الأكراد والشيعة فى إسقاط نظام صدام سيفتح المجال لتقسيم العراق أو لفوضى يصـــعب الســـيطرة علـــيها"ومن هنا يؤكد المقال أن أقصى ما سوف تسمح به الظروف الدولية هو"انقلاب سنى"وليس كردياً أو شيعيا، يطيح بنظام صدام ويأتى بـــنظام ســـنى سلطوى مركزى يمكن التعامل معه دولياً دون أن يسمح داخلياً، بحصـــول الشـــيعة الأكـــراد على حقوقهم المشروعة لأنه يتسم بنفس التركيبة السلطوية المركزية التى تهيمن عليها أقلية ويطرح المقال رأياً بناء على ما جاء فـــى قـــانون تحريـــر العراق الذى خصص للمعارضة دعماً يساوى ٩٧ مليون دولار أمريكى، حيث يرى أن هذا القانون يمثل ورقة ضغط بعيدة المدى وليست ورقـــة تغيـــير جديـــة تقوم بجهد حقيقى لإسقاط صدام، وهذا يعنى أن الصورة الحالية لسلطوية النظام سوف تستمر ويستمر معها حرمان الأكراد والشيعة من حقوقهـــم السياســـية المشـــروعة دون أن يكون لذلك أية علاقة بولاء عرقى أو مذهبى معاد للقومية العراقية.

وعلـــيه فالاعـــتقاد السائد أن الأقلية الكردية والشيعية لن يكون لها حق فى تكويـــن دوليتيـــن خاصتين بهما ولكن سيكون لهما دور فى التركيبة الاجتماعية للعـــراق فـــى إطـــار التغييرات التى تجرى، حيث لن يكون هناك موافقة على انفصـــال هاتيـــن المؤسستين ويظلان تابعتين للسلطة العراقية الجديدة فى إطار وحدة العراق وسيطرة الحكومة العراقية على وحدة العراق.

ولكن خلال الإعداد العسكري للحرب ضد العراق وجد الأمريكيون أنفسهم فى موقف صعب

أ-حيـــث رفضـــت تركيا فتح حدودها لعبور القوات البرية الأمريكية من خلالهـــا إلى شمال العراق حيث منابع البترول فى الشمال علاوة على الاشتراك

فى الضغط على القوات العراقية لتشتيت جهودهم بين الاتجاه الجنوبي والاتجاه الشمالي ولتحقيق رغبة الجنوبيين لتحقيق المقاومة العراقية هناك.

ب- احتياج القوات الأمريكية إلى معاونة المقاتلين الأكراد ولطرد القوات العراقية من الشمال العراقي واشتراط الأكراد لاشتراكهم فى الحرب عدم دخول قوات تركية الأراضي العراقية.

جـ- فى نفس الوقت انتاب الأتراك الخوف من أن يؤدى اشتراك الأكراد فى تحرير شمال العراق من القوات العراقية احتلالهم منابع البترول فى كركوك والموصل ورفض الخروج منها واعتبارها نواة لتشكيل الدولة الكردية وقد هددت تركيا بأن حدوث شئ من هذا سيضطرها إلى الدخول إلى شمال العراق ومنع حدوث ذلك بالقوة العسكرية.

هـ- فى نفس الوقت توجد جماعات منهم تعارض وجود القوات الأمريكية ولكن تأثيرها قليل نتيجة لصغر حجمها علاوة على اتهام أمريكا لها بالتعاون مع تنظيم القاعدة.

## ثالثاً: دور القوى الإقليمية المؤثرة فى الأزمة

### ١- دول مجلس التعاون الخليجى

لقد كان من النتائج المباشرة للغزو العراقى للكويت، أن دول مجلس التعاون الخليجي واجهت موقفاً صعباً أدى إلى وجود حساسية شديدة لأعضائه فيما يتعلق بأمن الخليج، فقد أدى هذا الموقف المفاجئ إلى أن المجلس فضل التعاون مع المسألة العراقية بمعزل عن الإطار العربى وجاء ذلك نتيجة للصدمة من جراء غزو دولة عربية لدولة عربية أخرى مع تهديد باقى دول المجلس ثم وقوف بعض الدول العربية بجانب العراق الشئ الذى لم يكن متوقعًا وما حدث من فشل مؤتمر القمة العربى فى احتواء الموقف، كل هذا كان له تأثيره النفسى على المستوى العربي انعكس على عدم جدوى التحرك من خلال الإطار العربى،

ومع وجود ضغوط خارجية من قبل العراق وإيران فضلت دول الخليج الاعتماد على العنصر الأجنبى بإمكانياته، مما أثر ذلك على عدم تنفيذ الشق العسكري من إعلان دمشق نتيجة لضغوط دولية وإقليمية خليجية مما أدى إلى امتلاك الولايات المتحدة الأمريكية لزمام الإدارة والأمن فى منطقة الخليج وجواره الجغرافي.

أما فى الظروف الحالية فقد اختلف الموقف فقد قبل مجلس التعاون الخليجى أن يكون تحركه داخل إطار عربى بحضوره مؤتمر القمة ولكن كانت له حساسيته التى أدت إلى اقتراح بضرورة تخلى النظام العراقى عن الحكم ولكن تم احتواء هذا الموقف، ولكن لوجود ارتباطات تحالفيه بين دول مجلس التعاون الخليجى مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد تحرير الكويت أملتها الجوانب الأمنية، حدت كثيرا من دائرة تحركه وفاعليته فهناك واقع هو وجود قواعد عسكرية بها قوات أمريكية تستعد لغزو العراق ولا يمكن من الناحية القانونية طلب خروج هذه القوات وعليه فإن مشاركة الدول الخليجية فى مؤتمر القمة كان لتلافى المأزق حيث قبلت دول مجلس التعاون الخليجى مبدأ عدم المشاركة بقواتها العسكرية مع القوات الأمريكية فى غزو العراق، ومع الوضع فى الاعتبار وجود فهم خليجي موحد بني عن قناعة ثابتة وموقف حازم بضرورة التزام العراق بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بما فيها الإفراج عن الأسرى الكويتيين ومطالبته بالتعاون الجاد والأمنى مع لجان التفتيش على أسلحة الدمار الشامل والتزامه بعدم تهديد جيرانه مع دفع التعويضات.

من هذا المنطلق فإن مجلس التعاون الخليجى أكد على ضرورة تنفيذ العراق للقرارات الدولية بالتعاون مع اللجنة الخاصة بالتفتيش على أسلحة الدمار الشامل، وإن كانت قرارات مؤتمر القمة يرى ضرورة رفع العقوبات عن العراق فى مقابل استمرار تنفيذ اتفاق النفط مقابل الغذاء إلا أن دول المجلس لديها الرغبة فى ذلك مع التأكيد على وحدة العراق وسلامة أراضيه.

التزم مجلس التعاون الخليجى بما اتخذ من قرارات عربية فى مؤتمر القمة الأخير حيث وافقت على القرار الخاص بعدم الموافقة على توجيه ضربة

عسكرية للعراق، على أن يلتزم بضرورة تنفيذه والامتثال للقرارات الدولية والتعاون مع لجنة التفتيش الدولية متمشياً فى ذلك مع قرارات مؤتمر القمة.

والأهم أنه تم الاتفاق على عدم إسقاط النظام العراقى بالقوة وإن كان هناك تباين فى موقف دول المجلس بخصوص معارضة دول المجلس للولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة فى استخدام أراضيها وقواعدها فى ضرب العراق كما تباينت الموافقة على رفع العقوبات إلا أن هذا لم يؤثر على الجوهر العام لاتجاهات الرأى والكلمة الموحدة التى ظهرت فى قرارات مؤتمر القمة، الأهم من ذلك أن الموقف الأمريكى وتجاوزاته يقلق دول مجلس التعاون الخليجى، وبالأخص أن الحرب ستكون لها آثارها المدمرة على الدول الخليجية وعلى الجوانب الاقتصادية وعائدات البترول التى ستتأثر تماما بالمدى الزمنى للحرب ضد العراق وما يترتب عليه من المزيد من عدم الاستقرار حتى يكون هناك عذر مقبول لاستمرار الوجود العسكرى الأجنبى طالما التهديد قائما، ويزيد من قلق دول المجلس ما تهدف إليه الولايات المتحدة الأمريكية من تغيير نظام صدام حسين حيث إن التغيير باستخدام القوة قد يتكرر مع دول أخرى، وإذا أضيف إليه رغبة أمريكية بفرض الديمقراطية فإن دول المجلس لن تكون بمنأى عن هذه المتغيرات، وفى إطار حساب موازين القوى فإن إضعاف العراق عسكرياً يخل بالتوازن لصالح إيران التى تحتل الجزر الثلاث وتنمى قدراتها العسكرية التقليدية وغير التقليدية مما يسبب إزعاجاً أمنياً لدول المجلس، وقد كان المخرج هو عدم موافقة دول الخليج على توجيه الضربة العسكرية الأمريكية للعراق وتغيير نظامه بالقوة، وتظل مشكلة بقاء القوات الأجنبية قائمة دون حل، علماً بأن استمرارها قد يجعلها تتحول إلى قوات احتلال. وعليه فإنه على المدى القريب يفضل مجلس التعاون الخليجى استمرار تواجده فى الإطار العربى (إعلان دمشق فى التسعينات) حتى يستطيع فى وقت ما أن يغير من معادلة التوازن المرتكزة على الفاعل الأجنبى- إذا سمح الموقف بذلك -، مع الوضع فى الاعتبار احتمالات أن يتحول التهديد الأمريكى نحو إيران الدولة التى تمتلك

أسلحة وقدرات تقليدية حديثة وفوق تقليدية وقريباً قد تمتلك قدرات نووية، وعليه فالهاجس الأمنى بوجود مخاطر من اتجاه إيران فيما لو حاولت الولايات المتحدة الأمريكية ممارسة ضغوط القوة على إيران حيث سيكون رد إيران بالتهديد باستخدام القوة. وحتى الأزمة الكورية فإن مدى صواريخها يصل إلى منطقة الخليج حيث القواعد العسكرية الأمريكية، أما على المدى البعيد فإن منطقة الخليج مع ما جاورها من مناطق استراتيجية يمكن أن تكون مسرحاً للعمليات فى حالة نشوب حرب عالمية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية، وفى إطار تحالف دولى جديد لإيقاف صعود الصين لتكون قطبا ثانيا منافساً للقطب الأمريكى الأوحد.

نخرج من ذلك بحقيقة واضحة وثابتة مضمونها أن الاتفاقات العسكرية والأمنية بين دول الخليج والولايات المتحدة وبريطانيا والتى تسمح بوجود قواعد عسكرية لهما فى داخل الخليج كان لها دور هام وتأثير مباشر فى إمكانية الدولتين (الولايات المتحدة وبريطانيا) فى حشد القوات العسكرية اللازمة للإعداد للحرب ضد العراق وإعاشتهم خلال هذه الفترة.

## ٢- الدور التركي ومدى مصداقيته

من الواضح أن الإدارة الأمريكية كانت تفكر في أن القوات الأمريكية يمكنها الدخول إلى العراق من الشمال كأحد الاتجاهات الرئيسية للهجوم الأمريكي، وبناء على ذلك فقد طلبت الإدارة الأمريكية من تركيا أن تسمح لقواتها بأن تعمل من هذا الاتجاه، وطلبت الحكومة التركية مهلة للتصديق حتى يمكنها أخذ موافقة البرلمان التركي وتقدمت بمشروع قرار بنشر ٦٢ ألف جندى أمريكي تعززه ٢٢ طائرة فى الأراضي التركية تمهيدا للحرب ضد العراق، ويجدر الإشارة إلى أن تركيا عضو في حلف الناتو ولكن هذا الطلب لم يقدم من خلال قيادة الناتو فهو خارج نطاق الناتو، وقد صرح رئيس البرلمان التركي بولنت أزنار رفض البرلمان لهذا المشروع حيث صوت لصالحه ٢٦٤ نائبا

ورفضـــه ٢٥١ نائبا من بينهم ٦٧ نائبا من حزب العدالة الحاكم مع امتناع ١٩ نائبا عن التصويت، وقد استند رئيس البرلمان التركي في رفضه إلى شكوى تقدم بهـــا حـــزب الشعب الجمهورى المعارض استند فيه إلى المادة ٩٦ من الدستور التركـــي التى تنص على أن الموافقة تتم بأغلبية الحاضرين وليس بمقارنة عدد المؤيدين لعدد الرافضين، ووفقا لذلك يكون حساب التصويت كالتالي:

٢٦٤ صـــوتا مؤيـــدا مقابل ٢٧٠ معارضا من مجموع الحاضرين ٥٣٤ عضـــوا وقد مثلت نسبة التصويت ضربة قوية للحكومة وحزب العدالة والتنمية الحـــاكم، والذى يشهد انقساما بين صفوفه (حزب العدالة يشغل ٣٦٣ مقعدا من إجمالي ٥٥٠ مقعدا)، وقد قرر رئيس حزب العدالة والتنمية الحاكم عقد اجتماع طـــارئ للجنة المركزية لبحث موقف الحزب والحكومة إزاء التعاون مع أمريكا فـــي الحرب ضد العراق، وقامت مظاهرات شارك فيها حوالي ٥٠ ألف تركي أمام مقر البرلمان في أنقره للمطالبة بعدم تأييد مشروع القرار ورفعوا شعارات المعارضـــة للولايات المتحدة وإسرائيل، وطلبت الإدارة الأمريكية توضيحا عن هـــذا الموقـــف الرافض للمشروع، وأعلنت السفارة الأمريكية في أنقرة أن هذا الموقـــف لن يؤثر على العلاقات التركية / الأمريكية وسيكون محل احترام من واشـــنطن، وقـــد تكون المعالجة لتمرير هذا المشروع باللجوء إلى عرضه على مجلـــس الأمن القومي التركي الذي له علاقات طيبة مع الإدارة الأمريكية ومع إســـرائيل إذا كانـــت الدلائل تشير أنه قد يرفض عند عرضه للمرة الثانية على انتشار قوات أمريكية بهذا الحجم على أرضه.

تـــدور فـــي كوالـــيس منطقة الشرق الأوسط وفيما بين بعض دولها وبين الولايـــات المـــتحدة مفاوضـــات ومساومات بشأن تمرير أو تأييد المشاركة في العـــدوان الأمريكي ضد العراق وهذه المساومات تتعلق بصورة أساسية بالثمن الـــذي تطلبه بعض دول المنطقة كمقابل لموقفها المؤيد للولايات المتحدة أيا كان مستوى هذا التأييد.

وتعتبر تركيا هى أكثر دول المنطقة وضوحا وشفافية في هذا الصدد حيث أجـــرت المساومة مع الولايات المتحدة بشكل علنى وامتنعت عن الموافقة على السماح للقوات الأمريكية باستخدام القواعد التركية فى العدوان على العراق من أجـــل رفـــع سقف الثمن الذى ستدفعه واشنطن لها مقابل ذلك، كما أن الرفض الشـــعبي التركـــي الحقيقي للحرب الأمريكية ضد العراق جعل موافقة الحكومة التركـــية على تأييد هذه الحرب تبدو تجاوزا للمواقف الشعبية ومخاطرة تستحق أن تقدم الولايات المتحدة للحكومة التركية لتمركز ومرور القوات الأمريكية لما ســـيترتب علـــيه من خسارة الكثير من المساعدات كثمن لإقدامها عليها، وبهذا الشـــكل صرح وزير الاقتصاد التركى بأن الأضرار التى ستلحق بتركيا نتيجة الحرب تبلغ ٢٨ مليار دولار، وأنها تنتظر أن تعوضها الولايات المتحدة عن هذه الأضـــرار. كما كان مراد مرجان نائب رئيس الحزب الحاكم في تركيا قد أعلن فـــى ديســـمبر الماضـــى أن بلاده نقلت اقتراحا رسمياً للولايات المتحدة يقضى بحصـــول تركـــيا علـــى ١٠% من النفط العراقى بعد احتلال الولايات المتحدة للعـــراق، كثمـــن بالطبع للدعم التركى للحملة العدوانية الأمريكية ضد العراق، وبالإضـــافة إلـــى المطالـــب الاقتصادية التركية من الولايات المتحدة فإن هناك مطالب سياسية وأمنية تتعلق بالسماح للقوات التركية بالتوغل إلى عمق ٧٥ كيلو متراً فى شمال العراق، وعدم السماح بقيام دولة كردية مستقلة فى شمال العراق، وعدم تسليح الأكراد بأسلحة ثقيلة.

وبالمقـــابل أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها مستعدة لتقديم مساعدات قدرها ٦ مليارات دولار لتركيا، إضافة إلى ضمانات حكومية أمريكية لقروض يمكن لتركيا الحصول عليها بقيمة ٢٠ مليار دولار، مقابل الموافقة التركية على تأييد الحرب الأمريكية ضد العراق والسماح للقوات الأمريكية باستخدام القواعد التركـــية فـــى هـــذه الحرب، وهذا الأمر ليس جديداً بالنسبة للعلاقات التركية الأمريكـــية بشـــأن قضـــايا مشـــابهة، فعندما أيدت تركيا الحملة الأمريكية ضد أفغانســـتان، وســـمحت لهم باستخدام قواعدها، قامت الولايات المتحدة باستخدام

نفوذهـــا لدى صندوق النقد الدولى لحثه على تقديم قرض قيمته ١٦ مليار دولار لتركيا لمساندتها فى أزمتها الاقتصادية التى تعانى منها منذ عام ١٩٩٩، والتى بلغت ذروتها فى عام ٢٠٠١ كما قدمت الولايات المتحدة وعداً لتركيا بإسقاط ٥ ملـــيارات دولار مـــن ديونها العسكرية، وهو وعد لم يتحقق حتى الآن وهو ما يفسر الإصرار التركى على عدم القبول بمجرد التعهدات هذه المرة وإنما اتفاقات يـــتم توقـــيعها علـــى أعلى مستوى لضمان الحصول على المساعدات التى تعد الولايات المتحدة تركيا بالحصول عليها فى حالة تأييدها للعدوان الأمريكي على العراق.

ولأن المســـاومات بشـــأن مـــثل هذه القضايا تتضمن التلويح بسيف المعز وذهـــبه، فـــإن الولايات المتحدة التى قدمت الوعود بتقديم المساعدات لتركيا فى حالة موافقتها على المطالب الأمريكية المرتبطة بالحرب على العراق، هددت فى الوقـــت نفسه بقطع المساعدات الأمريكية عن تركيا إن رفضت السماح للقوات الأمريكـــية باستخدام قواعدها فى الهجوم المزمع ضد العراق، لكن المساعدات الأمريكية لتركيا محدودة إلى حد كبير، وهى تقل عن ٠,٤% من الناتج المحلى الإجمالي للتركى، بما يعنى أن توقفها لن يسبب مشكلة جديدة للاقتصاد التركى، كمـــا أن العلاقات الاقتصادية التركية مع الولايات المتحدة قائمة على المصالح المشتركة بين الطرفين، ومن الصعب للولايات المتحدة أن تستخدمها فى الضغط على تركيا لأن أى قرار بشأنها سيضر الولايات المتحدة على قدر الضرر الذى ستتعرض له تركيا. فالتجارة بين الدولتين قائمة على التوازن تقريباً، حيث بلغت قـــيمة الصادرات التركية للولايات المتحدة الأمريكية نحو ٣١٢٦ مليون دولار عـــام ٢٠٠١، فـــى حيـــن بلغـــت قيمة الواردات التركية من الولايات المتحدة الأمريكـــية نحو ٣٢٦١ مليون دولار فى العام نفسه، بما يعنى أن هناك فائضاً تجاريـــاً أمريكـــياً مع تركيا بلغ ١٣٥ مليون دولار فى العام المذكور، وهو ما يجعـــل تركـــيا مهمة للولايات المتحدة فى هذا الصدد، حيث إن الأخيرة تحقق عجزاً تجارياً هائلاً فى معاملاتها مع غالبية بلدان العالم، وأسفر ميزانها التجارى

إجمالي عن عجز بلغ قدره ٤٥٦ مليون دولار فى السنة المالية الأخيرة، وتمثل تجارة التركية مع الولايات المتحدة الأمريكية نحو ٨,٩% من إجمالي قيمة التجارة التركية، فى حين تمثل تجارتها مع الدول الاتحاد الأوروبى نحو ٤٦,٨ % من إجمالي تجارتها الخارجية، وهو ما يوضح أن الولايات المتحدة ليس لديها ما تضغط به على تركيا فى مجال التجارة، كذلك فإن الولايات المتحدة تعتبر مورداً محدوداً للسياح إلى تركيا، فمن بين عشرة ملايين سائح تستقبلهم تركيا سنوياً (قبل أحداث ١١ سبتمبر)، لم يتجاوز عدد السياح الأمريكيين نحو ٤٠٠ ألف سائح، بما شكل نحو ٤% من عدد السياح الأجانب الذين زاروا تركيا، وتعد ألمانيا وروسيا وبريطانيا هى الدول الموردة الرئيسية للسياح إلى تركيا، وهى التى يمكن للتدفقات السياحية منها على تركيا أن تؤثر بصورة قوية فى أوضاع قطاع السياحة التركى الذى يسهم بما يزيد على ٤% فى الناتج المحلى الإجمالي لتركيا.

كذلك فإن الاستثمارات الأمريكية فى تركيا محدودة، حيث إن الشركات الأوروبية هى المسئولة عن ضخ الجانب الأكبر من تدفقات الاستثمارات المباشرة وغير المباشرة إلى تركيا، هذا فضلاً عن أن الاستثمارات الأجنبية المباشرة المتراكمة فى تركيا تعتبر محدودة فى مجملها بالنسبة لدولة كبيرة مثل تركيا، حيث لم تتجاوز تلك الاستثمارات المتراكمة فى نهاية عام ٢٠٠١، نحو ١٢,٦ مليار دولار مقارنة بنحو ٢٦ مليار فى السعودية، ونحو ٢١,٤ مليار دولار فى مصر، ونحو ١١,٧ مليار دولار فى تونس، وكل هذا يعنى أن أوراق الضغط الأمريكية على تركيا فى مجال الاقتصاد تعد هامشية تقريباً، ولا يبقى سوى العلاقات الأمنية والتسليحية، وهى تمثل مصلحة مشتركة بين الدولتين ولا تصلح لأن تكون مجالاً للضغط من قبل أى دولة منهما على الأخرى، وهذا الواقع يؤكد أن الموقف الذى تتخذه الحكومة التركية من العدوان الأمريكي المحتمل ضد العراق يكون نابعاً من حسابات المصلحة المباشرة للدولة التركية فى عقد صفقة تكسب منها الكثير من واشنطن على حساب العراق وشعبه،

بالـــرغم من المعارضة الشعبية والبرلمانية للسماح بانتشار قوات أمريكية داخل القواعد التركية فقد حدث تصرفان هامان:

– ســمحت القــيادة العسكرية ببعض القوافل العسكرية المحملة بالمعدات بالنزول فى الموانئ التركية والعبور خلال الأراضي التركية إلى الحدود التركية وهــذه القيادة التركية العسكرية – من الأعراف المتفق عليها – لها حق للتدخل تحت حماية الأمن القومى التركى.

– وافــق البرلمان التركى أخيرا على فتح المجال الجوى التركى للطائرات الأمريكية العسكرية وفى نفس الوقت دفعت القوات التركية ببعض وحداتها داخل الأراضي العراقية بحجة منع تسرب أي أكراد داخل الحدود التركية مع ملاحظة مــا يسببه هذا التصرف التركى من إزعاج للقيادة الأمريكية التى لا ترغب فى ذلــك لعــدم إثارة القبائل الكردية التى أعلنت عدم قبولها دخول القوات التركية الأراضـــي العراقــية مهددة بمواجهتها والقتال ضدها خاصة، وكما كانت هناك مخــاوف أمريكــية من محاولة كل من تركيا أو الأكراد الاستيلاء على مناطق إنتاج البترول شمال العراق خاصة وقد أعلنت كل منهما رغبتهما فى ذلك ولكن بمطالب وأسباب مختلفة.

كما أن دخول القوات التركية ونشوب قتال بينها وبين الأكراد سيشغلهم عن القــتال بجانب القوات الأمريكية بل ربما ينعكس الحال وليقاتلوا ضد الأمريكيين بسبب سماحهم للأتراك بالدخول بقواتهم الأراضي العراقية خاصة وأنه سيكون هــناك شــك بأن هذا الدخول نتيجة اتفاق غير معلن مع أمريكا. وكذلك تخشي تركيا من قيام الأكراد بإعلان دولتهم المستقلة الشئ الذى ترفضة تركيا بكل شدة وبالطــبع ســيكون لدى الأتراك شك فى أن هذا سيتم بموافقة من أمريكا نظير مساعدة الأكراد لهم فى حربهم بالعراق.

## ٣– الدور الإسرائيلي والحرب فى العراق

واصلت إسرائيل تحريضها للولايات المتحدة من أجل القيام بعمل عسكرى ضـد العراق، وبدا واضحاً أن إسرائيل كانت على نفس مستوى الشعور السلبى تجاه قرار العراق بالسماح للمفتشين الدوليين بالقدوم إلى العراق ومواصلة أعمال التفتيش دون شروط.

ويعـود الموقف الإسرائيلي الحالي نحو العراق من منطلق وقوفها ضد أى تحـرك عربي للسلام مع إسرائيل والعراق يشكل جبهة الصمود والتصدى التى رفضـت مـبادرة السـادات بـزيارة القدس وتصدت لمعاهدة السلام المصرية الإسـرائيلية لعـام ١٩٧٩، كمـا أن العراق قاد عملية عزل مصر عن النظام العربي، والعزل هنا كان"عقابا"على الصلح والتسوية المنفردة مع إسرائيل.

وارتباطاً بذلك، فقد نظرت إسرائيل باستمرار إلى النظام العراقي على أنه يقـع ضمن معسكر الدول العربية التى تنظر إلى الصراع مع إسرائيل باعتباره صراع وجود، ومن ثم فالحل يكون عبر السلاح وليس على مائدة المفاوضات.

واستغلت إسرائيل حالة التمزق التى مر بها العالم العربى فقامت فى يونيو ١٩٨١ بتدمير المفاعل النووى العراقي، وأعقبت ذلك غزوها لبنان، إذ أن أجواء الانقسام العربى قد شجعت تل أبيب على القيام بأعمال عسكرية معتمدة على عدم توقعها رد فعل عربى متماسك على غرار ما جرى بعد ١٩٦٧ أو خلال إعداد وإدارة حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وبطبيعة الحال فإن إسرائيل شعرت بدرجة أعلى بالتهديد من ناحية الشرق بعـد قـيام الثورة الخومينية فى طهران فبموجب هذه الثورة تحولت إيران من حلـيف إلى عدو أيديولوجي، إذ أن الثورة استولت على مقر السفارة الإسرائيلية فى طهران وسلمته لمنظمة التحرير الفلسطينية لتستخدمه كسفارة لدولة فلسطين.

مـن هـنا كانـت إسرائيل صاحبة المصلحة الرئيسية فى اندلاع الحرب العراقـية الإيرانية فالحرب كانت فى المحصلة النهائية إنهاك لعدوين لإسرائيل، وإنهاكهمـا معـا يمثل مصلحة إسرائيلية عليا، ولذلك لم يكن مستغرباً أن تلجأ

إسرائيل إلى إمداد إيران بالسلاح عبر وسطاء فى مرحلة كانت ترمى من ورائه إلـــى إطالـــة أمد الصراع وزيادة معدلات التدمير المتبادل، وهو ما تجسد فيما عرف بفضيحة إيران جيت.

ومـــرة ثانـــية جـــاءت الفرصة لإسرائيل للتخلص من القدرات العسكرية العراقـــية، وذلـــك عندما أقدم العراق على غزو الكويت فى الثانى من أغسطس ١٩٩٠، فقد كانت إسرائيل صاحبة مصلحة فى عدم تسوية الأزمة سلمياً أو فى الإطـــار العربي، وقد ساعدها النظام العراقي على تحقيق ما تريد عندما رفض التجاوب مع الجهود التى بذلت لتسوية الأزمة سلمياً وإعلان العراق قبيل الهجوم علـــى الكويـــت بقدرته على حرق نصف إسرائيل فى حالة عدوانها على دولة عربـــية، أيضـــاً فإن إقدام العراق على الربط بين قضيتى الكويت وفلسطين قد ســـبب نوعـــاً من الارتباك للسياسة الأمريكية التى كانت تهدف إلى بناء تحالف دولى لحسم الموقف عسكرياً، يضاف إلى ذلك قيام العراق بعد بدء هجوم قوات الـــتحالف بـــإطلاق مجموعـــة مـــن الصـــواريخ من"طراز سكود"على المدن الإســـرائيلية، فرغم أن الأثر التدميرى لهذه الصواريخ كان محدوداً للغاية، فإن الأثر النفسي على الجانبين العربي - تحديداً الفلسطينى - والإسرائيلي كان عالياً للغايـــة، فهـــى المـــرة الأولى منذ انتهاء حرب ١٩٤٨ تتعرض مدن إسرائيلية للقصـــف ويقضى إسرائيليون ساعات طويلة فى المخابئ خشية التعرض لهجوم من الخارج.

مـــن هنا بدا واضحاً أنه رغم محدودية التأثيرات الحقيقية للقصف العراقي لإسرائيل، فإن تداعياته السياسية والاجتماعية والنفسية كانت كبيرة للغاية لاسيما وأن إســـرائيل منعـــت من الرد بضغوط أمريكية حتى لا يتسبب الرد فى تفكيك التحالف الدولى، وهكذا اضطرت إسرائيل إلى عدم الرد وركزت فقط على جنى أكـــبر قدر ممكن من المكاسب نظير عدم الاشتراك المباشر فى العمل العسكرى ضد العراق، وفى نفس الوقت كانت على قناعة تامة بأن القوات الأمريكية سوف تتولى تحقيق أقصى ما يمكن أن تطمح إليه إسرائيل من تدمير القدرات العراقية

ونزع قدرات العراق العسكرية لاسيما فيما يخص أسلحة الدمار الشامل ووسائل حملها.

وجاء الرفض العراقي لمؤتمر مدريد للسلام فى الشرق الأوسط والذى عقد فـــى ٣٠ أكـــتوبر ١٩٩١، ليضع العراق على قائمة القوى الموصوفة أمريكياً بـــالعداء لعملية السلام، أيضاً فإن مواصلة رفضه للحل السلمي ممثلا في رفض اتفـــاق أوســـلو، جعل الولايات المتحدة تتعامل مع العراق باعتباره إحدى أبرز القوى المعارضة لعملية السلام فى الشرق الأوسط، وهو الموقع الذى تشترك فيه طهران أيضاً والذى تجلى بوضوح فى ضم الولايات المتحدة العراق وإيران إلى ما أسمته بمحور الشر فى العالم، وهو المسمى الذى يجمعهما مع كوريا الشمالية فقط، أى أن واشنطن تقصر محور الشر على ثلاث دول فقط.

وطـــوال مـــرحلة التفاوض العربى الإسرائيلى، حرص العراق على تأكيد موقفه المعارض لهذه العملية، وبدأ نوع من الانفتاح على سوريا لاسيما بعد تأزم المفاوضـــات الســـورية الإسرائيلية وتجلى الموقف العراقي من عملية التسوية السياســـية التى تنفرد واشنطن برعايتها وهندستها وفى الدعم السياسي والمالي الذى تقدمه بغداد للشعب الفلسطينى على خلفية دعم صموده بعد اندلاع انتفاضة الأقصى فى الثامن والعشرين من سبتمبر عام ٢٠٠٠، فقد كان العراق فى طليعة الـــدول العربية التى بادرت بالتبرع لدعم الانتفاضة، بل وبادرت بالتبرع المالي لدعم أسر الشهداء، وهو ما اعتبرته واشنطن وتل أبيب دعماً "للإرهاب".

**العمل وفق الأجندتين الأمريكية والإسرائيلية.**

مثلت اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر فرصة نموذجية للولايات المتحد الأمريكية من أجل تصفية حساباتها مع نظم حكم عربية رأت أنها لم تكن متعاونة على النحو الذى تطلبه وترضاه، ومنذ الوهلة الأولى لوقوع اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر، حرصت إسرائيل على الزج باسم العراق محاولة الربط بين العراق وهذه الاعتداءات بأى طريقة، وفى هذا السياق، حدث نوع من التلاقي الأمريكي الإسرائيلى، فالولايات المتحدة الأمريكية سعت – وعبر التأييد الذى حصلت عليه بعد هذه الاعتداءات – إلى استغلال الموقف للانتقال من الرد على الاعتداءات إلى تنفيذ الأجندة الخاصة بالسياسة الخارجية الأمريكية فى مناطق شتى من العالم، وبخصوص الشرق الأوسط وفى ضوء تحديد أولويات السياسة الخارجية الأمريكية فى مجالي النفط وأمن إسرائيل، حاولت واشنطن استغلال اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر من أجل القيام بعمل عسكرى ضخم يقود إلى تغيير النظام فى العراق وتسليم السلطة لنظام جديد موال للغرب وللولايات المتحدة تحديداً، ودفع النظام الجديد إلى الاعتراف بإسرائيل وربما تبادل العلاقات الدبلوماسية معها، وهو أمر يحقق البعدين الرئيسيين للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط وهما ضمان تدفق إمدادات النفط بأسعار"معقولة أمريكيا"وضمان أمن إسرائيل.

إسرائيل من جهتها عملت على الاستفادة من المساحة المشتركة مع السياسة الأمريكية، خاصة فيما يهم البعد الثانى المتعلق بأمنها وإقامة علاقات دبلوماسية بينها وبين النظام الجديد فى العراق، فتحقيق هذا الأمر يعنى لإسرائيل تحقيق الشق الأكبر من هدفها الرامى إلى"التطبيع"مع القوة الرئيسية فى العالم العربي دون الارتباط بقضية الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، وبالتالي فخروج العراق من معادلة الصراع يمثل هدفا رئيسياً لإسرائيل.

ولكن الأهداف الإسرائيلية من وراء التحريض على ضرب العراق وتغيير نظام لا تتوقف عند هذه الحدود، فإسرائيل لديها مساحة خاصة بها غير متطابقة ع الأجندة الأمريكية بالضرورة، ويمكن أن نلاحظ بصفة عامة بشأن العلاقات لأمريكية الإسرائيلية والشرق الأوسط، أن السياسة الأمريكية أو الأجندة لأمريكية تجاه الشرق الأوسط تتحدد بالأساس وفق الرؤية الإسرائيلية بشكل عام، انطلاقا من أخذ المصالح الإسرائيلية بعين الاعتبار بالرغم من أنه فى الكثير من الحالات عادة ما تتحمل الولايات المتحدة وزر تحمل أو تبنى الرؤية الإسرائيلية، وأيضاً مساوئ وكوارث السياسة الإسرائيلية تجاه المنطقة، ويبدو واضحاً أيضاً أن شقا رئيسياً إن لم يكن الشق الوحيد فى حالة العداء العربي العام للولايات المتحدة يأتى بسبب التبنى الأمريكى للرؤية والمواقف الإسرائيلية، بل إن كافة الاتهامات التى توجه للسياسة الأمريكية باتباع معايير مزدوجة تأتى من مقارنة التصريحات والمواقف الأمريكية عامة بتلك التى تعلنها وتتخذها الولايات المتحدة تجاه الصراع العربي الإسرائيلى مؤيدة لإسرائيل على طول الخط.

من هنا فأهداف إسرائيل من وراء ضرب العراق تتجاوز الأهداف الأمريكية وهنا ندخل فى سياق الرؤية الإسرائيلية تجاه المنطقة ككل والتى تنطلق بالأساس من الرغبة الإسرائيلية القديمة بتفتيت الكيانات الكبيرة فى المنطقة، فإسرائيل عملت فى مناسبات عديدة، وتعمل حاليا و فى المستقبل أيضاً على تفتيت الكيانات الكبيرة فى الشرق الأوسط وتحديداً العالم العربى بهدف ضمان ممارسة دور الهيمنة والسيطرة الإقليمية ودفع المنطقة إلى حالة من عدم الاستقرار والتفتت وهي فكرة محورية فى رؤية وتصور آباء الحركة الصهيونية وفكرة قادة الدولة العبرية، ويمكن القول إن أوضاع ما بعد الحادى عشر من سبتمبر باتت تمثل أجواء مناسبة لعمل إسرائيلى ونشاط مكثف لتفتيت العراق، وشطر السودان، والمثالان غير بعيدين عن حالات أخرى تحتل مواقعها فى التصور الإسرائيلى.

فى هذا السياق أيضاً نجد ملامح لحملة إسرائيلية تروج لمقولة أن الولايات المتحدة لن تتوقف عند حدود العراق، بل إن العراق سيكون فقط البداية ولإ الحملة الأمريكية ستطول مصر والسعودية بعد ذلك ويستندون فى هذا القول إلى أصوات أمريكية سبق لها وتحدثت بوضوح عن احتمال دعم نشاط يهدف إلى فصل الأجزاء الشرقية من المملكة العربية السعودية – المناطق النفطية - وإعلانها جمهورية بحماية أمريكية.

أيضاً هناك تسويق إسرائيلى لما يسمى أفكاراً أمريكية حول تغيير نظم الحكم فى الدول"التى تقع فى خانة"محور الشر وتحديداً إيران والعراق، ثم الدول غير المتعاونة والمعادية لإسرائيل – مثل سوريا – والدول التى كانت موصوفة بالاعتدال وتعتبر فى معسكر الأصدقاء مثل السعودية ومصر والحجة فى ذلك حسب ما تقول مصادر إسرائيلية فى الولايات المتحدة "إليكس فيشمان مراسل صحفية يديعوت أحرونوت فى واشنطن" إن تنظيم القاعدة نما وترعرع على كراهية الغرب بفعل النظم الاجتماعية والثقافية والتعليمية القائمة فى هذه البلدان، وأضاف فيشمان نقلاً عن بروفيسور إسرائيلى قدمه باعتباره خبيراً فى شئون مكافحة الإرهاب، وبعد جولة لهذا الخبير فى الولايات المتحدة ومجموعة من الحوارات فى وزارة الدفاع الأمريكية من الممكن تلخيص موقفهم بعبارة واحدة، إنهم يعتقدون أن العالم العربي هو عالم متخلفين لا يفهمون سوى لغة القوة.

من هذا فضرب العراق بالنسبة لإسرائيل لا يمثل نهاية المطاف، بل بداية لعمل واسع النطاق يضمن استهداف الكيانات الكبيرة فى العالم العربى، ولذلك تعمل إسرائيل على نحو حثيث من أجل عدم تفويت الفرصة، واجتهدت من أجل أن تصل الأزمة الراهنة حول العراق إلى عمل عسكرى أمريكي، لذلك أبدت قيادات إسرائيلية عديدة رفضها لفكرة قبول العراق العودة غير المشروطة للمفتشين الدوليين، ورأت أن القضية باتت تتطلب جهداً أمريكياً للقضاء على النظام العراقى وضمان نزع أسلحة التدمير الشامل الموجودة لديه، لذلك بادر بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إلى التأكيد على أهمية

استمرار الولايات المتحدة فى خطتها الهادفة إلى ضرب العراق وتغيير النظام لأنه لا شئ آخر يضمن تدمير أسلحة العراق المحظورة.

ومن أجل وضع الولايات المتحدة فى أجواء المواجهة، فقد واصلت الحكومة الإسرائيلية استعداداتها الشكلية لمواجهة تداعيات العمل العسكرى الأمريكي على العراق، فواصلت عمليات تطعيم المواطنين وتوزيع الأقنعة الواقية.

من هنا يبدو واضحاً أنه فى الوقت الذى عملت فيه الولايات المتحدة على استغلال الأزمة الراهنة بين العراق والأمم المتحدة من أجل توجيه ضربة عسكرية للعراق وتغيير النظام السياسي وتولية نظام حليف يتواءم والمصالح الأمريكية فى المنطقة ومن بينها أمن إسرائيل، فإن للأخيرة حساباتها، والتى ليست بالضرورة فى تناقض مع الحسابات الأمريكية، ولكنها تتعدى هذا الهدف المباشر وتصل إلى رؤية خريطة المنطقة ككل وهى خالية من الكيانات الكبيرة.

وفى هذا السياق تبدو منطقية بعض الأصوات التى حذرت الدول العربية الرئيسية من ترك الولايات المتحدة تعتدى على العراق وتفتح الطريق أمام احتمالات تحويل العراق إلى نظام حليف للغرب وتابع له فى تكرار لتجربة حلف بغداد، أو بدء آلية لتفتيت العراق إلى ثلاث دويلات، فالعراق هنا لن يكون نهاية المطاف، بل سيكون مجرد البداية فقط، والدور سيأتى على بلدان أخرى تتعدد بها عوامل الانقسام ومبررات التقسيم ما بين دينية وعرقية ولغوية أو طائفية أو جميع هذا العوامل مجتمعة كما هو الحال فى السودان، أيضاً لا ينبغى أن تتصور دولة عربية ما أو كيان كبير أنه سيكون بمأمن عن هذه العملية، فإذا بدأت عملية التقسيم بالعراق، فإن التداعيات التى ستترتب على هذه العملية ستتيح المجال أمام تنفيذ الرؤية الإسرائيلية التى تطول كافة الكيانات الكبيرة فى المنطقة.

ويعتبر رئيس الأركان الإسرائيلي موشى يعالون أن الهجوم العسكرى الأمريكي على العراق سيؤدى إلى زلزال إقليمي يخلق أوضاعاً جديدة ويعيد توزيع القوة فى المنطقة، وهو يربط بين مصالح إسرائيل ونتائج هذا الزلزال ربطاً مباشراً فالهجوم الناجح سيكون لمصلحة إسرائيل.. أما الفشل فسيكون له ردود فعل سيئة على إسرائيل.

أصبح لإسرائيل دور جديد فى المخطط الأمريكي وهذا ما دعا إلى تنظيم التعاون العسكرى بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وكانت البداية تخزين كميات ضخمة من السلاح الأمريكى فى مخازن بإسرائيل على متن سفن أفرغت حمولاتها فى ميناء أشدود وذلك منذ فترة قصيرة، وبناء على التنسيق الذى تم فقد اتفق على أن تحصل إسرائيل على إنذار مبكر بالحرب قبل بدء العمليات بـ ٧٢ ساعة على أن يكون ذلك باتصال مباشر من بوش إلى شارون ثم يظل الاتصال قائماً على مستوى وزراء الدفاع، وستخصص الولايات المتحدة الأمريكية عدة أقمار صناعية لخدمة إسرائيل، حتى يمكن اكتشاف إطلاق الصواريخ العراقية، ليصل زمن الإنذار المبكر إلى ٧ دقائق من لحظة الانطلاق.. ومع لحظة الهجوم الأولى سيكون هناك خط تليفون ساخن مفتوح بين مكتب شارون والبيت الأبيض، كما سيتم فتح جسر جوى ينقل إلى إسرائيل معدات عسكرية إضافية، تستخدم احتياطيا لاستمرار الهجوم، مع تخزين قطع غيار للمعدات الأمريكية فى قواعد إسرائيلية، ويمكن نقلها إلى البحرين والكويت إذا دعت الضرورة لذلك. أما فى حالة أن تقرر إسرائيل التدخل فعليا عليها أن تخطر الولايات المتحدة الأمريكية أولاً.

وقد شمل التنفيذ الفعلى لهذا التعاون الأمريكي – الإسرائيلي وصول قوات أمريكية من هذه الوحدات ربما طعمت بجنود إسرائيليين دخلت فعلاً إلى الأراضي العراقية فى إطار عمليات استطلاع مخابراتى بما يدل على أن هناك دوراً ميدانياً لاستخدام القوات الإسرائيلية يأتى فى حينه، على أن يكون نطاق العمل يرتكز غرباً، وقدر الإسرائيليون أن الضربة الأولى ستكون بالصواريخ

والطائرات التى تأتى من قاعدة دييجو جارسيا ومن حاملات الطائرات بما يؤمن فتح قاعدة جوية وبرية فى المنطقة الغربية فى العراق مع إحكام السيطرة على هذه المنطقة لتكون محوراً للهجوم، وهى خطة قديمة معدلة يقوم بها الجيش الإسرائيلي لرد تهديد للجيش العراقي، وهذه المنطقة موقعة على الخرائط الهجومية الإسرائيلية تحت اسم (هـ ٣ H٣).

مع كل ما سبق فإن التدخل العسكرى الإسرائيلي المباشر فى حرب العراق كان شيئاً مستبعداً لأسباب رئيسية هامة.

أ-أن التدخل الإسرائيلي يخلق حرجا كبيرا للولايات المتحدة حيث سينظر لها كدولة معادية للعرب جميعاً حيث اشتراك إسرائيل العدو الرئيسى بل الوحيد لهم يشكك فى تلك النوايا والأهداف التى أعلنتها كأسباب للحرب ضد العراق.

ب-أن هذا التدخل العسكرى الإسرائيلي يثير حفيظة الدول العربية جميعاً وخاصة الدول الخليجية حيث يظهرها فى جانب واحد مع إسرائيل ضد دولة عربية.

جـ-سيقوى من الموقف العراقي حيث سيكسب تعاطفاً كبيراً من القوى العربية ويقوى من موقف الدول الأخرى المعارضة لهذه الحرب.

*ولكن هل لا شيء يحتم تدخل إسرائيل فى هذه الحرب؟ والإجابة على هذا التساؤل تنحصر فى سبب واحد وهو أن دولة العراق تقوم بتوجيه ضربات صاروخيه برؤوس تقليدية على المدن الإسرائيلية ولو أنها ستكون ضربة محدودة جداً فإذ لم يحدث منها أى خسائر بشرية ربما تتغاضى إسرائيل عنها تحت ضغط أمريكي أو عدم إثارة أي مشاكل بالنسبة لأهداف هذه الحرب أما إذا كانت هذه الصواريخ برؤوس كيمائية أو جرثومية فسترد إسرائيل بضربات جوية أو صاروخية ولكن من المستبعد استخدام قوات برية وسيتم ذلك بتنسيق أو بموافقة من الولايات المتحدة.

ولا يخفـــى على الكثيرين أن إسرائيل بها مخازن للعتاد الأمريكي وقواعد لاســـتقبال قـــوات أمريكية الشئ الذى يساعد الولايات المتحدة فى تعبئة القوات اللازمـــة لحمايـــة مصـــالحها وفرض هيمنتها على منطقة الشرق الأوسط مع عرضـــها بالاشـــتراك الفعلى بقواتها المسلحة فى أي عمليات أمريكية ولو أنها مـــتأكدة من عدم موافقة أمريكا على ذلك لأنه ضد تأمين مصالحها فى المنطقة وعمومـــا فإسرائيل تعتبر من أكثر الدول تأثيرا على مخططى سياسات الولايات المتحدة فى المنطقة بما يخدم مصالحها ومستقبلها. كما أن إسرائيل تعتبر الدولة الوحيدة الفائزة من قيام حرب ضد العراق. ولهذا اعتبرت الحصان الأسود الذى سيحصد جميع الأرباح.

## رابعاً: الإعلام والحرب النفسية وهوس الحرب

أعـــدت واشـــنطن حملـــة إعلامية مكثفة للتأثير السيكولوجى على القيادة والشعب العراقى وقواته المسلحة بهدف إشاعة الخوف والفزع مما يترتب عليه ضـــعف الإرادة العراقية لمقاومة الغزو الأمريكى، ويعزز الحملة الإعلامية قيام الطـــيران الأمريكى والبريطانى بضرب أهداف لمواقع رادارات ونيران الدفاع الجـــوى العراقى ليس فقط بهدف تدمير نظام الدفاع الجوى العراقى ولكنه حتى يكســـب الحملـــة الإعلامية والنفسية مناخاً ملائماً لمضاعفة التأثير السيكولوجى علـــى العـــراق، وتـــتخذ الحملـــة الإعلامية والنفسية أبعاداً سياسية وعسكرية، وسنكشف أهم جوانب هذه الحملة.

### على المستوى السياسى:

تصـــريحات ولقاءات صحفية بلهجة التهديد والوعيد وإعلان أن من أهداف الحملـــة العسكرية على العراق تغيير النظام العراقى حتى يأتى نظام جديد يدين بـــالولاء إلى الولايات المتحدة الأمريكية وينفذ خطة لنشر الديمقراطية، ثم يركز علـــى خطورة امتلاك العراق أسلحة تدمير شامل مع التأكيد على امتلاكها لهذه الأســـلحة ولو أن المفتشين الدوليين لم يعثروا على مخابئها، وتارة تعلن الإدارة

الأمريكية أن أى محاولة من القيادة العراقية لاستخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية سيكون الرد الأمريكى عليها نووياً، وتشارك إسرائيل فى الحملة النفسية وتهدد أن أى محاولة عراقية لاستخدام الصواريخ ذات الرؤوس الكيماوية والبيولوجية لضرب أهداف فى إسرائيل سيكون الرد باستخدام أسلحة نووية ونيترونية.

وفى إطار استعراض القوة السياسية تصدر تصريحات عن مسئولين أمريكيين بأن القوات الخاصة الأمريكية ستستولى على الآبار البترول العراقية وتؤمنها، وأن القواعد العسكرية الخليجية الرابطة عليها قوات أمريكية ستستخدم حتى ولو كان ذلك متعارضاً مع رغبة الدول الخليجية. بمعنى أنها أرض أمريكية طبقا للاتفاقات المبرمة.

وتتابعت التصريحات السياسية الأمريكية للضغط النفسى وللردع فى التأكيد على أن الولايات المتحدة ستشن حرباً ضد العراق إما فى إطار تحالف دولى أو بدون موافقة الأمم المتحدة ويكفيها تصديق الكونجرس الأمريكى، وأجرت الدبلوماسية الأمريكية اتصالاتها مع تركيا وإسرائيل للاتفاق على شكل التعاون بينهما وبين الإدارة الأمريكية وادعت أن القوات الأمريكية ستنتشر داخل قواعد تركية لتهاجم العراق من الشمال وأجرت اتصالاتها مع الحكومة التركية وقدمت طلبها لتخصيص قواعد عسكرية وتوالت التصريحات السياسية عن مواعيد محتمله لبدء الحرب، وكثفت الإدارة الأمريكية نشاطها داخل الأمم المتحدة لإصدار قرارات دولية تؤيد الحرب الأمريكية ضد العراق، وشن ضغوط على الدول دائمة العضوية التى تعارض الحرب، وحاولت أن تحصل على تأييد دولى كتأييد دول الناتو ودول أخرى مع احتواء المعارضة التى قامت بها كل من فرنسا وألمانيا والصين وروسيا وبلجيكا، ووجه وزير الخارجية الأمريكية اتهامات للعراق بأنه لا ينفذ القرار ١٤٤١، كما ظل يمارس ضغوطاً على الحكومة العراقية باتصاله بالأكراد فى الشمال والشيعة فى الجنوب، وتوالت تصريحات المسئولين الأمريكيين لتقلل من أهمية قبول العراق تحليق طائرة

التجسس الأمريكية وتقلل من تأثير انصياع العراق لقرار المفتشين بتدمير الصواريخ"صمود"، ويدلى وزير الخارجية الأمريكية بتصريحات فى الأمم المتحدة تدين الانتهاكات العراقية، فى إطار الحملة النفسية تعلن الإدارة الأمريكية أنها لازالت تعتزم حل القضية الفلسطينية ولكنها تترك إسرائيل ترتكب أعمالاً إرهابية ضد الشعب الفلسطينى، وتعلن الولايات المتحدة الأمريكية عن اعتقال شخصيات من القاعدة واستجوابهم وتحاول اتهام العراق بصلته بالقاعدة، وهدفت الحملة النفسية والإعلامية إلى نشر القلق والخوف والترقب، كما سمحت القيادة السياسية والعسكرية الأمريكية بتسريب معلومات عن أسلحة جديدة وخصائصها المدمرة وعن مواعيد محتملة لبدء الحرب وعن حجم القوات الأمريكية وانتشارها فى القواعد العسكرية الخليجية. وفى إطار الحرب النفسية أعلنت الإدارة الأمريكية بأنها قادرة على دخول حربين فى وقت واحد (مع العراق والأخرى مع كوريا الشمالية)، واستمرت الإدارة الأمريكية تعلن تصميمها على شن حرب ضد العراق وأن القوات المشاركة قد اكتمل انتشارها فى القواعد العسكرية وسمحت بنشر الصور التى تدل على أن القوات الأمريكية أصبحت مستعدة للحرب وعن إجراء التدريبات على حدود العراق وتهتم الإدارة الأمريكية بنشر تحركات حاملات الطائرات، كما ظلت تعلن أنها دفعت بقوات خاصة ومنها عناصر من قوات الدلتا لتلاحق الرئيس صدام حسين فى مخابئه لاعتقاله أو قتله، واستمرت الحملة النفسية فى بعدها السياسى، فقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها تعطى مهلة أخيرة للعراق آخرها يوم ١٧ مارس ٢٠٠٣. وقد رفض الرئيس بوش استلام رسالة صدام إليه والذى قدمها إليه وزير خارجية قطر.

## على المستوى العسكرى:

أعلنت المصادر الأمريكية عن تحركات للقوات الأمريكية البرية والجوية والبحرية وتعلن عن حجم هذه القوات ومناطق تمركزها مقرونة بالصور التى تفسر التحركات الجارية، وتعلن عن استكمال خطة الانتشار للقوات الأمريكية

والبريطانية والإستراليه، كما تشير إلى استخدام أسلحة جديدة لأول مرة لها قدرات تدميرية عالية وتصل إلى أهدافها بكل دقة، وقد صرحت المصادر الإعلامية الأمريكية أن واشنطن قدرت شن عدوانها على العراق فى النصف الثانى من مارس، وأن ١٠٠٠ قنبلة إلكترونية سيتم إلقاؤها على العراق فى اليوم الأول للحرب بجانب الآلاف من الصواريخ الموجهة، وأن الفرقة الرابعة المدرعة الأمريكية تستعد للانقضاض على قوات الحرس الجمهورى العراقى، وفى إطار إثارة الرأى العام أصدرت تصريحات من مخاوف أمريكية من تعرض قواتها لهجمات بجراثيم الإنتراكس والجدرى كما أشارت إلى أن البنتاجون قلق من القوات الرئاسية الخاصة التى تخضع لقيادة "قصى" وفى إطار الحرب النفسية أعلنت المصادر الأمريكية عن الأعداد المحتملة للعراقيين الذين سينزحون خارج العراق كما تعلن عن حجم الخسائر المتوقعة مقرونة بأن مدة الحرب لا تتجاوز عدة أيام أو أسابيع معدودة، وعبر شاشات التليفزيون تم تصوير تحرك القوات الأمريكية والتدريبات التى تجرى، وعلى لسان المخابرات الأمريكية توقعت بدء العمل العسكرى ضد العراق خلال ١٠ أيام، وفى إطار الحملة النفسية أعلنت على صفحات الجرائد بأن الحشد العسكرى الأمريكي فى الخليج وشرق المتوسط يتجاوز ٢٢٥ ألف جندى، ١١١ ألف جندى فى الكويت و١٠٠ سفينة حربية تجوب المياه فى مسرح العمليات، وفى إطار الاستمرار للحملة النفسية صدرت تصريحات عن تقرير المعهد البريطانى تحدد ثلاثة سيناريوهات للأزمة العراقية وتعلن أن إسقاط صدام حسين يزيد من النفوذ الأمريكى فى المنطقة ولكنه لا يضمن مزيداً من الاستقرار للعراق، وتحذيرات من تأثيرات عميقة سلبية وتدهور اقتصادي وتصاعد التطرف ونزوح لاجئين، ويشير البعض إلى أن أخذ طلب الحكومة التركية موافقة البرلمان التركى على حشد قوات أمريكية على أراضيها ما هى إلا حركة مسرحية للتمويه عن الحشود العسكرية التى تنتشر فعلا فى تركيا. وقد حسمت الإدارة الأمريكية موقفها ونجحت فى فتح المجال الجوى التركى لطائراتها والحدود لبعض القوافل.

وفـــي إطـــار الحملة النفسية فإن تكاليف الحرب تتأرجح ما بين ٩٥ مليار دولار و١٠٠ مليار دولار وأن العراق سيدفع ثمن احتلاله وإعادة إعماره، كما أن هـــناك توقعات إلى حدوث خسائر بالغة داخل العراق، وسيكون هناك نزوح لعراقيين هـــرباً مـــن هول وأخطار الحرب المدمرة، وكذلك إعلان باول أن الولايـــات المـــتحدة الأمريكية لا تحتاج إلى موافقة الآخرين لحماية أمنها وشن الحـــرب ضـــد العـــراق، وقد أعلن أن القوات الأمريكية تتدفق على تركيا دون انتظار تصديق البرلمان

## دور الحرب النفسية والإعلامية في الصراع:

تمثل الحرب النفسية والإعلامية أحد العناصر الرئيسية في الحشد العسكري وأحـــد عناصر النجاح في الحرب.. من هذا المنطلق شنت حملة الحرب النفسية والإعلامية التي خططتها الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق، ويمكن القول إن الحملة النفسية هذه لم تبدأ مع التخطيط للغزو المنتظر إنما كانت مستمرة منذ الحشـــد العســـكري لقوات التحالف لحرب الخليج الثانية (تحرير دولة الكويت) فاستمرار القصف الجوي شبه اليومي والصاروخي كل فترة وأخرى واستمرار الحصـــار السياسي والاقتصادي والعسكري ضد العراق وكثفت الحملة مع بدء أحـــداث الأزمـــة الحالية من نشر المعلومات عن القوات والقواعد على الحدود العراقية وفي أغلب دول الجوار لها من الكويت وقطر وتركيا وعناصر في كل من الأردن والسعودية وغيرها شكلت ضغطا نفسيا وإعلاميا على العراق.

وقـــد كان للعديد من التنازلات التي قدمتها العراق خلال الفترة القليلة قبل نشوب الحرب مثل تفتيش القصور الرئاسية، تحليق طائرات التجسس U-٢ فوق الأراضـــي العراقـــية، إلـــى استجواب العلماء والكشف الفعلى عن آثار أسلحة التدمير الشامل وملفاتها لمفتشى الأمم المتحدة كل هذا ما كان يمكن أن يتم لولا الحشـــد العســـكري الضخم في المنطقة والحملة النفسية والإعلامية الشديدة التي شـــنتها الولايـــات المتحدة الأمريكية على العراق كما أنها من جانب آخر أثرت

على الروح المعنوية لأفراد الشعب العراقي وهو يرى مصالح وجامعات ومباني خاصة تنتهك حرمتها ولم يستثن من ذلك قصور الرئاسة.

إن العلوم الاستراتيجية والعسكرية الحديثة لا تعترف بما يسمى بنقطة اللاعودة.. ولكنها تعترف فقط بمبدأ كيف يمكن تحقيق المهمة بأقل تكلفة.. وتصل أي قوات في العالم إلى قمة النصر إذا استطاعت أن تتحرك بسرعة وتحشد قواتها في الوقت والمكان المناسبين وتحقق تهديدا جديا وصارما يؤدي في النهاية إلى فرض إرادتها على الخصم.. فتحقق بذلك كافة الأهداف السياسية والعسكرية المرجوة دون أن تطلق طلقة واحدة.. والعبرة هنا بتحقيق الأهداف وليس الدخول في عمليات عسكرية دون الحاجة وتحمل تكاليف باهظة وتداعيات خطيرة.. فالحالة العراقية لم تكن بسيطة كما روجت لها وسائل الإعلام الأمريكية سيناريوهات الاستسلام، إن الأمر أكثر من ذلك بكثير.. فقد كانت الأمور قبل الحرب واضحة الآن، تعاون العراق مع المفتشين لا مشاكل فيه. والمسألة أصبحت فقط مسألة وقت لا أكثر ولا أقل ولا أحد يتوقع أية مشاكل بعد التعاون الواضح الذي نراه من جانب النظام العراقي في تعامله مع قرار الأمم المتحدة (١٤٤١).. الشيء الذى صعب من مهمة الإعلام والحرب النفسية إلا أننا نجد تصعيدا مفاجئا في التصريحات، كل فترة يصدر من الإدارة الأمريكية وبشكل متقارب تعلن فيه نفاذ الصبر.. وأن الوقت يمر سريعا وهكذا.

بالتحليل المبسط لتلك التصريحات نجد أنها جزء من خطة الحرب النفسية التي شكلت نفسها في كل فترة زمنية بما يشبه ضربات (موج البحر.. فبتكرار تلك الضربات وبشكل منتظم تدفع النظام العراقي لحالة من اليأس والاستسلام المؤدي للانهيار من الداخل وهذا بدوره سوف يهئ فرصا لأعمال عسكرية استعراضية تتدرج تصاعديا بهدف معونة العناصر الداخلية لإسقاط النظام من الداخل وهذا هو الهدف الأمثل للإدارة الأمريكية.

ولتحقيق هذا الهدف قامت الإدارة الأمريكية بتسخين الموقف باستمرار مع التهديد الدائم بالقوة العسكرية التي أصبحت متواجدة في المنطقة.. كل ذلك من

أجـل إسقاط نظام صدام العراقي دون مشاكل وبأقل خسائر، بحيث إذا لم يسقط النظام يمكن للآلة العسكرية أن تتحرك بحسابات تتصاعد مع الوقت.. ضمن عدة مراحل تبدأ بالضربة العسكرية وتنفيذ المخطط الأمريكي.

كمـا أن الولايات المتحدة منذ عملية عاصفة الصحراء عام ١٩٩١ وحتى الآن مارسـت ضد العراق حرباً استنزافية أمريكية، بريطانية بمعدلات بسيطة، ولكـنها مؤثرة، وفي ظل هذا الضرب الاستنزافي، وجدت الولايات المتحدة أن العـراق بـدأ فـي إعادة بناء بعض قواعده التي تم تدميرها، وطور راداراته، واسـتطاع أن ينصب منصات للصواريخ في محاولة منه لإعادة تنظيم صفوفه ودفاعاتـه مرة أخرى، وعلى الفور نفذت ضده عملية ثعلب الصحراء في عام ١٩٩٨ وهذه العملية كانت قصيرة ولكنها قوية ومركزة، واستطاعت من خلالها تدمير ما أعاده صدام وشل قدرته على تنفيذ أي تطوير مرة أخرى.

كذلك بدأت الولايات المتحدة المرحلة الأولى وهي التي تسبق استخدام القوة العسكرية وتسمى بمرحلة (الردع الجسيم) وتتضمن إعلان الهدف وهو القضاء علـى جميع القدرات العسكرية العراقية ثم استعراض كافة الإمكانيات والقدرات العسـكرية المتطورة محاطة بحملة نفسية كبيرة، تشمل جميع دول العالم وليس العـراق وحـده، لـتؤكد من خلالها على تحقيق الهدف بالقوة، وعلى الطرف الآخـر أن يرضـخ لجميع مطالب الولايات المتحدة، دون أي شروط، وفي أثناء ذلـك تـتدخل دول العالم للضغط على الطرف الآخر للرضوخ حتى لا يتم شن حملة عسكرية قوية ضده، وهذه الحملة النفسية تخلق حالة من عدم المعارضة، واسـتخدمت فـي هـذه المـرحلة جميع الإمكانات من عمليات تحرك للقوات، وعملـيات الفـتح الاستراتيجي لها، وإنشاء قواعد عسكرية في منطقة الخليج، ولإقامـة أضخم مناورات عسكرية في الخليج في قطر والكويت في نفس الوقت مع تدفق القوات والأسلحة والمعدات المطورة والمقذوفات، والتي لم تستخدم في أي حرب من قبل.

وفـي مـثل هذه المرحلة عامل الوقت عنصر مهم فهي عملية تصاعدية، ويصل بالطرف الآخر (العراق)، إلى حافة الهاوية، فإذا رضخ فقد تحقق الهدف ونجحـت المـرحلة الأولى، وإن لم يستجب، واستنفذت جميع التهديدات حياله تستخدم القوة التي تم إعدادها من خلال ضربة حاسمة وفي أقل وقت ممكن.

أمـا المـرحلة الثانـية من الاستراتيجية العسكرية الأمريكية، فكانت تنفيذ الضربات العسكرية المكثفة، من خلال سيناريوهات وضعت للتنفيذ ويتم اختيار الأنسـب في الوقت المناسب للتنفيذ ومنها سيناريو صربيا أو ميلوسيفيتش، ويتم خـلال هـذا السـيناريو توجيه ضربة جوية صاروخية مكثفة، ومستمرة لفترة زمنية، تستهدف كل القصور والمنشآت الرئيسية والمعسكرات الحربية، وأماكن تجمـيع القوات ومراكز الاتصالات، والمنشآت الحيوية التي لها علاقة بالنشاط العسكري أو خدمته، منها الطرق والكباري والبنية التحتية للعراق.

وتهـدف هـذه الضربة مع استمرارها إلى فقد النظام الحاكم السيطرة على الـبلاد، ويحـدث خلل داخلي وانتفاضات في شمال العراق حيث الأكراد وفي الجنوب أماكن تجمع الشيعة، وحتى تصل إلى الأماكن التي يسيطر عليها صدام حسـين داخل العراق، مما يؤدي إلى إسقاط النظام من الداخل، وظهور عناصر تسيطر على الحكم.

ويصاحب هذه العملية العسكرية، حرب نفسية واسعة النطاق، تستخدم فيها كافـة الوسـائل لتحفيز الشعب العراقي والعناصر العسكرية لقلب نظام الحكم، وذلـك عـن طـريق طـرح مشـروعات عديدة للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكـية، والمسـاندة المسـتقبلية، وتشارك في هذه الحرب النفسية عناصر مخابراتـية في الداخل تم تجنيدها وهى مدربة على أعلى مستوى بالإضافة إلى وسائل الإعلام المختلفة.

وهكـذا تسـتمر الحملة النفسية الأمريكية سواء منذ بداية التلميح باستخدام القـوة العسـكرية وحـتى خلال مراحل التنفيذ مع الاستخدام للوسائل المناسبة لتحقيق الحملة العسكرية النفسية على العراق وشعب العراق.

كمـا أن الحملـة العسكرية النفسية الأمريكية وجهت إلى كل من عناصر القـوات المسلحة والمدنيين في العراق فالحملة الموجهة للعسكريين كانت تهدف إلـى إثنائهم عن القتال والدفاع عن النظام ودعوتهم للعودة سالمين أو الاستسلام حـتى لا يتعرضوا للقتل، والحملة ضد المدنيين كانت بهدف انقلابهم على نظام الحكم ودفعهم للترحيب والتعاون مع القوات العسكرية المهاجمة التي ادعت أنها قادمـة لتخليصـهم من النظام الحاكم ومنحهم الحرية والسلام. وفى نفس الوقت تحذيـر العسـكريين مـن الاشـتراك فى استخدام أسلحة الدمار الشامل وأنهم سيحاكمون كمجرمي حرب وحثهم على رفض أي أوامر لقيادتهم بذلك.

## ومن أمثلة الآليات المستخدمة في الحرب النفسية:

### ١-التهديد والوعيد:

ومـن أمثلـته فـي إطار الحملة النفسية أكد وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسـفيلد فـي ٢١ ديسمبر ٢٠٠٢ أن الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع أن تخوض في آن واحد الحرب على ثلاث جبهات في إشارة إلى الحملة الأمريكية علـى الإرهـاب وحـربا في العراق ونزاعا محتملا مع كوريا الشمالية وعن محاكمة المخالفين كمجرمي حرب.

### ٢-التضليل والتشويش:

أ.مـثل المنشـورات التي ألقتها الطائرات والصواريخ للإعلان عن راديو المعلومات الذي كان يبث اللوم والنقد للنظام العراقي الحاكم.

ب.الاتهامات الموجهة من وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في خطابه أمـــام مجلـــس الأمـــن فـــي الخامس من فبراير ٢٠٠٣ والتي قدم فيها صورا وتسجيلات تؤكد امتلاك العراق لأسلحة التدمير الشامل.

## ٣-استمالة القوات المسلحة العراقية:

ومـــنها المنشـــورات التـــي ألقيت على القوات المسلحة تنادي الجنود بعدم الـــتعاون مع النظام والتفكير في العودة سالمين إلى أهلهم وأسرهم، ففي التاسع والعشـــرين مـــن أكـــتوبر ٢٠٠٢ أعلـــن البنتاجون أن طائرات تابعة للتحالف الأمريكـــي البريطانـــي أسقطت طنين من المنشورات فوق جنود العراق تحذر القوات العراقية من استخدام بطارياتها المضادة للطيران وتحمل العبارة الآتية:

"قبل أن تطلقوا النار على قوات التحالف فكروا في العواقب وعلى الجانب الآخـــر تبدو صورة لعائلة عراقية في وضع الحداد"مع عبارة"فكروا بعائلاتكم.. افعلوا ما يلزم للبقاء أحياء".

## الحرب الإعلامية الأمريكية:

وفـــي تحـــول شامل في القطاعات العسكرية الأمريكية منذ منتصف يوليو ٢٠٠٢، قـــام وزيـــر الدفـــاع دونالد رامسفيلد وكبار مساعديه بمراجعة المهام العســـكرية وتأسيس دوائر جديدة لكي تصبح"حرب الإعلام"عنصرا مركزيا في أي حـــرب تخوضها الولايات المتحدة، ويتوقع البعض أن يبلغ هذا الجانب نفس درجة الأهمية التي تتمتع بها القنابل وقذائف المدفعية.

حرب المعلومات لها عنصران أثناء زمن الحرب حيث وسائل الاتصالات، وتوصيل المعلومات طرف فعال فى الحرب النفسية.

ويعتـــبر العنصـــر الأول عسكريا بحتا، إذ يتضمن هجمات على اتصالات الـــرادار وأنظمة المعلومات الأخرى التي يعتمد عليها الخصم في تسيير قدراته

على القتال ويشمل هذا الصنف الحرب النفسية التقليدية مثل إسقاط منشورات أو بث إعلام دعائي بين وحدات الخصم.

أما العنصر الثاني فهو غير مباشر، ويتمثل في نشر معلومات عامة يحتاج إليها الشعب الأمريكي كي يعرف ما يجري خلال الحرب، كي يحدد على ضوئها موقفه، ومن المفترض أن تكون هذه المعلومات صحيحة.

ومع تبني هذه السياسة الجديدة، تتزايد مساحة الحدود الفاصلة بين المعلومات الحقيقية والأخبار من جانب، والعلاقات العامة والدعاية والحرب النفسية من جانب آخر، إذ تستهدف السياسة المتبعة بينهما الخصم ظاهريا، فإن ضحاياها سيكونون في الغالب هم الناخبون الأمريكيون.

وجربت أولى خطوات رامسفيلد في هذا الميدان الخطير العام ٢٠٠٢ الماضي حينما تم تشكيل"مكتب التأثير الاستراتيجي"التابع لوزارة الدفاع (البنتاجون) وكانت إحدى مهام هذا المكتب المعلنة بث المعلومات الخاطئة والدعاية المضللة فى الإعلام الخارجي والأجنبي لمساعدة الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب.

والهدف المعلن لهذا الإعلام الأجنبي، خصوصا في منطقتي الشرق الأوسط وآسيا، مثلما أكد المنتقدون، أنه في عصر الاتصالات الفورية بين كل أصقاع الكرة الأرضية تتمكن واشنطن من القيام بنشاطات الدعاية خارج الولايات المتحدة بدون أن يتم بث نفس الدعاية داخليا

ولمواجهة الاحتجاج الشعبي المتصاعد تجاه هذه السياسة أعلن رامسفيلد أن ذلك لم يكن إلا نتيجة لسوء الفهم فالبنتاجون لم يكذب أبدا على الأمريكيين، كذلك تم إغلاق"مكتب التأثير الاستراتيجي"لكن هاجس السيطرة على الإعلام الشعبي وتكييفه لأهداف الحكومة لم يتم تلاشيه.

فخلال العام ٢٠٠٢ شكل رامسفيلد موقعا وظيفيا جديدا هو السكرتير الثاني المساعد ل"للخطط الخاصة"واعتبرت العبارة صيغة أنيقة خفية لعمليات التضليل

وسيكون المسئول على سياسة الخطط الخاصة في قمة بناء إداري يتم إنشاؤه باسم"حرب المعلومات".

وللوصول إلى ذلك تسلمت"القيادة الاستراتيجية الأمريكية"في الأول من أكتوبر ٢٠٠٢ الماضي وبشكل لم يثر ضجة جميع المسئوليات المتعلقة بالهجمات المعلوماتية على الصعيد العالمي، ولم تكن هذه الوكالة حتى ذلك التاريخ تركز على أي شئ عدا الأسلحة النووية، كذلك تم تحويل مهام القوة الجوية الثامنة التي كانت مكلفة بقيادة القصف الجوي والتي نفذت الحرب الجوية ضد ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، إلى أطراف أخرى كي تركز بشكل خاص على الهجمات المعلوماتية التي تنفذ على الصعيد الدولي.

وفي الوقت نفسه، عززت القوة البحرية الأمريكية جهودها ضمن إطار قيادي جديد يسمى "القيادة الحربية لشبكة القوة الجوية" بينما أصبحت خطط القدرات الاستراتيجية المشتركة التي أعدتها هيئة الأركان العسكرية العامة تتضمن معلومات لها نفس الأهمية في الميادين الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية.

وتعتبر خطة القدرات الاستراتيجية الموجه الرئيسي للحرب بالنسبة للقيادة العسكرية الأمريكية، فهي تنشئ ما يسمى بـ "الخيارات الرادعة والمرنة للمعلومات" بما يتعلق بالحروب على المستوى العالمي، مثل الحرب على الإرهاب، والخطط المنفصلة التي تهيئ لمسارح حرب من جانب واحد مثل الحرب المحتملة على العراق.

ويمكن القول إن الوثائق الجديدة والتغيرات التنظيمية الكبيرة التي وقفت وراءها ركزت بالدرجة الأولى على مهام مثل التشويش الإلكتروني وتضليل أنظمة رادار الخصم وعرقلة شبكات القيادة والسيطرة لديه، وفعاليات من هذا النوع دفع إلى الأمام تلك الجهود التي ظلت جزءاً من تكتيكات الولايات المتحدة العسكرية لعقود كثيرة.

لكـن تلخيصـا لخطـة القدرات الاستراتيجية ولمجموعة كبيرة من وثائق البنـتاجون كشـفت أن الأسلوب الجديد اشتمل كذلك على عناصر أخرى، مثل إدارة المعلومـات الموجهـة للجمهور، والجهود الهادفة للسيطرة على مصادر الوسـط الإخـباري، والتلاعب بالرأي العام، ملخص الخطة على سبيل المثال يـتحدث عـن "التضليل الاستراتيجي" وعن "عمليات التأثير" كأدوات أولية في حروب المستقبل.

وحسـب توجيه آخر صدر من البنتاجون حول سياسة "حرب المعلومات" سـيكون على القادة العسكريين أن يستعملوا "العمليات المعلوماتية" لرفع معرفة الجمهـور، وكسـب تأييد أكبر للسياسات الائتلافية والقومية وأهدافها لمواجهة الدعاية المضادة ومواجهة المعلومات الخاطئة التي تتسرب إلى وسائل الإعلام.

ووضعت كل من قيادتي القوة الجوية والقوة البحرية عنصر التضليل كواحد مـن خمـس مهـام تدخل ضمن حرب المعلومات، جنبا إلى جنب مع الهجوم الإلكتروني والحماية الإلكترونية والهجمات النفسية والقضايا التي تخص الرأي العـام، ولكـي يتم القيام بعمل جيد في ميدان التضليل، أصدرت هيئة الأركان العامـة"سياسة مشتركة للتضليل العسكري"توجه الدوائر كلا على حدة كي تعمل بـأداء مهامها أثناء السلم والحرب معا، وأمرت هذه الدوائر بشكل خاص القوة الجوية الأمريكية بتطوير نظرية وتقنيات أفضل لإدخال عمليات التضليل كجزء من أي خطط حربية.

ومـن جانـبها، بـدأت القـوة الجوية كرد فعل على تلك الأوامر بتعريف التضـليل العسـكري بأنه فعل يقوم"بتوجيه الخصوم توجيها خاطئا مما يجعلهم يتصرفون حسب أهداف الولايات المتحدة".

ولـيس هـناك شئ خاطئ في السعي لتمثيل وجهة النظر الأمريكية بشكل عادل في الإعلام، داخل وخارج الولايات المتحدة، لكن القيام بذلك بشكل صحيح يتطلـب انفـتاحا أكثر وتخليا أكثر عن السرية غير الضرورية، إلا أن المشكلة

تكمن في رؤية رامسفيلد لحرب المعلومات، إذ أنها تدفع إلى ما وراء التصور الذي يرى أن الأفكار الأمريكية والمعلومات يجب أن تتنافس مع أفكار ومعلومات الخصم على مستوى ساحة الحرب نفسها، فرؤية رامسفيلد من خلال مزجها بالمعلومات الموجهة للجمهور الأمريكي وعنصر التضليل بدأت تتحدر داخل الدوائر العسكرية نفسها فمن خلال برامجهم المنتظمة أوضحت أنه عند حدوث تدخل عسكرى فى العراق هناك خطر بأن يستعمل العراق أو منظمات إرهابية أسلحة كيماوية أو جرثومية قد تؤثر سلبا على المنطقة وقال المسئول:"لا نملك معلومات عن تهديدات محددة لكننا نعتقد مع ذلك بأن إصدار أمر بالرحيل إجراء اضطراري".

كما أمرت أستراليا دبلوماسييها عبر موقعها على الإنترنت إلى"خطر وقوع هجوم من جانب العراق قد تستخدم فيه أسلحة كيماوية وبيولوجية فى حال اندلاع المعارك". وأضافت:"إذا كنتم فى الكويت فعليكم المغادرة بسرعة واغتنام استمرار وجود رحلات جوية". وأضاف البيان أن"أسر العاملين فى السفارة غادرت الكويت".

وفى هذا المجال تستخدم ١٢٠ ساعة بث إذاعي فى حربها النفسية كما أسقطت الطائرات الأمريكية ١٤ مليون منشور فوق العراق تحض العراقيين عسكريين ومدنيين على التمرد وعدم إطاعة أو أمر القيادة العراقية.

وقال سكان عراقيون أن الولايات المتحدة فى إطار توسيعها لنطاق الحرب النفسية على العراق تبعث برسائل بالفاكس إلى سكان بغداد تحضهم على مساعدة الجنود الأميركيين فى حال نشوب حرب. وتضمنت الرسائل كذلك كيفية التقاط بث محطة إذاعة تابعة للجيش الأمريكي تبث إرسالها باللغة العربية.

ونقلت وكالة "رويترز" عن رسالة موجهة أنها تطلب من السكان فى حال التقائهم بجندي فقد طريقة أو طيار ضربت طائرته من القوات المتحالفة أن يقدموا له كل ما يستطيعون توفيره من الماء أو الغذاء أو الرعاية الصحية إذا

كـــان يحـــتاجها، وإرشـــاده إلى الطريق أو إلى مكان آمن وأنهم سيلقون الشكر والمكافأة على ذلك.

ودعـــتهم رســـالة أخرى إلى الاستماع فى وقت الأزمات إلى محطة إذاعة "راديـــو المعلومـــات" وأعتطهم طول الموجة التى يبث الإرسال عليها. أمطرت واشنطن العراق بمنشوراتها الدعائية لمدة شهور. وأسقطت الطائرات الأمريكية الـــتى تراقـــب منطقة حظر الطيران فى جنوب العراق ملايين المنشورات على قواعـــد عســـكرية تحض الجنود على عدم إطلاق النار على القوات الأمريكية وشـــنت الولايات المتحدة كذلك حملة بالبريد الإلكتروني بعثت خلالها بالرسائل إلى مسؤولين عراقيين تحضهم على كشف أسلحة الدمار الشامل المزعومة وعدم الامتثال لأى أوامر باستخدامها.

وتمطر السماء فى جنوب العراق وشمالها بشكل مستمر منشورات تخاطب العراقيين والجنود منهم بشكل خاص وتحثهم على البقاء فى بيوتهم مع عائلاتهم والابتعاد عن"الطاغية صدام حسين"وتحدث أحد هذه المنشورات عن أن الرئيس العراقى يعيش فى ترف شديد. وتساءل المنشور مخاطبا الجندى العراقى"إياهما أفضل بالنسبة إليك عائلتك أم صدام"؟

ونقلـــت "واشـــنطن بوست" عن مسئولين عسكريين أن المنشورات تعكس عملـــيا مخاوف الإدارة الأمريكية من استعداد الوحدات العسكرية العراقية للقتال دفاعـــا عـــن النظام كما خشوا أن يستعمل العراق فى الحرب أسلحته الكيماوية والبيولوجـــية ويقـــدم على تدمير آبار النفط واستخدام المواطنين كدروع بشرية لحماية القيادة العراقية.

ويخاطب أحد المنشورات الجنود العراقيين "إن أى وحدة عسكرية تقدم على اســـتعمال ســـلاح دمـــار شـــامل ستواجه ردا عنيفا وسريعا من قوات الحلفاء. وســـيعتبر قـــادة الوحدات العسكرية مسئولون فى حال استعمال أي من أسلحة

الدمار الشامل" وهذه بعض العينات من المعلومات والتصريحات التى أصدرتها وسائل الإعلام خلال هذه الفترة وسببت نوعا من البلبلة.

وبعد تسارع المؤشرات إلى أن العمليات العسكرية باتت مرتقبة خلال ساعات، وإعلان مفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية عن تلقى توصية أمريكية بالانسحاب من بغداد، نقل التليفزيون العراقى عن صدام قوله إن بلاده لم تعد تمتلك أسلحة دمار شامل، بعدما كان قد هدد بنقل الحرب إلى"أى مكان فى العالم" إذا نفذت الولايات المتحدة خططها للغزو. وأعرب مرة أخرى عن أمله بألا تندلع الحرب وقال: لسنا بحاجة إلى اختبار شجاعتنا وصمود شعبنا". لكنه شدد على رفض "تسليم العراق" فى حين أعلن وزير الخارجية ناجى صبرى رفض الإنذار الأمريكي الموجه إلى صدام بالتنحى أو مواجهة عواقب الخيار العسكرى.

وبعد سحب قوة مراقبة الحدود العراقية ــ الكويتية، أعلن ناطق باسم الجيش الكويتى أن وحدات أمنية كويتية ستستلم الجانب الكويتى من الشريط الحدودى المنزوع السلاح.

وتزامنت هذه الخطوة، مع التطورات المتسارعة على طريق الحرب، مع إجلاء دول عدة دلوماسييها ورعاياها من العراق والكويت لاسيما الرعايا الأمريكيين والبريطانيين، وفى نيويورك، استبدل مجلس الأمن خطط الاجتماع لمناقشة الاقتراحات الفرنسية ــ الألمانية ــ الروسية بجلسة مغلقة لبحث خطط إجلاء المفتشين والموظفين الدوليين من العراق. واستبقت الدبلوماسية البريطانية ــ الأمريكية ــ الأسبانية الجلسة بإعلان التراجع عن طرح مشروع قرار الحرب للتصويت وذلك فى حملة تبرير لإغلاق النافذة الدبلوماسية ولوم مجلس الأمن واستفردت فرنسا.

ووضعت الإدارة الأمريكية والحكومة البريطانية الختم الأخير على الاستغناء عن المجلس والتفرد بقرار الحرب، واكتفيا بقرار الخيار العسكرى الذى تضمنه القرار ١٤٤١ من وجهة نظرهما.

وكانت جولة اتصالات تلت القمة الأمريكية ــ البريطانية ــ غير آبهة بمعارضة الرأى العام العربى والإسلامي والدولى للعمل العسكرى الذى تزمع الولايات المتحدة شنه على العراق، واصفا"الموقف الأمريكي بأنه تسلط نتألم له والعمل العسكرى بأنه غير مبرر فى أي حال".

ودعا الأمير نايف خلال لقاء مع عدد من الإعلاميين والصحفيين السعوديين فى مقر صحيفة "عكاظ" السعودية فى جدة إلى "التكاتف الوطنى لتجنب المملكة أى خطر أو ضرر، حتى تزول هذه السحابة السوداء عن المنطقة". وأكد أهمية التعامل مع الظروف الحالية بروح المسؤولية الوطنية "لأن الظروف الراهنة تحملنا مسؤولية أكبر، وحض رجال الإعلام على تحمل مسؤوليتهم تجاه وطنهم فى مخاطبتهم الناس" وأضاف: "كل مواطن مسؤول وعليه أن يشارك فى درء الخطر عن بلاده والتضامن مع قيادته ودولته فى تجنب بلادنا أكبر قدر ممكن من آثار وسلبيات قد تنتج عن العمل العسكرى المحتمل". وأشار إلى وجود أخطار على المملكة بسبب الأوضاع الحالية، وقال: "إن الخطر الماثل يحتاج إلى أن نكون جميعا يدا واحدة لا يجد فينا الآخرون إلا القوة والصمود والاعتماد على الله".

# الخاتمـــة

إن هذا الكتاب يؤكد على أن الإعداد والسير في طريق الحرب على العراق لـــم يـــبدأ ببدء الأزمة الأخيرة وعرض القضية على مجلس الأمن بل ولم يبدأ التفكير فيه عقب أحداث ١١ سبتمبر . ولكن بدأ التفكير فيه قبل ذلك بفترة كبيرة قد يكون منذ انتهاء حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران والتي انتهت لصالح العـــراق أو بـــبدء غزو العراق لدولة الكويت . وقد شجع على ذلك أن مزامنة حـــرب الخلـــيج الثانـــية مع انهيار الاتحاد السوفييتي وتفككه وشعور الولايات المـــتحدة بســـيادتها على دول العالم أجمع وامتلاكها لقدرات شاملة من سياسية واقتصادية وعسكرية غير مسبوقة جعلها تحس بالزهو والقوة التي تشعرها بأنها ليســـت فـــي حاجة إلى العالم ولكن العالم هو الذي في حاجة إليها الشيء الذي أصـــابها بالتعالي والغطرسة وتناست ما كانت تنادى به من قيم والتزامات بنشر الديمقراطـــية والحريات والمحافظة على حقوق الإنسان ونشر السلام واستبدلت بكـــل ذلك الدفاع عن مصالحها القومية فقط وكانت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بمثابة الزلزال الذي هز كل هذه القيم والمبادئ وأسقط كل مفاهيمها الاستراتيجية وشكك في آلياتها المستخدمة لتحقيق أهدافها ومصالحها نتيجة شعورها – ولأول مـــرة – بالتهديد المباشر لأمنها القومي ومهاجمتها في عقر دارها بعد أن كانت هي التي تساعد على توفير الأمن والسلام لدول العالم .

واتخـــذ الإعـــداد للأزمـــة العراقية وإدارتها عدة اتجاهات متوازية . اتجاه باســـتخدام هيئة الأمم المتحدة ( مجلس الأمن ) للضغط على دولة العراق بهدف حصارها وإضعافها بالتحكم في اقتصادها والسيطرة على بترولها والتفتيش على أي أسلحة دمار شامل تمتلكها . واتجاه آخر يهدف إلى ردعها وتخويفها بحجافل من الحشود العسكرية على حدود العراق وفى المياه الإقليمية حولها سواء البحر المتوســـط أو الأحمر أو الخليج العربي أو المحيط الهندي . والاتجاه الثالث هو بالضغط على دول العالم لتأييدها سواء بالترهيب أو الترغيب بمبدأ أعلنته وهو"

مـــن لـــيس معنا فهو ضدنا " ومارست ضغوطا هائلة على الدول العربية ودول الجوار الجغرافي للعراق .

ونجـد بكل أسف وحسرة الجانب الآخر العراقى وقد مارس نفس سياسته العقـيمة التـــي اتـبعها خـــلال الإعداد لحرب الخليج الثانية وإدارتها . سياسة الشـــعارات والأحـــلام غـــافلا ومتناسيا المتغيرات العالمية والإقليمية ورافضا ومتعالـــيا عـــن كـــل النصائح التي توجهها الدول الصديقة متجاهلا كل الثوابت والدلائل التي تؤكد أن التهديدات التي يواجهها هي تهديدات حقيقية وأن الحرب لا محالـــة إذا اســـتمرت فـــي موقفها المتعنت فسرعان ما تخبطت في قراراتها وترددت في تنفيذها فتأتي متأخرة وفى غير موضعها، رفضت لجان التفتيش ثم قبلـــت بها وفتحت أراضيها ومنشآتها على مصراعيها للتفتيش، رفضت التفتيش الجـــوي ثـــم عـــادت وقبلته مما زاد من أعدائها وأضعف من موقف أصدقائها وخاصة الدول العربية التي هاجمتهم ولم تقدر ظروفهم الصعبة التي تسببت في خلقهـــا مما أدى إلى إضعاف الموقف العربي العام أمام الولايات المتحدة والعالم أجمـــع . كل هذا يبين بما لا يدع مجالاً للشك أن هذه الأزمة أظهرت أن هناك جانـــباً يعمـــل بجد وبتخطيط متكامل ويحشد طاقاته وقدراته الشاملة للعمل ضد العـــراق فـــي الوقت الذي كان فيه الجانب الآخر وهو العراق لاهيا في خيالاته وأحلامـــه مســـتبعدا تطور هذه الأزمة إلى حرب ومتهاونا بكل ما يحيق به من مخاطر وأضرار.

وأخـــيرا شهرت أمريكا الحرب على العراق متجاهلة أو متحدية المعارضة الشـــديدة التـــي واجهـــتها من معظم دول العالم وخاصة من حلفائها الأوروبيين (فرنسا وألمانيا وبلجيكا) بجانب روسيا الاتحادية والصين ودول كثيرة أخرى في العالم وعدم موافقة مجلس الأمن وإعلان الدول العربية – بالرغم من ظروفها – رفـــض الحـــرب كحل للأزمة وعدم المشاركة فيها هذا بجانب معارضة الرأي العالمـــي وكـــذا الـــرأي العام الأمريكي والبريطاني والتعبير عن هذا الرفض بالمظاهـــرات وبـــتحرك بعـــض الجماعـــات من شتى دول العالم ومن أمريكا

توجهيـــن للعـــراق للتضامن مع شعبه ضد الحرب. وبالرغم من رفض أمريكا لانصياع لهذا الإجماع غطرسة واستعلاءً، ولكن هذا الموقف الدولي المعارض لاستخدام القوة في حل المشاكل وتفضيل الحلول السلمية يعنى أن العالم يرفض هذه الهيمنة الأمريكية ولو اختلفت الأسباب والدوافع والمصالح وربما تكون هذه المعارضة نواة لعمل يسعى إلى إعادة تشكيل النظام العالمي أحادى القطبية مرة أخـــرى إلى نظام آخر تتعدد فيه الأقطاب خاليا من أسلحة التدمير الشامل ومن الترسانات النووية وخاصة في المناطق الحساسة كمنطقة الشرق الأوسط وربما تكون هذه الحرب دافعا للولايات المتحدة والعالم لحل المشكلة الفلسطينية بإيجاد دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة عاصمتها القدس الشريف .

**وإلى دراسة قادمة للحرب البرجماتية التي شنت على العراق لمعرفة تفاصيل أحداثها ونتائجها البعيدة .**

لحق رقم (١)

## النص الكامل للقرار رقم ١٤٤١

يما يلي ترجمة حرفية لنص القرار الأمريكي البريطاني عن العراق الذى أقره مجلس الأمن يوم ٢٠٠٢/١١/٨:

إن مجلس الأمن إذ يشير إلى قراراته السابقة ذات الصلة ولا سيما قراراته ٦٦١ (١٩٩٠ "المؤرخ السادس من آب ( أغسطس عام ١٩٩٠ و٦٧٨ (١٩٩٠) المؤرخ ٢٩ من تشرين الثاني ( نوفمبر) ١٩٩٠ و٦٨٦ (١٩٩١) المؤرخ الثاني من آذار (مارس) ١٩٩١ و٦٨٧ (١٩٩١) المؤرخ الثالث من نيسان (أبريل) ١٩٩١ و٦٨٨ (١٩٩١) المؤرخ الخامس من نيسان (أبريل) ١٩٩١ و٧٠٧ (١٩٩١) المؤرخ ١٥ من آب (أغسطس) ١٩٩١ و١٥٧ (١٩٩١) المؤرخ ١١ من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩١ و٩٨٦ (١٩٩٥) المؤرخ ١٤ من نيسان (أبريل) ١٩٩٥ و١٢٨٤ (١٩٩٩) المؤرخ ١٧ من كانون الأول ( ديسمبر) ١٩٩٩ وكل بيانات رئيسة ذات الصلة وإذ يشير أيضاً إلى قراره ١٣٨٢ (٢٠٠١) المؤرخ ٩٢ من تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١ وعزمه تنفيذه تنفيذاً كاملاً.

وإذ يدرك الخطر الذى يشكله عدم امتثال العراق لقرارات مجلس الأمن وانتشار أسلحة الدمار الشامل والصواريخ الطويلة المدى على السلام والأمن الدوليين وإذ يشير إلى أن قراراه ٦٧٨ (١٩٩٠) فوض الدول الأعضاء استخدام كل السبل اللازمة لدعم وتنفيذ قراره ٦٦٠ (١٩٩٠) المؤرخ الثاني من آب (أغسطس) ١٩٩٠ وكل القرارات ذات الصلة اللاحقة للقرار ٦٦٠ (١٩٩٠) ولإعادة السلام والأمن الدوليين فى المنطقة .

وإذ يشير أيضاً إلى أن قراره ٦٨٧ (١٩٩١) فرض التزامات على العراق كخطوة ضرورية لتحقيق الهدف المعلن استعادة السلام والأمن الدوليين فى المنطقة وإذ يأسف أن العراق لم يقدم كشفاً دقيقاً شاملاً نهائياً ومكتملاً كما يقضى

القـــرار ٦٨٧ (١٩٩١) عـــن كل جوانب برامجه لتطوير أسلحة الدمار الشامل والصواريخ ذاتية الدفع التى لها مدى يزيد على ١٥٠ كيلو مترا وكل ما يحوزه مـــن مثل هذه الأسلحة ومكوناتها ومنشآت إنتاجها ومواقعها وكذلك كل البرامج الـــنووية الأخـــرى ومـــنها أى برنامج يزعم أنه لأغراض غير متصلة بالمواد المستخدمة فى صنع الأسلحة وإذ يأسف مجدداً أن العراق عرقل مراراً الوصول الفـــوري غـــير المشروط وغير المقيد إلى مواقع حددتها اللجنة الخاصة للأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية ولم يتعاون تعاوناً كاملاً غير مشروط مع مفتشـــي الأســـلحة التابعين للجنة الخاصة للأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذريـــة كما يقضى القرار ٦٨٧ (١٩٩١) وأوقف فى نهاية الأمر كل تعاون مع اللجنة والوكالة فى عام ١٩٩٨.

وإذ يأســـف لمـــا كـــان منذ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٩٨ من غياب عمليات المراقبة والتفتيش والتحقق الدولية فى العراق كما تقضي القرارات ذات الصـــلة لأسلحة الدمار الشامل والصواريخ الذاتية الدفع على الرغم من مطالب المجلس المتكررة أن يوفر العراق وصولاً فورياً غير مشروط وغير مقيد للجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش التى أنشئت فى القرار ١٢٨٤ (١٩٩١) لـــتكون خلفـــاً للجـــنة الخاصة وللوكالة الدولية للطاقة الذرية وإذ يأسف للأزمة الممتدة التى أعقبت ذلك فى المنطقة ومعاناة الشعب العراقي.

وإذ يأسف أيضاً أن حكومة العراق لم تمتثل لالتزاماتها تنفيذاً للقرار ٦٨٧ (١٩٩١) فـــيما يـــتعلق بالإرهاب وتنفيذاً للقرار ٦٨٨ (١٩٩١) للكف عن قمع سكانه المدنيين وتيسير وصول المنظمات الإنسانية الدولية إلى كل من يحتاجون إلـــى المساعدة فى العراق وتنفيذاً للقرارات ٦٨٦ (١٩٩١) و٦٨٧ (١٩٩١) و ١٢٨٤ (١٩٩١) لإعادة الرعايا الكويتيين ورعايا الدول الأخرى الذين يحتجزهم العـــراق بغير وجه حق أو التعاون فى الوقوف على مصيرهم وإعادة الممتلكات الكويتية التى استولى عليها العراق بغير وجه حق.

وإذ يشير إلى أنه فى قراره ٦٨٧ (١٩٩١) أعلن المجلس أن وقف إطلاق نار سيقوم على أساس قبول العراق بنود ذلك القرار ومنها الالتزامات على العراق المتضمنة فيه وإذ يعقد العزم على ضمان الامتثال الكامل والفوري للعراق دون شروط أو قيود لالتزاماته بموجب القرار ٦٨٧ (١٩٩١) وغيره من القرارات ذات الصلة.

وإذ يشير إلى أن قرارات المجلس تشكل المعيار الأساسي للحكم على امتثال العراق وإذ يشير إلى أن أداء لجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش بوصفها خلف اللجنة الخاصة وكذلك الوكالة الدولية للطاقة الذرية لمهامها بفعالية أم ضرورية لتنفيذ القرار ٦٨٧ (١٩٩١) والقرارات الأخرى ذات الصلة.

وإذ ينوه إلى أن الرسالة المؤرخة ١٦ من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٢ من وزير خارجية العراق والموجهة إلى الأمين العام خطوة أولى ضرورية نحو تصحيح إحجام العراق المستمر عن الامتثال لقرارات المجلس ذات الصلة.

وإذ ينوه أيضاً إلى الرسالة المؤرخة الثامن من تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٢ من الرئيس التنفيذي للجنة المراقبة والتحقق والتفتيش والمدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى الفريق (عامر السعدي) من الحكومة العراقية والتى تبين الترتيبات العملية متابعة لاجتماعهم فى فيينا والتى هي شروط ضرورية لاستئناف عمليات التفتيش فى العراق من جانب لجنة المراقبة والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية للطاقة الذرية والتى تعرب عن بالغ القلق لإحجام حكومة العراق المستمر عن تقديم ما يؤكد الترتيبات المنصوص عليها فى تلك الرسالة .

وإذ يؤكد مجدداً التزام كل الدول الأعضاء بسيادة العراق والكويت والدول المجاورة وسلامة أراضيها وإذ يشيد بالأمين العام وأعضاء جامعة الدول العربية وأمينها العام على جهودهم فى هذا الشأن.

وإذ يعقد العزم على ضمان الامتثال التام بقراراته فإنه عملاً بالفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة:

١ – يقـرر أن العراق ارتكب ومازال يرتكب مخالفة مادية لالتزاماته بموجب القـرارات ذات الصـلة ومنها القرار ٦٨٧ لعام ١٩٩١ وبوجه خاص من خـلال إحجام العراق عن التعاون مع مفتشي الأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقـة الذرية وإكمال الخطوات المطلوب اتخاذها بموجب الفقرات من ٨ إلى ١٣ من القرار ٦٨٧ لعام ١٩٩١.

٢ – يقرر مع تسليمه بالفقرة الأولى بعاليه أن يمنح العراق من خلال هذا القرار فرصـة أخـيرة للإذعان لالتزاماته الخاصة بنزع السلاح بموجب قرارات المجلس ذات الصلة وعلى ذلك فإنه يقرر إنشاء نظام تفتيش معزز لإنجاز عملية نزع السلاح التى نص عليها القرار ٦٨٧ لعام ١٩٩١ وما تبعه من قرارات المجلس على نحو كامل يمكن التحقق منه.

٣ – يقرر أنه يتعين على حكومة العراق لبدء الامتثال لالتزاماتها فى مجال نزع السلاح بالإضافة إلى الإقرارات نصف السنوية المطلوبة أن يقدم إلى لجنة الأمـم المـتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية للطاقة الذرية والمجلس فى موعد لا يتجاوز ٣٠ يوماً من تاريخ هذا القرار إقراراً كاملاً ومكـتملاً على أن يكون مقبولاً ودقيقاً وفقاً للأوضاع الحالية بجميع جوانب برامجها الرامية لتطوير أسلحة كيماوية وبيولوجية ونووية وصواريخ ذاتية الدفـع وغيرها من نظم الإطلاق مثل الطائرات التى تعمل بدون طيار بما فـى ذلـك كل ما لديه بالفعل من تلك الأسلحة ومواقعها المحددة ومكوناتها وأجـزاء مكوناتها والمخزونات من المركبات (الكيماوية والبيولوجية) وما يتصـل بذلك من مواد ومعدات ومواقع وأنشطة منشآت البحوث والتطوير والإنـتاج وكذلـك كل البرامج والبيولوجية والنووية الأخرى بما فيها أي بـرامج تـزعم أنها مخصصة لأغراض غير ذات صلة بإنتاج الأسلحة أو المواد الخاصة بها.

٤ – يقــرر أن أى إقرارات كاذبة أو إخفاء معلومات من الإقرارات التى يقدمها العــراق تنفــيذاً لهذا القرار وإحجام العراق فى أي وقت عن الإذعان لهذا القــرار والــتعاون التام فى تنفيذه يشكل خرقاً مادياً آخر لالتزامات العراق وســيتم إبلاغ المجلس به لتقييمه وفق الفقرة الحادية عشرة والثانية عشرة أدناه.

٥ – يقــرر (المجلــس) أنــه يتعيــن على العراق أن يوفر للجنة الأمم المتحدة للمراقــبة والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية للطاقة الذرية إمكانية الوصول علــى الفور ودون عقبات أو شروط أو قيود إلى جميع المناطق والمنشآت والمباني والمعدات والسجلات ووسائل النقل التى تريدان تفتيشها وكذلك أن يسمح لأفراد لجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية للطاقــة الذريــة على الفور ودون معوقات أو قيود بأن يقابلوا على انفراد جميع المسؤولين وغيرهم من الأشخاص الذين يريدون مقابلتهم على النحو أو فــى المكان الذى تختاره اللجنة أو الوكالة تنفيذاً لأي جانب من جوانب مهــامهم وفضــلاً عــن ذلك يقرر (المجلس) أن يوسع لجنة الأمم المتحدة للمراقــبة والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية للطاقة الذرية حسب تقديرهما إجراء المقابلات داخل العراق أو خارجه أو تسهيل سفر الشخص المرغوب فــى مقابلته هو وأسرته إلى خارج العراق وأن تتم مثل تلك المقابلات دون حضور أو مراقبة من الحكومة العراقية ويأمر لجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش ويطلب من الوكالة الدولية للطاقة الذرية استئناف عمليات التفتــيش خلال ما لا يتجاوز ٤٥ يوماً من تبني هذا القرار وإبلاغ المجلس بأحدث التطورات بعد ذلك بستين يوماً.

٦ – يوافــق علــى الرسالة المؤرخة الثامن من أكتوبر عام ٢٠٠٢ من الرئيس التنفيذي للجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش والمدير العام للوكالة الدولــية للطاقــة الذرية إلى الفريق (عامر السعدي) من الحكومة العراقية المرفقة طيه ويقرر أن محتويات الرسالة ملزمة للعراق.

٧ – يقـــرر (المجلـــس) أنه فى ضوء ما قام به العراق من تعطيل لوجود لجنة الأمـــم المتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية الذرية فى البلاد لفـــترة طويلة وحتى تنجزا المهام المحددة فى هذا القرار والقرارات السابقة فإنـــه ينشـــئ الإجـــراءات المعدلة أو الإضافية التالية بغض النظر عن أى تفاهمات سابقة لتسهيل عملهما فى العراق تقوم لجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية الذرية باختيار الأفراد العاملين فى فرق التفتـــيش التابعة لهما وضمان أن تكون هذه الفرق مكونة من أكثر الخبراء المتاحيـــن خـــبرة وتأهيلاً أن يتمتع كل موظفي لجنة الأمم المتحدة للمراقبة والـــتحقق والتفتيش والوكالة الدولية للطاقة الذرية بالامتيازات والحصانات المنصوص عليها فى معاهدة الامتيازات والحصانات للأمم المتحدة واتفاقية الامتـــيازات والحصانات للوكالة الدولية للطاقة الذرية تتمتع اللجنة والوكالة بحقـــوق الدخول دون معوقات إلى العراق والخروج منه والحق فى حرية الانتقال على الفور ودون قيود إلى مواقع التفتيش ومن تلك المواقع والحق فـــى تفتيش أى مواقع ومبان بما فى ذلك الدخول دون أي قيود إلى المواقع الرئاســـية بغـــض النظر عن بنود القرار ١١٥٤ لعام ١٩٩٨. تتمتع اللجنة والوكالـــة بـــالحق فى أن يزودهما العراق بأسماء جميع الأفراد المرتبطين بـــبرامج العـــراق الخاصـــة بالأســـلحة الكـــيماوية والبيولوجية والنووية والصواريخ الذاتية الدفع ومنشآت البحوث والتطوير والإنتاج المتصلة بهذه البرامج ضمان سلامة منشأة اللجنة والوكالة عن طريق حراسة أمنية كافية مـــن الأمـــم المتحدة .. تتمتع اللجنة والوكالة بالحق من أجل تجميد موقع مـــزمع تفتيشـــه فى إعلان مناطق محظورة بما فى ذلك المناطق المحيطة وممـــرات الانتقال التى سيعطل فيها العراق حركة الانتقال البري والجوي حـــتى لا يتم تغيير شئ أو أخذ شئ من الموقع الذى يجرى تفتيشه... تتمتع اللجنة والوكالة بالحق أن تستخدم بحرية ودون قيود الطائرات ذات الأجنحة الثابـــتة أو المتحركة بما فى ذلك طائرات الاستطلاع التى تعمل بطيار أو بدون طيار والهبوط بهذه الطائرات فى البلاد .. يكون للجنة والوكالة الحق

بناء على تقديرهما وحدهما فى إزالة أو تدمير أو إبطال مفعول كل الأسلحة المحظورة وأنظمتها الفرعية ومكوناتها وسجلاتها والمواد الخاصة بها وكل ما له صلة بها على أن يتم ذلك بصورة يمكن التحقق منها ويكون لها الحق فى مصادرة أو إغلاق أى منشآت أو معدات خاصة بإنتاج مثل هذه الأسلحة .. ويكون للجنة والوكالة الحق فى أن تستوردا وتستعملا بحرية أى معدات أو مواد لعمليات التفتيش وأن تصادرا وتصدرا إلى الخارج أى معدات أو مواد أو وثائق تضعان أيديهما عليها خلال عمليات التفتيش دون تفتيش موظفي الوكالة أو اللجنة أو أى أمتعة رسمية أو شخصية.

٨ – يقرر (المجلس) أنه يتعين على العراق ألا يقوم أو يهدد بالقيام بأعمال عدائية موجهة إلى أي فرد من ممثلي الأمم المتحدة أو العاملين بها أو ممثلي أى دولة عضو يقوم بعمل ما تنفيذاً لأي قرار من قرارات مجلس الأمن .

٩ – يطلب (المجلس) من الأمين العام أن يخطر العراق على الفور بهذا القرار وهو ملزم للعراق ويقرر أنه يتعين على العراق خلال سبعة أيام من ذلك الإخطار أن يعلن عزمه الامتثال التام لهذا القرار ويطلب أيضاً أن يتعاون العراق تعاوناً فورياً نشطاً وغير مشروط مع اللجنة والوكالة .

١٠ – يطلب (المجلس) من جميع الدول الأعضاء تقديم دعمها الكامل للجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية للطاقة الذرية فى القيام بمهامهما بما فى ذلك من خلال توفير أى معلومات بخصوص برامج محظورة أو جوانب أخرى لمهامهما بما فى ذلك محاولات العراق منذ عام ١٩٩٨ لاكتساب مواد محظورة ومن خلال التوصية بالمواقع التى يتعين تفتيشها والأشخاص الذين يجب استجوابهم وشروط مثل هذه الاستجوابات والبيانات التى ينبغي تجميعها وإبلاغ نتائج ذلك إلى المجلس عن طريق اللجنة والوكالة .

١١ – يوجـــه (المجلـــس) المدير التنفيذى للجنة الأمم المتحدة للمراقبة والتحقق والتفتيش والمدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى إبلاغ المجلس على الفور بأي تدخل من جانب العراق فى أنشطة التفتيش وكذلك أى تقصير من جانـــب العـــراق فى الامتثال لالتزاماته المتصلة بنزع السلاح بما فى ذلك التزاماته المتعلقة بأعمال التفتيش بموجب هذا القرار .

١٢ – يقرر المجلس أن يجتمع على الفور لدى تلقيه تقريراً عملاً بالفقرة الرابعة أو ١١ أعـــلاه مـــن أجـــل دراسة الموقف والحاجة إلى الامتثال التام بكل قرارات مجلس الأمن ذات الصلة لاستعادة السلام والأمن الدوليين.

١٣ – يعـــيد إلى الأذهان فى هذا السياق أن المجلس حذر العراق مراراً من أنه سيواجه عواقب وخيمة من جراء انتهاكاته المتواصلة لالتزاماته.

١٤ – يقرر المجلس أن يبقى المسألة قيد نظره.

ملحق رقم (٢)

## انتشار القوات الأمريكية والمتحالفة فى منطقة الخليج.

**أعداد القوات الأمريكية**

حوالي ٢٤٠ ألف وقد يصل إلى ٣٠٠ ألف جندي

**أعداد القوات البريطانية**

٢٦,٠٠٠ جندى (الفرقة الأولى المدرعة، اللواء ٧ مدرع البريطانى)

**أعداد القوات الإسترالية** جيش – وحدات خاصة.

### القوات البرية الأمريكية:

- مركز القيادة المتقدم بدولة قطر
- الفيلق الخامس
- الفيلق الثالث – الكويت
- الفرقة ٣ مشاة ميكانيكية ١٥,٠٠٠ جندى
- ٣٧٠٠ جندى – وحدات معاونة ٤٠٠٠ جندى
- كتيبة ٩٤ مدربين، كتيبة ٥٤/ لواء ٣٠ مهندسين
- التسليح الدبابة ١ م أ ١– المركبة.
- كتيبة .....١٥ – ل٢٢ إشارة – فرح ...
- البرادلى – مدفعية عيار ١٥٥مم
- لواء ١١ هيلكوبتر – ل ١٨ شرطة عسكرية
- طائرات أباتشى وبلاك هوك
- الفرقة ١٠ جبلية
- الفرقة ١٠١ محموله جواً – ٢٠٠٠ جندى (٣ لواءات – لواء جوى – وحدات معاونة – لواء ١٣٠ مهندسين ٢٧٠ هيلكوبتر (٣ كتائب).
- الفرقة ٨٢ محمولة جواً – ٥٠٠٠ جندى.

- وحدات مشاه أسطول "وحدات عمليات خاصة ٤٥,٠٠٠ جندى.
- الفرقه ١ مشاة أسطول
- لواء ٢ مشاة أسطول ٧٠٠٠ جندى
- المرفق ١ : الخطة الزمنية لوصول القوات إلى منطقة الخليج.
- المرفق ٢ : انتشار القوات الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط.
- الانتشار الجوى فى منطقة الخليج وما جاورها.

## القوات البحرية الأمريكية قيادة الأسطول الخامس (المنامة البحرين)

١ – تمركز غير دائم للوحدات البحرية فى البحرين.

٢ – قيادة الأسطول الخامس تتحكم فى أكثر من ٢٠ سفينة تتجول فى المنطقة وعلى ظهرها ١٥٠٠ فرد بحرى بالإضافة إلى ١٠٠٠ فرد بحرى على البر.

قاعدة دييجو جارسيا (المحيط الهندى) يتمركز فيها:

١ – السرب الثانى سفن نقل حربى (تمركز مسبق).
٢ – السرب الرابع سفن نقل حربى (تمركز مسبق).
٣ – سفينة المستشفى الأمريكية كومفارت
٤ – الوحدات الجوية.

- جناح الانتشار الجوى رقم ٤٠.
- سرب إعادة تموين بالجو (انتشار جوى)
- السرب رقم ٤٠ تأمين إدارى (انتشار جوى)
- مجموعة الانتشار الجوى رقم ٦٠.
- مجموعة الانتشار الجوى رقم ٤٦.

## الانتشار للقوات الجوية المتحالفة لشن الحرب المحتملة على العراق

بانتهاء مرحلة الحرب فى أفغانستان كانت تمركزات القوات الجوية للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا فى منطقة الصراع الأمريكى العراقى كالآتى:

| التمركز | الوحدات | أنواع الطائرات | الأفراد |
|---|---|---|---|
| قاعدة أحمد الجابر الجوية (الكويت) | المجموعة الجوية ٣٣٢<br>مجموعة الاتصالات القتالية رقم٣<br>السرب ٩ مخابرات<br>بطارية صواريخ باتريوت | F ١٥- E Eagle<br>F ١٦ Falcon<br>A ١٠ Thunderbolt | ١٤٠٠ |
| قاعدة على السالم الجوية (الكويت) | المجموعة الجوية ٣٨٦<br>السرب ١١٨ قتال<br>السرب ٤١ حرب إلكترونية<br>السرب ٧١ بحث وإنقاذ<br>السرب ٢ معاونة قريبة<br>بطارية صواريخ باتريوت<br>وحدات بريطانية | C ١٣٠<br>A ١٠ Thunderbolt<br>Tornado | |
| قاعدة الشيخ عيسى الجوية (البحرين) | مجهزة لاستقبال المقاتلات طراز F-١٦ | | ١٩٠٠ |
| قاعدة العديد الجوية (قطر) | المجموعة الجوية ٣٧٩<br>وتشمل:<br>الأسراب ٤٤ ، ٣٤٠ قاذفة<br>الأسراب ٤٣٤، ٩١١ | B ٥٢ | ٣٣٠٠ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | إعادة ملء<br>الجناح الجوى ٩٣ حرب إلكترونية | KC ١٠& KC ١٣٥<br>E ٨C | |
| قاعدة الأمير سلطان الجوية (السعودية) | الجناح الجوى ٣٦٣ ويشمل: الأسراب ٦٧، ٣٩٠، ٥٢٤، ٤٥٧ قتال.<br>سرب قيادة وسيطرة.<br>الأسراب ٣٨ ، ٩٩ استطلاع<br>السرب ٩٢ إعادة ملء<br>السرب ٤٣ (بريطانى)<br>٢ بطارية صواريخ باتريوت | F ١٥C, F ١٥E, F-١٦<br>RC ١٣٥<br>E ٣, U ٢<br>KC ١٣٥, KC ١٠<br>HC ١٣٠<br>C-٢١ | ٥٠٠٠ |
| قاعدة الظفرة الجوية (الإمارات العربية المتحدة) | الجناح الجوى ٣٨٠<br>الأسراب ٧٦٣ ، ٩٠٨<br>إعادة ملء<br>الجناح ٩ استطلاع | KC ١٠ | ٥٠٠ |
| مطار السيب الدولى (عمان) | سرب / الأسطول الجوى ٧٦٣<br>السرب ٤٤١ إعادة ملء<br>سرب / الأسطول الجوى ١٨٩<br>الجناح الجوى ٣٢٠ | C ١٣٠<br>KC ١٣٥ | ١٣٠٠ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| قاعدة ثمريت الجوية (عمان) | القاعدة الأم للجناح الجوى ٣٠٥<br>الجناح الجوى ٢٨ قاذفات<br>وحدات بريطانية<br>وحدات رادار إنذار جوى | C ١٣٠<br>B ١<br>B ١ Lancer Bomber | ٣٠٠٠ |
| قاعدة أنجيرليك الجوية (تركيا) | الجناح الجوى ٣٩<br>الأسراب ٥٥ ، ٤ ، ١٧٥ ،<br>٩٤ قتال<br>أسراب بريطانية | C ١٣٠<br>F ١٥ C, F ١٦ Falcon<br>GR ٣<br>KC ١٣٥<br>EA ٦N AWACS | ١٧٠٠ |
| قاعدة سبانجد أهليم الجوية (ألمانيا) | القاعدة الأم للجناح الجوى<br>٥٢ مقاتل ويشمل:<br>الأسراب ٢٢، ٢٣، ٨١ قتال<br>السرب ٦٠٦ قيادة وسيطرة<br>أسراب دعم فنى وإدارى | F ١٦ Falcon<br>A ١٠ Thunderbolt | |

ومع تصاعد وتيرة الحملة الأمريكية على العراق صدرت الأوامر لوحدات القوات الجوية الموضحة فيما يلى لإعادة التمركز من قواعدها بالولايات المتحدة الأمريكية إلى منطقة الخليج وشرق أوروبا.

| التشكيل | القاعدة الأم | الوحدات | أنواع الطائرات |
|---|---|---|---|
| الجناح الأول قتال | قاعدة لانجلى الجوية فرجينيا | الأسراب ٢٧ ، ٧١، ٩٤ قتال أسراب دعم فنى وإدارى | F ١٥ C Eagle Fighters |
| الجناح الرابع قتال | قاعدة سيمور جونسون الجوية نورث كارولينا | الأسراب ٣٣٣، ٣٣ قتال أسراب دعم فنى وإدارى | F ١٥ E Strike Eagle |
| الجناح ٤٩ قتال | قاعدة هولومان الجوية نيوميكسكو | الأسراب ٨ ، ٩ قتال | F-١١٧ A Nighthawk Stealth |
| الجناح ٥٠٩ قاذفات | قاعدة وايتمان الجوية | الأسراب ٣٢٥ ، ٣٩٣ قاذفات ١٤ سرب دعم فنى وإدارى | B ٢ Spirit Stealth |
| الجناح ٢٨ قاذفات | قاعدة السوورث الجوية سوث داكوتا | الأسراب ٣٤ ، ٣٧ قاذفات أسراب دعم فنى وإدارى | B ١ B |
| الجناح ٥٥ استطلاع | قاعدة أوفوت الجوية نبراسكا | ٨ أسراب طيارين، لملاحين، أفراد صيانة، ضباط حرب إلكترونية، وآخرين | RC ١٣٥ Rivet Joint |
| سرب/ الجناح ٥٧ استطلاع | قاعدة نلس الجوية نيفادا | السرب ١١ استطلاع | Cav Predator |

| | | | |
|---|---|---|---|
| الجناح ١٦ عمليات خاصة | مطار هيرلبيرت فلوريدا | | Ac ١٣٠ Gunships |
| الجناح ٦٠ تحركات جوية | قاعدة ترافس الجوية | الأسراب ٦ ، ٩ إعادة ملء ٢ سرب نقل جوى | Kc ١٠ C ٥ Galaxy |
| الجناح السادس تحركات جوية | قاعدة ماكديل الجوية فلوريدا | السرب ٩١ إعادة ملء | K C ١٣٥ |
| الجناح ٤٣ نقل جوى | قاعدة بوب الجوية نورث كارولينا | الأسراب ٤١ ، ٢ نقل جوى | C ١٣٠ |
| الجناح ٣٤٧ إنقاذ | قاعدة مودى الجوية جورجيا | السرب ٧١ إنقاذ | H C ١٣٠ |
| الجناح ١١٦ سيطرة | قاعدة روبنز الجوية جورجيا | | E ٨ C Joint Stars |

كما صدرت الأوامر لعدة وحدات من القوات الجوية البريطانية لتعيد تمركزها أيضا إلى منطقة الخليج، حيث قدرت تلك القوات بحوالى ١٠٠ طائرة و ٧٠٠٠ فرد، كما تحرك أيضاً ولنفس الغرض سرب مقاتل من القوات الجوية الأسترالية مكون من ١٤ طائرة من طراز F/ A - ١٨ Hornet بجانب ثلاث طائرات نقل من طراز C - ١٣٠.

وبإضـــافة الوحدات المحمولة على مجموعة حاملات الطائرات الأمريكية والبريطانية وكذا تلك المرافقة للتشكيلات البرية والمحمولة جواً أصبحت القوات المـــتحالفة فـــى وضع يسمح لها بتنفيذ حملة جوية تضمن النجاح خلال عملية الغزو لدولة العراق.

(ملحق ٣)

## القدرات العسكرية العراقية قبل بدء الحرب عام ٢٠٠٣

| | القدرات العسكرية قبل عاصفة الصحراء | القدرات العسكرية فى إطار الحظر |
|---|---|---|
| **إجمالى القوات المسلحة** | ١٠٠٠,٠٠٠ مقاتل (عاملة)<br>٤٨,٠٠٠ مقاتل (احتياطى)<br>٦٥٠,٠٠٠ مقاتل (الجيش الشعبي) | ٤٢٩,٠٠٠ مقاتل (عاملة )<br>٦٥,٠٠٠ مقاتل ( احتياط )<br>(يستدعى منها بصفة دورية ومستمرة ١٠٠,٠٠٠مقاتل )<br>١٠٠,٠٠٠ مقاتل الجيش الشعبي<br>١٥,٠٠٠ قوات الأمن<br>٢٠,٠٠٠ قوات حرس حدود<br>١٠,٠٠٠ : ١٥,٠٠٠ شباب فدائيو صدام |
| **القوات البرية:** | ٨٠٠,٠٠٠ مقاتل<br>٨ فيالق (٤٧فرقة) منها:<br>(٤٢ فرقة مشاة / ميكانيكية – ٥ فرق مدرعة)<br>قوات الحرس الجمهوري<br>٥ فرق تشكيل خاص<br>قوات خاصة ( حولى ٢٠فوج ) | ٣٧٥,٠٠٠ مقاتل (١٠٠,٠٠٠ مستدعى)<br>٧ فيالق<br>٢٤ فرقة ( ٧٢ لواء )<br>قوات الحرس الجمهورى<br>(استكملت على حساب قوات الجيش )<br>٢٣٠٠ دبابة (ت ٥٥/٦٢ ت |

| | | |
|---|---|---|
| **التسليح :** | ٥٥٠٠ دبابة | ٧٢ ت٥٩ ) |
| | ٧١٠٠عربة مدرعة | ٩٠٠ عربة قتال مدرعة ح/١/ |
| **الدبابات :** | ٣٠٠٠ قطع مدفعية | BMB |
| | ٢٠٠قطعة قذف | ٢٠٠٠ عربة نقل جند مدرعة |
| | صاروخية | ١٨٠٠ قطعة مدفعية مجرورة |
| | ٢١٠٠قطع هاون | ١٥٠ قطعة مدفع ذاتى الحركة |
| | ٧ألواءات صواريخ | ١٥٠ قاذف صواريخ |
| | أرض / أرض فروج ، | هاونات أعيرة مختلفة |
| | سكود بى إس إس | ٦ قواذف صواريخ ، ٢٧ صاروخ |
| | ٢١ إستروس | سكود بي |
| | بالإضافة إلى صواريخ | |
| | معدلة فى العراق طراز | |
| | الحسين | |
| **القوات** | ٤٠,٠٠٠ مقاتل منهم : | ٣٥,٠٠٠ مقاتل ( منهم ١٧,٠٠٠ |
| **الجوية :** | ( ١٠,٠٠٠ دفاع جوى ) | دفاع جوى ) |
| | ٢٢ قاعدة جوية ، ١٨ | أصبح تمركز القوات الجوية |
| | مطار | خارج مناطق الحظر ما بين |
| **القوة** | | دائرتى عرض ٣٣-٢٦ ما هو |
| **البشرية** | | داخل مناطق الحظر تم خزنة لا |
| | ٥١٧ طائرة قتال | يتحرك . |
| | (٢٧٤ طائرة هجوم | |
| | أرض ٢٢٢ مقاتلات | ١٣٠طائرة مقاتلة / قاذفة ( ٦-٨) |
| | ٢٠ قاذفة قنابل ٦٢ | قاذفة قنابل ثقيلة ١٨٠ طائرة |
| | طائرة نقل جوي ) | مقاتلة |

| | | |
|---|---|---|
| التسليح | ٢٠٠كتيبة صواريخ أرض / جو | عدد من طائرات الاستطلاع الجوى ٢ طائرة حرب إلكترونية طائرات نقل ومواصلات طائرة تدريب ) |
| طيران الجيش | ٤٤٧ طائرة (١٦٠ هيلوكبتر مسلح ١١٢ طائرة قتال هجومى – ١٧٥ طائرة نقل متنوعة | ٥٠٠ طائرة (١٢٠ طائرة هيلكوبتر هجومية (BO-١٠S ) ٣٥٠ طائرة نقل ومواصلات . |
| القوات البحرية : | ٥٠٠٠ مقاتل | ٢٠٠٠ مقاتل |
| | أم قصر البصرة | البصرة الزبير |
| القوات البشرية | ٦ قطع بحرية كبيرة (خارج العراق ) عدد من لنشات | ٢ فرقاطة ٣ سفن إنزال بحرى زوارق صواريخ طراز osal |
| القواعد البحرية | الصواريخ ولنشات الحراسة والمرور | ٥ زوارق دورية (خارج الخدمة) ٨٠ زورق مرور خفيف ٤ سفن كاسحة ألغام |
| القوة البحرية | | ٣ سفينة إسناد |

وقد تمكنت القيادة العراقية فى فترة التحضير للهجوم على العراق إلى زيادة قواتها البرية إلى ٥٢ فرقة متنوعة ولكنها منيت بخسائر فادحة بعد الحرب.

إن الصـــناعات الحربـــية العراقية لم يعد ممكنا أن تعمل بكفاءة حيث دمر جزء منها فى الحروب وعدم القدرة على الحصول على خامات ، ولا يمكنها أن تحقق اكتفاءها الذاتى أو إصلاح وصيانة معداتها ، مع عدم وجود برامج تطوير الأسلحة أو حتى صيانتها .

والجدول المرفق يوضح المؤسسات الصناعية الحربية العراقية :

- صناعة الدبابات : مصنع تجميع دبابات يعمل بترخيص من بولندا .
- صـــناعة المدافـــع : مجمـــع سعد الهندسى ( تصنيع هاونات ١٢٢مم ، صواريخ طراز أبابيل وأجهزة بصرية وأجهزة تنشين للدبابات والمدافع ).
- صناعة ناقلات جند مدرعة (ذات عجل) ، مصنع القاهرة .
- قطـــع غـــيار للأسلحة والمعدات والمدافع مجمع الصناعات العسكرية (منطقة الدورة ).
- تجميع الطائرات : مجمع سعد ـــ الفاو .
- القنابل الجوية وأجزاء فى المدفعية : مجمع بدر ـــ اليوسفية
- إنتاج المفرقعات بأنواعها - مجمع خطين الأسكندرية - جنوب بغداد
- القنابل العنقودية ومتفجرات الوقود الجوى - مجمع سعد - ٣٨ الفاو
- مواسير دفع الصواريخ والقنابل الجوية - مجمع القعقاع - القعقاع
المنشآت البحرية : مجمع الصوارى - البصرة
- مصـــنع إلكترونيات بأنواعها - مجمع سعد - ١٣- منطقة صلاح الدين - الدور ١
- بـــرامج الكمبيوتر الرقمية - وتجميع خطوط التحكم - مجمع الدخيلة - الزعفرانية
- ماكينات وآلات القياس الدقيق - مجمع الربيعة - جنوب بغداد
- أغلفة الذخائر غير الحديدية : مجمع السعد -١٣ - الموصل
- النيتروجين السائل : منطقة الآميل
- اكسيد الإثيلين للمتفجرات الجوية : منطقة الآميل

- المتفجرات بأنواعها - مجمع الفالوجا - المثنى
- كمامات الغاز : السعد - ٢٤ - الموصل

ومـــن المؤكـــد أن مـــا تبقى فى هذه المصانع متوقف عن الإنتاج وخضع للتفتيش الدولى .

قـبل حرب الخليج الثانية اهتمت القيادة العراقية بالصناعات غير التقليدية وقـد تكلفـت أمـوالا باهظة إنشاء القاعدة الصناعية وكان لدى العراق وسائل إطلاق للأسلحة والذخائر غير تقليدية أهمها(٦) :

- طائرات قاذفات Tu ٢٢١/m١٦- روسية الصنع.
- مقاتلات ميج ٢٩/٢٣ ( روسية ) ، ميراج إف ١ ( فرنسية ) .
- حوالى ٨١٩ صاروخ سكود بى ( روسى الصنع ).
- أعـداد من الصواريخ عراقية الصنع طراز ( الحسين ) مداه ٦٠٠ كيلو متر مع قواعد ثابتة (شمال العراق - وجنوبه - وغربه).
- تطوير الصاروخ العباس عراقى الصنع - مداه ٩٠٠ كيلو متر يصل إلى إيران - الخليج - إسرائيل - تركيا - قبرص .
- مدافع بعيدة المدى : مدى ٦٠ كيلو متر
- وقد اهتمت العراق بعمل أبحاث لتطوير الصاروخ "تموز" عراقي الصنع يعمـــل بالوقود السائل مداه حتى ٢٠٠٠ كيلو متر ، وصاروخ آخر بنفس المدى بالوقود الصلب ولكنها مصممة لحمل أسلحة نووية حاولت العراق إنشـــاء مصنع فى مجال إنتاج محركات الصواريخ ولكنها اعترفت به عام ١٩٩٥ . وقد كان هذا مجالا للشك فى عدد الصواريخ الذى دمر .

بعـــد حـــرب الخلـــيج الثانية وصدور القرار الدولى لقيام مفتشى الأسلحة بتدمير الأسلحة غير التقليدية فقد تم تدمير الأسلحة والمعدات التالية(٧):

- ٤٨ صـــاروخ سكود بى - وقد أشرف العراق على تدمير ٨٣ صاروخا وثلاث منصات إطلاق

- ١٠ منصات صواريخ تعبوية متحركة و٦٨ منصة صواريخ ثابتة .
- تم تدمير أجزاء كثيرة من المدافع بعيدة المدى ( المدفع العملاق ) ومعدات الصواريخ .
- تم تدمير ٣٨٥٣٧ قطعة ذخيرة كيماوية – فارغة .
- ٣٠٩٠طن من الكيماويات ومواد الأسلحة الكيماوية .
- ٥١٧ قطعة لمعدات إنتاج تحاليل الأسلحة الكيماوية .
- مصنع الحكم لإنتاج الأسلحة البيولوجية ، وعددا من معدات ومواد الإنتاج الخاصة بذلك.

من هذا المنطلق يكون المفترض أن العراق لا يمتلك أسلحة دمار شامل ولا وسائل إطلاقها .

لم تقم لجنة التفتيش الدولية بإعدام الصواريخ قصيرة المدى (أقل من مدى ١٥٠كيلو متر)

ومـــن طرازات الصواريخ SSN٢,HY-٢C٦٠١, والنماذج التجريبية للصاروخ SA-٢ وأبحاث الصواريخ أبابيل .

وحاولـــت العـــراق إعادة بناء برنامجها الصاروخى وشبكته بالاستفادة من علمائـــه فى الخارج وفى الحصول على المواد اللازمة والتكنولوجيا الأوروبية والأمريكية .( ولاشك أن التقدير الخاص بأطقم التفتيش الدولى سيتضمن ما تم).

وقـــد أكـــدت الصور التى التقطتها الأقمار الصناعية الأمريكية أن العراق يجرب توسيع منشأة بن الهيثم ومنشأة الكندى لإنتاج وأبحاث الصواريخ .

# الفهرس


تقديم الكتاب ..... ٥

المقدمة ..... ١١

**الفصل الأول: استراتيجية الأمن القومي الأمريكي ( عقيدة بوش )**

تمهيـــد : ..... ٢١

أولا : المستجدات في الفكر الأمني والاستراتيجي الأمريكي. ..... ٢٦

ثانيا : نظرية الهيمنة الأمريكية على العالم. ..... ٥١

ثالثا : نقد الاستراتيجية الأمنية، والسياسة العامة الأمريكية. ..... ٧٤

**الفصل الثاني: النظام العربي في دائرة الأزمة**

تمهيـــد : ..... ٩٩

أولا : القدرات العربية وانعكاساتها على النظام العربي. ..... ١٠٧

ثانيا : الإدارة العربية للأزمة. ..... ١٣٧

ثالثا : العراق وإدارته للأزمة. ..... ١٥٥

**الفصل الثالث: الإدارة الأمريكية للأزمة العراقية**

تمهيـــد : ..... ١٧١

أولا : سيطرة اليمين المتطرف على السياسة الأمريكية ..... ١٧٣

ثانيا : المراحل الرئيسية لإدارة الأزمة العراقية وتهيئة المناخ الدولي. ..... ١٨٩

ثالثا : محددات الأزمة العراقية الأمريكية. ..... ٢٠٣

رابعا : أهداف ومواقف الأطراف المؤيدة والمعارضة للحرب. ..... ٢١٦

خامسا : الأسلوب الجاكسونى في إدارة الأزمة. ..... ٢٤٧

**الفصل الرابع: الإعداد السياسي للحرب ضد العراق**

تمهيد : ..... ٢٦٣

أولا: النشاط السياسي الأمريكي لشن الحرب ضد العراق ..... ٢٦٩

ثانيا: المنظور السياسي الأمريكي لحدود استخدام القوة ضد العراق ..... ٢٨٠

ثالثا: قدرة الولايات على شن الحرب في إطار تحالف دولي أو منفرد ..... ٣٠٧

رابعا: البعد السياسي لتخطيط الحرب ضد العراق ..... ٣١١

خامسا: تأثيرات المعارضة الدولية على الحرب ضد العراق ..... ٣٢٠

**الفصل الخامس: الإعداد العسكري للحرب ضد العراق**

تمهيـــد : ..... ٣٣٣
أولا : القدرات العسكرية الأمريكية في مسرح العمليات. ..... ٣٣٦
ثانيا : الإعداد العسكري العراقي. ..... ٣٤٧
ثالثا : دور بعض القوى الإقليمية المؤثرة.
( دول مجلس التعاون الخليجي / تركيا / إسرائيل ) ..... ٣٧٠
رابعا : الإعلام والحرب النفسية وهوس الحرب. ..... ٣٨٨

الخاتمة ..... ٤٠٥

**الملاحق:**

الملحق الأول: النص الكامل للقرار رقم (١٤٤١) ..... ٤٠٩
الملحق الثانى: انتشار القوات الأمريكية والمتحالفة فى منطقة الخليج ..... ٤١٧
الملحق الثالث: القدرات العسكرية العراقية قبل بدء الحرب عام ٢٠٠٣ ..... ٤٢٥

| رقـــم الايـــداع |
| --- |
| ٢٠٠٣ / ٩٧٠٨ |
| الترقيـــم الدولـــى I.S.B.N. |
| 977-209-092-7 |